ديوان
مجد الإسلام
أو « الإلياذة الإسلامية »

مكتبة جزيرة الورد

اسم الكتاب : ديوان مجد الإسلام

« الإلياذة الإسلامية »

الشاعر : أحمد محرم

دراسة وتقديم : سمير إبراهيم بسيوني

إخراج فني : مركز الصفا للكمبيوتر

* رقم الإيداع : ٢٠١٠/٤٣٨٣٩

* الترقيم الدولي :

الطبعة الأولى ٢٠١٠م

مكتبة جزيرة الورد

ميدان حليم خلف بنك فيصل الرئيسي

شارع ٢٦ يوليو من ميدان الأوبرا

ت : ٢٧٨٧٧٥٧٤ م : ٠١٠٠١٠٤١١٥ - ٠١٠٠٠٤٠٤٦

أحمد محرم



أو

الإلياذة الإسلامية

تحقيق

سمير إبراهيم بسيوني

مكتبة جزيرة الورد

التقديم
أحمد محرم
١٨٧٧ ـ ١٩٤٥

هو شاعــر مصرى من أصل تركى . ولد فــى قرية إبيار من قرى الــدلنجات بمحافظة البحيرة في دلتا مصر وعاش فى دمنهور ومات فيها .

لم يتلق أحــمد محرم تــعليمًا منـتظمًا . ولكن من الأكـيد أنّه اجتــاز مرحلة الكتاب حـيث حفظ القــرآن الكريم وتعلّم أصول اللـغة والحساب ، وتثـقَّف على بعض شيوخ الأزهر .وشاعرنا محسوب عــلى الاتجاه المحافظ البيانى الذى نشأ فى فتــرة الوعى على يد الــبارودى [١] ، ومازال يقوى بوجود شاعــر فحل من أمثال شــوقى [٢] ولكنه فى فترة أحمد مـحرم كان قد أخذ فى الجمود [٣] ، فهــو من الناحية الموضوعية لم يضف أي كسب جديد فى المجالات التى كان يعبر عنها .

---

(١) يمثل هذا الاتجاه البارودى واسماعيل صبرى وعائشة التيمورية . وكان أوضح الجميع أخذا بهذا الاتجاه هو البارودى ، وهو الاتجاه الذى اعتمد على اتخاذ الشعر العربى أنموذجًا فى فترات نضوجه منذ العصر الجاهلى وحتــى العصر العباسى وفترة الأندلس . وعُنى بإبراز الجانب البـيانى فى الشعر ، وكــان هذا الأسلوب المحافظ البيــانى وسيلة تعبـر عن حياة الشاعر الخاصة وأحاسيسه الذاتية ، ثم عن قضايا بلده ومشكلاته القومية ، مسجلا بعض أحداث العصر التي تؤثر على مسيرة الوطن ، فشعراء هذا الاتجاه لم يحصروا أنفسهم في الأغراض القديمة لــلشعر العربى ، وإنما كان أســلوبًا حيًا مشرقًا واكــب التطور الذى كان يحدث فى البلاد وقتئذ .

(٢) أخذ هذا الاتجــاه يقوى على يد الجـيل الذى خلف البــارودى الذين ساروا فى نفــس الاتجاه من أمثال : أحــمد شوقي ، وإسماعيــل صبرى ، وحافظ إبراهيم ، ومـحمد عبد المطلــب ، وبقية شعراء هذا الجيل التالى من أمثال : أحمد محرم وعلى الغاياتى ومصطفى صادق الرافعى وأحمد الكاشف فكــل هؤلاء الشعراء يؤمنـون بالعروبة وتسيـطر عليهم فكـرة الجامعة الإسلامـية ومن المرتبطين تبعًا لها بالتراث العربى العظيم ، ونماذجه الشعرية الرائعة ، فكانوا يتخذونها مثلا أعلى للأسلوب الشعري.

(٣) يرى دكتــور أحمد هيـكل أنه كان يعنــى بالأمور العامــة ، فشعــراء هذا الاتجاه يهتــمون بالقضايا السياسية الداخلية أكثر مما يهتمون بالشئون الوطنية الخارجية وقد أهتموا بشعر =

أحمد محرم شاعر الوطنية المصرية

يمثل شعر أحمد محرم الوطني جزءاً كبيراً من اهتماماته . فوجوده في قرية بعيداً عن الجاه والسلطة فى العاصمة جعله يحس بآلام الشعب وآماله . . . فنجده عندما تنكر الخديوى عباس الثانى لتعهداته أن يقف مع الحركة الوطنية ويعضدها وراح يهادن الانجليز فنجد شاعرنا يهاجمه فى جرأة وشجاعة ، ويقول :

أضرَّ الناسَ ذو تاجٍ تولى فما نفع البلاد ولا أفادا
وكان على الرعية شر راع وأشأم مالك فى الدهر سادا
فلا هو يرتجى يوما لنفع يعزيه الرعية والبلادا

لم يعرف أحمد محرم المهادنة ، ولا الالتواء ، فهو عندما يهجو لا يلجأ للرمز . . أو التلميح ، يقول واصفا الخديوى بالمخادعة والكذب :

كذب الملوك ومن يحاول عندهم شرفا ويزعم أنّهم شرفاء
الحق منتهك المحارم بينهم والعدل وهم والوفاء هباء
رفعوا العروش على الدماء وإنما تبقى السفينة ما أقام الماء

لقد كان عداؤه للانجليز ومعاونيهم واضحًا صريحًا . يفضح الحكم الاستبدادى الذى يكبت الحريات ،وينادى بالثورة للتخلص من المستعمرين وأعوانهم . فلابد من الكفاح من أجل تحقيق الحرية ،يقول :

يا أمة خاط الكرى أجفانها هبى فقد أودت بك الأحلام
هبى فما يحمى المحارم راقدٌ والمرء يظلم غافلا ويضامُ

= المناسبات الذي جرّ هم إلى الخطابية فى التعبير وجرّهم تجويد الصياغة إلى عدم العناية بالأفكار الدقيقة والتجارب النفسية العميقة . وهذا فضلاً عن عدم رعاية الوحدة الموضوعية وأصبحت القصيدة تجمع بين أكثر من غرض . وكان لهم كلف بجمال البيت المفرد ، وعدم النظر إلى القصيدة كبناء فنى .

هبى فما يغنى رقادك والعدا حول الحمى مستيقظون قيام
غنموا نفائسه وثم بقية ستنيلها أيديهم الأيام
عجبا لهذا النيل كيف نعقه ويدوم منه البر والإكرام

وعندما يصدر قانون المطبوعات يثور قائلا :

صبوا المداد وحطموا الأقلاما وامحوا الصحائف وانزعوا الأفهاما
أيسوس ريب الدهر منا أمة تبغى حياة المجد أم أنعاما

ويخوض أحمد محرم غمار الحياة السياسية . . فيتناول قضايا الدستور(١) وأحداث البرلمان ، ومشكلات الأحزاب في شعره ، فهو يرى أن الدستور تفسر أحكامه حسب الهوى ، وفى حين آخر يستبدل بدستور مقيد للحريات . فنراه يسخط على الدستور ، ويلعن اليوم الذى فتح فيه البرلمان ، وذلك لما رأي من الاتجار الحزبى باسم الدستور ، والتصدع الوطنى بسبب البرلمان ، ولما رأي من استغلال المستعمر لهذه الملهاه لصرف الجهود الوطنية عن نضاله (٢) ، يقول :

سأتبع يوم السبت ما عشتُ لعنة يطير بها عاد من الطير ضابحُ
هو اليوم يوم شأم ضج نذيره ومّر به طير من النحس بارحُ
يقولون : نوّاب ودار نيابة وملك ودستور من الحق واضح
وساوس أقوام مهاذير مالهم من الرأى هاد أو من اللب ناصح

وتقوم ثورة ١٩ . . . ويتزعم سعد مطالب الأمة . . . ويتولى سعد أول حكومة وطنية . . ولكنه لا يحس أي تغيير . . هو يعيش بين الناس البسطاء . . الذين ذاقوا مرارة العبودية وتحكم الاجنبي في مقدراتهم . . يرى أحمد محرم أن الظلم مازال . . والعبودية مازالت ∴ يقول:

---

(١) د. عبد الرحمن الرصيفى ـ تطور الشعر العربى الحديث ، دراسة ونماذج مختارة ، صـ ٨ .
(٢) أحمد هيكل ـ تطور الأدب الحديث في مصر صـ٢٩٣ .

جزى الله سعدا ، إنّها شهواته طغت ريحها ، فالشر غاد ورائح
أباح حمى مصر وسودانها معا فأمعن مغتال ،وأوغل طامح
يسامح أعداء البلاد ويعتدى على قومه ، شر الحماة المسامح(١)

يرى «محرم» الأحزاب السياسية في البلاد تقودها إلى الفرقة والضياع وقد شغلتها مطامع الحكم والسلطة عن الاهتمام بأحوال الناس والبلاد ،يقول :

سائل الأحزاب ماذا عندها غير ترجاف ووهم مقلق
وتأمل هل ترى اليوم سوى دولة فوضى وحكم أخرق
فات نيرون رجال رزقوا من فنون الظلم مالم يرزق(٢)

ويدعو لانصراف الناس عن الأحزاب ، فزعماؤها يتصارعون فى سبيل الوصول إلى كرسي الحكم مهما كلفهم ذلك من تنازلات . . مشغولون بحبك المؤامرات ، منصرفين عن أي إصلاح يعود على الشعب بالخير ، يقول :

دع الزعماء إن لهم لَدينًا يدين بغيره الشعب الرشيد
لمن تتألف الأحزاب شتى وما هذى الصواعق والرعود
تداعوا للوغى فهوى صريعا على أيديهم الوطن الشهيد

لم يهادن « أحمد محرم » الانجليز . . هاجم بضرواة رموزهم في مصر .
يقول في قصيدة له سنة ١٩٢٥ في استقبال اللورد « جورج لويد » :

عميد الغاصبين نزلت أرضا يبيد الغاصبون ولا تبيدُ
يذود الواحد القهار عنها إذا قهرت جنودك من يذودُ
أتذكر إذ لقومك ما أرادوا وإذ لكرومر البطش الشديد
تطوف جنوده فتصيد منا ومن سرب الحمائم ما تصيدُ

(١) محمد حسين ـ الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر ـ جـ ٢ صـ ٢٩٣ .
(٢) عبد الرحمن الرافعي ـ شعراء الوطنية صـ ٢٠٥، ٢٠٦ .

وعندما يقوم كمال أتاتورك بثورته التى قضت على أمال الكثيرين في توحد البلاد تحت مظلة الخلافة الإسلامية ، فيتحدث « عما لقيت الخلافة من خيانات بعض الزعامات العربية الطامعة ، والمدفوعة بإغراءات الإنجليز ، وحيل الاستعمار»، فيقول :

وما نفع الخلافة حين تمسى ... حديث خراقة للهازلينا
ثوت تتجرع الألام شتى ... على أيدى الدهاة الماكرينا
منعنا الظلم أن يطغى عليهم ... فخانونا وكانوا الظالمينا
نُصاب لأجلهم ونصاب منهم ... فإن تعجب فذلك مالقينا

ولا تقتصر مشاركة أحمد محرم بشعره في أحداث الوطن بل تتعدى إلى الهم العربي ، فعندما يبدأ النفوذ الصهيوني في التسلل إلى فلسطين ويستشهد القائد العربي « محمد بن سعيد العاص » في فلسطين سنة ١٩٢٩ عندما اتسع نطاق القتال بين العرب والصهاينة منذ حوادث البراق أو حائط المبكى ، نجد « محرما » يرثيه ، ويستنهض همم المسلمين والعرب من أجل الوقوف بجانب إخوانهم في فلسطين لمجابهة مطامع الصهيونية العالمية فيها . وقد يكون « أحمد محرم » هو من أول الشعراء الذين نبهوا إلى هذا الخطر ، يقول :

نظم المجد لأبطال الحمى ... ونظمت الشعر نارا ودما
يا فلسطين ارفعي تاجيك في ... دولة البأس وزيدى شمما
صخراء صماء تحمي صخرة ... علمتها كيف تشفى الصما
أسمعت « بلفور» نجوى وعده ... ترتمي حزنا وتمضي ندما

ويشارك ليبيا في كفاحها ضد المستعمر الإيطالي . . فما أن يسمع عن إعدام «عمر المختار » سنة ١٩٣١ ، وهو البطل الذي كافح في سبيل تحرير بلاده ، يقول

هتف النعي فما ملكت بياني ... ليت النعيً إلى الإمام نعاني
ذُعر الحطيم وراع يثرب حائط ... للموت ضج لهوله الحرمان

سهم أصاب المسلمين وجال في كبد الهوى وحشاشة الإيمان

ويستمر الصهاينة في اعتداءاتهم على الفلسطينيين فيندد بهذه الانتهاكات . وينبه العرب بما سيجره ذلك من ويلات بعد ذلك . لقد رأى أرض فلسطين تغتصب ، والعرب لاهون عنها ،فقال مثيرا الهمم إلى خوض معركة فاصلة تنهي هذه المهزلة :

من ذا يرى دمه أعز مكانه من أن يخضب في فلسطين الرّبا
وطن يُعذّب في الجحيم وأمة أعزز علينا أن تصاب وتنكبا
إنّا لنعلم أنّ أكل لحمهم سيخوض منا في الدماء ليشربا[1]

هذا بالإضافة إلى شعره الإسلامي والذي لم يترك أي مناسبة دينية إلا وتحدّث عنها . . . ثم تم ذلك بديوانه عن مجد الإسلام والذي سجل السيرة العطرة للرسول ـ ﷺ ـ عارضًا من خلالها الانتصارات الإسلامية المشرفة التي أنشأت حضارة في وقت كان العالم كله في ظلام وهمجية .

(١) الرافعي ـ شعراء الوطنية صـ ٢١٠ .

أحمد محرم والتأريخ للبطـولات الإسـلاميـة [١٨٧٧ ـ ١٩٤٥]

شهد شعرنا العربي في العصر الحديث محاولتين رائدتين خاض فيها الشعر تجربتين ثريتين ، الأولى قام بها « أحمدشوقي » لتطويع الشعر للمسرح . بدأ محاولته الأولى في مسرحية علي بك الكبير والتي كتبها وهو في باريس ١٨٩٣ . ولم تكن هذه المحاولة ناجحة فانصرف عن هذه التجربة فترة ، ثم اتجه من جديد في معالجة فن الشعر المسرحي في الفترة من ١٩٢٧ وحتى ١٩٣٢ ، فأخرج لنا : مصرع كليوباترا ـ مجنون ليلى ـ قمبيز ـ عنترة ـ الست هدى ، كما أعاد كتابة مسرحيته الشعرية الأولى « علي بك الكبير » بعد أن تمرس على هذا الفن ، متخطيًا الأخطاء الفنية التي تعرض فيها للنقد عند محاولته الأولى.

«لقد كانت محاولة شوقي رغم نجاحها ، إنما كانت محاولة للتجديد في فن الشعر بعامة ، وليست محاولة للتجديد في مجال الشعر الغنائي بخاصة ، فهي تهدف إلى عمل شعر « درامى » وهو نوع من الشعر مغاير في حقيقته للشعر الغنائي .ومن هنا يمكن أن يقال : إن محاولة شوقي لم تخدم الشعر الغنائي من الناحية الفنية ، وإن خدمت الشعر العربي بوجه عام ، وفتحت أمامه ميدانًا من أخصب الميادين وهو الشعر المسرحي »(١) .

وتجيء محاولة رائدة أخرى ! يقودها « أحمد محرم » ، ذلك أنه ألّف عام ١٩٣٣ « ديوان مجد الإسلام » ليحكي بالشعر سيرة الرسول ﷺ منذ بداية الدعوة. . إلى الغزوات والفتوحات والبطولات ، لقد أطلق بعض النقاد والأدباء على هذا العمل « الإلياذة الإسلامية » وفاتهم أن هناك فرقًا كبيرًا بين ما قام به «أحمد محرم » من كتابة شعر يلتزم بوقائع تاريخية ثابته يلقي الضوء عليها مظهراً ما فيها من بطولات نقلت العرب من قبائل متناحرة لا حضارة لها إلى أمة في

(١) أحمد هيكل ـ تطور الأدب الحديث في مصر ـ دار المعارف القاهرة ـ ١٩٦٨ .

خلال سنوات معدودة قوضت أكبر امبراطوريتين في العالم آنذاك وهما فارس والروم .

هذا بعكس « العمل الملحمي » فالشعرالملحمي يكاد يكون أبسط الفنون الشعرية على الإطلاق ، هو شعر الفطرة والسذاجة في بعض معانيهما ، نشأ في طفولات الشعوب ، وامتزج بألوان تفكيرها البدائي ، وآمالها الأولى ، عبّر عن حياتها التي لم تكن قد تعقدّت بعد ، ولم تكن قد داخلتها معطيات التمدن والرقي، فجاء مشبعًا بالأساطير ، والخرافات التي لانصيب لها من حقيقة الواقع سوى نزر يسير [١] الملحمة تتغنى بالألهة وعظمتها ، وتؤرخ لهم ، وتنسب إليهم أعمالاً بشرية ، وتشركهم في تقرير حياة الناس.

تتمثل الملحمة فيما قام به هوميروس [٧٠٠ق.م] بملحمتيه « الإلياذة[٢] والأوذيسة[٣] » ، وتعتمد في الأساس على البطولات الخيالية ـ وهي لا تعني بالوقائع التاريخية ، وهذا عكس ديوان « مجد الإسلام ». فرغم اتخاذه سيرة الرسول ﷺ مادة لديوانه ، وتسجيله لغزواته وانتصاراته ؛ فإنه لم يلجأ إلى الخيال بل سّجل الأحداث الحقيقية التي وردت لنا من رواة ثقات . وهكذا جاءت لنا قصائد غنائية عديدة ولكنها تلتزم بموضوع واحد . كل قصيدة تعالج موضوعًا

---

(١) أحمد أبو حاقة ـ فن الشعر الملحمي ـ صـ ١٠ ـ دار الشرق الجديد ـ ط أولى ـ بيروت ـ ١٩٦٠.

(٢) تقع الالياذة في ٢٤ مجلدًا وتتناول حرب طروادة بين اليونان وطروادة ، والخلاف بين «أجاممنون» قائد الحملة اليونانية ، و« أخيل » مما أدى إلى تدخل صديقه باتروكلوس ، الذي حارب بدلا من اخيل ، وارتدى درعه وقتل على يد هكتور ،ثم يصفح أخيل عن قائد الحملة، وينتقم من هكتور ويقتله . وتنتهي الإلياذة بوصف مؤثر لدفن هكتور .

(٣) تتغنى الأوذيسة بمحاولة « تليماخوس » البحث عن أبيه « أوديسوس » وعثوره عليه ، ومحاولتهما الانتقام من العشاق الذين ضايقوا « بنيلوب » في غياب زوجها ، ثم يسترد الأب ملكه ويعيش آمنا في وطنه ،جاء فيها ذكر شعب خرافي يسكن في إفريقيا ، ويعيش على أكل زهور اللوتس التي تسبب النسيان والتراخى . أكل جنود « أوديسوس » ، هذا الطعام ، فنسوا أصدقاءهم وبلادهم مما اضطره إلى سحبهم إلى السفينة ، والعودة بهم إلى بلادهم .

معينًا من موضوعات السيرة . ويتغير الوزن والقافية من قصيدة إلى أخرى .

فإذا كنا نحسب لشوقي ريادته للمسرحية الشعرية ، فإننا نحسب لأحمد محرم تجربته الثرية في نظم التاريخ الإسلامي في قصائد غنائية بجمعها ديوان واحد .

تليفون : ٢٢٥٤٦١٥ / ٠٥٠
٠١٠٩٠٤٥١٤٩

سمير بسيوني
المنصورة : يناير ٢٠١٠م

بسم الله الرحمن الرحيم

لا إله إلا الله محمد رسول الله

﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ ﴾ [الأنفال: ٦٥] .

❊ ❊ ❊

﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩] .

❊ ❊ ❊

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾ [التوبة: ٢٠] .

❊ ❊ ❊

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [التوبة: ٤١] .

❊ ❊ ❊

﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ ﴾ [التوبة: ١١١] .

❊ ❊ ❊

﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

في علم المغازي خيرُ الدُّنيا والآخرة

«الزهرى»

كُنَّا نُعلَّمُ مغازِى رسُول الله ﷺ

كما نعلم السور من القرآن

« زين العابدين بن الحسين بن على »

كانَ أبي يعلمنا المغازى والسرايا

ويقول : يا بنى إنها شرف آبائكم فلا تضيعوا ذكرها

« إسماعيل بن محمد بن سعد بن أبى وقاص »



مطلع النور الأول

من أفق الدعوة الإسلامية

مطلع النور الأول
من أفق الدعوة الإسلامية

امــلأ الأرضَ يـا مُــحــمّــدُ نُـورا ... وَاغْـمــرِ النّـاس حـكمــةً والدُّهــورا
حـجـبــتكَ الـغـيـوبُ سِـرا تجلـى ... يـكشـفُ الحُـجْبَ كـلَّهـا والـسُّـتـورا
عَـبَّ سـيـلُ الـفــسـادِ فـي كـل وادٍ ... فـتــدفَّقْ عـلـيـه حـتّـى يـغـورا (١)
جـئـتَ تـرمـي عُــبـابَـهُ بـعُـبـابٍ ... رَاح يَـطـوِي سُـيـولَـهُ وَالـبـحــورا
يُـنقـذُ الـعـالـمَ الـغـريقَ ويـحـمـي ... أُمَـمَ الأرضِ أن تـذوقَ الـثُّـبــورا (٢)
زاخــرٌ يَشــمـلُ الـبـســيـطةَ مـدّاً ... ويَـعُـمُّ الـسَّـبـعَ الـطِّبــاقَ هديـرا (٣)
أنــت مـعنـى الوجــودِ بل أنــت سِرٌّ ... جَـهِلَ الـنّاس قـبلــه الأُكـسـيـرا (٤)
أنــت أنـشـأتَ لـلـنُّـفـوس حَـيـاةً ... غَـيَّـرتْ كـلَّ كـائنٍ تـغـيـيــرا
أنجـب الدهـر فـي ظلالـك عــصـراً ... نـابه الـذكـر في الـعـصـور شـهـيـرا
كـيـف تَـجزِي جَـمـيـل صُنعـك دُنيـا ... كُـنتَ بَـعـثـاً لــهـا وكـنتَ نُـشـورا
وَلَـدتـكَ الـكـواكـبُ الـزُّهـرُ فَـجــراً ... هـاشـمـيَّ (٥) السَّنـا وَصُبـحاً منـيرا
يَصـدعُ الـغـيـهبُ المُـجَلَـلَ بالـوحي ... المُـلَـقَّـى ويَـكشِـفُ الـدّيـجـورا (٦)
مـنطـقُ الـقـدرةِ الـتـي تُرهـقُ الـقـا ... درَ عــجــزا والعــبـقـريَّ قُـصـورا
كُـلُّ ذِمــرٍ رَمَـى الـنُّـفُـوسَ بـوتـرٍ ... مـن حَـظـايــاهُ رَدَّه مــوتـورا (٧)
خَـرَّتِ العُـربُ من مَـشارِفـها الـعُليـا ... تُــوالِـي هُــويَّــهــا وَالحــدورا
بـات فـيـهـا ملـك الـبـيـان حـريـبًـا ... يسـلم الجند وَالحـمـى وَالثُّـغـورا (٨)

---

(١) غار الماء: ذهب . (٢) الثبور : الهلاك . (٣) الهدير : الصوت والغليان .
(٤) الإكسير : ما يلقى على الفضة ونحوها ليحيله إلى ذهب خالص .
(٥) نسبه إلى هاشم أحد أجداد الرسول ﷺ .
(٦) الديجور : الظلام .
(٧) الذمر : الشجاع ، والوتر : الثأر أو الظلم فيه وأكثر ما يستعمل فى العداوة بسبب القتل، وحظاياه : جمع حظية وهى السرية المكرمة .
(٨) الحريب : السليب .

أنكرَ النّاسُ ربَّهم وتولَّوْا ... يَحسبون الحياةَ إفكاً وزورا
أين من شرعةِ الحياةِ أُناسٌ ... جعلوا البَغيَ شِرعةً والفجورا
تلك أربابُهم أتملك أن تنفعَ ... مثقالَ ذرّةٍ أو تَضيرا
قهروها صِناعةً أعجبُ الأرْ ... بابِ ما كان عاجزاً مقهورا
ما لدى اللاّتِ أو مُناة أو العُزَّ ... ى غَنَاءٌ (١) لمن يَقيسُ الأمورا
جاءَ دينُ الهدى وَهبَّ رسولُ اللَّه ... يَحمي لواءَهُ المنشورا
ضَرَبَ الكُفْرَ ضَربةً زلزلته ... فَتداعى وكان خطباً عسيرا
جَثمتْ حوله الحُصون وظنَّ القومُ ... ظنَّ الغرورِ أن لن تطيرا
هَدَّها ذو الجلالِ حِصناً فحصناً ... بالحصونِ العُلَى وَسُوراً فسورا
بالرسولِ الهادي وبالصفوةِ الأمجاد ... يَقضون حقَّه الموفورا
يُهرقون النّفوسَ تَلْقَى الرَّدَى المُهْراقَ ... مثل الغديرِ يَلقى الغديرا
إنّ في القتلِ للشعوبِ حياةً ... وارفاً ظلُّها وخيراً كثيرا
ليس مَن يركبُ الدّنيّةَ يَخشى ... مَركبَ الموتِ بالحياة جديرا
أمِنَ الحقّ أن تصُدّ قُريشٌ ... عن فتاها وأن تُطيلَ النّكيرا
سَلْ أبا جَهلِها (٢) وَقوماً دعاهم ... فاستجابوا جَهالةً وغرورا

(١) قال الله تعالى : ﴿ فرأيتُمُ اللاتَ والعُزَّىٰ ۝ ومَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَىٰ ﴾ [النجم : ٢٠] من معبودات العرب فى الجاهلية ، كانوا يتسمون بأسمائها إلى (عبد) والعزّى واللات ومناة معبودات إناث. وكانت (العزّى) فى الأصل أصغرهن ، ثم أصبحت أعظم شأنا . وكانت (اللات) لثقيف ، و(العزّى) لقريش وبنى كنانة ، ومناة لبنى هلال وقال هشام : فكانت (مناة) لهذيل وخزاعة . فبعث رسول الله ـ ﷺ ـ عليا ـ رضى الله عنه ـ فهدمها عام الفتح . ثم اتخذوا (اللات) بالطائف ، وهى أحدث من (مناة) وكانت صخرة مربعة، وكان سدنتها من ثقيف وكانوا قد بنوا عليها بناء ، فكانت قريش وجميع العرب تعظمها . وبها كانت العرب تسمى [زيد اللاة ـ تيم اللات] . وكانت فى موضع [منارة] مسجد الطائف اليسرى ، فلم تزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف ، فبعث رسول الله ـ ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها ، وحرقها بالنار . ثم اتخذوا (العزّى) وهى أحدث من اللات ، اتخذها ظالم بن سعد ، وكانت بوادى نخلة الشامية ، فوق ذات عرق ، وكانوا يسمعون منها الصوت .

(٢) هو عمرو بن هشام بن المغيرة المخذولى القرشى ، كان يعرف بلقب (أبى الحكم) فسماه=

أُولعوا بالأذى فألفوا رسولَ اللّه جَلْداً على البلاءِ صبورا
كُلما أحدثوا الذُّنوبَ كِباراً وَجدوهُ لِكُلِّ ذنبٍ غفورا
ما بِهِ نَفْسُه فيغضبُ يُرضيها وتُرضيه ناعماً مسرورا
إنّه اللّهُ لا سِواهُ وَدِينٌ مَلَكَ النّفسَ وَاسترقَّ الشُّعورا
يَجِدُ النّاسَ وَالمقاديرَ فيه وَيرى ما عداه شيئاً يسيرا
ما زكا سابقٌ من الرُّسلِ إلاّ هو أزكى نَفْساً وأصفَى ضميرا
جاءه عمُّه يَقول أترضى أن يُقيموك سيِّداً أو أميرا؟
وَيَصُبُّوا عليكَ من صفوةِ الما لِ حَيّا ماطراً وَغيثاً غزيرا
قال يا عمٍّ ما بُعثتُ لدنيا أبتغيها وما خُلقتُ حَصورا (١)
لو أتوني بالنّيرين لأعرضت أُريهم مطالبي والشُّقورا (٢)
إن يُشيروا بما علمتَ فإنّي لأدعُّ الهوى وأعصي المشيرا (٣)
دَونَ هذا دَمي يُراقُ وَنفسي تُطعَمُ الحتفَ رائعاً محذورا (٤)

= المسلمون (أبا جهل) كما كان يكنى ب (ابن الحنظلية) نسبة لأمة . لما بدئ الجهر بالدعوة كان من أشد الناس إنكارا لها وحربا عليها . وتفرَّغ لإيذاء النبى - ﷺ - ومحاولة الايقاع به ، والبطش بالمسلمين . قتل فى موقعة بدر حيث أصابه ابن عفران ثم أجهز عليه عبد الله بن مسعود .

(١) الحصور : هنا الضيق الصدر ، والهيوب : المحجم عن الشيء .

(٢) الشقور: الحاجات والأمور الملتصقة بالقلب والمهمة له ، جمع شقر .

(٣) دعه: دفعه دفعًا عنيفًا .

(٤) يقصد بـ « عمه » عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم ، وأشتهر بأبى طالب . ولد عام ٨٠ق هـ ، اشتغل بالتجارة ولكنه لم يكن ميسورا بسبب كثرة عياله . كفل النبى بعد وفاة جده عبد المطلب . وكان أبو طالب يحمي النبى ويمنع عنه إيذاء قريش . وكان أبو طالب هو- الذى عمل على نقض صحيفة قريش ، وهو الذى أشار على الرسول - ﷺ - بهجرة أتباعه إلى الحبشة . دخل بعض العائدين من الحبشة فى جواره ليحميهم من إيذاء قريش . ويشير الشاعر فى هذه الأبيات إلى عرض قريش على أبى طالب بأن يمنحوا محمدا - ﷺ - المال. . . أو الملك . . على أن يترك هذا الدين فيقول لعمه : والله ياعم لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أنْ أترك هذا الأمر ما فعلت ، حتى يظهره الله ، أو أهلك دونه . فيقول أبو طالب : أقبل يا ابن أخى ، فأقبل عليه ، فقال : أذهب فقل ما أحببت ، والله لا أسلمك .

المطعم بن عدى

خرج الرسول الكريم ﷺ من مكة إلى الطائف بعد موت عمه أبى طالب وتألب الكفار عليه ليدعو ثقيفًا إلى الإسلام فلقى فيه أذى شديدًا . وبعث إلى المطعم بن عدى [١] يقول : « **إنى داخل مكة فى جوارك** » فأجابه إلى ذلك . وكان يلبس السلاح هو وبنوه يحرسون لنبى ﷺ فى طوافه بالبيت . وبقى المطعم ابن عدى كافرًا إلى أن مات ،وقد قال النبى ﷺ فى أسارى بدر : « **لو كان المطعم بن عدى حيا ثم كلمنى فى هؤلاء النتنى لتركتهم له** » :

مَا رأينا كالمطعمِ بن عديٍّ ... جافياً واصلاً هَيوباً جَسورا [٢]

آثر الكُفر ملّة وأجارَ الدّ ... ينَ مُستضعفاً يَدورُ شَطيرا [٣]

رَامَ بالطائفِ المُقامَ فأعيا ... فانثنى يَطلبُ الأمانَ حَسيرا [٤]

وَكَّلَ اللّهُ بالنُّبوَّة منه ... أسداً يَملأُ الفضاءَ زئيرا

قائماً في السّلاحِ يَجمعُ حوليـ ... ـهِ شُبولاً تَحمي الحِمَى ونُمورا

يَمنعُ القومَ أن يصدّوا رسولَ ... اللّهِ عن بيتِه ويَأبَى الخُفورا [٥]

(١) المطعم بن عدى بن نوفل بن عبد مناف ، قرشى ، كان رئيسا لبنى نوفل فى الجاهلية . من مواقفه فى بداية الدعوة عندما نزل الرسول ـ ﷺ ـ قرب حراء قاصدا مكة بعث إلى بعض حلفاء قريش ليجيروه فى دخول مكة ، ولكنهم لم يستجيبوا ، فلما بعث إلى المطعم ، حمل سلاحه هو وأهل بيته ، وتوجهوا إلى المسجد ، وأرسل من يدعو الرسول إلى الحضور قد صلى وطاف بالبيت الحرام وصلى وعاد آمنا .وعندما أمسكت قريش بسعد بن عبادة أثناء دخوله مكة معتمرا وأرادت إيذاءه ، استجار بالمطعم فأجاره ، وأطلق سراحه . كما أنه واحد من الذين كانوا يمزقون الصحف التى نكيتها قريش ضد بنى هاشم ـ توفى عام ٢هـ ـ ٦٢٣م .

(٢) الهيوب : المحجم عن الشىء .

(٣) الشطير : الغريب والبعيد .

(٤) حسيرا : كالا متعبا .

(٥) الخفور : نقض العهد والغدر .

نَقضَ الحِلف من قريشٍ فأمسَى أسلمْتهُ العُرَى وكان مَريرا [١]
عجباً للغويٍّ يُعطيكَ منه عَملاً صالحاً ورأياً فطيرا [٢]
ما رأينا من ظنٍّ بالزرعِ شَرا فحمَى أرضَهُ وصان البذورا
لو جَزَى الله كافراً أجرَ ما أحسنَ يَوماً لَخِلتَهُ مأجورا

---

(١) المرير: ما اشتد فتله من الحبال ، وحلف قريش هذا هو الذى عقدوه ضد بنى هاشم وعبد المطلب لإبائهم أن يخلوا بينهم وبين الرسول الكريم ليقتلوه ويؤدوا ديته مضاعفة . فتعاهدوا على منابذتهم وإخراجهم من مكة إلى شعب أبى طالب ومنعهم من حضور الأسواق لتجويعهم . وألا يصاهروهم أو يبيعوا لهم أو يشتروا منهم أو يقبلوا لهم صلحًا إلا إذا أجابوهم إلى طلبهم ، وكتبوا بذلك صحيفة علقوها فى الكعبة فجهدوا حتى لكانوا يأكلون الخبط وورق الشجر ، وكانت مدة إقامتهم بالشعب ثلاث سنين ، وقيل: سنتان . وكان الذين سعوا فى نقض هذه المعاهدة خمسة رجال منهم المطعم بن عدى ، وقيل: إنه هو الذى مزّق الصحيفة .

(٢) لم يكتمل نضجه ولم يصدر عن تفكير وروية .

في غار حراء (*)

ظَلَّ مُسْتخفِياً بغارِ حِراءٍ ... يَعبدُ اللهَ عائذاً مُستجيرا
يَسمرُ القومُ في الضّلالِ ويُمسِي ... للذي أطلعَ النُّجومَ سميرا (١)
رَاكعاً ساجِداً يُسبِّحُ مَولا ... هُ ويُزجِي التَّهليلَ والتَكبيرا
تَهتِفُ الكائناتُ يأخذُها الصّو ... تُ تُحيي مكانَهُ المهجورا
نَالَ منها مَحلّةً لم ينلْها ... صَوْتُ داود حِينَ يَتلو الزَّبورا
نَبراتٌ قُدسيةٌ تَتَوالَى ... نَغَماً رائعاً وتَمضِي زَفيرا
ربِّ طَالَ الخَفاءُ والدّينُ جَهرٌ ... رَبِّ فاجعلْ مدَى الخفاءِ قصيرا
مَاجتِ الأرضُ حولَه وتجلَّى ... اللّهُ يَنهَى بُركانَها أن يفورا
أوذِيَ الدِّينُ في الشِّعابِ وَرَدّتْ ... يَدُ سعد عَدوَّه مدحورا (٢)
رَقمتْ في الكتابِ أولَ سطرٍ ... وأتمَّ الدمُ المُراقُ السُّطورا
أدبر القومُ المحنقين فلولا ... اللّهُ كادتْ رَحَى الوغَى أن تدورا (٣)
أزمعَ الضّيفُ أن يَؤُمَّ سِواهُ ... منزلاً كان صالحاً مبرورا (٤)
حَلّه الوحْيُ رَوضةً شَاعَ فيها ... رَونقاً ساطعاً وفاحَ عَبيرا

(*) جبل حراء يقع فى الشمال الشرقى لمكّة على مسيرة ثلاثة أميال منها ، اشتهر بالغار الذى يعرف باسمه ، ويطلق عليه جبل النور ، لأنه مهبط الوحى الأول على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم . وفيه كان يتعبد قبل البعثة .

(١) يسمرون : يتحدثون .

(٢) هو سعد بن دهيب بن عبد مناف بن زهرة بن قلاب بن مره ، ويكنى أبا اسحاق وأمة حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس بن قصى . وسعد أول من رمى فى الاسلام وشهد بدرا ، وهو الذى فتح الفارسية : [وهو ابن بضع وسبعين سنة] سخر قوم من المشركين بالمسلمين وهم يصلون مستخفين فى بعض شعاب مكة فضربهم سعد بن أبى وقاص ـ وكان معهم ـ رجلا منهم بلحى بعير فشجه ، وكان أول دم أريق فى الإسلام .

(٣) محنقين : من الحنق وهو الغيظ والوغى الحرب .

(٤) أزمع : عزم ، ويؤم : يقصد .

فى دار الأرقم بن أبى الأرقم (١)

ودعـا الأرقـمُ اسـتـجِـبْ تلـك داري تَـسَعُ الـدّينَ مُـحـرَجـاً مـحـصـورا
وافِـهـا واجـمـعِ المصـلّينَ فـيـهـا عُـصـبـةً إن أردتَ أو جُـمـهـورا (٢)
وأتـى ابـنُ الخـطـابِ يُـؤمـنُ بـا لـلّـهِ ويـخـتـارُ دِيـنَـهُ المأثـورا
قـال كـلاً لن يعـبُـدَ الـلّهُ سِـرا ويُـرَى نُـورُ ديـنـهِ مـسـتـورا
اخـرُجـوا في حِـمَى الـكتـابِ أسـوداً وَاطْـلُـعـوا فـي سَـنـا الـنبـيِّ بُـدورا
ذلـكم بَـيـتُـكـم فَـصَـلُّـوا وطُـوفُـوا لا تـخـافُنَّ مُـشـرِكـاً أو كـفـورا (٣)

---

(١) هو ابن أسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وأمه أميمة بنت الحارث بن حبالة بن عمير ابن غبشان من خزاعة ، ويكنى الأرقم أبا عبد الله . واسم أبى الأرقم عبد مناف ، ويكنى أسد بن عبد الله أبا جندب . كان سابع من أسلم . وداره بمكة على الصفا ، سميت دار الأرقم : دار الإسلام . توفى وهو ابن بضع وثمانين سنة ، وكان مروان بن الحكم واليا على المدينة .

(٢) كانوا تسعة وثلاثين رجلا فتموا أربعين بإسلام عمر رضي الله عنه .

(٣) عمر بن الخطاب ، أو عمرو بن هشام . فجاء عمر بن الخطاب من الغد بكرة فأسلم فى دار الأرقم ، وفرجوا منها فكبروا ، وطافوا البيت ظاهرين وهو ابن ثقيل بن عبد العزى ابن رباح بن عبد الله بن قرط ابن رزاح بن عدى بن كعب ويكنى أبا حفص . وأمه : حنتمه ببنت هاشم بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم . أسلم بعد أربعين رجلا وعشر نسوة أو خمسة وأربعين رجلا واحدى عشرة إمرأة . ولد قبل الفجار الأعظم الآخر بأربع سنين ، وأسلم فى ذى الحجة السنة السادسة من النبوة وهو ابن ست وعشرين سنة . وطعنه أبو لؤلؤة المجوسى يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين ، ودفن يوم الأحد صباح هلالى المحرم سنة أربع وعشرين وهو ابن ثلاث وستين سنة .

إرادة قتل الرسول ﷺ وهجرته إلى المدينة

أجمعوا أمرهم وقالوا هو القتل ... يُميطُ الأذى ويَشفي الصُّدورا (١)
كذبوا ما دمُ الهِزبرِ أما ... نيُّ مَهاذيرَ يُكثِرونَ الهريرا (٢)
لا وربِّي فإنّما طَلبَ الكفّارُ ... بَسْلاً وحاولوا محظورا (٣)
أنّ نفسَ الرسولِ أمنعُ جاراً ... من طواغيتهم وأقوى مُجيرا
ما لهم هل رَمَى النبيُّ تُراباً ... أم عَمىً في عُيونِهم مذرورا
ذَهلوا مُدّةً فلما أفاقوا ... أنكروها دَهْياءَ عزّتْ نظيرا
يَنفُضون الترابَ مَن مَسَّ منّا ... كُلَّ وجه فَردَّهُ مَعفورا
أين كنّا ما بالُنا لا نَراهُ ... ما لأوصالِنا تُحسُّ الفُتورا
أمِنَ الحادثاتِ ما يُذهلُ العا ... قلَ عن نفسِهِ ويُعمِي البصيرا
أين وَلّى لقد رمانا بِسحرٍ ... فَسَكِرْنا وما شَرِبنا الخمورا
يا لَه مُصعَباً لو أنّا أصبنا ... هُ على غِرّة لَخَرَّ عقيرا (٤)
رَاحَ في غِبطة ورُحنا نُعاني ... أملاً ضائعاً وَجَداً عَثورا (٥)
خَيْبةٌ تترُكُ الجوانحَ حَرّى ... يا لها حَسرةً تُشَبُّ وتُورى (٦)

---

(١) لما علمت قريش بمبايعة وفد المدينة للرسول ـ ﷺ ـ اجتمعوا فى دار الندوة ، وهى دار (قصى بن كلاب) يتشاورون ما يصنعون ، فقال قائل: نخرجه من أرضنا . فرد بعضهم إذا خرج اجتمعت حوله الجموع لما يرونه من حلاوة منطقة ، وعذوبة لفظه وأشار البعض بحبسه . ورفضوا ذلك ، فقد يأتي أنصاره لتخليصه ، وتكون الحرب بين أبناء قريش . . . ثم استقروا على أن يأخذوا من كل قبيلة شابا جلدا ويجتمعون أمام داره فإذا خرج ضربوه ضربة رجل واحد ، فيضيع دمه بين القبائل . فلا يقدر بنو عبد مناف على الثأر له . ويقبلون الدية . أماط الشيء أبعده ونحاه .

(٢) الهزبر: الأسد ، ومهاذير: جمع مهذار وهو الذى يكثر من الهذر ، والهرير: صوت الكلب دون النباح .

(٣) البسل : الحرام .

(٤) العقير والمعقور بمعنى

(٥) جدا عثورا : حظا عاثرا .

(٦) تورى : تشتعل .

رَبِّ آتيتَه على القومِ نَصراً ... فتباركتَ حافظاً ونصيرا

أنت نجيتّه فهاجرَ يقضي الـ ... حقَّ لا خائفاً ولا مذعورا

يَومَ ضَجّتْ جبالُ مكّةَ ذُعراً ... وتَمنَّتْ هِضابُها أن تمورا (١)

تتنزّى أسىً وتُمسكُها تمـ ... ـنعُها من وَرائه أن تسيرا (٢)

هِيَ لولاكَ لارتمتْ تقذفُ الصّخـ ... ـرَ وتُزجِي هَباءَها المنثورا

هاجها من جَوى الفراقِ وَحَرِّ الـ ... ـوجد ما هاجَ بيتَكَ المعمورا (٣)

كاد يهفو فَزِدْتَهُ منكَ رُوحاً ... فَانْثَنى راجِحَ الجلالِ وَقورا

يا لها من مُحمّد نظراتٍ ... زَخَرتْ رَحمةً وجاشتْ سعيرا

نظراتٌ شَجِيّةٌ لا تَعُدُّ الـ ... أهلَ أهلاً ولا تَرى الدُّور دورا

قال ما في البلاد أكرمُ من مكـ ... ـةَ أرضاً ولا أحبُّ عشيرا

فَاسْكُني يا همومَ نَفسيَ إن اللّـ ... ـهَ أمضى قَضَاءَهُ المقدورا

إنني قد نَذرتُ للّهِ نفسي ... والتقيُّ الوفيُّ يقضي النُّذورا

نَقطعُ البِيدَ بعد صَحبٍ كرامٍ ... قَطعوا غارِبَ العُبابِ عُبورا (٤)

---

(١) تموج وتضطرب أو تجرى على الأرض كما يجرى الماء أو الدم .

(٢) تتنزى : تسيل .

(٣) جوى الفراق : ألمه وشدته .

(٤) عن ابن عباس قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « **والله إنى لأخرج منك وإنى لأعلم أنك أحب بلاد الله إلى الله ، وأكرمها على تعالى ، ولولا أن أهلك أخرجونى منك ما خرجت**» [صحيح ـ رواه أحمد : ٤/ ٣٠٥] وكذلك رواه النسائى والبهيقى فى الدلائل: ٢/ ٥١٨ . إشارة إلى هجرة المستضعفين من المسلمين إلى أرض الحبشة وكانت الهجرة إلى الحبشة مرتين ، فكان عدد المهاجرين فى المرة الأولى اثنى عشر رجلا وأربع نسوة ثم رجعوا عندما بلغهم عن المشركين سجودهم مع رسول الله ـ ﷺ ـ عند قراءة سورة النجم ، قلقوا من المشركين أشد مما عهدوا ، فهاجرو ثانية ، وكانوا ثلاثة وثمانين رجلا ، وثمانى عشرة امرأة . وبعثت قريشا فى شأنهم إلى النجاشى مرتين الأولى عند هجرتهم ، والثانية عقيب وقعة بدر . وكان عمرو بن العاص رسولا فى المرتين ، ومعه فى إحداهما عمارة بن الوليد ، وفى الأخرى عبد الله بن أبى ربيعة المخزوميات . وفشلت قريش فى سفارتها عند النجاشى.

كـم رشـيــدٍ آذاه في الـلـــهِ غــاوٍ زاده طـائـفُ الـهـوى تخـسـيـرا
ضَـرب الصّحبُ في البـلادِ فـأمسـوا لا يُصـيـبون صـاحبـاً أو سـجيـرا (١)
في ديـارٍ لدى النـجـاشيِّ (٢) غُـبْـرٍ ظـلَّ فـيـهـا سَوادُهـم مغـمـورا
وتَـولَّـى ولـلأمـورِ مـصـيـرٌ يـشـتـري ربَّـهُ ويرجـو المـصيـرا
يومَ يَمشِي الصِّدِّيقُ (٣) في نـوره الزا هـي يُـوالـي رَواحُـه وَالْبـكـوراَ
يَـنـصُـر الحـقَّ ثـائـراً يمـنـعُ البـا طـل أن يـسـتـقـر أو أن يـثـورا
لا يُـبـالي غَـيْـظَ الـقلـوبِ ولا يَحْـ ـفِلُ في الـلـهِ لائـمـاً أو نـذيـرا
أقـبل الـقـوم يسـألـون :أتحت التـ ـرب أم جـاور الـطـريـد النسـورا
نفضوا الهضب والجبالَ وشقوا الأرض طـراً رمـالـهـا والـصـخـورا
ويح أسـمـاءَ (٤) إذا يجـيءُ أبو جـهـ ـل عَلَـى خـدرها المـصـون مـغـيـرا
صاحَ : أسـماء أين غـاب أبو بكـر أجـيـبـى ، فـقـد سـألـنـا الخـبـيـرا
قـالـت :العـلـم عنـده مـا عـهـدنـا أجَم الأسـد تـسـتـشـيـر الخـدورا (٥)

---

(١) السجير : الخليل الصفى .

(٢) هو حاكم الحبشة ، وهى دولـة أفريقية على البحر الأحمر بين السـودان وكينيا والصومال وجيبوتى ، تتبعها جزر دهلك أمام ساحل اريتريا . عاصمتها الآن (أديـش أبابا) وتسمى الآن أثيوبيا . معظم سكانها يتبعون الكنية القبطية .

(٣) هو أبو بكر الصديق ، وكان يستأذن الرسـول ـ ﷺ فى الهجرة ، فقال له : أقم فقال : يا رسول أتطعم أن أن يؤذن لك ، فيقول : إنى لأرجو ذلك . ثم أتى رسول الله ـ ﷺ ـ فناده، فقال أخرج من عندك . فقال يا رسول الله عندى ناقتان قد أعددتها للخروج . ركب النبى ـ ﷺ ـ إحداها وهى الجدعاء والظلقا إلى غار ثور .

(٤) أسماء بنت أبى بكر الصديق ـ قرشية من بنى عامر ، وأخت السيدة عائشة لأبيها ، كانت تحمل الطعام إلى الرسول وصاحبه أبى بكر أثناء اختفائهما فى غار حراء ولم تجد ما تشد به حملها فشقت نطاقها ، وربطت به الطعام . وسميت (ذات النطاقين) شهدت اليرموك مع زوجها الزبير بن الـعوام وابنها عبد الله الذى قتل فى مكة عام ٧٣ ـ فـأصابها العمى من شدة الحزن عليه . ولحقت به فى نفس العام . روى لها البخارى ومسلم ٥٦ حديثا.

(٥) الأجم : م : أجمـة وهى بيت الأشد ، والخـدور : م (خدر) ، وخدر المرأة خـباؤها ، والمعنى أنه لم تجر العادة أن يستشير الرجال لنساء .

فرماها بلطمة تُعرض الأجـْ ـيال عن ذكرها صوادف صورا (١)
قذفت قرطها بعيداً ورضت من وجوه النبى وجهًا نضيرا (٢)

---

(١) من الصدوف والصور ، وهما بمعنى الميل والانصراف.

(٢) رضت : بمعنى دقت أو كسرت . عن محمد بن إسحاق ، قال : حدثت عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما ـ أنها قالت : لما خرج رسول الله ـ ﷺ ـ أتانا نفر من قريش، فيهم أبو جهل بن هشام ، فوقفوا على الباب فخرجت إليهم ، فقالوا أين أبوك قالت : فقلت : والله لا أدرى أين أبى . قالت : فرفع أبو جهل يده ، وكان فاحشا خبيثا فلطم خدى لطمة خرم منها قرطى.

فى الغار الأكبر غار ثور

غــار ثـور [١] ، أعـطاك ربـكَ مـا لـم ... يُـعط مـن روعـة الجـلالِ الـقُصـورا
أنـت أطـلعـت لـلـمـمـالك دنـيـا ... سـاطـعًا نـورهـا ، ودينًـا خطـيـرا
صـنـتـه مـن ذخـائـر الـلـه كـنزًا ... كـان مـن قـبـل عـنـده مـذخـورا
مـخـفـرُ الحق لاجئًـا يتـوقـى ... قـام فـيـه الـروح الأمـين خـفـيـرا
وقـفـتْ حـولـه الـشـعـوب حـيـارى ... من وراء الـعـصـور ، تدعـو العـصـورا
يا حـيـارى الـشـعـوب ، ويحـك إن الـ ... ـحق أعـلـى يدًا وأقـوى ظهـيـرا [٢]
لا تـخـافـى ، فـتـلـك دولـتـه الـعـظ ... ـمى تـنـاديـك : أن أعـدى الـسـريـرا
جـاءكِ المـنـقـذُ المحـرر لا يـتـ ... ـرك قـيـدًا ولا يـغـادر نـيـرا [٣]
ورثَ المـالـكـينَ والـرُّسـلَ الـهـا ... ـدين بـالحـق أولا وأخـيـرا
الحـكـيـم الـذى يـهـدُّ ويـبـنـى ... فـيـجـيـد الـبـنـاء والـتـدمـيـرا
والـزعـيـم الـذى يـسـن ويـقـضـى ... لـبـنـى الـدهـر غُـيَّـبًـا وحـضـورا
تـتـرامـى الأجـيـال بـين يـديـه ... وتـتـلـقـى الـنـظـام والـدُّسـتـورا
لـيس فـى الـنـاس سـادةٌ وعـبـيـدٌ [٤] ... كـبـر الـعـقـل أن يـظـل أسـيـرا

---

(١) جبل ثور جنوب مكـة ، وعلى بعد خمسة أميـال منها ، وبالقرب من قمتـه يوجد الغار الذى لجأ إليه النبى ﷺ وصـاحبه أبو بكر فى هجرته من مكة إلى المـدينة . ويرتقى إليه الصاعد على مرحلتين فـى طريق صخرى متعرج. والغار نفسه عبـارة عن صخرة مجوفة ذات فتحتين ، الـكبرى منهما هى مدخلـه ، وتحجب هذا المدخل صخرتان متـقابلتان .
وقد قضى الرسول وصاحبه فى الغار ثلاثة أيام حتى يئست قريش من العثور عليه .

(٢) الظهير: المعين .

(٣) النير : الخشبة توضع على عنقي الثورين ليجرا ما يراد جره .

(٤) إشارة إلى قوله ـ ﷺ ـ لا فضل لعربى على أعـجمى إلا بالتقوى . وكان أبو بكر وبلال يستأذنون للدخول عليه فقال ادخلوا سيدنا بلالا .

خُلِقَ الكلُّ فى الحقوق سواءً ما قضى الله أمره مبتورا [١]
كذب الأقوياء ما ظلم الله وما كان مسرفًا أو قتورا [٢]
دَبَّرَ الملك للجميع فسوَّى الـ أمر فيه ، وأحكم التدبيرا
يا نصير الضعافِ ،حرر نفوسًا تتمنى الفكاكَ والتحريرا [٣]
ضجت الكائنات ، هل من سفير يتلافى الدُّنى ؟ فكنت السفيرا
رب آتيتنا هداك وأنزلـ ـت علينا كتابك المسطورا
فَلكَ الحمد وافرًا مستمرًا ولك الفضل باقيًا مذكورا

---

(١) مبتورا : مقطوعا .
(٢) القتور : البخيل .
(٣) الفكاك : طلب الحرية .

أبو بكر وَحَيَّة الغَار (١)

صاحب القائم المتوج بالفرقان ، بوركتَ صاحبًا ووزيرا
أنتَ واليتهُ ، وعاديتَ فيه من توخى الأذى ، وأبدى النفورا (٢)
أو لم تتخذ أباك عدوًا وتذقه الهوان كيما يحورا ؟ (٣)
إذ يقول النبى : لا تضرب الشيخ وإن سبنى ، ودعه قريرا (٤)
إنما نلت بالمساءة منه والدًا مدبرًا ، وشيخًا ضريرا

* * *

ليت شعرى : أصبت حية واد تنفث السم ، أم أصبت حريرا ؟ (٥)

---

(١) أبو بكر : هو عبد الله بن أبى قحافة . وكان اسمه فى الجاهلية (عبدالكعبة) فسماه الرسول ـ ﷺ ـ عبد الله . ولقبه عتيقا لجمال وجهه . وينسب إلى تيم قريش (ويلتقى هو والرسول ـ ﷺ ـ عند مره بن كعب .

(٢) واليته : ناصرته .

(٣) يحور : يرجع .

(٤) يعنى مطمئنا . وأسلم أبو قحافة يوم فتح مكة . وأتى به إلى الرسول ـ ﷺ ـ فقال : ألا أقررتم الشيخ فى بيته حتى كنانأتية ـ تكرمه لأبى بكر ـ وأمرهم أن يغيروا شيبه . وبايعه، وأتى المدينة وبقى بها حتى مات فى خلافة عمر سنة أربع عشرة ، وله يوم قبض سبع وتسعون سنة .

(٥) لما انتهينا إلى الغار قال أبو بكر : والله لا تدخله حتى أدخل قبلك ، فإن كان فيه شئ أصابنى دونك ، فدخل فكسحه ، فوجد فى جانبه ثقوبا فشق إزاره وسدها به ، وبقى منها إثنان ، فألقهما رجليه . ثم قال لرسول الله ﷺ ادخل ، فدخل . ووضع رأسه فى حجرة ونام . فلدغ أبو بكر فى رجله فى الجحر ، ولم يتحرك مخافة أن ينتبه رسول الله ﷺ فسقطت دموعه على وجه الرسول ﷺ فقال : مالك يا أبا بكر ؟ قال : لدغت ، فداك أمى وأبى ، فتفل رسول الله ﷺ فذهب مايجده ﷺ .[فتح البارى ٧٠/ ٣٣٦ ، الرحيق المختوم : ١٨٠] .

نفثت سمها فما هز رضوى من وقار ، ولا استخف ثبيرا [1]
خفت أن توقظ النبى فما يرضيك أن تضعف القوى أو تخورا
أكرم الله ركبتيك لقد أعطاك سبحانه فأعطى شكورا
أى رأس حملت يا حمل الإيمان سمحًا ، والبرَّ صفواً طهورا ؟

(١) رضوى وثبير : جبلان . رضوى يقع بين المدينة وينبع ، يفصله عن جبل غزور واد تمر به القوافل فى طريقها إلى الشام ، وثبير فى منطقة المشاعر بين منى وعرفات ، يقوم على سفحه مسجد (الكوثر) حيث نزلت هذه السورة على هذا الجبل فأقيم المسجد .

سراقة بن مالك يُريد قتل النبى ﷺ (*)

جعل كفار قريش لمن يقتل النبى ﷺ أو يأسره مائة ناقة فذهب سراقة فى أثره، قال سراقة ـ بعد أن ساخت قوائم فرسه مرارًا وبعد أن اعتذر إلى النبى الكريم ﷺ : يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس، فعاهدنى على أن تكرمنى إذا جئتك يوم ملكك . فأمر عامر بن فهيرة ـ وقيل : أبا بكر ـ فكتب له العهد الذى طلب ـ أسلم بالجعرانة ﷺ . قال له النبى ﷺ عند منصرفه : « **كيف بك يا سراقة إذا تسورت بسوارى كسرى** » ، وقد ألبسه عمر إياهما فى خلافته لما فتحت بلاد فارس .

اتق الله يا سراقة وانظر هل ترى الأمر هينًا ميسورا ؟
أم تظن الجواد تمسكه الأر ض وتلوى عنانه مسحورا ؟
أم هو الله ذو الجلال رماه يمسك الشر راكضًا مستطيرا ؟
غرك القوم ، فانطلقت ترجّيه خسيسًا من الجزاء حقيرا
وضح الحق ، فاعتذرت وأولا ك الرسول الأمين فضلاً كبيرا

(*) قال ابن شهاب : وأخبرنى عبد الرحمن بن مالك المدلجى ، أن إباه أخبره أنّه سمع «سُراقة » يقول جاءنا رسل كفار قريش ، يجعلون فى رسول الله ﷺ وأبى بكر ديَّة كل واحد لمن قتله أو أسره فبينما أنا جالس فى مجلس من مجالس قومى نى مدلج ، وأقبل رجل منهم ، فقال : يا سراقة ، إنى قد رأيت آنفًا أسودة بالساحل ، أراها محمدا وأصحابه . قال سراقة : فعرفت أنّهم هم . فقلت : إنّهم ليسوا بهم ، ولكنك رأيت فلانا وفلانا انطلقوا بأعيننا . ثم لبث فى المحبس ساعة ، ثم قمت وأخذت فرسى ورمحى. ودفعت فرسى تقرب بى حتى دوت منهم ، فعثرت بى فرسى فخزرت عنها ، فقمت فأوهيت بيدى على كنانتى ، فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقمت بها أضرهم أم لا ، فخرج الذى أكره ، فركبت فرسى ، وعصيت الأزلام ، تقرب بى حتى إذا سمعت قراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت ، وأبو بكر يكثر الالتفات ، ساخت يدا فرسى فى الأرض ، حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها . فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثّانى « غبار » ساطع فى السماء ، فاستقمت=

فـزت بـالعـهـد فـاغـتـنمـه وأبـشـر بسـوارى كـسـرى فـديـت البـشـيـرا
قـل لأهل الـنيــاق : أوتيـت أجـرى جـللا ، فـابـتـغـوا ســواى أجيـرا
لـيـس مـن رام رفــعــة أو سـنـاءً مــثـل مـن رام نـاقــة أو بـعــيــراً

= بالأزلام ، فـخرج الذى أكره ، فـناديتهم بـالأمان ، فوقـفوا، فركـبت فرسى حـتى جئتـهم، ووقع فى نفسى حـين لقيت من الحبس عنـهم أن سيظهر أمـر رسول الله ﷺ فقلت له إن قومك جـعلوا فيك الديّة . وأخبرتهم أخبار مـا يريد الناس بهم ، وعرضت عليـهم الزاد والمـتاع . فلم يـزرأنى ، ولـم يسـألانى ، وإلا أنْ قالا . . . أخـف عنى . فسألته أن يكتب لى كتاب أمن . . . القصة [عيون الأثر ١/ ٢٢٤ ـ ٢٢٥] .

بريدة بن الحصيب
وأصحابه يأتون بعده

وأتـى بَـعْـدَهُ بُـريـدَةُ (١) يـرجـو أن يَـنـالَ الـغِـنَـى وكـان فـقـيـرا
يركبُ الـلّيلَ والنّـهارَ ويَطـوِي الـبِـيدَ غُـبْـراً سُـهـولـهـا والـوعُـورا
في رجالٍ من صـحبهِ زَعمـوا الإغراءَ نُـصـحـاً واسْـتَـحـسـنـوا التَّـغـريـرا
آثـروا الـلـهَ والـرسـولَ فـفـازوا وَارْتَـضَـوْهـا تجـارةً لـن تـبـورا
أسـلـمـوا وَارْتَـأى بُـريـدةُ رأيـاً ألمـعـيّـا وكـان حُـرّاً غَـيـورا
قـال مـا يَـنـبـغِـي لمثـلِ رَسـولَ الـلـه أن يَـأْلُـوَ الـبـلادَ ظُـهـورا
كـيـف تمـشـيَ بـلا لـواءٍ وقـد أُوتـيـتَ مـن ربّـكَ المقـامّ الأثـيـرا؟
لـيـس لي مـن عـمامـتـي ومن الـرمـح عَـذيـرٌ إذا الـتـمـسـتَ عـذيـرا
اخـفـقي يـا عـمـامـتـي واعلُ يـا رمـحي فـقـد خـفـت أن تـعـود كسـيـرا
ومـشـى بـالـلـواءِ بـين يـديـه يـتـلقّـى الـسـنـا الـبـهـيَّ فـخـورا

---

(١) هو بريدة بن عبد الله بن الحارث بن الأعرج بن سعد بن رزاح بن عدى بن سهم بن مازن ابن الحارث بن سلامان بن أفصى . ويكنى « أبا عبد الله » وأسلم حين مر به رسول الله ﷺ للهجرة حين انتهى إلى « الغميم » حيث أسلم هو ومن معه ، وكانوا زُهاء ثمانين بيتا ، فصلى رسول الله ﷺ العشاء فصلوا خلفه . وأقام بريده فى بلاد قومه فلم يشهد بدرا ، ثم هاجر إلى المدينة وغزا مع المسلمين حتى قبض النبى ﷺ وفتحت البصرة ، ومُصرت فتحوّل إليها ثم خرج منها غازيا إلى « خُراسان » فى خلافة عثمان فلم يزل بها حتى مات سنة ثلاث وستين فى خلافة يزيد بن معاوية [سير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٦٩ ، الطبقات : ٤/ ٢٢٠ ، ٩/ ٨ و٣٦٩] .

في خيمة أم معبد (*)

مـا حـديـثٌ لأمّ مـعـبـدَ تـسْـتـسْـ ـقيـه ظـمـأى النفـوس عـذبـاً نميـرا
سـائـل الشّـاةَ كـيف دَرّتْ وكـانـت كــزّةَ الـضّـرعِ لا تُـرجّـى الـدُّرُورا؟
بـركـاتُ الـسّـمـح المـؤمَّلِ يَـقـرِي أُممَ الأرضِ زائــراً أو مـــزورا
مـظـهـرُ الحـقِّ لـلـنبـوّةِ سـبـحـا نـكَ ربّـاً فـرد الجـلال قـديـرا

(*) هى عاتكة بنت خلف بن معبد ربيعة بن أصرم . نزل عندها ركب الرسول ﷺ يريدون القرى . عن أبى سليط قال مرّ الركب بأم معبد الخزاعية وهى لا تعرفهم . فقال لها : يا أم معبد هل عندك من لبن ؟ قالت لا والله . وإنّ الغنم لعازبة . قال : فما هذه الشاة التى أرى ؟ قالت : شاة خلفها الجهد عن الغنم . قال : أتأذنين فى حلابها ؟ قالت : لا والله ما ضربها من فحل فشأنك بها ، فدعا بها فمسح ظهرها وضرعها ، ثم دعا بإناء يربض « يروى » الرهط ، فحلب فيه فملأه ، فسقى أصحابه تمللا بعد نهل . ثم حلب فيه آخر ، فغادره عندها وارتحل .

فلما جاء زوجها عند المساء ، قال : يا أم معبد : ما هذا اللبن ، ولا حلوبة فى البيت، والغنم عازبة « موجودة فى المرعى البعيد » قالت : لا والله ،إلا أنّه مَرَّ بنا رجل ظاهر الوضاءة ، مبتلج الوجه ، فى أشفاره وطف « طويل شعر الأجفان » وفى عينيه دعج «شدة سواد العينين ، سعتها » ، وفى صوته صحل « غير حاد » غصن بين الغصنين ، لا تشفأه من طول ، ولاتقتحمه من قصر ، لم تعبه شجله « ضخم بطن » ولم تزره صلعة (صغر رأس) ، كأنّ عنقه إبريق فضة ، إذا صمت فعليه البهاء وإذا نطق فعليه وقار ، له كلام كخرزات النظم ، أزين أصحابه منظرا ، وأحسنهم وجها ، أصحابه يحفون به ، إذا أمر ابتدروا أمره وإذا نهى اتفقوا عند نهايته . قال : هذه والله صفة صاحب قريش، ولو رأيته لاتبعته ، ولاجتهدن أن أفعل . [عيون الأثر : ٢٢٨/١] .

فى قباء (*)

يا حياةَ النُّفوسِ جئتَ قُباءً ... جيئةَ الرُّوحِ تَبعثُ المقبورا

ارفعِ المسجدَ المباركَ واصْنَعْ ... للبرايا صَنيعَكَ المشكورا (١)

معقل يعصم النفوس ويأبى ... أن يميل الهوى بها أو يجورا (٢)

أوصها بالصلاة فَهْيَ عِلاجٌ ... أو سياجٌ يَذودُ عنها الشُّرورا (٣)

غَرسَ اللهُ دَوْحَةَ الدِّينِ قِدماً ... وقَضاها أرومةً وجذورا (٤)

لو أردتَ النُّضارَ لم تَحملِ الأحـ ... جارَ تُوهي القُوى وتَحني الظُّهورا (٥)

أرأيتَ ابنَ ياسرٍ كيف يَبني ... أرأيتَ المُشيعَ الشِّمِّيرا (٦)

أرأيتَ البنَّاءَ يَستبِقُ القو ... مَ صعوداً ويَزدهيهم سُؤورا (٧)

(*) ذكر البخارى عن الزهرى عن عروة أنّه ﷺ نزل فى بنى عمرو بن عوف بقباء . وأقام فيهم بضع عشرة ليلة . وأسس مسجد قباء فى تلك الأيام .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله ﷺ بقباء فى بنى عمرو بن عوف أيام الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس ، وأسس مسجده ، ثم أخرجه الله من بين أظهرهم يوم الجمعة .

وقال عبد الله بن إدريس عن محمد بن اسحاق : إنّ بنى عمر بن عوف يزعمون أنه قام فيهم ثمانى عشرة ليلة .

(١) البرايا : الخلق .

(٢) يأبى : يرفض ، يجورا : يظلم .

(٣) يذود : يدافع ويحمى .

(٤) الأرومة : الأصل ، دوحه : الشجرة الكبيرة .

(٥) كان ﷺ يحمل الحجر العظيم فيسأله أحد أصحابه أن يتركه له فيقول ـ لا ـ خذ مثله ـ وتوهى : تضعف . النضار : الذهب .

(٦) هو عمار بن ياسر رضي الله عنه ، أسس النبى المسجد وأتمه هو ، والشمير : الماضى فى الأمور المجرب .

(٧) السؤور : الوثوب والارتفاع .

رأيتَ الفَحلَ الأبيَّ جَنيباً ... في يَد اللهِ والهِزبرَ الهَصورا (١)

يَنصبُ النّحرَ للحجارةِ والطّيـ ... ـنِ يُغيرُ الحِلَى ويُغري النُّحورا

ما بنَى مِثلَهُ على الدَّهرِ غِرٌّ ... راحَ يَبني خَوَرْنَقاً أو سَديرا (٢)

يَجِدُ الحَقُّ في البناءِ حُصوناً ... ويَرى الطّيرُ في البناءِ وكورا (٣)

---

(١) الجنيب والمجنوب : ما يقاد من الخيل ونحوها . والهزبر: الأسد .

(٢) الغر : من لم يجرب الأمور ، والخورنق والسدير : قصران للنعمان بن المنذر.

(٣) إشارة إلى قول الشاعر فى بعض الأبنية العظيمة .

شادَهُ مرمرًا وجلَّله كِلْسًا ... فللطيـِّر فى ذُراه وكـورُ

وهو لعدى بن زيد العبادى فى ديوانه ص ٨٨ .

حى بنى عمرو بن عوف

نزل النبى ﷺ فى قباء على كلثوم بن الهدم (١) كبير بنى عمرو بن عوف، وهم من الأوس ، وكان الموضع الذى بنى فيه المسجد مربدًا له .

بُورِكَ الحيُّ حَيُّكم يا بني عمرو بن عَوْفٍ ولا يَزلْ مَمطورا
كُنتَ فيه الضّيفَ الذي يَغمُر الأنفسَ والدُّورَ نِعمةً وحبورا
ما رأت مِثلكَ الديارُ ولا حيًّا لكَ القومُ في الضّيوفِ نظيرا
كَرِهُوا أن تَبِينَ عنهم فقالوا أمَلالاً أزمعتَ عنّا المسيرا؟ (٢)
قُلتَ بل يثربَ انتويتُ وما ألْفَيْتُ نفسي بغيرها مأمورا
قريةٌ تأكل القرَى وتُريها كيف تَلقى البِلَى وتشكو الدُّثورا (٣)
طَرِبَتْ ناقَتي إلى لابَتَيْهَا فَدَعُوا رَحْلَها وخَلُّوا الجريرا (٤)
رَحمةُ اللّه والسَّلامُ عليكم آلَ عَوْفٍ كبيركم والصَّغيرا

---

(١) هو كلثوم بن هِدْم ابن امرئ القيس بن الحارث بن زيد بن عبيد الله بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس ، أسلم قبل مقدم رسول الله ﷺ . فلما هاجر إلى المدينة نزل عنده . ونزل عنده أيضًا جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم أبو عبيدة بن الجراح ، والمقداد بن عمرو . وخبّاب بن الأرث . . وكثير غيرهم . وتوفى قبل بدر .

(٢) تبين : تبعد ، أزمعت : عزمت ، أملالا : يقال ملّ الشئ ؛ أى : زهد فيه .

(٣) الدثور : الهلاك .

(٤) الجرير : الزمام .

من قباء إلى المدينة

أقـبِـلْ فـتـلـك دِيارُ يَـثـربَ تـقـبـل ... يكـفيكَ مـن أشواقـها مـا تَحـمِلُ (١)

طـالَ الـتّـلَـوُّمُ والقـلـوبُ خـوافـقٌ ... يهـفـو إليـكَ بهـا الحنـينُ الأطولُ (٢)

الـقــومُ مُـنـذ فـارقـتَ مـكّـةَ أعـينٌ ... تأبـى الكـرَى وجَـوانحٌ تَـتـملـملُ (٣)

يتـطلّـعـون إلى الـفـجـاج وقـولُهُـمْ ... أفـمـا يُطـالِعُـنا الـنبـيُّ المُرسَـلُ؟ (٤)

أقـبلـتَ في بِـيضِ الـثّـيـاب مُـبـاركـاً ... يُزجـي البـشائرَ وجـهُكَ المتهـلّلُ (٥)

يا طِـيبَ مـا صَـنَعَ الـزُّبيـرُ وَطَـلحـةٌ ... ولَـصَـنعُـكَ الأوفـى أجـلُّ وأفـضـلُ

خفَّ الـرجالُ إليـكَ يَهـتفُ جـمعـهُـم ... وقـلوبُـهـم فَـرَحـاً أخـفُّ وأعـجـلُ

هي فـي رِكَـابِكَ مـا بهـا من حـاجـة ... إلاّ إلـيـكَ ومـا لـهـا مُـتـحـوَّلُ

هَجـرتْ مَـنازِلَهـا بِـيـثرب وَانْـتَـحتْ ... أُخـرى بِـمـكةَ دُورُهـا مـا تُـؤهَـلُ

وفـدان هـذا مـن ورائـكَ يـرتَـمـي ... عَـجِـلاً وهذا من أمـامِـكَ يَنـسِلُ (٦)

انـظُر بـني الـنّجَـارِ حَـولـك عُكّـفـاً ... يَـرِدُونَ نُورَك حِـينَ فَـاضَ المنهـلُ (٧)

---

(١) يثرب : هو اسم المدينة قبل أن يهاجر إليها الرسول ﷺ .

(٢) التلوم : التمكث والانتظار .

(٣) الكرى: النوم . تتململ : تتوجع من طول الانتظار كانوا يغدون كل غداة إلى الحرة فينتظرونه ﷺ حتى يردهم حر الظهيرة .

(٤) الفجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع .

(٤) قال ابن شهاب ، أخبرنى عروة بن الزبير أنّ رسول الله ﷺ لقى الزبير فى ركب من المسلمين كانوا تجارا قافلين من الشام ، فكسا الزبير الرسول ﷺ ، وأبا بكر ثيابًا بيضاء.

(٦) ينسل : يسرع . وكان دخوله يوم الاثنين .

(٧) أقام الرسول بقباء أربعة أيام فإذا كان اليوم الخامس أرسل إلى بنى النجار أخواله فجاؤا متقلدين سيوفهم ، فسار نحو المدينة وهم حوله وأدركته الجمعة فى بنى سالم بن عوف فجمع بهم فى المسجد وكانوا مائة رجل ، وهؤلاء غير الذين لقوه حيث خرج زهاء خمسمائة من الأنصار حتى انتهوا إليهما ، فقالت الأنصار: انطلقوا آمنين مطاعين . فأقبل رسول الله ﷺ وصاحبه بين أظهرهم .

لَمْ يُنزِلوكَ على الخُؤولةِ وحدَها كلُّ المواطنِ للنّبوّةِ مَنزلُ
نزلوا على الإسلام عندَك إنّه نَسَبٌ يَعُمُّ المُسلمينَ ويَشملُ
ما للديارِ تَهزُّها نَشَواتُها أهي الأناشيدُ الحِسانُ تُرتَّلُ[1]
رفَّتْ نَضارتُها وطابَ أريجُها وترددتْ أنفاسُها تَتسلسَلُ[2]
فكأنّما في كلِّ مَغنىً رَوضةٌ وكأنما في كل دارٍ بلبل
هُنَّ العذارَى المؤمناتُ أقمنَهُ عيداً تحييه الملائك من عل
في مُوكبٍ للهِ أشرقَ نورهُ فيه ، وقام جلاله يتمثَّل
جَمعَ النّبيِّينَ الكِرام فآخذٌ بيد الإمام وعائذٌ يتوسل[3]
يَمشِي به الرُّوحُ الأمينُ مُسلِّماً وجبينه بفم النبى مقبَّل
إيه بني النّجارِ إنَّ محمَّداً لأشدُّ حُبّا للتى هى أجمل[4]
خلُّوا سبيلَ اللهِ ما لرسولِه عمَّا أعدَّ من المنازل معدل
ذَهبتْ مَطيّتُه فقيل لها قِفي هذا مَناخُكِ لستِ ممّن يَجهلُ

---

(١) خرج النساء والعذارى يضربن بالدفوف فخرج إليهم رسول الله ﷺ فقال : « أتحبوننى ، فقالوا : أى والله . قال : وأنا والله أحبكم » (كررها ثلاث مرات) ومما قيل فى ذلك:

نحن جوار من بنى النجار ياحبذا محمد من جار

(٢) رفت : برقت وتلألأت .

(٣) عائذ : لاجى .

(٤) عن عبد الله بن الزبير أنّ رسول الله ﷺ قدم المدينة فاستناخت به راحلته بين دار جعفر ابن محمد بن على وبين دار الحسن بن زيد . فأتاه الناس ، فقالوا يا رسول الله : المنزل، فانبعثت به راحلته ، فقال : دعوها فإنّها مأمورة ، ثم خرجت به حتى جاءت موضع المنبر فاستناخت ثم تحللت ، وثم عريش كانوا يعرشونه ويعمرونه ويتبردون فيه ، فنزل رسول الله ﷺ عن راحلته فيه فآوى إلى الظل ، فأتاه أبو أيوب ، فقال : يا رسول الله إن منزلى قريب . فأنقل رحلك إلى ، قال : نعم ، فذهب برحله إلى المنزل ، ثم أتاه رجل فقال : يا رسول الله : اين تحل ؟ قال : إنّ الرجل مع رحله حيث كان . وثبت رسول الله ﷺ فى العريش اثنتى عشرة ليلة حتى بنى المسجد [حديث صحيح رواه البيهقى فى الدلائل : ٢/٥٠٩] انظر البداية والنهاية ٣/١٩٨ .

النَّاسُ في طَلَبِ الحياةِ وها هنا | سِرٌّ لها خافٍ وكنزٌ مُقفَلُ
أعطِي أبا أيّوب رَحْلَكِ وَاحْمَدِي | من أمرِ ربّكِ ما يجيءُ ويَفعلُ
ودَعِي الزّمامَ لأسعدِ بن زُرارةٍ | فإليهِ بعد اللهِ أَمْرُكِ يُوكَلُ(١)
لَمّا حملتِ الحقَّ أجمعَ والهدى | أمسى بحبلِ اللهِ حَبلُكِ يُوصَلُ
يتنافسُ الأنصارُ فيكِ وما دروا | لِمَنِ المفازُ وأيُّهُمْ هو أوّلُ
هيَ كيمياءُ الحقِّ لولا أنّها | تَهدِي العقولَ لَخِلتُها لا تُعقَلُ
دُنيا من العجبِ العجابِ ودولةٌ | يَهوِي النُّضارُ بها ويعلو الجَندلُ (٢)
أرأيت أهلَ الكهفِ لولا سرها | هل كان يكرم كلبهم ويبجل؟ (٣)
شكراً أبا أيوب فُزتَ بنعمةٍ | فيها لنفسكَ ما تُريدُ وتسألُ (٤)
ما مثلُ رِفْدِكَ في المواطنِ كلِّها | رِفدٌ يُضاعَفُ أو عطاءٌ يُجزَلُ (٥)
للهِ دارُكَ من مَحلَّةِ مُؤمنٍ | نَزلَ الحِمَى فيها وحَلَّ المعقلُ

---

(١) اسعد بن زراره هو ابن عُدُسٍ بن عبيد بن ثعلبة بن غَنْم بن مالك بن النجّار يكنى أبا أمامة . وأُمّه « سعاد » ويقال « الفُريعة » بنت رافع بن معاوية بن عبيد بن الأبجر ، وكان أول من أسلم من الأنصار ، ثم لقيه الستة النفر هو سادسهم ، وكان يصلى بالناس فى مسجد بناه فى مربد سهل وسهيل ابنى رافع بن أبى عمرو ، توفى فى شوال على رأس تسعة أشهر من الهجرة . ودفن بالبقيع وهو الذى أخذ زمام راحلة الرسول ﷺ فكانت عنده [ابن هشام : ١/ ٤٩٤ ، زاد المعاد : ٢/ ٥٥ ، الرحيق المختوم : ١٩٣] .

(٢) النضار : الذهب ، والجندل : الصخر .

(٣) جاءت قصتهم فى سورة الكهف من القرآن الكريم ، ويبجل : يعظم .

(٤) أبو أيوب الأنصارى واسمه : خالد بن زيد بن كُليب بن ثعلبة بن عبد بن عوف بن غَنْم وأمه زهراء بنت سعد بن قيس بن عمرو بن امرئ القيس بن مالك بن الحارث بن الخزرج شهد العقبة مع السبعين من الأنصار . وآخى الرسول ﷺ بينه ومصعب بن عمير ، ونزل الرسول ﷺ عنده حين رحل من قُباء إلى المدينة . وشهد المشاهد كلها توفى سنة اثنتين وخمسين . وقبره بأصل حصن القسطنطينية . [تهذيب الكمال : ٨/ ٦٦ ، سير أعلام النبلاء : ٢/ ٤٠٢ ، الطبقات : ٣/ ٤٤٩] .

(٥) الرفد العطاء والصلة ، والجزل الكثير .

نَـزَلَ الـنبيُّ بـهـا فـحلَّ فِنـاءَهـا مَـجـدٌ يُـقـيـمُ وسـؤددٌ مـا يرحـلُ
مـجـدُ النُّـبـوَّةِ في ضـيـافـةِ مـاجـد سَمحِ الـقِرى يُسدِي الجزيـلَ ويبذلُ (١)
وَسِـعَتْ جِـفـانَ المُـطعـمـين جـفـانُه كـرمـاً فمـا يـأبى ولا هِيَ تـبـخلُ (٢)
أضـفى على الـسَّعـدينِ بُرْدَ سـمـاحـة فـاهتـزَّ جُـودهُـمـا وأقـبلَ يـرفلُ (٣)
جـذلانَ مُـحـتـفـلاً يقـرِّب مـنهـمـا لـلـهِ مـا يـرضَى ومـا يـتـقـبَّلُ
جَـعلَ الـقِـرَى سَـبـبـاً إلى رضـوانِـه والـبِـرُّ والإيمانُ فـيـمـا يَجـعَـلُ

---

(١) القرى : ما يقدم للضيف ، الجزيل للكثير .

(٢) روى زيد بن ثابت أنّه قال : أول هدية اهديت رسول الله ﷺ حين نزل دار أبى أيوب أنا جئت بها قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن فقلت : أرسلت هذه القصعة أمى . فقال : بارك الله فيك ودعا أصحابه فأكلوا ، ثم جاءت قصعة سعد بن عبادة : ثريد وعراق لحم، وما كانت من ليلة إلا وعلى باب رسول الله ﷺ الثلاث والأربعة يحملون الطعام وكانت جفنة « سعد » تدرر معه فى بيوت أزواجه ، وكان مقامه فى دار أبى أيوب سبعة أشهر . [البداية والنهاية : ٣/١٩٨] .

(٣) هما سعد بن عبادة ، وأسعد بن زرارة على قاعدة التغليب .

جفنة أم زيد بن ثابت

كان أول طعام أهدى إلى النبى ﷺ فى المدينة ـ قال زيد له: هذه قصعة أمى؟ فقال: بارك الله فيها (*) .

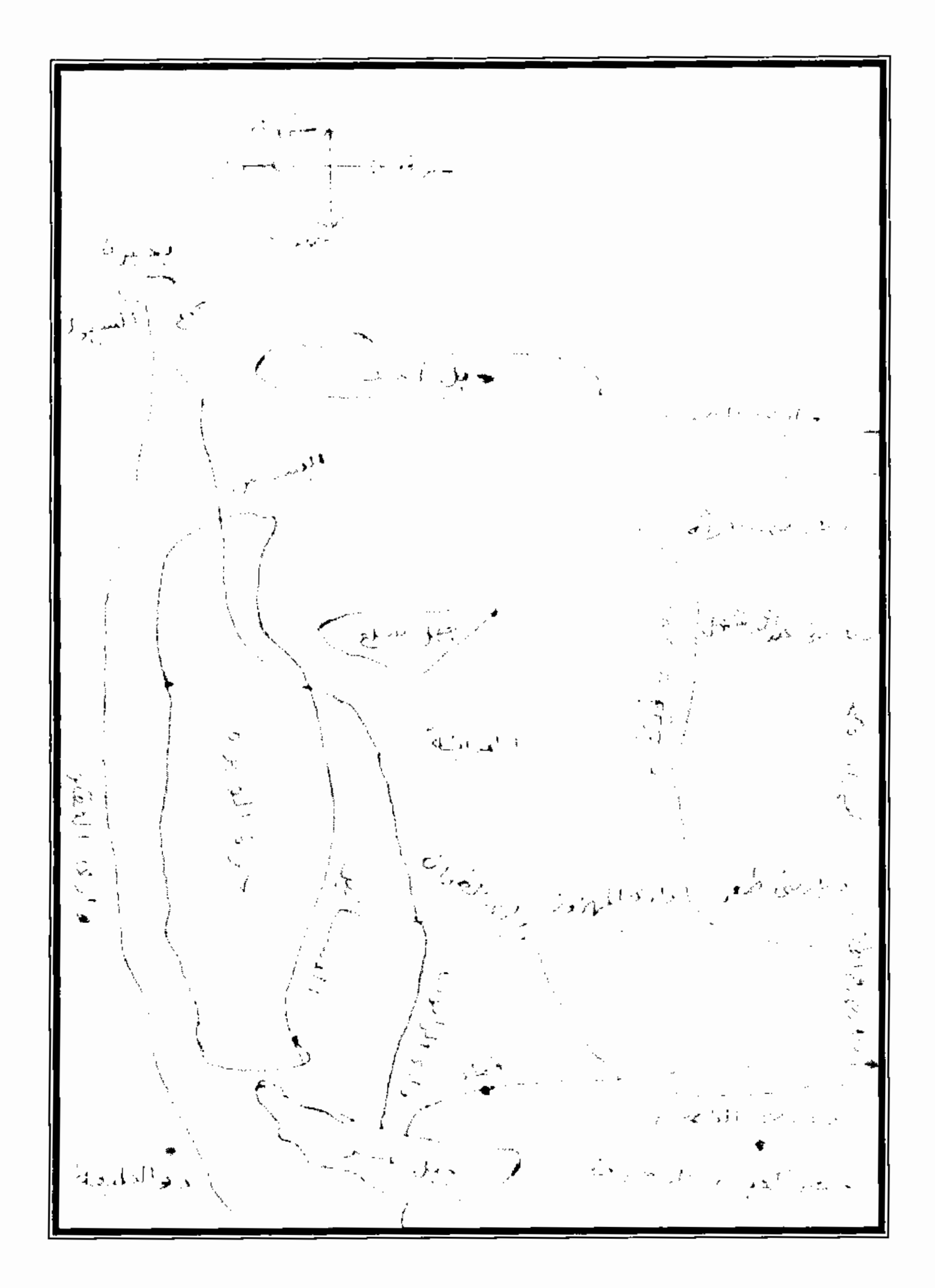
يا زيدُ من صنع الثَّريدَ وما عسى ... ترجو بما حَملتْ يداك وتأمل
بعثتك أمُّك تبتغي في دينها ... ما يبتغي ذو الهمَّةِ المتعمِّل
شكر النّبيُّ لها وأطلق دعوةً ... صعدت كما شقَّ الفضاءَ مُجلجِلُ
أطيب بتلك هديّةً يسعى بها ... في اللّهِ ساعٍ بالجلال مُظلَّلُ
لو أنَّها وُزِنَتْ بدنيا قيصرٍ ... رَجحتْ وأين من الخِضَمِّ الجدول؟ (١)
هي إن عييت بوصفها ما يُجْتَنَى ... من نعمةِ الإسلامِ لا ما يُؤكل
ما في جهادكِ أمَّ زيدٍ ريبةٌ ... نار الوغى احتدمت وأنتِ الجحفلُ (٢)
شَرَعٌ سرابيلُ الحروب وما اكتسى ... من سابغاتِ الخيرِ من يتسربلُ (٣)

(*) أول هدية أهديت إلى رسول الله ﷺ حين نزل دار أبى أيوب جاء بها زيد بن ثابت ، وهى قصعة فيها خبز مثرود بلبن وسمن . قال زيد للرسول ﷺ أرسلت هذه القصعة أمى فقال : بارك الله فيك . ودعا أصحابه فأكلوا .

(١) الخضم : البحر ـ والجدول : النهر الصغير .

(٢) الوغى : الحرب ، الجحفل : الجيش الكبير .

(٣) شرع : سواء .



مساكن قبائل يثرب عند الهجرة

المهاجرون فى ضيافة الأنصار

يا معشر الأنصارِ هل لي عندكم ... نادٍ يَضُمُّ النابغين ومحفل
عندي لشاعركم تحيةُ شاعرٍ ... يَسِمُ القوافيَ وسمه يَتنخَّلُ (١)
تنميه في دُنيا البيانِ رَوائعٌ ... منها رواكدُ ما تَريمُ وجُفَّل (٢)
الثّاوياتُ على هُدىً من ربّها ... والسّابحاتُ السّائحاتُ الجُوَّل
شُغِلَتْ بها الدُّنيا وما هي بالّتي ... تُعْنَى بدنيا الجاهلين وتُشغَلُ
تأبى القرارَ بكلّ وادٍ مُمحِلٍ ... وتحلُّ بالوادي الذي لا يُمحل
حسّانُ أبلغُ من يقول وليس لي ... منه إذا ادّعَتِ المصاقعُ مِقْوَل(٣)
أنتم قضيتم للنَّبيِّ ذمامه ... ونصرتُم الحقَّ الذي لا يُخذل
وصنعتُم الصّنعَ الجميل كرامةً ... لمهاجرين همُ الفريقُ الأمثل
فعرفتُ موضعكم وكيف سما بكم ... مجدٌ لكم في المسلمين مؤثَّل(٤)
وأذعتُه نبأً لكم ما مثله ... نبأٌ يُذاعُ ولا حديثٌ يُنقل
القومُ قومُ اللهِ ملء دياركم ... وكأنهم بديارهم لم يرحلوا (٥)

---

(١) يتنخل : يختار.

(٢) ما تريم : ما تبرح وما تزول .

(٣) ادعت : انتسبت ، والمصاقع : جمع مصقع ، البليغ: العالى الصوت لا يرتج عليه فى كلامه ، والمقول هنا من أسماء اللسان .

(٤) المجد المؤثل : العالى .

(٥) آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار فى دار أنس بن مالك ، وكانوا تسعين رجلا، نصفهم من المهاجرين ونصفهم من الأنصار ، آخى بينهم على المواساة ، ويتوارثون بعد الموت دون ذوى الأرحام إلى حين وقعة بدر ، فلما أنزل الله تعالى ﴿وأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٥] . ردّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة . وروى عن أبى هريرة قال : قالت الأنصار للنبى ﷺ اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل قال : لا فقالوا : فتكفونا المؤنة ، ونشرككم فى الثمرة . قالوا سمعنا وأطعنا . =

الدينُ يعطفُ والسماحةُ تحتفي والحبُّ يرعَى والمروءةُ تكفل
واللـه يشكرُ والنّبيُّ بغبطةٍ والشركُ يصعقُ والضلالةُ تذهل
دِينُ الهدى والحقِّ في أعراسه والجاهليَّةُ في المآتم تُعوِل
إن هالها الحَدثُ الذي نُكِبَتْ به فلسوف تُنكَبُ بالذي هو أهول
زُولي مُعطِّلةَ العقولِ فمنَ قَضى أنّ البصائرَ والعقولَ تُعطَّل
ألقِي السِّلاحَ فما لخصمكِ دافعٌ ودَعِي الكِفاحَ فما لجندكِ موئِل(١)

= [صحيح البخارى ـ باب : إذ قال اكفنى مؤنة النخل ، فتح البارى : ٤/ ٣٣٧ ـ ح ٢٠٤٩ و ٢٢٩٣ و ٣٧٨١ و ٣٩٣٧ و ٥٠٧٢ و ٥١٤٨ و ٥١٥٣ و ٥١٥٥ و ٥١٦٧ و ٦٠٨٢ و ٦٣٨٦ ، صحيح مسلم ح : ٢٥٢٩ سنن أبى داود : ح : ٢٩٢٦ ، الأدب المفرد : ح : ٥٦١ ، سند أبى يعلى : ٤/ ٣٦٦ .

(١) قام الرسول ﷺ بعقد معاهدة أزاح بها ما كان بينهم من حزازات فى الجاهلية ومن أهم بنودها :

أ ـ أنهم أمة واحدة من دون الناس ؛ المهاجرون من قريش ، وكل قبيلة من الأنصار على ربْعهم [على حالهم قبل الإسلام] يتعاقون بينهم ، وهم يقدرون عانيهم [أسيرهم] بالمعروف والقسط بين المؤمنين .

ب ـ لا يتركون مفرحا [المثقل بالدين والعيال] بينهم أن يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل.

جـ ـ يكونون على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيسة [عطية] ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين .

د ـ لا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن . وأنّ ذمة الله واحدة يجبر عليهم أدناهم .

هـ ـ وإن سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن فى قتال فى سبيل الله إلا على سواء وعدل بينهم .

و ـ إن المؤمنين يبئ [يمنع ويكف] بعضهم على بعض بما نال دماءهم فى سبيل الله .

حـ ـ لا يجبر مشرك مالا لقريش ، ولا نفسه ، ولا يحول دونه على مؤمن.

ط ـ وإنه من اعتبط [قتله بدون جناية] مؤمنًا قتلا فإنه قود به إلا أنْ يرضى ولى المقتول.

ى ـ وإنه لا يحل لمؤمن أن ينصر محدثا ، ولا يؤويه ، وأنه من نصره ، أو آواه فإن =

أزرَى بكِ الفشلُ المبرّحُ وارتمى بحُماتك القَدرُ الذي لا يفشَل
السَّهلُ يصعبُ إن تواكلتِ القُوى والصعبُ إن مَضتِ العزائمُ يسهل
أرسى المعاقلِ مؤمنٌ لا نفسُه تهفو ولا إيمانُه يتزلزل
هذا النذيرُ فإن أبيتِ سوى الأذى فالأرضُ بالدّمِ لا محالةَ تُغسل
علقت بِمَقْتَلك السّهامُ وما عسى يَبقَى الرَّمِيُّ إذا أُصيبَ المَقتَلُ
اللـه أكبرُ كلُّ زُورٍ يَنقضِي مَرَّ السَّحاب وكلُّ إفكٍ يبطُلُ

= عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة ، ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل .

ل ـ وأنكم مهما اختلفتم فيه من شئ ، فإنّ مردّه إلى الله ـ عزّ وجل ـ وإلى محمد ﷺ.

م ـ إن من تبعنا من اليهود فإن له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم .

مسجد المدينة

المسجد الثَّاني يُقامُ بيثربِ ومحمدُ الباني يَجِدُّ ويَعملُ (١)
عَمّارُ أنتَ لها وليس ببالغٍ عُليا المراتب مَن يكِلُّ ويَكْسَلُ (٢)
إن يَثْقُلِ العِبءُ الذي حُمِّلتَهُ فَلما يُحمَّلُ ذو التَّباعة أثقل (٣)
ماذا بَلغت من السَّناء على يدٍ أدنَى أناملها السِّماكُ الأعزل(٤)
مَسَحتْه ظهراً مِنكَ طالَ مُنيفهُ حتَّى تَمنَّى لو يكونكَ يذبُل (٥)
هذا رسولُ الله في أصحابه لا يَشتكي نَصَباً ولا يَتمهَّل (٦)
يَأتي ويذهبُ بينهم فَمُلَثَّمٌ بالتُّربِ يَغْشَى وَجْهَهُ ومُكَلَّل (٧)
مِن كلِّ قَوّامٍ على أثقاله سامٍ له ظهرٌ أشمُّ وكَلْكَلُ (٨)
ما كان أحسنَها مقَالةِ راجزٍ لو كان يَعرفُ حُكمَها المُتَمثِّلُ (٩)

(١) كان بناء المسجد فى المكان الذى بركت فيه ناقة الرسول ﷺ ، واشتراه من غلامين يتيمين كانا يملكانه . وأسهم فى بنائه بنفسه فكان ينقل اللبن والحجارة ، ويقول اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة وكان يقول :

هذا الحمالُ لا حمال خيبر هذا أبر ربنا وأطهر

وكان الصحابة يرددون :

لئن قعدنا والنبى يعمل لذاك منا العمل المضلل

(٢) كان الرجل يحمل لبنة لبنة وعمار بن ياسر يحمل لبنتين لبنتين فقال له الرسول الكريم ﷺ : « **ألا تحمل كما يحمل أصحابك** » . قال : لبنة عنى يا رسول الله ولبنة عنك ، فنفض ﷺ التراب عن رأس عمار ومسح ظهره .

(٣) التباعة : الرغبة .

(٤) السناء : المجد والشرف . والسماك الأعزل : اسم نجم .

(٥) يذبل اسم جبل فى بلاد العرب ، والمنيف : العالى .

(٦) النصب : التعب .

(٧) المكلل : المحفوف بالنور .

(٨) الكلكل : الصدر .

(٩) كان عثمان بن مظعون ﷺ إذا حمل اللبنة يجافى بها عن ثوبه لئلا يصيبه التراب . فإن=

هَتفَ الإمامُ بها فَراحَ يُعيدها ... ثُمَّ انْثَنى مُتَلَطِّفاً يَتنصَّلُ
عمّارُ يا لكَ إذ تُلامُ ويا لَهُ ... مِن ذي مُحافظةٍ يَلومُ ويَعذلُ
هِجْتَ ابنَ مَظعونٍ فأقبلَ غاضباً ... حَنقاً يجيش كما يَجيشُ المِرْجَلُ (١)
ولقد يَحيدُ عن التُّرابِ إناقةً ... مَن لا يَحيدُ عن الضِّرابِ ويَنْكُلُ
مَهْلاً أبا اليقظان قِرنُكَ باسلٌ ... وأخوكَ في جِدِّ الوغَى لا يَهْزِلُ (٢)
ولئن أهابَ اللّه يَالَمُحمّد ... صُونوا الحِمَى لَهْوَ الأشدُّ الأبسلُ
السَّيفُ يَعْجَزُ أن يَنالَ غِرارهُ ... ما ليس يَعجزُ أن ينالَ المِعْوَلُ (٣)

= أصابه شىء من التراب نفضه ، فنظر إليه على بن أبى طالب كرم الله وجهه وأنشد يفاكهه .

لا يستوى من يعمر المساجدا ... يدأب فيها قائمًا وقاعدا

ومن يرى عن التراب حائدا

فسمعه عمار بن ياسر وأخذ يردد قوله وهو لا يدرى من يعنى به ، فغضب عثمان وأغلظ له القول . وكان معه حديدة قال :لتكفن أو لأضربنك بها .

(١) الحنق : الغيظ ، يجيش : يتحرك ، المرجل : القدر إذا فار ماؤه .

(٢) كنية عمار ، وقرن الرجل: كفؤه ومن يقاومه فى الشجاعة وغيرها ، والباسل : الشجاع.

(٣) غرار السيف : حده .

أبو بكر يؤدى ثمن
الحائط الذى أدخل فى المسجد

أراد النبى ﷺ أن يضم إلى المسجد حائطًا ليتيمين من الأنصار كانا فى كفالة أسعد بن زرارة ـ وقيل : معاذ بن عفراء ـ وهما سهل وسهيل ، وقد عرض أبو أيوب الأنصارى أن يؤدى الثمن إليهما فأبى النبى ﷺ ، وابتاع الحائط بعشرة دنانير أديت من مال أبى بكر الصديق .

وقال الغلامان :نهبه لك يا رسول الله فأبى ، وأراد رجال من الأنصار أن يعوضوهما عن الحائط فلم يكن سوى أداء الثمن .

وجاء أنه ﷺ وضع اللبنة الأولى فى المسجد ، ثم دعا أبا بكر فوضع لبنته، وهكذا فعل عمر وعثمان بن عفان، وقيل : إن المراد بذلك ترتيب الخلافة (١) .

إيهِ أبا بكرٍ ظَفِرتَ بصفقةٍ ... شَتَّى مَغانِمُها لمن يَتأَمَّلُ

القومُ عند إبائهم وسَخائِهم ... لو يبذلونَ نفوسَهُم لم يَحفِلوا

لا يقبلون لحائطٍ ثمناً ولا ... يَبغونَها دُنيا تُذَمُّ وتُرذَلُ

اللّهُ يَطلُبُهُ لِنُصرةِ دينِه ... والدّينُ هُم أنصارُه ما بدلوا

قالوا أمِنَّا يا محمدُ يُبتغَى ... ما ليس يَخلقُ بالأُباةِ ويجمُلُ؟

إنّا لعمرِ اللّهِ نَعرِفُ حَقَّهُ ... ونُعِزُّ مِلَّتهُ التي نتملَّلُ (٢)

---

(١) من حديث أنس : ... « ثم إنّه أمر ببناء المسجد فأرسل إلى ملإ بنى النجار فجاؤوا ، فقال : يا بنى النجار ثامنونى حائطكم هذا ، فقالوا : لا والله لا نطلب ثمنه إلا إلى الله . قال : فكان فيه ما أقول لكم ، كانت فيه قبور المشركين ، وكانت فيه خرَبٌ ، وكان فيه نخلٌ . فأمر رسول الله بقبور المشركين فنُبشت ، وبالخرَب فسويت ، وبالنخل فقطع . قال فصفوا النخل قِبلةَ المسجد . قال : وجعلوا عِضادتيه حجارة . قال : جعلوا ينقلون ذاك الصخر وهم يرتجزون ورسول الله ﷺ معهم يقولون :

اللهم إنّه لا خير إلا خير الآخرة ... فارحم الأنصار والمهاجرة

البخارى ـ مناقب الأنصار ـ ح : ٣٩٣ ، وطرقة ح ٢٣٤ ، ٢٧٧٩ .

(٢) تملل الملة دخل فيها .

نُعطِي اليتيمين الكِفاءَ وإن هما   أبيا ونَتَّبِعُ التي هي أنبلُ (١)
خُذْ ما أردتَ فلن نبيعكَ مسجداً   يَدعوهُ فيه مُكَبِّرٌ ومهلِّلُ
هو ربُّنا إن نالنا رِضوانُه   فلنا المثوبةُ والجزاءُ الأكملُ
إيهِ أبا بكرٍ خليلُكَ مُطرِقٌ   يأبى وأنتَ بما يُريدُ مُوكَّلُ
لابدَّ من ثمنٍ يَكونُ أداؤهُ   حَكَماً يُطاعُ وشِرعةٌ ما تُهمَلُ
لولا الرسولُ وما يُعلِّمُ قومَه   جَهِلَ المحجّةَ ظالمٌ لا يَعدلُ
وإذا قَضَى أمراً فما لقضائه   رَدٌّ ولا في غيرِهِ مُتعلَّلُ
الحقُّ ما شَرَعَ النبيُّ وباطلٌ   ما يدَّعي المرتابُ والمتأوّلُ
لا بدّ من ثمنٍ ولستَ بواجدٍ   في القومِ من يَضِحُ الصّوابُ فيَغفلُ (٢)
أمرُ الرسولُ به فدونك أدّه   ولأنت صاحبُهُ الكريمُ المفضلُ
يا باذلَ الأموالِ نلتَ ببذلِها   ما لم يَنَلْ في المسلمين مُموِّلُ
أتبعتَ نفسَكَ ما ملكتَ فمهجةٌ   تَنهالُ طيّعةً وكَفٌّ تَهطلُ (٣)

---

(١) كفاء الشيء ما يساويه .

(٢) يضح : مضارع وضح .

(٣) كان أبو أمامة أسعد بن زرارة يجمع بمن يليه في مسجد له ، فكان رسول الله ﷺ يصلي فيه ، ثم إنّه سأل سعدا أن يبيعه أرضا متصلة بذلك المسجد كانت في يده ليتيمين في حجره يُقال لهما « سهل وسهيل » ، إبنا « رافع بن عمرو » فعرض عليه أن يأخذها ويغرم عنه لليتيمين ثمنها ، فأبى رسول الله ﷺ ذلك . وابتاعها منهما بعشرة دنانير أدّاها من مال أبي بكر .

بلال يؤذن للصلاة

أَذِّنْ بِلاَلُ لَكَ الوِلاَيَةُ لَم تُتَحْ ... لِسوَاكَ إذ تدعو الجموع فَتُقبلُ
اللَّهُ أَلبَسَكَ الكرامَةَ وَاصْطَفَى ... لَكَ ما يُحِبُّ المؤمنُ المتوكِّلُ
يا طولَ ما عُذِّبتَ فيه فلم تَمِلْ ... تَبغِي الَّتي اتَّبعَ الغُواةُ المُيَّلُ (١)
أَحَدٌ إلـهُكَ ما كَذَبتَ وما لِمَن ... يرجو النَّجاةَ على سِواهُ مُعَوَّلُ
أرِني يَدَيْكَ أفيهِما لأميَّةٍ ... وِردٌ من الموتِ الذُّعافِ مُثَمَّلُ؟ (٢)
لَلسَّيفُ سَيفُ اللَّهِ أهْوَلُ موقِعاً ... من صَخرةٍ تُلقَى وحبلٍ يُفتَلُ
لك في غدٍ دَمُه إذا التقتِ الظُّبى ... تحتَ العَجاجةِ والرِّماحُ الذُّبَّلُ (٣)
أذِّنْ فإنَّ الدِّينَ قامَ عَمُودُه ... ورَسَتْ جَوانبُهُ فما يَتَقَلقَلُ (٤)
هَبَطَ الجَزيرةَ فاحتوى أطرافَها ... وَانْسَابَ في أحشائِها يَتَغَلْغَلُ
فكأنَّما طردَ السَّوائمَ ضَيغَمٌ ... وكأنَّما ذعرَ الحمائمَ أجدلُ (٥)

* * *

---

(١) هو بلال بن رباح ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان من مُوَلَّدى السراة ، وأسم أمه حمامة . وكانت أمَةً لبعض بنى جُمح . شهد المشاهد كلها . خرج فى ولاية عمر بن الخطاب إلى الشام وتوفى بها سنة ٢٠ هـ .

(٢) الموت الذعاف : السريع ، والمثمل : المنقع .

(٣) قتل بلال ﷺ أمية بن خلف يوم بدر فهنأه الصديق بقوله :

هنيئًا ، زادك الرحمن خيرًا ... لقد أدركت ثأرك يا بلال

والظبى : السيوف ، والعجاجة : كدرة الجو وغبار المعركة ، والذبل : الرماح الطويلة.

(٤) قال ابن سعد [الطبقات : ٩/ ٣٨٩] : أخبرنا محمد بن عُبيد الطفافسى ، والفضل بن دكين قالا : حدثنا المسعودى عن القاسم بن عبد الرحمن ، قال : أول من أذّن بلال .

(٥) السوائم : جمع سائمة، الماشية تذهب فى المراعى. والضيغم: الأسد . والأجدل: الصقر .

خَفَّ الرجالُ إلى الصَّلاةِ وإنَّها ... لأجلُّ ما تَصِفُ الصّفوفُ المُثَّلُ
عَنَتِ الوجوهُ فراكِعٌ متخشعٌ ... يخشى الإلهَ وساجدٌ مُتَبَتِّلُ (١)
صَلُّوا بني الإسلامِ خَلفَ نبيِّكم ... وخُذوا بما شَرَعَ الكتابُ المنزلُ
اللَّهُ أيَّدكم به وأمدَّكم ... منه بنورٍ ساطعٍ ما يأفلُ
آثرتُمُ السَّنَنَ السويَّ فجدُّكم ... يَعلو وجَدُّ ذوي العَمايةِ يَسفُلُ (٢)
هل يَستوِي الجمعانِ هذا صاعدٌ ... يبني وهذا ساقطٌ يَتَهيَّلُ
يتألّفون على الهَوى وقلوبُهم ... شَتَّى يَظلُّ شَعاعُها يتزيّلُ
نَصرٌ على نصرٍ وفتحٌ بعده ... فتحٌ يَغيظُ المشركينَ مُحجَّلُ (٣)
إنَّ امرأً جمحتْ به أهواؤُه ... من بعدِ ما وضَح الهُدى لَمُضلَّلُ
الحقُّ بابُ اللَّهِ هل من داخلٍ ... طُوبَى لمن يَبغِي الفَلاحَ فيدخلُ (٤)

---

(١) عنت : خضعت .

(٢) الجد : الحظ .

(٣) قال محمد بن عمر : شهد بلال بدرا وأحدا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ فلما قُبض رسول الله ﷺ جاء إلى أبى بكر فأستأذنه فى الخروج إلى الشام ليرابط فى سبيل الله . فقال أبو بكر : أنشدك الله يا بلال ، وحُرمتى وحقى ، قد كبرت سنى وضعفت ، واقترب أجلى ، فأقام بلال حتى توفى أبو بكر ، ثم جاء إلى عمر ، فقال مثل ما قال لأبى بكر ، فأذن له ، فخرج إلى الشام فلم يزل بها حتى توفى ودفن بدمشق سنة ٢٠ هجرية وهو ابن بضع وستين سنة فى خلافة عمر بن الخطاب . [الطبقات : ٩/ ٣٩٠].

(٤) عن جابر بن عبد الله أنّ عمر كان يقول : أبو بكر سيدنا ، وأعتق سيدنا . وقال بلال لأبى بكر حين توفى رسول الله ﷺ : إن كنت إنما اشتريتنى لنفسك فأمسكنى ، وإن كنت اشتريتنى لله فذرنى وعمل الله .

المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار

كانت المؤخاة [(١)] بعد بناء مسجد المدينة ـ وقيل : وهو يُبْنَى ـ وكان المراد منها إزالة الوحشة وشد الأزر في سبيل الدعوة الإسلامية ، وكانت توجب أن يرث كل أخ أخاه دون ذوى الأرحام ، فلما عز الإسلام وقويت شوكته أبطل هذا الحكم بقوله تعالى : ﴿ وَأُولُوا الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ ﴾[الأنفال: ٧٥]، وكان نزول هذه الآية الشريفة فى وقعة بدر ، ولم يكن قد عمل بهذا الحكم قبل ذلك . وكانت المؤاخاة بعد الهجرة بخمسة أشهر ، وقيل عير هذا .

عن زيد بن أبى أوفى قال : دخلت على رسول الله ﷺ فى مسجد المدينة ، فجعل يقول : « **أين فلان ، أين فلان** » . فلم يزل يتفقدهم ويبعث إليهم حتى اجتمعوا عنده فقال : « **إنى محدثكم بحديث فاحفظوه وعوه وحدثوا به من بعدكم، إن الله تعالى اصطفى من خلقه خلقا** » ، ثم قرأ ﴿ **اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ** ﴾ [الحج: ٧٥] قال : «**وإنى أصطفى منكم من أحب أن أصطفيه وأؤاخي بينكم كما آخى الله تعالى بين ملائكته . قم يا أبا بكر** » فقام فجثا بين يديه الشريفتين ؛ فقال : « **إن لك عندى يداً الله يجزيك بها ،ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذتك ، فأنت مني بمنزلة قميصى من جسدى** » . وحرك قميصه بيده ؛ ثم قال : « **ادن يا عمر** » فدنا ؛ فقال :« **قد كنت شديد البأس علينا يا أبا حفص فدعوت الله أن يعز بك الدين أو بأبى جهل ففعل الله ذلك بك وكنت أحبهما إلى الله ، فأنت معى فى الجنة ثالث ثلاثة من هذه الأمة** » . وآخى بين المهاجرين والأنصار فجعلهم أخوين أخوين .

وكانوا خمسين من هؤلاء ومثلهم من هؤلاء . وقيل : كانوا تسعين . وكانت المؤاخاة فى دار أنس بن مالك ، وهي دار أبى طلحة زوج أم أنس ، واسمه زيد ابن سهل .

---

(١) قال ابن سيد الناس : كانت المؤاخاة مرتين ، الأولى بين المهاجرين بعضهم وبعض قبل الهجرة على الحق والمواساة ، آخى بين أبى بكر وعمر ، وبين حمزة وزيد بن حارثة ، وبين عثمان وعبدالرحمن بن عوف ، وبين الزبير وابن مسعود ، وبين عبيدة بن الحارث وبلال ، وبين مصعب بن عمير وسعد بن أبى وقاص ، وبين أبى عبيدة وسالم مولى أبى حذيفة ، وبين سعيد بن زيد وطلحة بن عبيد الله ، وبين على ونفسه . والثانية بعد بنائه المسجد ، وقيل والمسجد يبنى ، وقال أبو عمر بعد قدومه المدينة بخمسة أشهر وكانت بين المهاجرين والأنصار .

هِـيَ الأواصـرُ أدنـاهـا الدَّمُ الجـاري ... فـلا مـحـالـةَ مـن حُـبٍّ وإيـثـارِ
الأسـرةُ اجـتـمـعـتْ فـي الدّارِ واحـدةً ... حُـيِّـيـت من أسـرة بُـوركت مـن دَارِ
مَـشَى بهـا من رسـول اللّـه خيـرُ أبٍ ... يَدعـو البَـنينَ فلـبُّوا غـيـرَ أغمـارِ (١)
تَـأكّـدَ الـعـهـدُ مما ضَـمَّ أُلـفَـتـهـم ... وَاستَـحصدَ الحبلُ من شَـدٍّ وإمرارِ (٢)
كُـلٌّ لـه مـن سَـراة المسلـمـينَ أخٌ ... يَحـمي الـذّمارَ ويـرعى حُـرمَةَ الجـارِ
يَـطوفُ مـنـه بحـقٍّ لَـيس يَمـنـعُـه ... ولـيس يُـعـطيـه إن أعطى بمـقـدارِ
يَـجـودُ بـالـدمِ والآجـالُ ذاهـلـةٌ ... ويـبـذلُ المـالَ فـي يُسـرٍ وإعـسـارِ
هـمُ الجـمـاعـةُ إلاّ أنّـهـم بَـرزوا ... في صُـورة الفـردِ فانظـر قُدرةَ البـاري
صَـاحَ النـبيُّ بـهم كـونوا سَـواسِـيَـةً ... يا عُصـبةَ اللّه من صَحـبٍ وأنصار (٣)
هـذا هو الـدّينُ لا مـا هـاجَ من فـتنٍ ... بـين القبـائـلِ ديـنُ الجـهلِ والـعـارِ
ردوا الحـيـاةَ فـمـا أشـهى مَـواردَهـا ... دُنـيـا صَـفَـتْ بـعـد أقـذاء وأكـدارِ
الجـاهـلـيّـةُ سُـمٌّ نـاقـعٌ وأذىً ... تَـشـقَى الـنّـفـوسُ بـداء منـه ضَـرّارِ
تـأهّـبـوا إنَّ ديـنـاً قـام قـائـمُـه ... يُـومـي إلـيـكم بـآمـالٍ وأوطـارِ (٤)
أمـا تَـرونَ رِياحَ الـشّـركِ عـاصـفـةً ... تَـطـغَـى عـلى أُممٍ شَـتّـى وأقـطـارِ
لن أتركَ الـنـاسَ فوضى فـي عقـائدهم ... ولـن أسـالـمَ مـنهـم كـلَّ جـبّـارِ
أكـلّـمـا مَـلَـكَ الأقـوامَ مـالـكُـهـم ... رَمـى الضّـعـافَ بـأنـيـابٍ وأظـفـارِ
الشـرُّ غـطّى أديمَ الأرضِ فـارتكـستْ ... أقـطـارُهـا بـيـن آثـامٍ وأوزارِ (٥)
أخفى مـحاسنَـها الكبرى فكـيف بكم ... إذا تَـكَشَّـف عـن وجـه لـهـا عـارِ
لأُنـزِلـنَّ ذوي الـطُّـغـيـان مَـنـزلـةً ... تسـتـفـرغُ الـكبـرَ مـن هامٍ وأبـصـارِ
ظَنُّوا الـضّعافَ عـبيداً بـئس ما زعـموا ... هل يَـخلـقُ اللّـهُ قومـاً غـيـرَ أحـرارِ
مـا غرّهـم إذ أطاعوا أمـرَ جـاهِـلـهـم ... بـواحـدٍ غـالـبِ الـسُّـلطـانِ قـهّـارِ

---

(١) غير أغمار : غير حاقدين .

(٢) استحصد : قوى ، والإمرار : الفتل .

(٣) سواسية : سواء .

(٤) الأوطار : الحاجات ، ويومى : يشير .

(٥) أديم الأرض : وجهها ، ارتكس : الرجل والشيء انتكس .

يَرمي العروش إذا استعصتْ ويبعثُها مَبثوثةً في جَناحَيْ عاصف ذار [١]
بُعِثْتَ بالحقِّ يهدي الجامحين كما يَهدي الحيارى شُعاعُ الكوكبِ السّاري
أدعو إلى اللّه بالآيات واضحةً تَهدي الغَويَّ وتَنهَى كلَّ كَفّار
فمن أبى فَدُعَائي كلُّ ذي شُطَب ماضي الرسالة في الهامات بتّار [٢]
اللّه أكبرُ هل في الحقِّ مَعتبةٌ لمُستخفٍّ بعهد اللّه غدّار
ألم يكن أخذَ الميثاقَ من قِدَمٍ فما المقامُ على كُفرٍ وإنكار
إنّ الألى اتّخذوا الأصنامَ آلهةً على شفا جُرُفٍ من أمرِهم هار
يَستكبرونَ على مَن لا شريكَ له ويسجدونَ على هُونٍ لأحجار
راحوا يُجلّونها من سوءِ ما اعْتقدوا واللّه أوْلى بإجلالٍ وإكبار
لكلِّ قومٍ إلهٌ يُؤمنونَ به ما يبتغي اللّهُ من إيمان فُجّار
النارُ أعظمُ سُلطاناً ومقدرةً في رأي عُبّادها أم خالقُ النّار
سُبحانه من إلهٍ شأنُه جَلَلٌ يَهدي النُّفوسَ بآياتٍ وآثار
لأكْشِفَنَّ عنِ الأبصارِ إذ عَميتْ ما أسْدَلَ الجهلُ من حُجْبٍ وأستار
ما للسراحين بُدٌّ من مصارعِها إذا انتضتْ سطوات الضيغمِ الضّاري [٣]
ضُمُّوا القوى إنّها دنيا الجهاد بدت أشراطُها وتراءَى زَندُها الواري
لا بدَّ من غارةٍ للحقِّ باسلةٍ وجَحفلٍ من جُنودِ اللّه جَرّار
خَيرُ الذخائرِ أبقاها ولن تَجدُوا كالعهدِ يَرعاهُ أخيارٌ لأخيار
لا تَنْقُضوا العهدَ إنّ اللّهَ مُنزِلُه على لسانِ رَسولٍ منه مُختار
قالوا عليكَ صلاةُ اللّه إنّ بنا ما اللّهُ يعلمُ من عَزمٍ وإصرار
آخيتَ بين رجالٍ يَصدقون إذا زَلّتْ قُوى كلِّ خدّاعٍ وختّار [٤]
جُنودُ ربِّكَ إن قلتَ اعْصِفُوا عَصَفوا يَرمونَ في الحربِ إعصاراً بإعصار [٥]
مِن كلِّ مُنْغَمِسٍ في النَّقعِ مُرتَجِسٍ وكلّ مُنبَجِسٍ بالبأسِ فَوّار [٦]

(١) عاصف ذار : من ذرت الريح إذا هاجت التراب .
(٢) الشطب : الطرائق فى السيف ، والبتار : القاطع .
(٣) السراحين : الذئاب ، والضيغم الضارى : الأسد المفترى .
(٤) الختّار : الغدّار .
(٥) الإعصار : الريح العاتية تثير السحاب ، أو التى يكون فيها برق ورعد .
(٦) ارتجست السماء : رعدت ، والسحاب صوت . وانبجس الماء ونحوه تفجر ، والنقع : الغبار يثور من حدة المعركة .

اليهود والمنافقون

لما آخى النبى ﷺ بين المهاجرين والأنصار دعا اليهود وصالحهم على ترك الحرب والأذى ، لا يحاربهم ولا يؤذيهم ، ولا يعينون عليه أحدًا ، وإن دهمه عدو ينصرونه ، ثم أقرهم على دينهم وأموالهم . فلما انتشر الإسلام كرهوا ذلك فانتقضوا ، وفى ذلك نزل قوله تعالى: ﴿ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ﴾ [آل عمران:١١٨] ولما نزلت ﴿ مَن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ الآية [البقرة:٢٤٥] ـ قال قائلهم ـ حيى بن أخطب فى رواية: يستقرضنا ربنا ، وإنما يستقرض الفقير الغنى . فأنزل الله تعالى: ﴿ لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ ﴾ الآية [آل عمران:١٨١] ـ وكانوا يسألون النبى ﷺ عن الروح ويقولون له : مم خلق الله ـ انسب لنا ربك ـ يريدون تعجيزه وإثارته .

وكان من عظمائهم وأحبارهم حيى ، وأبو ياسر ،وجدى بنو أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن الربيع ، وكعب بن الأشرف ، وعبد الله بن صوريا، ولبيد بن الأعصم ، وشاس بن قيس ، وعبد الله بن سلام ، وكان حيى ابن أخطب عظيم بنى النضير ،وهو أبو السيدة صفية أم المؤمنين ﵁ ، كانت من سبايا النبى ﷺ فى غزوة خيبر بعد قتل أبيها وزوجها كنانة بن الربيع ، جعلها النبى ﷺ عند أم سليم ـ أم أنس ـ حتى اهتدت وأسلمت ثم أعتقها وتزوجها ، وقد انضم المنافقون من أهل المدينة إلى اليهود ، وكان عبد الله بن أبى ابن سلول كبيرهم ، كان من أعظم أشراف أهل المدينة ، وكانوا يريدون تتويجه ملكًا عليهم؛ فلما ظهر الحق على يد الرسول الكريم ﷺ خاب أمله ، وعظم غيظه وحقده .

والمنافقون قوم من اليهود (١) دخلوا فى الإسلام لما قوى أمره خشية القتل وبقى هواهم مع قومهم .

دعا فأجابوا والقلوبُ صَوادِفُ   وقالوا اسْتَقمنا والهَوى مُتجانِفُ (٢)

---

(١) ليس كلهم من اليهود .

(٢) المتجانف: المائل .

مَضَى العهدُ لا حربٌ تُقامُ ولا أذىً ... يُرامُ ولا بَغْيٌ عنِ الحقِّ صَارِفُ
لهم دَمُهُم والدّينُ والمالُ ما وَفَوْا ... فإن غَدروا فالسّيف وافٍ مُساعِفُ
سياسةُ من لا يَخدعُ القولُ رأيَهُ ... ولا يَزدهِيهِ باطلٌ منه زائفُ
رَسولٌ له من حكمةِ الوَحْيِ عاصمٌ ... ومن نُورِهِ في ظُلمةِ الرأيِ كاشفُ
يُسالِمُ من أحبارِهم وسَراتِهم ... رجالاً لهم في السّلمِ رأيٌ مُخالفُ
يَغيظُهُم الإسلامُ حتَّى كأنَّما ... هُوَ الموتُ أو عادٍ من الخطبِ جَارفُ
إذا هَتَفَ الدّاعي به اهْتَاجَ نَاقمٌ ... وأعْوَلَ مَحزونٌ وأجْفَلَ خائفُ (١)
إذا ما تَردَّى في الضّلالةِ جاهلٌ ... فما عُذرُ مَن يأبَى الهُدى وَهْو عَارِفُ؟
يَقولونَ قَوْلَ الزُّورِ لا عِلَم عندَنا ... كَفَى القومَ عِلماً ما تَضُمُّ المصاحفُ
لهم من سنَا التَّوراةِ هادٍ وللعَمى ... رُكامٌ على أبصارِهم مُتكاثفُ
دَنا الحقُّ من بُهتانِهم ورَمَى بهم ... إلى الأمدِ الأقصَى هَوىً مُتقاذفُ
عَنا ابْنَ أُبيٍّ من هَوى التّاجِ لاعجٌ ... وطافَ به من نَوةِ المُلكِ طائفُ
جَرى راكضاً مِلءَ العنانَيْنِ فانتحى ... له قَدرٌ ألقَى به وَهْوَ راسِفُ (٢)
فما مِثلُه في مَشهدِ الإفكِ فارحٌ ... ولا مِثلُهُ في مَشهدِ الحقِّ آسفُ
ظُنونٌ يُعفّيها اليقينُ ودَولةٌ ... من الوهمِ تذروها الرياحُ العواصفُ (٣)
يُهيبُ بأضغانِ اليهودِ يَشُبُّها ... عَداوةَ قومٍ شرُّهم متضاعفُ
وما بَرِحَ الحَبْرُ السَّمينُ يَغرُّهم ... ويأكلُ من أموالِهم ما يُصادفُ (٤)

---

(١) أجفل : انزعج أو هرب مسرعا .

(٢) رسف الرجل : مَشَى مَشْيَ المقيد .

(٣) يعفيها : يمحوها ، من عفت الريح المنزل .

(٤) هو مالك بن الصلت من أحبارهم . كان يبغض النبي ﷺ بغضًا شديدًا . ويلبس على اليهود فيأخذ أموالهم ، قال له ﷺ : « **نشدك الله ، أليس في التوراة أن الله يبغض الحبر السمين ، إنك الحبر السمين ، سمنت من المال الذي يطعمك اليهود** » فغضب والتفت إلى عمر قائلا : ما أنزل الله على بشر من شيء . فكان هذا كفرًا منه بموسى ومحمد وغيرهما من الأنبياء والمرسلين وعلم اليهود فنزعوا عنه الرياسة وجعلوا مكانه كعب بن الأشرف .

أعـدُّوا لـــه المرعـىَ فَـراحَ مُـهـبَّـلاً كَـظنَّـكَ بـالخنـزيرِ واتـاهُ عَـالـفُ (١)
يَـنـوءُ بِجَـنْـبَـيـهِ ويـرتجُّ مـاشـيـاً إذا اضطربتْ منه الـشَّوى والرَّوانفُ (٢)
رَمَـاهم بهـا عَـمـيـاءَ لـم يَرْمِ مَـعشـراً بـأمـثـالــهـا أحـبـارهُم والأسـاقـفُ
فقالوا غَوى ابنُ الصّلتِ وانفضّ جمعهم يُريدون كـعبـاً وَهوَ خَزيانُ كـاسفُ (٣)
رَمَى الـصادقُ الـهادِي لَـفيـفَة نـفسـه بصـادعـةٍ تَنشقُّ مـنهـا اللّـفـائفُ (٤)
فـأمـا لَـبـيـدٌ فَـاسْـتـعـانَ بـسـحـرِه رُويداً أخـا هاروتَ تلك الـطرائفُ (٥)
أعـنـدك أن السّـــحـــر لـلّهِ غـــالـبٌ تأمَّـلْ لبـيـدٌ أيَّ مـهـوىً تُشـارفُ (٦)
وَشـاسُ بنُ قـيسٍ هـاجَـهـا جاهـليَّـةً تَطـيرُ لِـذكراهـا الحلومُ الـرَّواجفُ (٧)

---

(١) المهبل : الكثير اللحم .

(٢) الشوى : اليدان والرجلان والأطراف . والروانف : أسافل الألية للقائم.

(٣) أى : كعب بن الأشرف ، وتولى رئاسة اليهود بعد خلعهم مالك بن الصلت لكفره .

(٤) اللفائف : جمع لفيفة ما يلف بـه الرجل وغيره والمعنى ظاهر ، والصـادعة : من صدع بالحق ؛ إذا جهر به ؛ أى : أن قول الرسول قد كشف أمره أمام قومه .

(٥) لبيد بن الأعصم ، قيل : إنه عمل سحرًا لـلنبى ﷺ اتخد له مثالا على صورته من شمع ـ وقيل : من عـجين ـ ثم غرز فيـه إحدى عشرة عـقدة . وكان للنبى ﷺ خـادم يهودى حمل شيئًا من شعره الشريف إلى لبيد فصنع السحر ، ووضعه فى بئر ذروان ونزل جبريل فأخبر النبى فأرسل عليا وعمار بن ياسر فاستخرجاه من البئر .

(٦) شارف الرجل الشىء اطلع عليه من فوق .

(٧) شاس بن قيـس : كان شيخًا يهـوديًا عظيم الكفر شـديد الضغن على المسـلمين ، شديد الحسد لهم . مرَّ يومًا على الأنصار وهم مجتمعون يتحدثون فغاظه ما رأى من ألفتهم بعد ما كان بينهم من العداوة ، فقال : قد اجتمع ملأ بنى قيله بهذه البلاد ، والله ما لنا معهم إذا اجتمع ملؤهم من قرار ، ثم أمر فتى من اليهود فقال له: اعمد إليهم فاجلس معهم ، ثم اذكر يـوم بعاث ـ يوم الحـرب التى كانت بـينهم ـ و ما كـان فيه وأنـشدهم ما كـانوا يتقاولون به من الأشعار . ففعل ، فتـكلَّم القوم عند ذلك ، وتنازعوا وتفاخروا ، وثارت نفوسهم فتأهبوا للقتـال . ونادى هؤلاء يا للأوس ، وهؤلاء يا للخزرج . ثم خرجوا وقد أخذوا السلاح واصطفوا للـقتال ؛ فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فخرج إليهـم فيمن معه من المهاجرين حتى جاءهم ؛ فقال: «**يا معشر المسلمين الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين** =

يُقلِّبُ بين الأوسِ والخزرجِ الثَّرى وقد وَشجتْ فيه العُروقُ العواطفُ
يُذكِّرهُم يومَ البُعاثِ وما جَنَت رِقاقُ المواضِي والرماحُ الرواعفُ (١)
غَلتْ نَخواتُ القومِ ممّا استفزَّهم وراجعَهم من عازِبِ الرأيِ سالفُ (٢)
وخَفّوا يُريدونَ القِتالَ فَردَّهم نبيٌّ يَردُّ الشَّرَّ والشَّرُّ زاحفُ
دعاهم إلى الحُسنَى فأقبلَ بعضُهم يُعانِقُ بعضاً والدُّموعُ ذوارِفُ (٣)
أتى ابنُ سلامٍ يُؤثِرُ الحقَّ مِلّةً وينظُرُ ما تأتي النُّفُوسُ العوازِفُ (٤)

= أظهركم بعد أن هداكم الله إلى الإسلام وأكرمكم به ؛ وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر وألف بين قلوبكم » فعرف القوم أنها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس الرجال من الخزرج ، ثم انصرفوا مع رسول الله ﷺ سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد « شاس بن قيس » . فأنزل الله تعالى فى «شاس بن قيس» ﴿يا أَهْلَ الْكتابِ لم تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوجًا﴾ [آل عمران: ٩٩] [الرحيق المختوم ص ٢٥٤ ، عيون الأثر : ١/ ٢٦٠].

(١) رقاق المواضى : هى السيوف . والرواعف : الدم إذا سال ، وبُعاث : موضع فى الجنوب الشرقى من المدينة . وفيه حصن للأوس . ويوم بُعاث كانت فيه حرب بين الأوس والخزرج فى الجاهلية . وفى أخبار عائشة . رضى الله عنها : . . وعندها جاريتان تغنيان بما قيل يوم بُعاث » قال قيس بن الخطيم .

ويوم بُعاث أسلمنا سُيوفنا إلى نسبٍ فيجذْم غسَّان تاقبِ

[البخارى فى العيدين : ٢ ، ح : ٩٤٩ ، مسلم : فى العيدين : ٤ ، ح : ٨٩٢] .

(٢) عازب : غائب .

(٣) ذوارف : من ذرف الدمع إذا سال .

(٤) جاء النبى إلى دار أبى أيوب فأسلم وكتم إسلامه عن اليهود ، ورجع فقال : لقد علموا أنى سيدهم وابن سيدهم . وأعلمهم وابن أعلمهم . فادعهم فاسألهم عنى قبل أن يعلموا إسلامى فإنهم إن يعلموا إسلامى قالوا فىَّ ما ليس فىَّ . فاخبئنى يا رسول الله قبل أن يدخلوا عليك . فأرسل إليهم فجاؤوا وقال لهم : « **يا معشر يهود ويلكم اتقوا الله فوالله الذى لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنى رسول الله حقًا وأنى جئتكم بحق ، أسلموا** » . قالوا : ما نعلمه ، فأعادها عليهم ثلاثا وهم يجيبونه كذلك ، قال : «**فأى رجل فيكم ابن سلام** » قالوا : سيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : «**أرأيتم إن شهد أنى رسول الله وآمن بالكتاب الذى أنزل على تؤمنوا بى** » . قالوا حاشى الله ما كان =

تـسلّلَ يستخفي وأقبلَ قومُه ... ولـلـؤمِ منـهـم مـا تَـضـمُّ المـلاحـفُ
فـقيـل اشهـدوا قـالوا عـرفنـاه سيّداً ... تجلُّ مَسـاعـيـه وتعلـو المـواقـفُ
هو المرءُ لا نـأبَى من الدّينِ مـا ارتَضى ... ولا نَـدَعُ الأمـرَ الـذي هـو آلِـفُ
فـلـمّـا رأوهُ خـارجـاً يَنطُـق التي ... هـي الحقُّ قـالـوا عـاثِـرُ الرأيِ عـاسِـفُ
ظنـنّا بـه خَيـراً ولا خيـرَ في امرئٍ ... أبـوه أبو سُـوءٍ عـلى الـشـرِّ عـاكـفُ
ظـلمـنـاهُ لم يُـوصَفْ بمـا هـو أهلُـه ... فـمـاذا لـه إن أخطأ الرُّشـدَ واصـفُ؟
تَـرَامَـوْا بـألقـابٍ إذا مـا تتـابعـت ... تـتـابـعَ شُـؤبـوبٌ مـن الذمِّ واكِـفُ (١)
أهـاب أبـو أيـوب ردوا حـلـومـكـم ... أعـند رسـول اللـه تـلـقى المـآزف (٢)
وقال الـرسولُ اسْتَشعـرُوا الحلمَ إنّـما ... يَسـودُ ويستعلِي الحليمُ المُلاطِفُ (٣)
أتُؤذونَ عـبـدَ اللّـه أن يتـبعَ الـهُـدى ... فـيـا ويحَـهُ من مـؤمـنٍ مـا يُقـارِفُ (٤)
أهـذا هو الـعـهـدُ الـذي كـان بيـننـا ... أهذا الـذي يَجْـني العـقيـدُ المحـالفُ (٥)
تَولَّـوا غـضابـا ما تَـثـوبُ نُفـوسُـهم ... ولا تَرْعَـوِي أحـقـادُهـم والكـتـائفُ (٦)
يُذيـعونَ مـكروهَ الحـديثِ ومـا عَـسى ... يـقـولـون والـفُـرقـانُ بـالحقِّ هـاتِـفُ
إذا بَـعـثـوا من بـاطلِ الـقـولِ فـتنـةً ... تَلـقّـفـهـا مـن صـادقِ الوحـيِ خـاطِـفُ

= ليسلم . فدعاه: «يا ابن سلام أخرج عليهم» ، فخرج : إليهم فقال : يا معشر اليهود: ويلكم اتقوا الله . والله الذى لا إله إلا هو ، إنكم لتعلمون أنّه رسول الله حقا، وإنّه جاء بالحق . فقالوا : كذبت ، أنت شرنا وابن شرنا ، فأخرجهم رسول الله ﷺ، ونزلت فى ذلك ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأحقاف: ١٠] رواه البخارى من حديث عبد العزيز بن صهيب . العوازف: جمع عازف ، وهو المنصرف .

(١) ترامـوا بألقاب : الألقاب المكروهة يتنابز بها القوم، والشؤبوب : الدفعة من المطر، وواكف: من وكف إذا سال.

(٢) المآزق : الأقذار .

(٣) استشعروا : استشعر الرجل الشيء جعله شعاره .

(٤) قارف الذنب : خالطه .

(٥) المحالف : المعاقد والمعاهد .

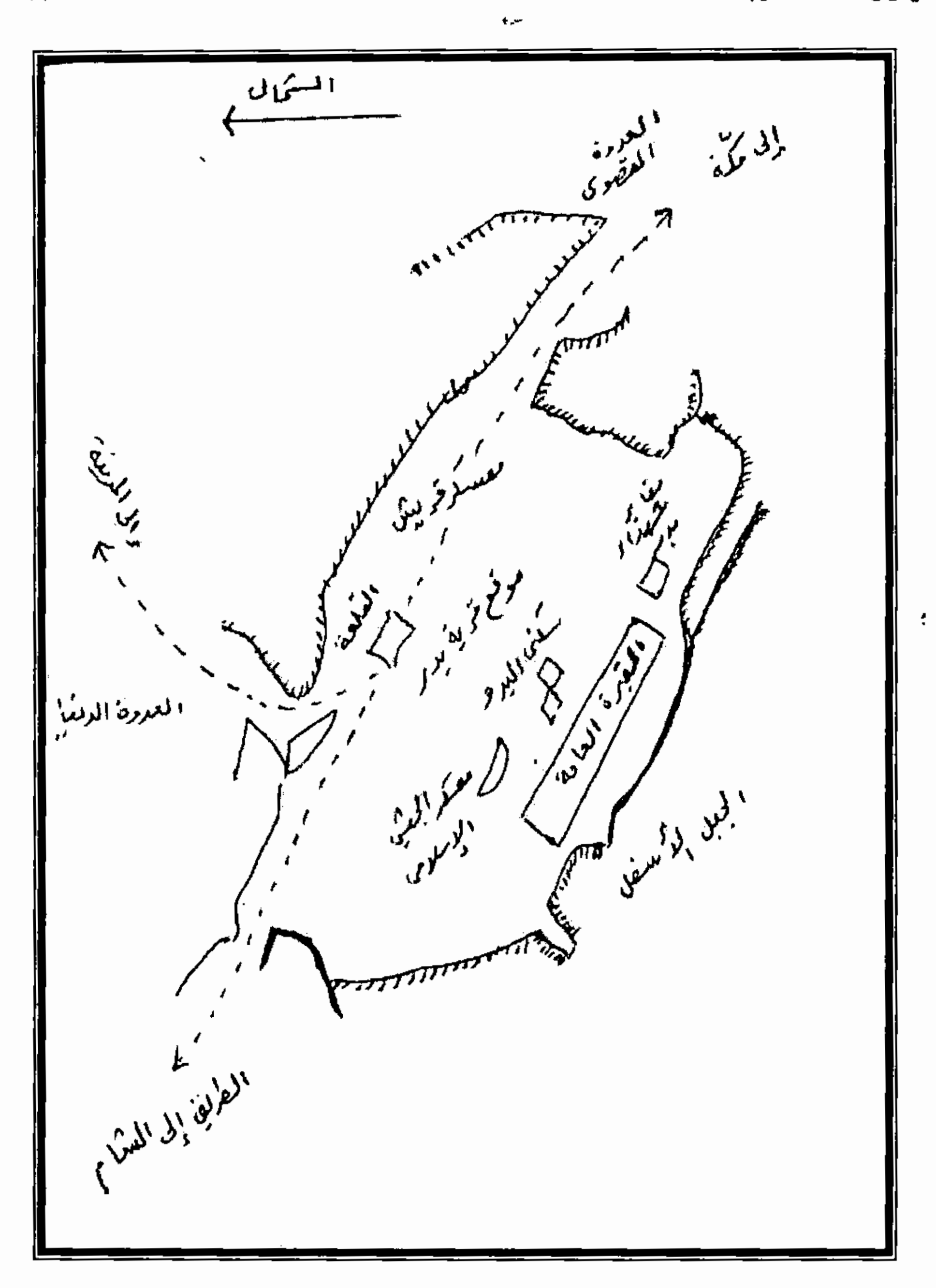
(٦) تثوب : تاب ورجع بعد ذهابه . والكتائف : جمع كتيفة وهى السخيمة والحقد .

يـشـايعـهم فـى القـوم كلُّ مـنافـق ... إلـى كـل ذى مـشـنـوءةٍ هـو دالـف[1]
شديـد الأذى يبدى من الـقول زخـرفً ... وكـالـسـم منه مـا تـوارى الزخـارف
زحـالـفُ سـوءٍ مـا يكـفُّ دبـيـبـهـا ... وأهـون شـىء أن تـدب الزحـالـف [2]
أقـاموا عَلَـى ظلم كـأن لم يكن لـهم ... مـن العـدل يـومًـا لا مـحـالـة آزف [3]
لـكل أنـاس يـعكـفـون علـى الأذى ... مـعـاطـب مـن أخـلاقـهـم ومـتـالـف
رويد يـهود هـل لهـا فى حـصـونهـا ... من الـبـأس إلا مـا تظـن السَّلاحـف ؟
يظـنون أن لـن ينـسف الـله مـا بـنوا ... ولـن يثـبـت الـبـنـيـان والـلـه ناسـف
سـيلـقـون بؤسًـا بعـد أمـن ونعـمـة ... فلا الـعيش فـيَّاح . ولا الـظلُّ وارف[4]

* * *

---

(١) المشنوءة . البغض والعداوة ـ دالف : ساع .
(٢) الزحالف : دواب صغار لها أرجل تمشى شبه النمل.
(٣) آزف : من أزف بمعنى قرب .
(٤) الفياح : الواسع ، ووارف الظل : اتسع وطال وامتد .



خريطة غزوة بدر

غزوة بدر الكبرى

كان عدد الغزوات ثلاثين غزوة شهد النبي ﷺ تسعًا وعشرين منها ، وغاب عن واحدة هي غزوة مؤته ، فأما التي شهدها فهي : عزوة ودان ـ العشيرة ـ سفوان ـ بدر الكبرى ـ بني سليم ـ بني قينقاع ـ السويق ـ قرقرة الكدر ـ ذي أمر ـ بحران ـ أحد ـ حمراء الأسد ـ بني النضير ـ ذات الرقاع ـ بدر الآخرة ـ دومة الجندل ـ بني المصطلق ـ الخندق ـ بني قريظة ـ بني لحيان ـ ذي قرد ، الحديبية ـ خيبر ـ وادي القرى ـ عمرة القضاء ـ حنين ـ الطائف ـ تبوك ـ فتح مكة . وقد استثنى الناظم من هذه الغزوات ما لا مجال فيه للقول .

كان خروج المسلمين لغزوة بدر يوم السبت قال ابن هشام لثمان ليال خلون منهوقال ابن سعد لاثنتي عشرة ليلة خلت منه . أما الحرب فكانت يوم الجمعة صبيحة سبعة عشر من رمضان وهو الشهر التاسع عشر بعد الهجرة ، وكان عددهم ٣١٣ وقيل ٣١٤ وقيل ٣١٥ رجلا، وكان عدد الكفار ٩٥٠ وقيل: ألفًا قتل منهم ٧٠ وأسر ٧٠ رجلا ، فأما المسلمون فقد استشهد منهم ١٤ رجلا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار .

مـا لـلـنفـوس إلـى العَـمـايـةِ تجنـحُ؟ أتظـنُّ أنّ السـيفَ عنـهـا يَصـفحُ؟ (١)

داويـتَ بالحـسنَـى فـلـجَّ فـسـادُهـا ولديـك إن شئْـتَ الدواءُ الأصـلحُ (٢)

الإذنُ جـاءَ فـقـل لـقـومِـكَ أقـبلـوا بالبـيضِ تَبـرقُ والصّـوافنِ تَضـبحُ (٣)

---

(١) تجنح : تميل .

(٢) الخطاب للرسول الكريم ﷺ .

(٣) كانت الآيات التي نزلت بمكة تحض على الصبر واحتمال الأذى ، فلما قويت شوكة الإسلام بعد الهجرة نزلت الآيات بالقتال . وكان مبدؤها في الثاني عشر من شهر صفر من السنة الثانية وأولها ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩] وقيل : إن الآية الأولى هي ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾ [التوبة: ١١١] . وعن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : أمرت أنْ أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها ، =

أفيطمعُ الكُفّارُ ألا يُؤاخذوا ... بل غرّهم حِلمٌ يُمَدُّ ويُفسَحُ
أَمِنُوا نكالكَ فاستبدَّ طُغاتُهم ... أفكنتَ إذ تُزجِي الزواجرَ تَمزحُ؟
لا يستحون ولو تأذن ربهم ... عرفوا اليقين وأوشكوا أن يستحوا
أملي لهم حتّى إذا بلغوا المدَى ... ألْوَى بهم خَطبٌ يجلُّ ويَفدحُ (١)
مِن ناقضٍ عَهداً ومن مُتمّردٍ ... يُمسِي على دِينِ الغُواةِ ويُصبِحُ
لّما استقامَ الأمرُ لاحَ بشيرُها ... غُرٌّ سوافِرُ من جَبينكَ تُلمحُ
ظَمِئت سيوفُكَ يا مُحمّدُ فَاسْقِها ... من خيرِ ما تُسقَى السُّيوفُ وتُنضَحُ (٢)
فَجِّرْ يَنابيعَ الفُتوحِ فَرِيُّها ... ما تَستبيحُ من البلادِ وتَفتحُ
الظَمُ أوردَها الغليلَ وإنَّهُ ... لأشدُّ ما تَجدُ السُّيوفُ وأبْرَحُ (٣)
اليومَ تُورِدُها الدّماءَ فترتوي ... وتردُّها نَشوَى المُتونِ فتفرحُ
المشركونَ عَمُوا وأنتَ مُوكَّلٌ ... بالشّركِ يُمحَى والعَمايَةِ تُمسَحُ
خُذهم ببأسِكَ لا تَرُعْكَ جُموعهُم ... فَلأنتَ إن وزنوا الكتائبَ أرجَحُ
ضَلّوا السَّبيلَ وفي يمينكَ ساطعٌ ... يَهدِي النفوسَ إلى التي هي أوضَحُ
هَفتِ العَشيرةُ إذ نَهضتَ تُريدها ... والعِيرُ دائبةٌ تَشُطُّ وتنزَحُ (٤)

= وحسابهم على الله تعالى . وكان الصحابة يأتون النبى بمكة بين مضروب ومشجوج فيقول : « **اصبروا فإنى لم أومر بالقتال** ». والضبح : صوت الخيل (دون الصهيل ـ أو عدوها . والصوافن : الخيل) .

(١) أملى له : أمهله وطول له ، ألوى بالرجل وبالشيء : ذهب به .

(٢) تنضح : بمعنى تسقى .

(٣) الغليل : حرارة العطش .

(٤) العشيرة موضع لبنى مدلج بينبع ، خرج إليها النبى ﷺ فى جمادى الأولى وليالى من جمادى الآخرة من السنة الثانية من الهجرة ،وذكر ابن هشام أنها كانت فى جمادى الآخرة على رأس ستة عشر شهرا فى ١٥٠ وقيل فى ٢٠٠ رجل من المهاجرين ، واستعمل على المدينة أبا سلمة ابن عبد الأسعد يريد عيرًا لقريش سارت من مكة إلى الشام للتجارة كانت ألف بعير تحمل ما قيمته خمسون ألف دينار . وكان قائدها أبو سفيان ابن حرب ومعه مخرمة بن نوفل ، وعمرو بن العاص، فلم يدركها النبى ﷺ. فلما =

تَمشِي مَواقِرَ فِي غَوارِبِها العُلى أَموالُ مكّةَ فَهْيَ مِيلٌ جُنَّحُ (١)
عُدْ بِاللواءِ وَقُلْ لِحمزةَ إنّهم رَهْنٌ بِمُرْزِمَةٍ تَسُحُّ وتَدلَحُ (٢)
تَهوِي غَداةَ الرَّوعِ في طُوفانِها مُهجُ الفوارسِ والمنايا تَسبَحُ (٣)
هذا الفتى الفِهريُّ أقبلَ جامحاً يغزو المدينةَ والمضلَّلُ يَجمحُ (٤)
ولَّى يَسوقُ السَّرْحَ لو لم تُولِهِ سَعةً لضَاقَ به الفضاءُ الأفيحُ (٥)
دعه فإنّ له بمكةَ مشهداً يُرضيكَ والشهداءُ حولكَ تُطرَحُ (٦)
ذَهَبَ ابنُ حربٍ في تجارةِ قومِهِ ولَسوفَ يَعلَمُ من يَفوزُ ويَربحُ (٧)

= عادت من الشام خرج إليها ،قيل: إنها كانت سببًا لوقعة بدر ،وكان اللواء فى العشيرة لحمزة بن عبد المطلب ،وفى هذه الغزوة عقدت معاهدة بين الرسول الكريم ﷺ وبين بنى مدلج . وكانوا حلفاء بني ضمرة. وفيها كنىّ رسول الله ﷺ عليا أبا تراب ، حين وجده نائما هو وعمّار ابن ياسر ، وقد علق به تراب . فأيقظه عليه السلام برجله .وقال له : مالك يا أبا تراب. وتشط : تبعد .

(١) مواقر : محملة أحمالا ثقيلة .

(٢) رهن بمرزمة : من أرزم الرعد إذا اشتد صوته ، والمراد غارة أو وقعة هذه صفتها ، تدلح : يقال: سحابة تدلح إذا كانت كثيرة الماء ، وأصله أن يمشى الرجل أو غيره منقبض الخطو لثقل حمله .

(٣) الروع بمعنى الحرب وأصله الفزع .

(٤) الفتى الفهرى : هو كرز بن جابر الفهرى ، كان من رؤساء المشركين أغار على سرح من الإبل والمواشى كان بالمدينة بعد رجوع النبى ﷺ من العشيرة بليال . فخرج ﷺ يطلبه . فلما بلغ سفوان ـ موضع من ناحية بدر ـ فاته كرز ، وكان اللواء بيد على بن أبى طالب ـ أسلم كرز وصحب وأمر على سربة ، وقتل فى فتح مكة رضي الله عنه .

(٥) الأفيح : الواسع .

(٦) إشارة إلى إسلام كرز بن جابر واستشهاده.

(٧) كان أبو سفيان يتجسس أخبار النبى ﷺ ، فلما علم بخروجه مع الجيش أرسل ضمضم ابن عمرو الغفارى يستنفر قريشًا بمكة ،واستأجره بعشرين مثقالا على أن يأتى مكة ويجدع أنف بعيره ، ويشق ثوبه من قبل ومن دبر ثم يصرخ ببطن الوادى على بعيره . اللطيمة اللطيمة ـ هى العير تحمل الطيب والبز ـ أموالكم مع أبى سفيان قد عرض لها محمد ، إنكم إن أصابها لن تفلحوا أبدا ،الغوث، الغوث فنفر الناس وتخلف أبو لهب.

نَسرٌ مضى مُتصيِّداً ووراءه يومٌ تُصادُ به النُّسورُ وتُذبَحُ
بَيْنا يَحيدُ عن السّهامِ أصابَهُ نَبأٌ تُصابُ به السّهامُ فتُجرَحُ
بَعثَ ابنَ عمرو ما لكم من قُوّةٍ إنْ مالكُم أمسى يُلمُّ ويُكسَحُ (١)
واهًا قريش إنه الدم ، فاعلموا من دون بيضتكم يراق ويسفح
تَرِدونَ بَرْدَ الأمنِ والنّارُ التي أنتم لها حَطبٌ تُشَبُّ وتُقدَحُ
إن كنتُ لم أُفصِحْ لخطبٍ هالَني فسلوا بَعيري إنّه هو أفصَحُ
وخُذُوا النّصيحَةَ عن قَميصي إنّه لأَجَلُّ من يَعظُ النّيامَ ويَنصحُ
إنّي صَدقتكمُ البلاغَ لِتعلموا وجبالُ مَكّةَ شُهّدٌ والأبطُحُ
جَفلتْ نفوسُ القومِ حتى ما لها لُجُمٌ تَرُدُّ ولا مقاوِدُ تَكْبَحُ (٢)
وأبَى أبو لَهَبٍ مَخافةَ ما رأتْ في النّومِ عاتكةٌ فما يتزحزحُ (٣)

(١) يكسح : يؤخذ كله .

(٢) جفلت : انزعجت .

(٣) نفر الناس للقتال وتخلف أبو لهب لرؤيا رأتها عاتكة ابنة عبد المطلب عمة النبيﷺ (مختلف فى إسلامها) بعثت عاتكة إلى أخيها العباس ، فلما جاءها قالت بعد أن أوصته بالكتمان خوفا من كفار قريش : رأيت راكبًا أقبل على بعير له حتى وقف بالأبطح ثم صرخ بأعلى صوته : ألا انفروا يا آل غدر إلى مصارعكم فى ثلاث ، فأرى الناس اجتمعوا إليه ، ثم دخل المسجد والناس يتبعونه ، فبينما هم حوله رأيت بعيره مثل به على ظهر الكعبة ، ثم صرخ بمثلها . ثم مثل به بعيره على رأس أبى قبيس فصرخ بمثلها. ثم أخذ صخرة فأرسلها فأقبلت تهوى،حتى إذا كانت بأسفل الجبل ارفضت فما بقى بيت من بيوت مكة ولا دار إلا دخلها منها فلقة.
قال العباس : إنها لرؤيا عظيمة فاكتميها . وخرج فلقى الوليد بن عقبة وكان صديقًا له فذكرها واستكتمه ، فذكرها الوليد لأبيه ، فتحدث بها وفشا الحديث . ومر العباس على أبى جهل وهو فى رهط من قريش يتحدثون بهذه الرؤيا فقال له : يا أبا الفضل إذا فرغت من طوافك فأقبل إلينا . فلما رجع قال له أبو جهل : يا بنى عبد المطلب متى حدثت فيكم هذه النبية ؟ أما رضيتم أن يتنبأ رجالكم حتى تتنبأ نساؤكم ؟
جاء ضمضم بن عمرو الغفارى إلى مكة بعد هذه الرؤيا بثلاثة أيام وفعل ما فعل فكان ذلك مصداقا لها ـ بعث أبو لهب مكانه العاص بن هشام بن المغيره وكان له أربعة آلاف =

وأرى أُمــيَّــةَ لـو تـأخَّــرَ حَـيْـنُـهُ | لـراَه عُـقْـبَـةُ ثـاوياً مــا يـبـرَحُ (١)
يَرمـيـه بـالـهَـذَرِ القـبـيـحِ يَلـومُـهُ | ويَـسُـومُـهُ الخُـلُـقَ الذي هـو أقـبَـحُ
غَـشَّـاهُ سَـعـدٌ رَوعـةً مـا بـعـدهـا | لِذَوي المخـافةِ في السّـلامةِ مَـطمحُ (٢)
نَـفـروا يُـريدونَ الـقِـتـالَ وغـرَّهـم | عَبـثُ اللواتي في الـهوادجِ تَـنبحُ (٣)
عـنَّـتْ بهــجـوِ المـسـلِـمـينَ وإنّهـا | لأَضـلُّ من يَـهـجـو الـرجـالَ ويمـدحُ
الضّـاربـاتُ علـى الدُّفـوفِ فـإن هُـم | ضَـربوا الـطُّلى فـالنّـادباتُ الـنُّوَّحُ (٤)
تـلـك المـآتم مـا تـزال ثـقـالـهـا | تمشـي الوئيـد بهـا المطـايا الطـلح (٥)

= درهم دينًا عليه ثم عجز عن أدائها فجعلها أجرًا له ـ وقد قتل العاص فى غزوة بدر بيد عمر بن الخطاب .

(١) هو أمية بن خلف ، أراد التخلف وكان شيخًا ثقيلا فجاءه عقبة بن أبى معيط وهو جالس مع قومه بمجمرة فيها بخور ثم وضعها بين يديه وقال له : استجمر فإنما أنت من النساء. وكان أبو جهل هو الذى دعا عقبة إلى ذلك ، ومن قول أبى جهل لأمية : إنك سيد أهل الوادى فإن تخلفت تخلفوا ـ فتجهز وخرج وكان سبب تثبطه ما ذكره البخارى فى الصحيح من حديثه مع سعد بن معاذ وأبى جهل بمكة وقول سعيد له : إنى سمعت رسول الله ﷺ إنّه قاتلك . قال ابن سيد الناس : والمشهور أن النبى قال ذلك لأخيه أبى بن خلف بمكة قبل الهجرة . وهو الذى قتله النبى ﷺ بعد ذلك يوم أحد بحربته ، وهذا أيضا لا يتنافى مع خبر سعد . [عيون الأثر ـ ١/ ٢٩٤] . والحين : الموت ، والثاوى : المقيم .

(٢) سعد بن معاذ ، قدم مكة معتمرًا فنزل على أمية كما كان ينزل هو عليه بالمدينة فى طريقة إلى الشام ، فأخبره أن النبى ﷺ سيقتله ـ والمراد جند النبى ﷺ ـ فكان هذا سبب خوفه وكراهته للخروج .

(٣) خرجت قريش ومعها النساء يضربن على الدفوف ويغنين بهجو المسلمين ، وكان من زعمائهم أبو جهل . وعتبة وشيبة ابنا ربيعة . وحكيم بن حزام (أسلم بعد ذلك) وأبو البخترى بن هشام ، وزمعة بن الأسود ، والنضر بن الحارث . والعباس بن عبد المطلب ـ وأبى بن خلف ، ونبيه ومنبه ابنا الحجاج. وكان حامل لوائهم السائب بن يزيد (أسلم).

(٤) الطلى : الاعناق أو أصولها جمع طلية أو طلاة .

(٥) الوئيد : المشى فى بطء . وطلحت المطايا : أعيت .

أخذوا السّلاحَ وقد أغار لأخذهم | جُندٌ بآياتِ الكتابِ مُسلَّحُ
فيهم من الأنصارِ كلُّ مُشيَّعٍ | يَمضي إذا نَكصَ اليراعُ الزُّمَّحُ (١)
كانوا على عهدٍ مضى فأتمّهُ | لإلهِهِمْ عهدٌ أبرُّ وأسمحُ (٢)
سَعدٌ يُهيبُ بهم وسعدٌ قائمٌ | تحت اللواءِ بسيفهِ يتوشَّحُ (٣)
ما أصدقَ المقدادَ حين يَقولُها | حَرَّى وبعضُ القولِ نارٌ تَلْفَحُ (٤)
إنّا وراءكَ يا مُحمَّدُ نَبتَغي | ما اللّهُ يُعطي المتَّقينَ ويَمنَحُ
لسنا بقومِ أخيكَ مُوسى إذ أبَوْا | إلا القُعودَ وسُبَّةً ما تُضرَحُ (٥)
هذا عليٌّ في اللّواءِ ومُصعبٌ | والنّصرُ في عِطْفَيْهِما يَترنَّحُ (٦)

(١) اليراع : الجبان ، والزمح : الضعيف .

(٢) خرج الأنصار فى هذه الغزوة ولأول مرة لأنهم حين بايعوا النبى ﷺ بالعقبة قالوا له: إنا براء من ضمانك ـ أى مناصرتك ـ إلا أن تكون فى دارنا ـ فلما كانت غزوة بدر أراد معرفة ما عندهم فقال سعد بن معاذ سيد الأوس كما قال المقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود :يا رسول الله إمض لما أمرك الله فنحن معك .لسنا نقول لك ما قال بنو إسرائيل لموسى عليه السلام ﴿فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾[المائدة: ٢٤]ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال . فسر النبى يقول سعد ، ونشطه ذلك ، ثم قال : سيروا وأبشروا ، فإنّ الله قد وعدنى إحدى الطائفتين ، والله لكأنى الآن أنظر إلى مصارع القوم .

(٣) الأول : سعد بن عبادة كان يأتى دور الأنصار يحضهم على الخروج ، وقد لدغته ﷺ حية فتخلف وقال النبى: « **لئن كان سعد لم يشهدها (الغزوة) لقد كان عليها حريصًا** » ثم ضرب له بسهمه وأجره ، والثانى سعد بن معاذ ، وتوشح بسيفه : تقلد به .

(٤) لفحته النار : أحرقته .

(٥) ضرح الشيء : دفعه ونحاه .

(٦) عقد النبى ﷺ لواء أبيض ودفعه إلى مصعب بن عمير ، وكان أمامه ﷺ رايتان سوداوان إحداهما مع على بن أبى طالب ،والثانية مع سعد بن معاذ . وقيل : مع الحباب بن المنذر قال ابن سعد : كان لواء المهاجرين مع مصعب بن عمير ولواء الخزرج مع الحباب ابن المنذر ، ولواء الأوس مع سعد بن معاذ . وعن ابن عباس أن النبى ﷺ أعطى عليا الراية وهو ابن عشرين سنة ، ولبس النبى ﷺ درعه (ذات الفضول) وتقلد سيفه (العضب) .

حَمَلا لِوَائَيْهِ فلو صدحَ الهُدى ... في مَشهدٍ جَلَلٍ لأقبلَ يَصدحُ
هذا رسولُ اللّهِ مَن يكُ مُؤمناً ... فإليهِ إنّ طريدَه لا يُفلِحُ
الموتُ في يدهِ وعندَ لوائِه ... ريحُ الجِنانِ لِمَنْ دَنا يَسْتَروِحُ (١)
إن يَملكِ الماءَ العدوُّ فقد هَمَى ... سَيْلٌ جرى شُؤبوبهُ يتبطَّحُ (٢)
هِيَ دعوةُ الهادي الأمينِ ونفحةٌ ... مِمّن يَسوقُ الغيثَ فيما يَنفحُ
مَكَرَ الحُبَابُ بهم فغوّرَ ماءَهم ... والمكْرُ في بعضِ المواطنِ أنجحُ (٣)
نبِّئ عُمَيْرُ سَراةَ قومِكَ إنّهم ... زَعموا المزاعمَ والحقائقُ أرْوَحُ (٤)
نبِّئهمُ الخبرَ اليقينَ وصِفْ لهم ... بَأْسَ الأُلى جَمعوا لهم وتبجَّحوا
وَاذْكُرْ سَمِيَّكَ إذ يقولُ محمَّدٌ ... ارجِعْ عُمَيْرُ فدمعُه يتسحَّحُ (٥)
أذِن النبيُّ له فأشرقَ وجهُهُ ... ولقد يُرى وهو الأحمُّ الأكفحُ (٦)

---

(١) استروح الشيء تشممه .

(٢) سبق المشركون المسلمين إلى الماء ببدر فلقى الأولون عناء، ودعا النبى ﷺ فانهمرت السماء فشربوا واختزنوا واغتسلوا وصلوا ، وصلح موقع الجيش وكانت الأرض هشة تسوخ فيها الأقدام ، تبطح السيل : اتسع فى البطحاء وسال عريضًا .

(٣) الحباب بن المنذر أشار على النبى ﷺ أن ينزل بالجيش عند أقرب ماء من القوم ففعل وأمر بالقلب فغورت . وبنى حوضًا على القليب الذي نزل عليه كما رأى الحباب فعطش الكفار عطشًا شديدًا ووهنت قواهم .

(٤) عمير بن وهب الجمحى (أسلم بعد ذلك) أرسلته قريش ليرى كم عدد المسلمين فجال بفرسه حول العسكر وعاد يقول: يا معشر قريش ، البلايا تحمل المنايا ، رجال يثرب تحمل الموت الناقع ، ألا ترونهم خرسًا لا يتكلمون ؟؟ يتلمظون تلمظ الأفاعى ، لا يريدون أن يقبلوا إلى أهليهم ، زرق العيون كأنهم الحصى تحت الحجف : ليس لهم منعة إلا سيوفهم.

(٥) عمير بن أبى وقاص أخو سعد بن أبى وقاص ، خرج للغزو مع المسلمين وكان عمره ست عشرة سنة فأمر النبى ﷺ بردّه لصغر سنه فبكى فأذن له فى القتال .

(٦) الأحم والأكفح كلاهما بمعنى الأسود .

بَطلٌ من الفتيانِ يَحملُ في الوغى ما يَحملُ البطلُ الضّليعُ فيرزحُ (١)
قُلْ يا حَكيمُ فما بعُتْبَةَ رِيبةٌ مولى العشيرةِ للمُهِمّ يُرشَّحُ (٢)
نَصحَ الرجالَ فَردَّهم عن نصحهِ نَشوانُ يملأُهُ الغرورُ فيطفحُ (٣)
رَبٌّ اسْقهِ بيدِ النّبيِّ مَنيَّةً بعذابِكَ الأوفى تُشابُ وتُجدَحُ (٤)

---

(١) الضليع : القوى الشديد الأضلاع . والرازح الهالك هزالا .

(٢) حكيم بن حزام ، لما سمع مقالة عمير بن وهب أتى عتبة بن ربيعة وقال ؛ يا أبا الوليد إنك كبير قريش وسيدها المطاع . هل لك أن تذكر بخير إلى آخر الدهر . قال : وما ذاك يا حكيم ؟ قال : ترجع بالناس وعليك أن تحمل دم عمرو بن الحضرمى الذى قتله عبد الله بن واقد فى سرية بن جحش وتعوض على الناس ما أصاب المسلمون من الغنائم فإنك ذو مال كثير وقريش لا تريد سوى ذلك ، فقبل عتبة وركب جملا له أحمر طاف به على القوم وهو يقول: يا قوم أطيعونى ، على دم الحضرمى وما أخذ من العير ، أنشدكم الله فى الوجوه التى تضىء ضياء المصابيح (يعنى وجوههم) أن تجعلوها أندادًا لهذه الوجوه التى كأنها عيون الحيات (يعنى وجوه الأنصار) يا قوم اعصبوها اليوم برأسى وقولوا : جبن عتبة .

(٣) هو أبو جهل ، بعث عتبة إليه حكيم بن حزام يبلغه رأيه فغضب وأفسد على الناس نصحه قائلا . انتفخ والله سحره (رئته) حين رأى محمدا وأصحابه ، والله لا نرجع حتى يحكم الله بيننا وبين محمد . وما بعتبه ما قال ، ولكنه قد رأى محمدا وأصحابه أكلة جزور ، وفيهم ابنه قد تخوّف عليه . وبعث إلى عامر ابن الحضرمى يقول :هذا حليفك عتبة يريد الرجوع بالناس ، فاطلب أنت بدم أخيك . فجاء عامر وكشف عن دبره وحثا التراب على رأسه وصرخ : واعمراه . واعمراه .

فثارت النفوس ، وأخفق المسعى . وأفسد على الناس الرأى الذى دعاهم إليه عتبة . فلما بلغ عتبة قول أبى جهل : « انتفخ والله سحره » قال : سيعلم مصفر استه من انتفخ سحره : أنا أم هو ، ثم التمس عتبة بيضة ليدخلها فى رأسه ، فما وجد فى الجيش بيضة تسعة من عظم هامته ، فلما رأى ذلك اعتجر (اعتم على رأسه بثوب) على رأسه ببرد له .

رأى النبى ﷺ عتبة وهو يطوف على جمله ينصح الناس . فقال ﷺ :« **إن يكن فى أحد من القوم خير ففى صاحب الجمل الأحمر ، إن يطيعوه يرشدوا** » .

(٤) تجدح : تخلط .

إيه أبا جهلٍ نُصِرتَ بفارسٍ ... يَلقى المنيَّةَ منه أغلبُ شيِّحُ (١)
أرداهُ حَمزةُ عِندَ حوضِ محمّدٍ ... فانظر أتُقْدِمُ أم تَحيدُ وتَكفَحُ (٢)
رامَ الورود فما انثنى حتّى ارتوت ... من حوضِ مُهجته المنايا القُمَّح (٣)
جدّ البلاءُ وهب إعصارُ الردى ... يرمي بأبطال الوغى ويطوّح
نظر النبيُّ فضجَّ يدعو ربَّه ... لا هُمَّ نصرَكَ إنّنا لك نكدح (٤)
تلك العصابةُ ما لدينك غيرها ... إن شدّ عادٍ أو أغارَ مُجلِّح (٥)
لولا تُقيمُ بناءَهُ وتحوطُهُ ... لعفا كما تعفو الطُّلُولُ وتَمصَحُ (٦)
لا هُمَّ إن تَهلكْ فما لك عابدٌ ... يغدو على الغبراء أو يَتروَّحُ (٧)
جاشت حَمِيّتُه وقام خليلُهُ ... دُونَ العريشِ يَذودُ عنه ويَنضَحُ (٨)

---

(١) هو الأسود المخزومى كان شرسًا سيء الخلق . قال : أعاهد الله لأشربن من حوضهم (المسلمين) أو لأهدمنه ، أو لأموتن دونه ، ثم أقبل فضربه حمزة بن عبد المطلب فوقع صريعًا ، ولكنه زحف إلى الحوض ليصدق فى يمينه ، فقتله حمزة فى الحوض . وهو أول قتيل من المشركين فى بدر . [الشيِّح] المقاتل أو الجاد فى الأمر .

(٢) كفح بمعنى جبن .

(٣) يقال إبل قمح ؛ أى : رافعة الرؤوس ، غاضة العيون . وهذا إذا رويت من الماء .

(٤) يكدح : يسعى ويعمل .

(٥) المجلح ـ المقدم من جلح السبع على القوم إذا حمل عليهم .

(٦) تمصح : من مصحت الدار إذا اندرس أثرها .

(٧) تروح : سار فى الرواح ؛ أى : العشى ، وفى الأبيات إشرة إلى دعاء النبى ﷺ ربه بقوله : «**اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد بعدها فى الأرض**» وجعل يهتف بربه عزّ وجلّ : «**اللهم انجزلى ما وعدتنى اللهم نصرك**» ويرفع يديه إلى السماء حتى سقط الرداء عن منكبيه . وجعل أبو بكر يلتزمه من ورائه ، ويسوى عليه رداءه . ويقول مشفقا عليه من كثرة الابتهال : يا رسول الله بعض مناشدتك ربك فإنّه سينجز لك ما وعدك . [رواه مسلم فى الجهاد ـ ح ١٧٦٣ ، والترمذى فى التفسير : ح ٣٠٨١ ، وأحمد : ١/ ٣٠ و ٣٢ و ١١٧] .

(٨) خليله ـ أبو بكر ، والعريش الذى أشار سعد بن معاذ ببنائه للنبى ﷺ ليشرف منه على المعركة، وينضح: يدافع .

وتَغولَّتْ صُورُ القتالِ فأقبلا والأرضُ من حَوْلَيْهما تَترجَّحُ (١)
في غَمرةٍ ضَمِنَ الحِفاظُ لِقاحَها فالحربُ تَسدحُ بالكُماةِ وتردَحُ (٢)
استَبْقِ نفسَك يا أبا بكرٍ وقِفْ إن ضَجَّ من دمِك الزَّكيِّ مُصيِّحُ (٣)
أعرِضْ عن ابنك إنّ موتكَ للّذي حمل الحياةَ إلى الشعوبِ لَمُترِحُ (٤)
صلّى عليه اللّهُ حين يقولُها والحربُ تَعصِفُ والفوارسُ تَكلَحُ (٥)
اللّهُ لا ولَدٌ أحبُّ ولا أبٌ منه فأينَ المُنتأى والمنزحُ؟ (٦)
أفما رأيتَ أبا عُبيدةَ ثائراً وأبوه في يده يُتَلُّ ويُسْطَحُ (٧)
بَطلٌ تخطَّرَ أم تخطّرَ مُصعَبٌ صُلْبُ القرا ضَخْمُ السَّنامُ مُكبَّحُ (٨)
أرأيتَ إذ هزمَ النبيُّ جُموعَهم فكأنّما هَزمَ البغاثَ المَضْرَحُ (٩)
هي حِفنةٌ للمشركينَ من الحَصى خَفَّ الوقورُ لها وطاشَ المِرْجَحُ (١٠)
مِثلُ الثَّميلةِ من مُجاجةِ نافثٍ وكأنّما هي صَيِّبٌ يَتبذَّحُ (١١)

---

(١) وتغولت : تلونت ، وتترجح : تهتز .
(٢) تسدح من سدحت المرأة . وردحت : إذا أكثرت من النسل وثبتت . والكماة : جمع كمى ، والكمى : الشجاع .
(٣) يشير إلى عزم أبى بكر على مبارزة ابنه عبد الرحمن لما طلب المبارزة وكان لا يزال على الشرك ثم أسلم فى هدنة الحديبية .
(٤) مترح : محزن .
(٥) تكلح : تكشر فى عبوس .
(٦) المنتأى : محل البعد ، والمنزح : من نزح إذا بعد .
(٧) أبو عبيدة بن الجراح حمل عليه أبوه وكان مع المشركين ليقتله فأعرض عنه فطارده ، فقتله أبو عبيدة . ويتل ويسطح بمعنى يصرع .
(٨) المصعب : الفحل ومن الجمال ما لم يركب ، وصلب القرا : شديد الظهر ، ومكبح : شامخ . والبيت فى وصف أبى عبيدة .
(٩) البغاث : ضعاف الطير ، والمضرح : الصقر الطويل الجناح .
(١٠) المرجح : الحليم ، والبيت يشير إلى أن النبى ﷺ رمى المشركين بحفنة من الحصى فلم يبق منهم رجل إلا نال عينيه منها ، ثم انهزموا ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: ١٧].
(١١) الثميلة : البقية . والصيب : المطر ، وتبذح السحاب : أمطر .

اللّهُ أرسلَ في السّحاب كتيبةً تهفو كما هفَتِ البروقُ اللُّمَّح (١)
تهوِي مُجلجِلةً تَلَهَّبُ أعينٌ منها وتَقذِفُ بالعواصِف أجْنُحُ (٢)
للخيلِ حَمحمةٌ تُراعُ لهولهِ صِيدُ الفوارسِ والعِتاقُ القُرَّح (٣)
حَيزومُ أقدِمْ إنّما هي كرّةٌ عَجلَى تُجاذبك العِنَانَ فتمرح (٤)
جبريلُ يضربُ والملائكُ حولهُ صَفٌّ تُرَضُّ به الصّفوفُ وتُرْضَح (٥)
تلك الحصونُ المانعاتُ بمثلها تُذْرَى المعاقلُ والحصونُ وتُذْرَح (٦)
للقومِ من أعناقِهم وبَنانِهم نارٌ تُريكَ الدّاءَ كيف يُبَرِّحُ (٧)
جفّتْ جُذورُ الجاهليةِ والتوَى هذا النباتُ الناضرُ المُسترشِحُ (٨)
طَفِقَ الثرى من حولها لمّا ارتوى من ذَوْبِ مهجتها يجفُّ ويَبلحُ (٩)
ومن الدمِ المسفوحِ رجسٌ مُوبِقٌ ومُطهِّرٌ يَلِدُ الحياةَ ويَلقَحُ (١٠)
أودَى بِعتُبَةَ والوليدِ وشَيْبةٍ وأميّةَ القدَرُ الذي لا يُدْرَحُ (١١)

---

(١) كتيبة : قطعة من الجيش، تهفو . تسرع ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى إمداد الله المسلمين بالملائكة فى غزوة بدر ﴿ إذْ تَستَغيثُونَ ربَّكُمْ فاستجابَ لكُمْ أنّي مُمِدُّكُم بألفٍ مِّنَ الْمَلائكَةِ مُرْدِفِين﴾ [الأنفال: ٩] .

(٢) مجلجلة : مرعدة ، وأجنح : جمع جناح .

(٣) القارح من الخيل الذى شق نابه وطلع .

(٤) حيزوم : اسم فرس جبريل .

(٥) ترضح : تكسر .

(٦) تذرى وتذرح بمعنى .

(٧) كانت الملائكة تضرب أعناق المشركين وبنانهم ﴿فاضْرِبُوا فَوْقَ الأعْنَاقِ واضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] والمبرح : المؤلم.

(٨) استرشح النبات : طال .

(٩) يبلح : ييبس .

(١٠) موبق : مهلك .

(١١) عتبة بن ربيعة. برز للقتال فجاءه فتية من الأنصار فقال . إنما أريد أكفائى من قريش. ونادى مناديهم يا محمد أخرج إلينا أكفاءنا فأمر بعبيدة بن الحارث وحمزة وعلى رضي=

وهَوى أبو جهلٍ ونَوفَلُ وارْعَوى   بعدَ اللَّجاج الفاحشُ المتوقِّحُ (١)
لمّا رأى الغازي المُظَّفرُ رأسه   أهوى يُكبِّرُ ساجداً ويسبِّحُ (٢)
في جلدهِ من رجزِ ربّكَ آيةٌ   عَجَبٌ تُفسَّرُ للبيبِ وتُشْرَحُ (٣)
تلك السّطورُ السُّودُ ضَمَّ كتابُها   أبهى وأجملَ ما يَرى المُتصفِّحُ

= الله عنهم فقتل على الوليد ،وقتل حمزة عتبة . وتبادل عبيد وشيبة ضربتين أثرتا فيهما فكر حمزة وعلى فأجهزا على شيبة . ثم احتملا عبيدة ومخ ساقه يسيل وكانت الضربة فى ركبتيه فأفرشه النبى ﷺ قدمه الشريفة فوضع خده عليها وقال له ﷺ : «**أشهد أنك شهيد**»، قال عبيدة : وددت والله لو أن أبا طالب كان حيًا ليعلم أننا أحق منه بقوله :

ونسلمه حتى نصرع حوله   ونذهل عن أبنائنا والحلائل

ثم قال :

فإن يقطعوا رجلى فإنى مسلم   أرجى به عيشًا من الله عاليا
وألبسنى الرحمن من فضل منه   لباسًا من الإسلام غطى المساويا

مات ﷺ من هذه الضربة فهو من شهداء بدر ويقصد الوليد بن عتبة وشيبة بن ربيعة وأمية بن خلف الذى قتله بلال . وإلى هذا سبقت الإشارة فى القصيدة الثانية من الديوان بهذه الأبيات :

أرنى يديك ، أفيهما لأمية   ورد من الموت الذعاف مثمل ؟
للسيف سيف الله أهول موقعًا   من صخرة تلقى وحبل يفتل
لك فى غد دمه إذا التقت الظبى   تحت العجاجة والرماح الذبل

لا يدرح : لا يدفع .

(١) أبو جهل ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح . ومعوذ بن عفراء من الأنصار وأجهز عليه ابن مسعود ، ونوفل بن خويلد ، قال النبى ﷺ : «**من له علم بنوفل بن خويلد ؟**»، قال على: أنا قتلته فكبر ﷺ وقال : « **الحمد لله الذى أجاب دعوتى فيه** » فإنما لما التقى الصفان نادى نوفل بصوت رفيع : « يا معشر قريش ، اليوم يوم الرفعة والعلا ، فقال النبى ﷺ : « **اللهم أكفنى نوفل بن خويلد الفاحش المتوقح** » . المراد به أبو جهل لعنه الله وهو المسمى فرعون هذه الأمة على لسان الرسول الكريم ، وارعوى : كف .

(٢) لما جيء للنبى ﷺ برأس أبى جهل سجد لله شكرًا ،وقال: « **الحمد لله الذى أعز الإسلام وأهله ، الله أكبر ، الحمد لله الذى صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده**» .

(٣) الرجز : العذاب ،وقد وجد فى جسد أبى جهل آثار سود كآثار ضرب السياط .

إن لـم يُغـيَّـبْ في جـهنّـمَ بعـدها فَلَـمنْ سِـواهُ فـي جـهنّـمَ يُضْـرَحُ [١]
أدركـتَ حـقَّـك يا بِـلال فَـبُـورِكـتْ يَـدُكَ التـي تركـتْ أُميّـةَ يُشـبَـحُ [٢]
وَافِ المـطـارَ ووالِ يـا ابـنَ رواحـةٍ زَجَلَ الحـمـامِ إذا يطـيرُ ويسـجَحُ [٣]
هـذا ابنُ حـارثةٍ يَطـوفُ مُـبشّـراً بالـنّصـر يُخزِي الكـافِرينَ ويفـضَحُ
لّما تـردّدَ فـي البـلادَ صَـداكـمـا أمـسـتْ قُـلوبُ المسـلـمينَ تُـروَّحُ
فـكـأنَّ كُـلاًّ مُـعـرِسٌ وكـأنَّـمـا مـنـه ومنـك مُـهـنِّئٌ ومُـرفِّحُ [٤]
قُـلْ يا أبـا سُـفـيـانَ غـيـرَ مُلَـوِّحٍ فالـنصرُ يَخطـبُ والسّيوفُ تُـصرِّحُ [٥]
بيـضٌ علـى بُلْـقٍ تَسـاقَـط حـولـهـا سُـودٌ مُـذمَّـمـةٌ تُـسـافُ وتُرمَـحُ [٦]
ذَهـبـوا وأخـلَـفَـهُـمْ رَجـاءٌ زُلْـزِلُـوا فـيهِ فـزالَ كمـا يَزولُ الـضَّحْـضَحُ [٧]
أكـذاكَ تَـخـتـلـفُ الـزُّروعُ فـناضـرٌ ضَـافِي الـظّـلال وذابـلٌ يَـتـصـوَّحُ
القـومُ غَـاظـهم الـصَّحـيـحُ فَـزَيَّفُـوا ومـن الأمـورِ مُـزَيَّـفٌ ومُـصـحَّـحُ
خَـطأُ الـزمـانِ فَـشـا فَـلُـذْ بصـوابِـه وَانْـظُرْ كـتـابَ الخـلـقِ كـيف يُـنقَّـحُ
جـاءَ الإمـامُ الـعـبـقـريُّ يُـقـيـمُـهـا سُـنَنـا مُـبـيَّـنةً لِـمـن يَسـتـوضِـحُ

---

(١) يضرح : يدفع أو ينحى أو يقبر .

(٢) أمية بن خلف قتله بلال ، وكان يعذبه ليرده عن دين الله ، ويشبح : يشق ويفعل به كالجلد المشبوح .

(٣) سجحت الحمامة سجعت ،وفى البيت وما بعده إشارة إلى إرسال عبد الله بن روحة إلى أهل العالية ، وزيد بن حارثة إلى أهل السافلة لإخبارهم بالنصر .

(٤) أعرس الرجل بأهله بنى عليها ـ ومرفح : من رفحه ؛ أى قال له : بالرفاء والبنين .

(٥) هو أبو سفيان بن الحارث بن هشام لما سأله عمه أبو لهب عن خبر قريش قال : هلم إلى عندى الخبر ، والله ما هو إلا أن لقينا القوم ، فمنحناهم أكتافنا ، يقتلوننا كيف شاؤوا، ويأسروننا كيف شاؤوا ، وايم الله مع ذلك ما لمت الناس ، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق، فغضب أبو لهب .

(٦) تساف وترمح : تطعن بالسيوف وبالرماح .

(٧) الضحضح : السراب .

مصرع أبى جهل(*)

ضربه معاذ بن عمرو بن الجموح، ومعوذ بن عفراء من الأنصار ، وأجهز عليه ابن مسعود. . وكان سيف ابن مسعود كليلا فقال له أبو جهل : خذ سيفى فاحتز رأسى به ففعل . . وقال له وهو يعلو صدره ليحن رأسه : لقد ارتقيت يا رويعى الغنم مرتقى صعبًا ، لو غير أكار قتلنى (الأكار الزراع وكان الأنصار أهل زرع) وقد أعطاه النبى ﷺ سيفه .

بِسيفك فيما اخترتَ من عاجلِ القتلِ ... سُقِيتَ ذُعافَ الموتِ فَاشْربْ أبا جَهلِ
هُو السّيفُ لولا الجبنُ لم يَمْضِ حدُّهُ ... ولم يَرْضَ في جِدّ الكريهةِ بالهزلِ
شَهِدْتَ الوغَى تَبْغِي على الضّعفِ راحةً ... لنَفْسِكَ من حِقد مُذيبٍ ومن غلٍّ
أفرعونُ إن تجهلْ فلن تَجهَلَ الوغَى ... فَراعينَها مِن ذي شَبابٍ ومن كَهْلِ (١)
أصابَك فيها ما أصابَك من أذىً ... وفاتَك ما نالَ الرُّوَيْعِيُّ من فَضْلِ
رَماكَ مُعاذٌ قبلَه ومُعوّذٌ ... وجاءك مَشبوباً حَمِيَّتُهُ تَغلي(٢)
سَقى السّيفَ عفواً من دمٍ لك طَيِّعُ ... فَمن مُرتقىً صعبٍ إلى مُستَقىً سَهْلِ
دَعِ الهزلَ يا ابْنَ الحنظليَّةِ إنّه ... هو الجِدُّ كلُّ الجِد لو كنتَ ذا عقلِ(٣)

(*) جاءت هذه القصيدة فى المصورة بعد القصيدة الآتية .

(١) كان النبى ﷺ يقول عن أبى جهل : إنّ لكل أمّة فرعونا ، وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل ، قتله الله شرَ قتله ، قتله ابناء عفراء وقتله الملائكة ، وتدافه ابن مسعود » أى: أجهز عليه . «**إنه فرعون هذه الأمة** » .

(٢) عندما قتلاه انصرفا إلى رسول الله ﷺ فأخبراه . فقال : أيكما قتله ؟ فقال كل واحد منهما : أنا قتلته . قال : هل مسحتما سيفكما ؟ قالا : لا . فنظر فى السيفين فقال : كلاكما قتله . وقضى بسلبة لمعاذ بن عمرو بن الجموح ، ومعاذ بن عفراء [رواه مسلم عن يحيى عن يوسف بن الماجشون]

(٣) هو ابو جهل [ابن الحنظلية]

هـيَ اللاّتُ والـعُـزَّى أضـلّـتْكَ هـذه وزادتْكَ هذي من ضلالٍ ومن خَبْلِ (١)
مَضَـى جارُك المأفـونُ خَزيانَ وَانْقَـضَتْ حِبالُك فَانْظُرْ هل ترى الآن من حَبْلِ(٢)
لقـد كنت ترجـو أن ترى الهـبل الذى رضـيـت به ربًـا يـفـوز ويسـتـعلـى
أصبـت ابن مسـعود (٣) سنـاء ورفعـة وبـاء عـدو الـلـه بـالخـزى والـذلِّ
فخذ سـيفه ، ثم ارفع الصـوت شاكرًا فـما بـعد مـا أعطـاك ربك من سـؤلِ

* * *

(١) كان المسلمون يقولون فى هذه الوقعة : الـله مولانا ولا مولى لكم ،وكان أبو جهل يقول لنا العُزَّى ولا عُزَّى لكم .

(٢) تمثل إبليس فى صورة سراقة بن مـالك للمشركـين وقال لهم : لا غالب لكـم اليوم من الناس وإنى جار لكم ، وكانت يده فى يد الحـارث بن هشام أخى أبى جهل ، فلما رأى الملائكة انتزع يده من يده ، ثم نكس على عقبيه ، فقال له الحارث : يا سراقة أتزعم أنك جار لنا ؟ قـال : إنى برىء منكم ، إنى أرى مـا لا ترون ، إنى أخاف الله رب الـعالمين فتشبث به الحـارث وقال : والله لا أرى إلا خفافيش يثرب ـ قـال الحارث :ما علمت أنه الشيطان إلا بعد أن أسلمت . .

لما قُتِلَ رؤساء المشركين قال أبو جهل : يا قوم لا يهولنكم قتل من قتل ،فواللات والعزى لا نرجع حتى نقرن محمداً وأصحابه بالحبال . . لا تقتلوهم ولكن خذوهم باليد . . .

(٣) عن ابن عقبـة ان عبد الله بن مسعـود وجد أبا جهل مقنعا فى الحـديد ، وهو منكب لا يتحول ، فـظن أنّه قد أثبت ، فتنـاول قـئم سيفه فـاسلّه وهو منكب لا يتـحرك ، فرفع سابقة البيضـة عن قفاه فضربه ، فوقع رأْسه بين يديه ، ثم سلبـه ،فلما نظر إليه إذا هو ليس به جراح ، وأبصر فى عنقه خدرا ، وفى يديه وكتفـيه كهيئة آثار السياط فأتى النبى ﷺ فقال : ذاك ضرب الملائكة

صدى الوقعة فى مكة

لما ترامت أنباء الوقعة إلى مكة فرح المسلمون كثيراً ،وحزن المشركون حزنًا شديدًا فأقيمت المآتم وجز النساء شعورهن ، وكان ممن عاد إليها من بدر أبو سفيان ابن الحارث بن هشام ،وقد تقدم ذكره فى الملحمة الحائية . فلما أنبأ عمه أبا لهب بما رأى وقال : لقينا رجالا بيضًا على خيل بلق . . قال أبو رافع (١) مولى رسول الله ﷺ : تلك والله الملائكة . . فضربه أبو لهب فى وجهه ضربة شديدة ،قال : وثاورته فاحتمله وضرب به الأرض وبرك عليه ، فأخذت السيدة (لبابة) عمودًا فضربت به رأسه فشجته شجة منكرة . وقالت : استضعفته أن غاب سيده ، فولى ذليلا . ولم يعش بعد هذه الضربة سوى سبع ليال حتى رماه الله بالعدسة فقتلته . قال الطبرى فى تاريخه : « العدسة » قرحة كانت العرب تتشاءم بها . ويرون أنّها تعدى أشدَّ العدوى ، فلما أصابت أبا لهب تباعد عنه بنوه ، وبقى بعد موته ثلاثا لا تقرب جنازته ولا يدفن . فلما خاف أهله السُّبة فى تركه ، حفروا له ثم دفعوه بعود فى حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه . ويروى أنّ عائشة ـ رضى الله عنها ـ إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها . .

وَضَحَ اليقينُ لمن يَرى أو يَسمعُ ... ولَقلَّما تُجدِي الظُّنونُ وتَنفعُ
النَّصرُ حَقٌّ والمُنَبِّئُ صادقٌ ... والويلُ للمغرور ماذا يَصنعُ
اخشَعْ أبا لهبٍ فإنْ تَكُ ذا عَمىً ... فجبالُ مكّةَ والأباطحُ خُشَّعُ
مولى رسولِ اللّهِ يُضرَبُ ما جنى ... ذَنباً ولم يك كاذباً يَتَشَيَّعُ
هِيَ يا أبا لَهَبٍ كَتائِبُ ربِّه ... نَزلتْ تُذلُّ الكافرين وتقمعُ
أخذتْ لُبابةُ للضّعيفِ بحقّهِ ... ومَضَى الجَزَاءُ فأنت عانٍ مُوجَعُ (٢)

---

(١) كان غلاما للعباس بن عبد المطلب ، وقد اسلم هو والعباس وأم الفضل زوجه وكان العباس يهاب قومه ، ويكره خلافهم فكان يكتم اسلامه .

(٢) هى أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت السيدة ميمونة أم المؤمنين وكانت =

وشَفَتْهُ منكَ بضربة ما أقلعتْ حتَّى رمتكَ بعلَّة ما تُقلِعُ (١)
قالتْ بَغَيْتَ عليه واسْتَضعفتَه أن غابَ سَيِّدُهُ وَعزَّ المفزَعُ
ما بالعمودِ ولا برأسِكَ ريبةٌ إنَّ الغويَّ بمثلِ ذلك يُردَعُ
حُييتِ أمَّ الفضلِ تلك فضيلةٌ فيها لك الشَّرفُ الأعزُّ الأمنعُ
اللّهُ أهلكَهُ بداء ماله شافٍ ولا فيه لآسٍ مَطْمَعُ
تمضي البشائرُ جُولاً وتجولُ في دمه السُّمُّ فجلدُهُ يَتَمزَّعُ
أمسى المُكاثرُ بالرجالِ مُبغَّضاً يُجْفَى على قُربِ المزارِ ويُقطعُ
أكلته صاعِقَةُ العمودِ وإنّما أكلته سَبْعٌ بعد ذلكَ جُوَّعُ (٢)
هم غادروه ثلاثةً في دارِه لا الدّارُ تَلفظُهُ ولا هُوَ يَنزع (٣)
رجموه لو كَرِهَ السَّفاهةَ فارْعَوى ما ساءَ مَهلكُه وهالَ المصرَعُ
ما أكثرَ الباكِينَ ملءَ جُفُونهم للجمعِ بالبيضِ البَواترِ يُصدَعُ
جَزَّ النِّساءُ شُعورَهنَّ وغُودِرَتْ للحزن منهن الدموع الهمع
رجعن مكروة العويل على أسى والبيتُ يَشدو والحَطيمُ يُرجِّعُ
والمُسلِمونَ بنعمةٍ من ربِّهمْ فيها لِكُلِّ مُوحِّدٍ مُستَمتَعُ
اللّهُ أكبرُ لا مَردَّ لحكمِه هُوَ ربُّنا وإليهِ منّا المرجعُ

* * *

= من السابقات إلى الإسلام .

(١) أصيب بعد هذه الضربة بالعدسة وهى قرحة خبيثة كانت العرب تتشاءم بها وتخاف عدواها أشد الخوف . فتباعد عنه أهله وبنوه حتى مات .

(٢) الليالى السبع التى مات بعدها .

(٣) بقى بعد موته ثلاثة أيام لا يقرب أحد منه ، فلما خافوا السبة فى تركه حفروا له ثم دفعوه ببعض الأعواد فى حفرته ، وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه.

سواد بن غزية
حليف بنى النجار

كان من أفراد الجيش فى هذه الغزوة ، فرآه النبى ﷺ خارجا عن الصف وهو يعدل الصـفوف، وكان بيده قدح يعـدل به القوم ، فطعنه فى بطـنه بالقدح . . . وقال له : « **استـو ياسواد** » فقال: يا رسول الله أوجعتنى ، وقد بعثك الله بالحق والعدل فأقدنى . فـأعطنى القصاص فكشف الرسول الـكريم عن بطنه ، وقال : «**اسـتقـد** » (أى خذ قودك وهو القصاص) فاعتنـقه سواد وقبل بطنه الشريف . فقال: ما حملك على هذا يا سواد ؛ قال : يا رسول الله حضر ما ترى فأردت أن يكون آخر العهد بك أن يمس جلدى جلدك ، فدعا له رسول الله ـ ﷺ ـ بخير .

يـوم بـدر ، وأنت أعـلـى مـقـامـا ... إن ذكـرنـا مـن بـعـدك الأيـامـا
مـا ذكـرنـا بـك القـواضب يـقظى ... أنـت أيقـظـتـهـا شـعـوبـا نيـامـا
غـرقتْ فى الـظلام لا تحسـب البـغى ... ذمـيـمـا ولا الـفـسـوق حـرامـا
تكـره العـدل فـى الحـقـوق وترضـى ... حـين يـأبى سـاداتـهـا أن يـقـامـا
اسـتـقم يـا سـواد فى الـصف واعـلم ... أن لـلجـيش فـى الحـروب نـظـامـا
يـا لـهـا يـا سـواد طـعـنة سـهـم ... صـادفـت مـنك أريـحـيـا همـامـا
لـو يريـد الأذى بـهـا لـم تـطقـهـا ... من يـعـاف الأذى ويأبـى العـرامـا [1]
عـدل الـصف فـاسـتـوى وقـضـى ... الأمر عـلى شرعـة الهـدى فاسـتقـاما
إنـهـا شـرعـة لـربـك يمضـيـهـا ... فـتـهـدى الـشـعـوب والأقـوامـا
تمـنـع المـرء ذا الـبـراءة أن يُـؤ ... ذى ، وتحمى الـضعيف من أن يضـاما
وتـريـه الـقـوى يـذعـن لـلـحـق ... ويـبـغـى بجـانبـيـه اعـتـصـامـا
قـلـت أوجـعـتـنـى وقـد جـئـت ... بـالحق وبـالعـدل رحـمـة وسـلامـا
الـقـصـاص الـقـصـاص إنـى أراه ... يـا إمـام الـهـداة أمـرا لـزامـا

---

(١) العرام : الشدة .

قال : هذا بطني لبطنك كفء فاستقد ، إن للضعيف ذماما

طابت النفس يا « سواد » وعاد الآ ن بردا ما كان منها ضراما (١)

واعتنقت الرسول بعد شكاة فاعتنقت الخلال غُرّاً وساما

وابتدرت البطن المطهر لثما فابتدرت الخيرات شتى عظاما

هاهنا العدل والسماحة والإحسان ، أعظم بذا المقام مقاما

أدب الله عبده وهداه واصطفاه للمتقين إماما

أي دين كدينه في علاه أي قوم كالمسلمين القدامى

أرأيت الضعاف في كل أرض كيف أمسوا للأقوياء طعاما ؟

حرموا الطيبات بغيا وظلما واستحلوا الذنوب والآثاما

رب إن شئت للشعوب حياة فابعث المسلمين والإسلاما

ابعث النور في الممالك يهدي كل شعب غوى ،ويمحو الظلاما

* * *

(١) ضراما : مشتعلا .

أصحاب القليب

كانوا أربعة وعشرين رجلا هم [١] : عتبة بن ربيعة ، أمية بن خلف ، أبو جهل بن هشام ، عبيدة والعاص ولدا أبى أحيحة ، سعيد بن العاص بن أمية ، حنظلة بن أبى سفيان ، الوليد بن عتبة ، الحارث بن عامر ، طعيمة بن عدى ، نوفل بن عبد ، وزمعة وعقيل ابنا الأسود ، العاص بن هشام أخو أبى جهل ، أبو قيس بن الوليد ، نبيه ومنبه ابنا الحجاج السهمى ، على بن أمية بن خلف ، عمرو بن عثمان عم طلحة أحد العشرة ، مسعود بن أبى أمية أخو أم سلمة ، قيس بن الفاكه بن المغيرة المخزومى ، الأسود بن عبد الأسد أخو أبى سلمة ، أبو العاص ابن قيس بن عدى السهمى ، أمية بن رفاعة .

أمر النبى ﷺ بهم فألقوا فى القليب إلا أمية بن خلف فإنه انتفخ فى درعه فملأها فذهبوا ليحركوه فتزايل ـ تقطعت أوصاله ـ فألقوا عليه ما غيبه من التراب والحجارة . فهم أربعة وعشرون إذا استثنيناه . جاء النبى ﷺ إلى القليب بعد ثلاثة أيام ثم وقف على شفيره وأخذ ينادى زعماءهم بأسمائهم ،ويقول : « **هل وجدتم ما وعد الله ورسوله حقا فإنى وجدت ما وعدنى الله حقا** » . وفى رواية أنه قال لهم : « **بئس عشيرة كنتم لنبيكم ، كذبتمونى وصدقنى الناس ، وأخرجتمونى وآوانى الناس ، وقاتلتمونى ونصرنى الناس** » .

جلس عمير الجمحى مع صفوان بن أمية بن خلف بالحجر فتذاكرا ما أصاب قريشًا يوم بدر وذكرا أصحاب القليب ومصابهم فقال صفوان : والله ما فى العيش خير بعدهم ، فقال عمير : صدقت أما والله ولولا دين على ليس له

---

(١) روى عن طريق البخارى ، قال : حدثنى عمر بن خالد ، حدثنا زهير، حدثنا أبو إسحاق ، قال : سمعت البراء قال : جعل النبى ـ ﷺ ـ على الرماة يوم أحد عبد الله ابن جبير ، فأصابوا منّا سبعين . وكان النبى ـ ﷺ ـ وأصحابه يوم بدر أصاب من المشركين أربعين ومائة : سبعين أسير ، وسبعين قتيلا . [عيون الأثر ١/ ٣٤١ ـ البداية والنهاية : ٣/ ٢٩٢ ، الرحيق المختوم : ٢٤٣] .

عندى قضاء ، وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدى لكنت آتى محمداً حتى أقتله ، وإن لي فيهم علة ـ ابنى أسير فى أيديهم ، فاغتنمها صفوان وقال له : على دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالى أواسيهم ما بقوا ، فتعاقدا على ذلك ، وأخذ عمير سيفه فشحذه وسمه ، ثم انطلق حتى قدم المدينة ، ودخل به عمر على النبى ﷺ وهو آخذ بحمالة سيفه فى عنقه فقال ﷺ : « **أرسله يا عمر ، إدن يا عمير ، ما الذى جاء بك** » ، قال: جئت لهذا الأسير الذى فى أيديكم ، يعنى ولده وهبًا . قال : « **فما بال السيف ؟** » قال : وهل أغنت السيوف عنا شيئًا ؟ قال النبى: « **بل قعدت أنت وصفوان بن أمية فى الحجر ...** » وذكر له ما كان بينهما ، فقال عمير : أشهد أنك رسول الله الحمد لله الذى هدانى للإسلام.

قال النبى لأصحابه حين أسلم عمير : « **فقهوا أخاكم فى دينه ، وأقرئوه القرآن ، وأطلقوا له أسيره** » ، ففعلوا وأسلم ابنه رضى الله عنهما .

كان صفوان يقول لأهل مكة بعد خروج عمير إلى المدينة ، أبشروا بوقعة تنسيكم وقعة بدر.

أسلم صفوان رضى الله عنه عند تقسيم غنائم حنين بالجعرانة حين أعطاه النبى ﷺ واديًا مملوءا من النعم، وكان يسمى سيد البطحاء.

تلك عقبى البغى فانظر كيف عادا؟ ... يا له من مصعب ألقى القيادا

أرأيت القوم شراً ، وأذى ؟ ... ورأيت القوم ناراً ورمادا ؟

غيبوا فى حفرةٍ مسجورةٍ ... تخمد الدنيا وتزداد اتقادا (١)

ملئت رعبًا،وزيدت روعة ... من عذاب كان ضعفًا ثم زادا

قف عليها ،وتبين ما بها ... هل ترى إلا انتفاضًا وارتعادا ؟

يا لهم إذا زعموا أصنامهم ... تعجز الله كفاحًا جلادا

جلَّ ربى ، لم يغادر بأسه ... أنفسًا منهم ، ولو يترك عتادا

خاصموا الله ،وعادَوا جنده ... وأرى الأصنام أولى أن تعادى

(١) مسجورة : موقدة.

هى غرتهم فضلوا وعتوا ... واستحبوا الكفر بغيًا وعنادا
حلقوا بالأمس فى طغيانهم ... ثمَّ بادوا فى مهاويه وبادا
عظةٌ فى التُّربِ كانت فتنةً ... وعذابٌ كان شرًا وفسادا
كل هنيئًا من قليب قرمٍ ... يبلعُ الكفار مثنى وفرادى (١)
طال منك الصَّوم ، واشتدَّ الطَّوى ... فخذِ القوم التهاما وازدرادا (٢)
جرِّبوا الحرب ،وجاؤوا فلقوا ... غُمما جلى ، وأهوالاً شدادا
سمعوا الصوت ، وما من ناطقٍ ... يخبر السائل منهم حين نادى
يا رسول الله هم فى شأنهم ... غمرة تطغى ، وبلوى تتمادى
صدق الوعد ، فكلٌّ موقنٌ ... يا له منهم يقينًا لو أفادا
أنكروا الحقَّ ،وراموا غيره ... فكأنَّ الله لا يجزى العبادا
هكذا من يعبدُ الطاغوت ، لا ... يّتقى ربًا ، ولا يرجو معادا
جلَّ ربى وتعالى . إنه ... بالغٌ من كلّ أمرٍ ما أرادا
ارفعى يا دولة الحقّ العمادا ... وأقيمى يا طواغيت الحدادا
أىُّ حقّ ذلَّ فى سلطانه ؟ ... أىُّ زورٍ عزَّ فى الدنيا وسادا؟
إنّ للهِ سيوفًا خُذُمًا ... وجنودًا لا يَمَلُّون الجهادا (٣)
بعث الأسطولَ فى آياتهِ ... جائلاً يُعيى الأساطيل اصطيادا
قُوةٌ أرسلها من أمره ... تفتحُ الدُّنيا ،وتحتلُّ البلادا
إنّ كلَّ الخير يا صفوان فى ... مهلكِ القومِ ، فلا تعدُ الرشادا
دع عميرًا لا تهجه ،واتَّئد ... إنَّ للعاقلِ فى الأمرِ اتئادا
أخذ السَّيف صقيلاً مرهفًا ... يأخذُ الأبطال والبيض الحدادا
ظلَّ يسقيهِ ،وما أدراه هل ... كان سُمًّا ما سقاه ، أم شِهادا ؟(٤)

---

(١) القرم : الشديد الشهوة للحم .

(٢) الطوى :والجوع .

(٣) خذما : قاطعة .

(٤) شهادا : جمع شهد .

كره الحق ، فلمَّا جاءه نبذ الحقد ، وأصفاه الودادا
من حديثٍ أنبأ اللهُ به خير من حدَّث عنهُ فأجادا
قال : أسلمتُ لربى وكفى بالسّبيل السَّمح دينًا واعتقادا
اقرأ القرآن ، واتبع هديَهُ يا عمير الخير إن ذو الغي حادا
إنّهُ النُّور الذى يجلو العمَى إنّهُ السّرُّ الذى يُحيى الجمادا

* * *

أين يا صفوان ما أمْلته ؟ أين ما حدَّثت تستهوى السَّوادا ؟ (١)
يا لها داهية طارت بها أعقب الجوّ ، وقد كانت نآدا (٢)
لا تظنَّ الجود دينًا يُشْتَرى سترى الجود الْمُصَفَّى والجوادا
ستراه واديًا من نعم يعجزُ الآمال سعيًا وارتيادا
هو من فيضِ العُبابِ المرتمى يتقَصَّى الأرض مدًّا واطْرادا
الرسولُ السَّمحُ ،والمولى الذى يسعُ الأجيالَ برا وافتقادا
اقترح ما شئت واطمع لا تخف من ندى كفْيه نقصًا أو نفادا
حبذا الموئل فيما تتقى من أذى الدهر وما أعلى المصادا
سببٌ للهِ من يعلق بهِ لم يخف ضَيْمًا ، ولم يخش اضطهادا

* * *

---

(١) السواد : العدد الكثير ، ومنه السواد الأعظم .
(٢) الأعقب : جمع عقاب . والنآد : الداهية العظيمة .

شهداء بدر رضي الله عنهم (*)

استشهد من المسلمين فى هذه الوقعة المباركة أربعة عشر مجاهدا ستة من المهاجرين ، وثمانية من الأنصار ، فالأولون هم : عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب ، مهجع مولى عمر بن الخطاب ، عمير بن أبى وقاص ، عاقل بن بكير الليثى ، صفوان بن بيضاء الفهرى ، ذو الشمالين عمير ، وقيل : الحارث ، وقيل: عمر بن عبد عمرو بن نضلةَ الخزاعى ، وأما الأنصار فهم : عوف بن عفراء وأخوه شقيقه معوذ بن عفراء ، وحارثة بن سراقة ، ويزيد بن الحارث بن قيس بن مالك، ورافع بن المعلى ، وعمير بن الحمام بن الجموح ، وسعد بن خيثمة ، ومبشر بن عبد المنذر رضى الله عنهم أجمعين.

طُف بالمصارع واستمع نجواها ... والْثم بأفياء الجنان ثراها (١)

ضاع الشذى القدسى فى جنباتها ... فانشقْ وصف للمؤمنين شذاها (٢)

حِللٌ يروع جلالها ومنازلٌ ... من نور رب العالمين سناها (٣)

ضمت حُماة الحقّ ما عرف امرؤٌ ... عِزا لهم من دونه أو جاها

(*) ذكر ابن إسحاق فيمن قتل يوم بدر مع المشركين ممن كان مسلما ، ولكنه خرج معهم تقية؛ لأنّه كان فيهم مضطهدا قد فتنوه عن إسلامه جماعة منهم : الحارث بن زمعة بن الأسود ، وأبو قيس بن الوليد بن المغيرة ، وعلى بن أمية بن خلف ، والعاص بن منبه ابن الحجاج قال : وفيهم نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً ﴾ [النساء:٩٧] . [سيرة ابن هشام : ٢/ ١٩٤ ، البداية والنهاية ٣/ ٢٩٢] .

(١) الأفياء : الظلال .

(٢) ضاع : فاح وانتشر .

(٣) حِللٌ : جمع حلة ـ محلة القوم ـ.

الطالعين به على أعدائه ... موتًا إذا نشروا الجنود طواها
الخائضين من الخطوب غمارها ... المصطلين من الحروب لظاها
الباذلين لدى الفداء نفوسهم ... يبغون عند إلههم محياها
ما آثروا فى الأرض إلا دينه ... دينا ولا عبدو سواه إلها
سلكوا السبيل مسددين تضيئه ... آىُ المفصل يتبعون هداها (١)
قومٌ هم اتخذوا الشهادة بغيةً ... لا يبتغون لدى الجهاد سواها
هُمْ فى حمى الإيمان أول صخرة ... فسل الصخور : أما عرفن قواها ؟
حملت جبال الحقّ فى دنيا الهدى ... بيضًا شواهق ما تنال ذراها
تؤتى الممالك والشعوب حياتها ... وتقيم من أمجادها وعلاها
ذهبت تُرفرف فى مسابح عزها ... ومضت يفوت مدى النسور مداها
تجرى الرياح الهوج طوع قضائها ... وتخافها فتحيد عن مجراها (٢)
طاف الغمام مهللا بظلالها ... فسقته من بركاتها وسقاها
شهداء بدرٍ أنتم المثل الذى ... بلغ المدى بعد المدى فتناهى
علمتم الناس الكفاح فأقبلوا ... ملء الحوادث يدفعون أذاها
أما الفداء فقد قضيتم حقه ... وجعلتموه شريعة نرضاها
من رام تفسير الحياة لقومه ... فدم الشهيد يُبين عن معناها
لولا الدماءُ تراق لم نر أمةً ... بلغت من المجد العريض مناها
أدنى الرجال من المهالك من إذا ... عرضت منايا الخالدين أباها
وأَجَلُّ من رفع الممالك مظهرًا ... بانٍ من المهجِ السماح بناها
كم أمةٍ لم توق عادية الردى ... لولا الذى اقتحم الردى فوقاها

---

(١) المفصل : القرآن الكريم .

(٢) الهوج : الشديدة التى لا تستوى فى هبوبها . جمع هوجاء .

تسمو الشعوب بكل حر ماجدٍ ... وجبت عليه حقوقها فقضاها
ما أكرم الأبطال يوم تفيّأوا ... ظلل المنايا يبتغون جناها
راحوا من الدم فى مطارف أشرقت ... حمر الجراح بها فكن حِلاها [1]
لو أنهم نشروا رأيت كلومهم ... تدمى ، كأنك فى القتال تراها [2]
ليسوا وإن وَردوا المنية للألى ... غمر البلى ورُدَاهَم أشباها
هم عند ربك يُرزقون فحيِّهم ... وصف الحياة لأنفسٍ تهواها [3]
الله باركها ببدر وَقعة ... كل الفتوح الغرّ من جدواها
منعت ذمار الحقّ حين أثارها ... وَحمت لواء الله حين دعاها
بخل الزمان ، فكنتُ من شعرائها ... لو شاء ربى كنت من قتلاها
كم دولة للشرك زلزل عرشها ... بدماء بدر واستبيح حماها
فى دولةٍ للمسلمين ، تشوقهم ... أيامها ، وتهزهم ذكراها
ياويح للأمم الضعاف : أتنقضى ... دنيا الشعوب وما انقضت بلواها
أُممٌ هوالك ، ما لمست جراحها ... إلا بكت وبكيت من جراها
لم أدر إذ ذهب الزمان بريحها ... ماذا من القدر المتاح دهاها ؟
إن الذى خلق السهام لمثلها ... جمع المصائب كلها فرماها

* * *

---

(١) مطارف : جمع مطرف ، وهو الرداء المعلم .

(٢) جاء فى الأثر الشريف : «أنا شهيد على هؤلاء (الشهداء) ، وما من جريح يجرح فى الله إلا بعثه الله يوم القيامة يدمى جرحه ، اللون لون الدم والريح ريح المسك» . الكلوم : الجروح .

(٣) يشير إلى قوله تعالى ﴿ وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾ [آل عمران: ١٦٩] .

ذكرى هذه الغزوة المباركة

نظمت هذه القصيدة للحفلة التى أقامتها جماعة إحياء مجد الإسلام بالقاهرة، إجلالا لهذه الذكرى الإسلامية المجيدة فى اليوم السادس والعشرين من شهر رمضان المعظم سنة ١٣٥٨هـ ، وقد رأى الناظم إثباتها هى والقصيدة التى تليها .

تعلموا كيف تبنى مجدها الأمم ... وكيف تمضى إلى غاياتها الهمم
تعلموا وخذوا الأنباء صادقة ... عن كل ذى أدب بالصدق يتسم
أمن يقول ، فما ينفك يكذبكم ... كمن إذا قال لم يكذب له قلم ؟
لكم على الدهر منّى شاعر ثقة ... تقضى الحقوق وترعى عنده الذمم
تعلموا يا بنى الإسلام سيرته ... جددوا ما محا من رسمها القدم
الله أكبر هل هانت ذخائره ... فما لكم مقتنى منها ومغتنم ؟
بل أنتم القوم طاح المرجفون بهم ... وغالهم من ظنون السوء ما زعموا
ماذا تريدون من ذكرى أوائلكم ... أكل ما عندكم أن تحشد الكلم
لسنا بأبنائهم إن كان ما رفعوا ... من باذخ المجد يمسى وهو منهدم
إن تذكروا يوم بدر فهو يذكركم ... والحزن أيسر ما يلقاه والألم
سن السبيل لكم مجدًا ومأثرة ... فلا يد نشطت منكم ولا قدم
غاز يصول بجند من وساوسه ... وقائد ماله سيف ولا علم
حيوا الغزاة قياما وانظروا تجدوا ... وفودهم حولكم يا قوم تزدحم
ثم انظروا تارة أخرى تروا لهبا ... فى كل ناحية للحرب يضطرم
حيوا الملائكة الأبرار يقدمهم ... جبريل فى غمرات الهول يقتحم
الأرض ترجف رعبا والسماء بها ... غيظ يظلّ على الكفار يحتدم
هم حاربوا الله لا يخشون نقمته ... فى موطن تتلاقى عنده النقم

مَن جانب الحق أردته عمايته ... وأحزم الناس من بالحق يعتصم
الدين دين الهدى تبدو شرائعه ... بيضا تكشف عن أنوارها الظلم
ما فيه عند ذوى الألباب منقصة ... ولا به من سجايا السوء ما يصم
يحيى النفوس إذا ماتت ويرفعها ... إذا تردت بها الأخلاق والشيم
لا شيء أعظم خزيا أو أشد أذى ... من أن يطاع الهوى أو يعبد الصنم
دين تصان حقوق العالمين به ... ويستوى عنده السادات والخدم
ضل الألى تركوا دستوره سفها ... فلا الدساتير أغنتهم ولا النظم
دعا النبى فلبى من قواضبه ... بيض مطاعمها المأثورة الخذم
حرّى الوقائع ، غرثى لا كفاء لها ... إن جد ملتهب ، أو شد ملتهم
تجرى المنايا دراكا فى مساليها ... كما جرى السيل فى تياره العرمُ
قواضب الله ما نامت مضاربها ... عن الجهاد ، ولا أزرى بها سأم
يرمى بها كل جبار ويقصمه ... إن ظن من سفه أن ليس ينقسم
الجيش منطلق الغارات مستبق ... والبأس محتدم والأمر مكتتم
الله ألف بين المؤمنين ، فهم ... فى الحرب والسلم صف ليس ينقسم
كروا سراعا ، فللأعمار مصطرع ... تحت العجاج ، وللأقدار مصطدم
من كل أغلب يمضى الحتف معتزما ... إذا مضى فى سبيل الله يعتزم
حران يحسب إذ يرمى بمهجته ... نشوان يزداد سكرًا أو به لمم
للحق نشوته فى نفس شاربه ... وليس يشربه إلا امرؤ فهم
وأظلم الناس من ظن الظنون به ... ما كل ذى نشوة فى الناس متهم
طال القتال ، فما للقوم إذ دلفوا ... إلا البلاء وإلا الهول يرتكم
وقام بالسيف دون الليث صاحبه ... يذود عنه ، وعزّ الليث والأجم
ماذا يظن أبو بكر بصاحبه ؟ ... إن الرسول حمى للجيش أو حرم

أمْن النفوس إذا اهتاجت مخاوفها والمستغاث إذا ما اشتدت الغمم
هل يعظم الخطب ، يرميه امرؤ درب أفضى الجلال إليه وانتهى العظم ؟
راع الكتائب واستولت مهابته على القواضب تلقاه فتحتشم
دعا فماجت سماء الله وانطلقت كتائب النصر ملء الجو تنتظم
لا هم غوثك ، إن الحق مطلبنا وأنت أعلم بالقوم الألى ظلموا
تلك العصابة ما لله إن هلكت فى الأرض من عابد للحق يلتزم
جاء الغياث فدين الله منتصر عالى اللواء ودين الشرك منهزم
جنى على زعماء السوء ما اجترحوا وحاق بالمعشر الباغين ما اجترموا
ما الجاهلية إلا نكبة جلل تردى النفوس وخطب هائل عمم
هذى مصارعها تجرى الدماء بها وتشتكى الهون فى أرجائها الرمم
هذا أبو الحكم انجابت عمايته لما قضى السيف وهو الخصم والحكم
ماذا لقيت أبا جهل وكيف ترى آيات ربك فى القوم الذين عموا ؟
هذا القليب لكم فى جوفه عبر لا اللوم ينفعكم فيها ولا الندم [1]
ذوقوا العذاب أليما فى مضاجعكم ما فى المضاجع إلا النار والحمم
لا تجزعوا ، واسمعوا ماذا يقال لكم فما بكم تحت أطباق الثرى صمم
الشرك يعول والإسلام مبتسم سبحان ربى له الآلاء والنعم
يا قومنا إن فى التاريخ موعظة وإنه للسان صادق وفم
لنا من الدم يجرى فى صحائفه شيخ يحدثنا أن الحياة دم

* * *

(١) القليب : البئر .

الذكرى الثانية

نظمت للحفلة التى أقامها المركز العام لجمعيات الشبان المسلمين بالقاهرة ١٣٦٠هـ .

على ذكرها فليعرف الحق جاهله ويؤمن بأن البغى شتى غوائله
هى الغزوة الكبرى هوى الشرك إذ رمت جحافلها العظمى وولت جحافله
وأصبح دين الله قد قام ركنه فأقصر من أعدائه من يطاوله
بنته سيوف الله بالعزم إنه لأصلب من صم الجلاميد سائله
تكلُّ قوى الجبار عما تقيمه عليه يد البانى وتنبو معاوله
أهاب رسول الله بالجند أقدموا ولا ترهبوا الطاغوت فالله خاذله
أما تنظرون الأرض كيف أظلها من الشرك دين أهلك الناس باطله ؟
خذوه ببأس لا تطيش سهامه فأنتم مناياه وهذى مقاتله
علينا الهدى ، إما بآيات ربنا وإما بحد السيف ، لا خاب حامله
إذا أنكر القوم البراهين أخضعت براهينه أعناقهم ودلائله
مضى البأس بدرى المشاهد ترتمى أعاصيره نارا ، وتغلى مراجله
وضج رسول الله يدعو إلهه فيالك من جند طوى الجوّ جافله
تنزل يزجى النصر تنساب من عل شآبيبه نورا ، وينهلّ وابله
أحيزوم أقدم إنه الجد لن يرى سواه عدو كاذب البأس هازله
هو الله يحمى دينه ويعزه فمن ذا يناويه ؟ ومن ذا يصاوله ؟
تمزق جيش الكفر وانحل عقده فخابت أمانيه وأعيت وسائله
وما برسول الله إذ ناله الأذى سوى ما ارتضت أخلاقه وشمائله
نبىّ يحب الله حبّ مجاهد يرى دمه من حقه ، فهو باذله

يعظمه في نفسه ويطيعه ... وما يقض من أمر له فهو قابله
كذلك كان المسلمون الألى مضَوْا ... فيالك عصرا يبعث الحزن زائله
صدفنا عن المثلى فأصبح أمرنا ... إلى غيرنا نهذى به وهو شاغله
يجالد من يبغى الحياة عدوّه ... فيا لعدو لم يجد من يجادله
بنا من عوادى الدهر كل مسلّط ... مكائده مبثوثة وحبائله
قضينا المدى ما تستقيم أمورنا ... وهل يستقيم الأمر عاليه سافله ؟
عجبت لقومى عُطّل الدين بينهم ... وجنوا به ، والجهل شتى منازله
يحبونه حب الذى ضلّ رأيه ... فقاطعه منهم سواء وواصله
صلاة وصوم يركض الشر فيهما ... حثيثا تهز المشرقين صواهله
وكيف يقوم الدين ما بين أمة ... إذا عُطّلت آدابه وفضائله
سلام علينا يوم يصدق بأسنا ... فيمضى بنا في كل أمر نحاوله
ويوم تكون الأرض تحت لوائنا ... فليس عليها من لواء يُماثله
أنمشى بطاء ، والخطوب تنوبنا ... سراعا ، وعادى الشر ينقض عاجله ؟
ألا همة بدرية تكشف الأذى ... وتشفى من الهم الذى اهتاج داخله ؟
ألا أمة تنهى النفوس عن الهوى ... وتصغى إلى القول الذى أنا قائله ؟
ألا دولة للحق تسلك نهجه ... وتمشى على آثاره ما تزايله ؟
إذا نحن نرشد ولم نتبع الهدى ... فلا تنكروا يا قوم ما الله فاعله

* * *

غزوة بنى قينقاع

كان خروج النبى ﷺ وأصحابه إلى هذه الغزوة فى منتصف شوال من السنة الثانية للهجرة ، وكان بنو قينقاع أول من نقض العهد وغدر من اليهود ، فأظهروا البغى والحسد بعد وقعة بدر .

قدمت امرأة من العرب بِجَلَبٍ لها لبيعه بسوق بنى قينقاع ، وجلست إلى صائغ منهم فجعل جماعة من سفهائهم يراودونها عن كشف وجهها وهى تأبى ، فعمد الصائغ إلى أطراف ثوبها فعقده إلى ظهرها ـ وقيل : خله بشوكة وهى لا تشعرـ فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فصاحت فوثب رجل من المسلمين على الصائغ فقتله ، وشد اليهود على المسلم فقتلوه . فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود .

جمعهم النبى ﷺ بعد ذلك وقال لهم :« **يا معشر يهود احذروا من الله مثل ما أنزل بقريش من النقمة (يريد وقعة بدر) وأسلموا فإنكم قد عرفتم أنى مرسل . تجدون ذلك فى كتابكم وعهد الله تعالى إليكم** » .

قالوا : يا محمد ، أترانا مثل قومك ، لا يغرنك أنك لقيت قومًا لا علم لهم بالحرب ، إنا والله لو حاربناك لتعلمن أننا نحن الناس .

كانوا أشجع اليهود وأكثرهم أموالا ، وأشدهم بغيًا ، فلما قالوا ذلك أنزل الله ﴿ **قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ** ﴾ الآية [آل عمران:١٢] وقوله تعالى : ﴿ **وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ** ﴾ الآية [الأنفال:٥٨] (*) .

(*) قرر الرسول ﷺ محاربتهم لنقضهم العهد وغرورهم . فاستخلف على المدينة « أبا لبابة ابن عبد المنذر ، وأعطى لواء المسلمين حمزة بن عبد المطلب ، وسار بجنود الله إلى بنى قينقاع . وحاصر حصونهم وكان ذلك يوم السبت للنصف من شوال السنة الثانية هـ . ودام الحصار خمس عشر ليلة . فنزلوا على حكم رسول الله ﷺ . فى رقابهم وأموالهم ونسائهم وذريتهم . فأمر بهم فكتفوا .

ألحّ المنافق « عبد الله بن سلول على رسول الله ﷺ أن يصدر عنهم العفو ، فقال يا =

رُدُّوا بنى قينقاع الأمر إذ نزلا ... هيهات هيهات ، أمسى خطبكم جللا[1]

نقضتم العهد معقودا على دخل ... لعاقد ما نوى غشا ولا دخلا [2]

مازال شيطانكم بالغيظ يقدحه ... بين الجوانح حتى شب واشتعلا

هاجت وقائع بدر من حفيظتكم ... ونبهت منكم الداء الذى غفلا [3]

أتنكرون على الإسلام بهجته ... والله أطلعه من نوره مثلا ؟

دين الهدى يا بنى التوراة يشرعه ... للناس من شرع الأديان والمللا

لا تدعوا أنكم منها بمعتصم ... واق ولا تطمعوا أن تتركوا هملا

جاء النبيين بالفرقان وارثهم ... سبحان من نقل الميراث فانتقلا

رأى النفوس بلا هاد ، فأرسله ... يهدى الشعوب ويشفى منهم العللا

هلا سألتم أخاكم حين يبعثها ... هوجاء يعصف فيها الشر ما فعلا ؟

إن التى رامها فى عزها سفهًا ... لتؤثر الموت مما سامها بدلا

لا يبلغ العرضَ منها حين تمنعه ... من خيفة العار حتى تبلغ الأجلا

= محمد أحسن فى موالى ـ وكان بنو قينقاع حلفاء الخزرج . فأبطأ عليه رسول الله ﷺ فكرر ابن أبى مقالته ، فأعرض عنه ، فأدخل يده فى جيب درع رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ أرسلنى ، وغضب حتى رأوا لوجهه ظللا ، ثم قال : ويحك ! أرسلنى . . ولكن المنافق مضى على إصراره ، وقال : لا والله لا أرسلك حتى تحسن فى موالى اربعمائة حاسر ، وثلاثمائة دارع ، قد منعونى من الأحمر والأسود ، تحصدهم فى غزاة واحدة ، وإنى امرؤ أخشى الدوائر فوهبهم له ، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ، فخرجوا إلى أذرعات بالشام . فقلّ أن لبثوا فيها حتى هلك أكثرهم .

وقبض رسول الله ﷺ منهم أموالهم ، فأخذ منها ثلاث قسى ودرعين وثلاث أسياف وثلاثة رماح ، وخمس غنائمهم . وكان الذى تولى جمع الغنائم محمد بن سلمة [زاد المعاد : ٢/ ٧١ و٩١ ـ ابن هشام : ٢/ ٤٧ ـ ٤٩ ، الرحيق المختوم : ٢٥٦ و ٢٥٧] .

(١) جللا : عظيمًا .

(٢) الدخل : المكر والخديعة .

(٣) الحفيظة : الغضب .

وقد يكون لها من ربها رصد ... إذا رماه بعينى غاضب جفلا (١)
مازال بالدم حتى ظل سافحه ... يجرى على دمه مسترسلا عجلا
ما غركم بقضاء الله يرسله ... على يدى بطل أعظم به بطلا ؟
لقد دعاكم إلى الحسنى فمال بكم ... من طائف الجهل داع يورث الخبلا
قلتم رويدًا فإنا لا يصاب لنا ... كفؤ إذا ما التقى الجمعان فاقتتلا
لسنا كقومك إذ يلقون مهلكهم ... على يديك ، وإذ يعطونك النفلا (٢)
يا ويلكم حين ترتج الحصون بكم ... ترجو الأمان وتُبدى الخوف والوجلا
كم موئل شامخ العرنين يعجبكم ... يود يومئذ لو أنه وألا (٣)
أمسى عبادة منكم نافضًا يده ... فانبتّ من عهده ما كان متصلا (٤)
نعم الحليف غدرتم فانطوى حنقًا ... يرجو الآله ، ويأبى الزيغ والزللا (٥)
ما كان كابن أبى فى جهالته ... إذ راح شيطانه يرخى له الطولا (٦)
مضى على الحلف يرعى معشرًا غدرًا ... أهون بكم معشراً لو أنه عقلا
لا تذكروا الدم ، إن السيف منصلت ... فى كف أبيض يدمى البيض والأسلا (٧)

---

(١) جفل : أسرع منزعجًا .
(٢) النفل : الغنيمة .
(٣) وألا : طلب النجاة أو اتخذ له موئلا ، شامخ العرنين كناية عن العزة ، والمعنى : كم من عزيز يلجأ إليه يطلب النجاة فى هذا اليوم .
(٤) كانوا حلفاء عبادة بن الصامت ، وعبد الله بن أبى ابن سلول . فتبرأ عبادة منهم وقال: يا رسول الله ،أتولى الله ورسوله والمؤمنين وأبرأ من حلف هؤلاء الكفار ـ وبقى عبد الله ابن أبى على حلفه لهم ، وفيه نزلت ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾[المائدة: ٥١] إلى قوله﴿فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦] وانبت: انقطع.
(٥) الحنق : الغيظ ـ الزيغ : الضلال .
(٦) الطول : الليل الطويل .
(٧) المنصلت: السيف الصقيل الماضى ، والأبيض : الرسول الكريم. والبيض : السيوف، والأسل : الرماح.

وجانبوا الحرب ، إن الله خاذلكم ... ولن تروا ناصراً يُرجى لمن خذلا

مشى الرسول وجند الله يتبعه ... من كل مقدامة يغشى الوغى جذلا [١]

يهفو إلى الموت مشتاقًا ، ويطلبه ... بين الخميسين لا نكسًا ولا وكلا [٢]

لو غيبته المواضى فى سرائرها ... ألقى بمهجته يرتاد مدخلا

يخال فى غمرات الروع من مرح ... لولا الرحيق المصفى شاربًا ثملا [٣]

أهاب حمزة بالأبطال فانطلقوا ... وانساب منطلقًا يهديهم السبلا [٤]

عجبت للقوم ، طاروا عن مواقعهم ... ما ذاق هاربهم سيفًا ولا رجلا

مضوا سراعا إلى الآطام واجفة ... يخال أمنعها من ضعفه طللا [٥]

طال الحصار ، وظل الحتف يرقبهم ... حران يشجيه ألا ينقع الغللا

أفنوا من الزاد والماعون ما ادخروا ... واحتال أشياخهم فاستنفدوا الحيلا [٦]

من كل ذى سغب لو قال واحده ... كلنى ليعلم ما فى نفسه أكلا [٧]

لا يملكون لأهليهم وأنفسهم ... إلا العذاب وإلا الظن والأملا

ظلت وساوسهم حيرى تجول بهم ... فى مجهل يتردى فيه من جهلا

حتى إذا بلغ المكروه غايته ... وهال كل غوىّ الرأى ما حملا

---

(١) المقدامة : الشجاع ، والجذل : الفرح ، والوغى : الحرب .

(٢) الخميس الجيش يؤلف من خمس فرق : المقدمة ، والقلب ،والميمنة ، والميسرة ، والساقة، والنكس : من لا خير فيه من الرجال . والوكل : العاجز يكل أمره إلى غيره .

(٣) الغمرات : الشدائد ، والروع : الفزع والمراد به الحرب ، والثمل : السكران والمراد أنه يستقبل أهوال الحرب بسرور وفرح حتى لتحسبه ثملا .

(٤) لجأوا إلى حصونهم فسار النبى ﷺ إليهم ، وكان لواؤه بيد عمه حمزة بن عبد المطب ﷺ وحاصرهم .

(٥) الآطام : الحصون .

(٦) الماعون : كل ما ينتفع به من منافع البيت .

(٧) السغب : الجوع .

تضرعوا يسألون العفو مقتدرا يجود بالعفو إن ذو قدرة بخلا
أعطى النفوس حياة من سماحته فكان أكرم من أعطى ومن بذلا [١]
لو شاء طاح بهم قتلا فما ملكوا من بعد مهلكهم قولا ولا عملا
ما الظن بابن أبي حين يسأله من الأناة وفضل الحلم ما سألا ؟ [٢]
أما رأوه جريحًا لو يصادفه حِمامه لم يجد من دونه حولا ؟ [٣]
زالوا عن الدور والأموال وانكشفوا عن السلاح ، وراحوا خضعًا ذللا
هو الجلاء لقوم لا حلوم لهم ساؤوا مقامًا وساؤوا بعد مرتحلا
ساروا إلى أذرعات [٤] ينزلون بها نكدًا مشائيم ، لا طابت لهم نزلا
بادوا بها ، وتساقوا فى مصارعهم سوء العذاب ومكروه الأذى نهلا [٥]
يلوم بعض على ما كان من سفه بعضًا ، فمن يقترب يسمع لهم جدلا
أهل المعاقل ، هدتهم مدمرة تمضى ، فلا معقلا تُبقى ولا جبلا
رمى بها من رسول الله متئد لا يأخذ الناس حتى ينبذوا الرسلا
هل دولة الحق إلا قوة غلبت ؟ فافتح بها الأرض أو فامسح بها الدولا

---

(١) سألوا النبى ﷺ بعد أن طال الحصار خمس عشرة ليلة ، ولم يبق لديهم ما يأكلون أن يخلى سبيلهم على أن يجلوا بنسائهم وذراريهم وأن يكون له المال والسلاح .

(٢) قيل: إن النبى ﷺ أمر بقتلهم بعد خروجهم من الحصون فكلمه عبد الله بن أبى فيهم وألح عليه . وأنه أدخل يده فى جيب درعه الشريفة يسأله أن يعفو عنهم . وأنه ﷺ قال له : « **خذهم لا بارك الله لك فيهم** » ، وأمر بإجلائهم فتولى عبادة بن الصامت الأمر .

(٣) قيل : إنه جاء إلى منزل الرسول الكريم ﷺ قبل خروجهم من الحصون يسأله فى إقرارهم فحجب عنه ، فأراد الدخول فدفعه بعض الصحابة فصدم وجهه الحائط فشجه فانصرف مغضبًا . الحول : اسم من التحول والانتقال .

(٤) أذرعات بلد بالشام .

(٥) لم يحل الحول حتى هلكوا بدعوة الصادق الأمين « **خذهم ، لا بارك الله لك فيهم** » .

غزوة السَّويق

كانت فى اليوم الخامس من ذى الحجة فى العام الثانى من الهجرة بعد بدر بشهرين .

نذر أبو سفيان بعد وقعة بدر ألا يمس النساء والطيب حتى يغزو النبى ﷺ ، ثم إنه خرج فى مائتى راكب من مشركى قريش ليبر بيمينه فنزل على مسافة بريد من المدينة ، وأتى بنى النضير ليلا يريد دار « حيى بن أخطب » أحد رؤسائهم فضرب عليه بابه فأبى أن يفتح له . فجاء إلى « سلام بن مشكم » سيدهم وصاحب كنزهم فأذن له ، واجتمع به ، ثم خرج إلى أصحابه فبعث رجالا منهم إلى المدينة فحرقوا نخلا بها ، ووجدوا رجلا من الأنصار ـ قيل : إنه « معبد بن عمرو » ، وحليفًا لهم ـ الأنصار ـ فقتلوهما ثم انصرفوا راجعين . فخرج النبى ﷺ يطلبهم فى مائتى من المهاجرين والأنصار واستعمل على المدينة أبا لبابة بن عبد المنذر فجعل أبو سفيان وأصحابه يخففون للهرب بإلقاء جرب ـ جمع جراب ـ السويق فيأخذه المسلمون ، وذهبوا فلم يدركوهم ، وبلغ رسول الله « قَرقَرَة الكُدْر» ثم انصرف راجعا . السويق: القمح أو الشعير يقلى ثم يطحن .

تأنَّ ابنَ حرب لست فى مثلها جلدا	قصاراك أن ترتدّ حرّان أو تردى [1]
هى الغارة الحرى ، فإن شئت فانطلق	وإن شئت فاقعد واتخذ مضجعًا بردا
جلا السيف فى بدر لعينك ما جلا	وأبدى لك النصر المؤزر ما أبدى [2]
حلفت لئن لم تأت طيبة غازيا	لتجتنبنَّ الطيب والخرَّد الملدا [3]
أتغزو رسول الله أن هدَّ بأسُه	من الكفر سدا ما رأى مثله سدا ؟
كذلك وعد الله ، لو كنت مؤمنا	لأيقنت أن الله لا يخلف الوعدا

(١) القصارى : الجهد والغاية . الحران : العطشان والمقصود المغيظ ، وتردى : تهلك .

(٢) النصر : المؤزر البالغ الشديد .

(٣) الخرد : الأبكار والخفرات من النساء ، والملد : الناعمات .

جرى طيركم نحسًا ببدر ولن تروا لكم ما عبدتم غيره طائرًا سعدا
أمضَّك وجد متلف من محمد ولست أبا سفيان إن لم تزد وجدا [١]
رويدًا هداك الله ، إنك لن ترى له فى الوغى إن هجته للوغى نِدّا
أراك غررت القوم إذ رحت مُوجفًا تخادعهم عن حلقة لم تكن جدا [٢]
ذهبت تقود الجند يا لك قائدًا ويالـلألى سيقوا إلى يثرب جندا
تحاول نصرًا من حيَيّ بن أخطب وصاحبه هيهات زدت المدى بعدا
رُددت عن الباب الذى جئت طارقًا فيالك سهمًا ما ملكت له ردا
وما نلت خيرًا إذ أتيت ابن مشكم وكنت امرأ أعمى الهوى لا يرى رشدًا
بعثت على النخل الرجال ، فلم تدع لنفسك عزًا تبتغيه ولا مجدًا
شببت بهم نارًا ترامى لهيبها بعينك يبكى الضال أو يضحك الرندا[٣]
فوارس راحوا خفية فى سيوفهم فما وجدوا سيفًا ، ولا صادفوا غمدًا
يصيبونها شتى الجنى ، وكأنما يصيبون من أعدائهم معشرًا لدا [٤]
تولَّوا سراعًا بعد مقتل معبد وصاحبه والخيل تتبعهم جردًا [٥]
عليها من الغر الميامين فتية تبادر ورد الموت تلتمس الخلدا
دعاها الرسول المجتبى فكأنما دعا عاصفًا صعبًا يهدُّ القوى هدا
مضى ومضوا إثر السراحين ترتمى إلى شيخها مذعورة تتقى الأسدا [٦]
فلما رأى الجد استطار ولم يجد من الأرض يهوى فى مساربها بُدّا

---

(١) مضه الأمر وأمضه أحزنه حزنا بالغا .

(٢) أوجف الرجل الفرس ونحوه جعله يجف ؛ أى : يعدو ويسرع .

(٣) الضال والرند : نوعان من الشجر البرى . والأول السدر .

(٤) لدّا : من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٥) جردا : من الجرد وهو قصر الشعر . صفة محمودة فى الخيل .

(٦) السراحين : يريد بالسراحين المشركين وشيخهم أبو سفيان .

يصيح بجند السوء ألقوا بزادكم ... وفروا خفافًا ، لا يكن أمركم إدا [١]
وطاروا شعاعًا للسويق وراءهم ... ركامٌ إلى أعداء آربابهم يُهدى [٢]
هُم رفدوهم كارهين ، ولو وفوا ... بأيمانهم كانوا لأسيافهم رفدا [٣]
إليك ابن حرب إن للحرب جذوة ... إذا هيجت ذا نجدة زادها وقدا [٤]
هى النصر أو عاد من الموت واقعٌ ... بكل كمِىٍّ ، لا مفرَّ ، ولا معدى [٥]
فررت تخاف الفقد فى حومة الوغى ... بأيدى الألى يستعذبون بها الفقدا
أفى الحق أن لا تعبد الله وحده ... وتسجد للعزَّى تكون لها عبدا ؟
سبيلان شتى أنت لابد عالمٌ ... إذا ما استبنت الرشد ، أيهما أهدى
رجعت مغيظًا ، لم تنل وتر هالك ... ولم تشف غيظًا من ذويك ولا حقدا
تصُدُّ قريشٌ عنك مما كذبتها ... ومنّيتها ، يا طوب همك لو أجدى
قل الحق ، ما للعالمين سكينة ... على الأرض حتى يعبدوا الواحد الفردا

* * *

---

(١) إدًا : الإد الداهية والأمر المنكر الفظيع .

(٢) شعاعا : متفرقين ، الركام : الشىء المتراكم بعضه فوق بعض .

(٣) رفده : أعطاه وأعانه ، الرفد العطاء .

(٤) الجذوة : القطعة من الجمر لا تنطفىء حتى تصير رماداً .

(٥) معدى : مصدر ميمى من عدا الأمر إذا جوزه وانصرف عنه .

غزوة أحُد (*)

كانت فى شوال من السنة الثالثة ـ وأحد جبل من جبال المدينة .

لما أصاب قريشًا يوم بدر ما أصابها مشى عبد الله بن أبى ربيعة وعكرمة بن أبى جهل ، وصفوان بن أمية إلى أبى سفيان وإلى من كان له تجارة فى العير التى كانت سببًا للوقعة ـ وكانت لا تزال موقوفة فى دار الندوة ـ يحرضون على الحرب وأن يجعل ربح التجارة لتجهيز الجيش ، فقال أبو سفيان : أنا أول من يفعل وبنو عبد مناف معى ورضى القوم ، وكان الربح خمسين ألف دينار ، وقيل : خمسة وعشرين ألفًا . ونزلت ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ ﴾ [الأنفال:٣٦]. وكان جيش المشركين ثلاثة آلاف مقاتل من قريش والحلفاء والأحابيش . وكان جيش المسلمين من ألف مقاتل فيهم مائة دارع . ولا يوجد فرسان . واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم على الصلاة بمن بقى فى المدينة .

أدأبك أن تريد المستحيلا ؟ تأمل أيها المولى قليلا
لبثت تعالج الداء الدخيلا وتضمر فى جوانحك الغليلا[1]
وما يجديك لاعجه فتيلا

(*) كان قبلها غزوة « ذى أمر » وهى أكبر حملة عسكرية قادها رسول الله ﷺ فى المحرم سنة ٣ هـ . حيث خرج فى أربعمائة وخمسين مقاتلا .واستخلف على المدينة عثمان ابن عفّان .وكانت ضد بنى ثعلبة ومحارب حيث تجمعوا يريدون الإغارة على المدينة ولما علموا بسير المسلمين تفرقوا فى رؤوس الجبال . ووصل المسلمون إلى الماء المسمى بـ «ذى أمر » فأقاموا هناك صفرا كله أو قريبا من ذلك . ثم رجع إلى المدينة .

ثم حدث بعد ذلك غزوة بحران فى ربيع الآخر ٣هـ ، وسرية زيد بن حارثة فى جمادى الآخرة ٣ هـ .

(١) الغليل :الغيظ والحقد .

أما تنفكُّ تذكر يوم بدر ؟ وما عاينت من قتل وأسر ؟
وراءك ، إنها الأقدار تجرى بنصر للنبىّ وراء نصر
وكان الله باحسنى كفيلا

أبا سفيان دع صفوان يبكى وعكرمة يطيل من التشكى
وقل للقوم فى بر ونسك نهيت النفس عن كفر وشرك
وآثرت المحجة والسبيلا[١]

أراك أطعتهم وأبيت إلا سبيل السوء تسلكه مدلا [٢]
تريد محمدًا وأراه بسلا رويدك يا أبا سفيان : هلا [٣]
أردت لقومك الحسن الجميلا ؟

قريش لم تزل صرعى هواها وعير الشؤم لم تحلل عراها
أجل عينيك ، وانظر ما عساها تسوق من الجنود إلى وغاها ؟
فقد حملت لكم أسفًا طويلا

دعا صفوان شاعره فلبّى وكان يسومه شططًا فيأبى
أحل له الهجاء وكان خبًّا أحب من الخيانة ما أحبا [٤]

يريد العيش محتقرًا ذليلا

(١) المحجة : جادة الطريق والمراد الدين الحق .
(٢) المدل : الواثق بنفسه وبما لديه .
(٣) البسل :الحرام والمراد الممتنع .
(٤) قال صفوان لأبى عزة : يا أبا عزة إنك رجل شاعر فأعنا بلسانك . ولك على إن رجعت أن أغنيك ، وإن أصبت أجعل بناتك مع بناتى ، قال : إني عاهدت محمدا حين أطلقنى فيمن أطلق من أسارى بدر ألا أظاهر عليه أحدا ، فقال صفوان : بل أعنا بلسانك يا أبا عزة فخرج هو ومسافع يستنفران الناس .
والشطط : مجاوزة القدر فى كل شيء ، والخب: الخداع .

يذمُّ محمدًا ويقول نكرا ولولا لؤمه لم يأل شكرا
تغمَّد حقه وجزاه شرا وأمسى عهده كذبًا وغدرا
وإن له لمنقلبًا وبيلا [١]

ألم يمنن عليه إذ الأسارى تكاد نفوسها تهوى حذارا ؟
تطوف به مولهة حيارى تود لو أنها ملكت فرارا
وهل يُعطَى عدو الله سولا ؟

جبير أكان عمك حين أودى كعم محمد شرفًا ومجدا ؟
أحمزة أم طعيمة كان أهدى ؟ رويدك يا جبير أتيت إدًّا [٢]

وإن قضاء ربك لن يحولا
أراد فما لوحشيٍّ محيد ولا لك مصرف عما يريد
أليس لحمزة البأس الشديد فما يُغنى فتاك وما يفيد ؟
تبارك ربنا ربًا جليلا

تولوا بالكتائب والسرايا وساروا بالحرائر والبغايا
منايا قومهم جلبت منايا فسيرى فى سبيلك يا مطايا
ولا تدعى الرسيم ولا الذميلا [٣]

---

(١) يأل: يقصر فى الشكر ، تغمد حقه : أنكره . وأصل المعنى ستر الشيء وإخفاؤه ، والوبيل : الشديد السيء . ظفر النبى ﷺ به فى وقعة حمراء الأسد فأمر عاصم بن ثابت بقتله ، وحمل رأسه إلى المدينة .

(٢) جبير بن مطعم بن عدى دعا غلامه وحشيًا . وقال له : اخرج بحربتك مع الناس ، فإنك إن قتلت حمزة عم محمد بعمى طعيمة بن عدى (قتله حمزة فى وقعة بدر) فأنت عتيق، وإدًّا : فظيعا .

(٣) كان عددهم ثلاثة آلاف رجل ، وخرجت النساء مع المشركين بالدفوف ، ويقول ابن الجوزى: وساروا بالقيان والدفوف والمعازف والخمور والبغايا . والكتائب والسرايا : الجيوش ، والرسيم والذميل : نوعان من سير الإبل والأول أسرع .

ويا خيل اركضى بالقوم ركضا وجوبى للوغى أرضًا فأرضا
لعل الناقم الموتور يرضى نشدتك فانفضى البيداء نفضا
ووالى فى جوانبها الصهيلا

ويا هند اندبى القتلى ونوحى وزيدى ما بقومك من جروح
وراءك كل منصلت طموح تُهيِّجُ بأسه ريح الفتوح
وراءك فتية تأبى النكولا (١)

وراءك نسوة للحرب تُزجَى ترجُّ دفوفها الأبطال رجًّا
وتلك خمور عسكرك المرجَّى وكان الغى بالجهلاء أحجى (٢)
كذلك يطمس العقولا

رأيتِ الرأى شؤمًا أىَّ شؤم وما تدرى يمينكِ أين ترمى
لعمرك إنه لرسيس همّ تغلغل منك بين دمٍ ولحم (٣)
فيا ابنة عتبةَ اجتنبى الفضولا

أعن جسد الرضية بنت وهب يُشَقُّ القبر يا امرأة ابن حرب
ويُقطَعُ بالمُدى فى غير ذنب ليُفدَى كل مأسور بإرب
فيا عجبًا لقول منك قيلا (٤)

هى الهيجاء ليس لها مردٌّ فمن يك هازلا ، فالأمر جدٌّ

---

(١) هند زوج أبى سفيان . كانت ممن خرج مع الجيش من النساء يبكين قتلى بدر ويحرضن على القتال وترك الفرار ، والمنصلت هنا الماضى فى الأمور ، والنكول : النكوص والجبن .

(٢) أحجى : أخلق .

(٣) رسيس الهم وغيره ما يثبت منه .

(٤) لما بلغ المشركون الأبواء أشارت هند عليهم بنبش قبر أم النبى ﷺ وأخذ جثمانها . قالت : فإن أسر منكم أحد فديتم كل أسير بإرب من آرابها ـ الإرب الجزء ـ فأبوا خيفة أن ينبش بنو بكر قبور موتاهم .

لبأس الله هندٌ أشدُّ له جند وللكفار جند

وإن لجنده البطش المهولا

سيوف محمد أمضى السيوف وأجلب للمعاطب والحتوف (١)

إذا هوت الصفوف على الصفوف وأعرض كلُّ جبار مخوف

مضت ملء الوغى عرضًا وطولا

أرى السعدين (٢) قد دلفا وهذا عليٌّ بالحسام العضب لاذا

وحمزة جَدَّ معتزمًا فماذا ؟ ومن للقوم إن أمسوا جذاذا ؟

وطار حماتهم فمضوا فلولا

وفى الأبطال فتيان رقاق بأنفسهم إلى الهيجا اشتياق

لهم فى الناهضين لها انطلاق دعا داعى الجهاد فما أطاقوا

بدار السلم مثوى أو مقيلا (٣)

أعادهم النبى إلى العرين شبولا سوف تصلب بعد لين

يضنُّ بها إلى أجل وحين رعاك الله من سمح ضنين

يسوس الأمر يكره أن يعولا (٤)

---

(١) الحتوف : جمع حتف وهو الموت .

(٢) السعدين : سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة . ودلفا : تقدما ، والحسام العضب : السيف القاطع ـ ولاذ : لجأ، وجذاذا : قطعا ، وفلولا : منهزمين .

(٣) عرض النبى ﷺ جيشه بعد أن عسكر بالشيخين ـ أطمان أو جبلان ـ فوجد فيه جمعًا من الفتيان لم يبلغوا الخامسة عشرة . وقيل : الرابعة عشرة من العمر ، فردهم وأجاز رافع ابن خديج من دونهم لما قيل له : إنه يحسن الرماية ، وقال سمرة بن جندب لزوج أمه : أيقبل رافع وأرد وأنا أصرعه فبلغت مقالته النبى ﷺ فقال: « **تصارعا** » ،فصرع سمرة صاحبه فأجازه ، والمثوى : المقام .

(٤) يعولا : عال فى الحكم جار ومال عن الحق . وعاله الأمر شق عليه وثقل .

وقيل لرافع نعم الغلام ... إذا انطلقت لغايتها السهام
تقدم أيها الرامى الهمام ... إذا الهيجاء شب لها ضرام
فأمطرهاك سهامك والنصولا (١)

ونادى سمرة أيردٌ مثلى ... ويقبل صاحبى وأنا المجلّى (٢)
أصارعه فإن أغلب فسؤلى ... وكيف أذاد عن حق وعدل ؟
وأمنع أن أصول وأن أجولا ؟

وصارعه فكان أشد أسرا ... وأكثر فى المجال الضنك صبرا (٣)
وقيل له : صدقت فأنت أحرى ... بأن تردَ الوغى فتنال نصرا
ألا أقبل فقد نلت القبولا

أعبد الله ما لك من خلاق ... فعب بالناكثين ذوى النفاق
كفاك من المخافة ما تلاقى ... ومالك من قضاء الله واق
وإن أمسيت للشعرى نزيلا (٤)

أبيت على ابن عمرو ما أرادا ... وشر القوم من يأبى الرشادا (٥)
نهاك ، فلم تزد إلا عنادا ... ألم يسمع فريقك حين نادى

---

(١) النصولا : نصل السهم حديدته . والنصول جمع .

(٢) المجلِّى : الأول من خيل السباق ، وأذاد : أدفع .

(٣) الأسر : الخلق بخاء مفتوحة ، وشدة الأسر من صفات القوة . والضنك : الضيق .

(٤) عبد الله بن أبى ابن سلول ـ رجع ومن معه من المنافقين وكانوا ثلاثمائة رجل وهو يقول: عصانى وأطاع الولدان ومن لا رأى له ، سيعلم ـ لا ندرى علام نقتل أنفسنا ؟؟ ارجعوا أيها الناس . والخلاق : النصيب الوافر من الخير ، وقيل ما يكسب الإنسان هذا النصيب من أفعاله الممدوحة . والناكثين : الغادرين ، والشعرى : نجم .

(٥) عبد الله بن عمرو بن حرام والد جابر ﷺ ، انطلق فى أثر المنافقين يريد ردهم ويقول لهم : يا قوم أذكركم الله أن تخذلوا قومكم ونبيكم فلم يطيعوه فقال : أبعدكم الله ، سيغنى الله تعالى عنكم نبيه .

أطيعوا الله واتبعوا الرسولا ؟

يقول : نشدتكم لا تخذلوه ومـوثق قومكم لا تنقضوه
رسول الله إلاّ تنصروه فإن الحق ينصره ذووه

ألا بعداً لمن يبغى الغلولا (١)

تجلّى نور ربك ذى الجلال وهز الشّعب صوت من بلال
بلال الخير أذَّنَ فى الرجال فهبوا للصلاة من الرحال

وقاموا خلف سيدهم مثولا (٢)

علا صوت الأذين ، فأىُّ معنى لمن هو مؤمن أسمى وأسنى ؟ (٣)
إلهُ الناس فرد لا يثنَّى تأمل خلقه إنسًا وجنا

فلن تجد الشريك ولا المثيلا

أجل ـ الله أكبر لا مِراءَ فهل سمع الألى كفروا النداء ؟
أظن قلوبهم طارت هباء فلا أرضًا تطيق ولا سماء

جلالُ الحق أورثهم ذهولا

سرى الصوت المردد فى الصباح فضج الكون : حىَّ على الفلاح
تلقَّى صيحة الحق الصراح فقام يصيح من كل النواحى
يسبح ربه غب ارتياح ويحمده بألسنة فِصاح (٤)
تعطفت الجبال على البطاح وكبّرت المدائن والضواحى

---

(١) الغلول : الخيانة .

(٢) مضى ﷺ حتى نزل الشعب من أحد فصف المسلمين وحانت صلاة الصبح والمسلمون يرون المشركين فأذن بلال رضي الله عنه للصلاة وصلى النبى ﷺ بأصحابه .
الرحال : جمع رحل وهو هنا بمعنى المثوى أو المنزل أو ما يكون مع الرجل من الأثاث .
ومثول جمع ماثل ؛ أى : قائم .

(٣) الأذين : المؤذن .

(٤) غب بمعنى بعد .

وأوِّبت البحار مع الرياح وصفق كل طير بالجناح [1]
كتاب الحق ما للحق ماح يُرتَّل فى الغدوِّ وفى الرواح
فقل للناس من ثَمِلٍ وصاح شريعة ربكم ، ما من براح

فمن منكم يريد بها بديلا ؟

ألا طابت صلاتك إذ تقام وطاب القوم إذ أنت الإمام
أقمها يا محمد فهى لام تساقط حولها الجُنَن العظام [2]
بها يتخطف الجيش اللهام وليس كمثلها جيش يرام [3]
قضاها الله ، فهى له ذمام وذاك نظامها ، نعم النظام
يوطِّد من بنَى ، وهى الدعام ويصعد بالذرى ، وهى السنام
نهضت لها ، وما هبّ النيام وبادرها الميامين الكرام
مقام ما يطاوله مقام ودين من شعائره السلام

يصون لواءه جيلا فجيلا

هُدى الأجيال يخطب فى الهداة ويأمر بالجهاد وبالصلاة [4]
وبالأخلاق غرا طيبات مُلقَّى الوحى والإلهام هات
وصف للناس آداب الحياة وكيف تكون دنيا الصالحات

(١) التأويب هنا ترجيع الصوت ﴿ يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ ﴾ [سبأ : ١٠] .

(٢) اللام جمع لامة وهى الدرع ، والجنن جمع جنة وهى هنا ما يُتَّقَى به من السلاح .

(٣) الجيش اللهام : العظيم .

(٤) خطب ﷺ أصحابه عند صلاة الصبح يحثهم على الجهاد والصلاة ومن قوله فى هذه الخطبة : « ما أعلم من عمل يقربكم إلى الله تعالى إلا وقد أمرتكم به ، ولا أعلم من عمل يقربكم إلى النار إلا وقد نهيتكم عنه ، لن تموت نفس حتى تستوفى أقصى رزقها لا ينقص منه شىء وإن أبطأ عنها ، فاتقوا الله ربكم وأجملوا فى طلب الرزق ، لا يحملنكم استبطاؤه أن تطلبوه بمعصية الله ، والمؤمن من المؤمن كالرأس من الجسد إذا اشتكى تداعى إليه سائر جسده ، والسلام عليكم » .

وخذهم بالنصائح والعظات مضيئات المعالم مشرقات
شعوب الأرض من ماض وآت عيالك ، فاهدهم سُبل النجاة
إذا ضلَّت دهاقين الثقات وأمسى الناس أسرى التُّرَّهات (١)
وخف ذوو الحلوم الراسيات فأصبحت الممالك راجفات

أقمت الأرض تكره أن تميلا

ألا برز الزبير فأى وصف حواريٌّ الرسول يفى ويكفى ؟
برزت لخالد حتفًا لحتف تصد قواه عن كرٍّ وزحف

وتدفعه إذا ابتعث الرعيلا (٢)

ألم تره وعكرمة استعدا ؟ فأمَّا جدَّت الهيجاء جدا
بنى لهما رسول الله سدا ومثلك يُعجز الأبطال هدّا

ويترك كل ممتنع مهيلا (٣)

لمن يرث الممالك لا سواه أعد القائد الأعلى قواه
وبثَّ الجيش أحسن ما تراه تعالى الله ليس لنا إله

سواه فوالِهِ ودَع الجهولا

رماةَ النبل ما أمر النبىِّ فذلك ، لا يكن منكم عصىٌّ (٤)

---

(١) الدهاقين : الذين لهم قوة التصرف من كبار الرجال ، والترهات : الخرافات .

(٢) أقبل خالد بن الوليد وعكرمة بن أبى جهل فى طليعة خيل المشركين ، فأمر الزبير بن العوام أن يذهب على رأس قوة من المسلمين فيقف بإزائه . وأرسل جماعة من أصحابه ليكونوا فى جانب آخر وقال « **لا تبرحوا حتى أوذنكم ولا يقاتلن أحد منكم حتى آمره بالقتال** » ، والرعيل التطعة من الخبل .

(٣) المهيل من الرمل ونحوه ما انهال .

(٤) كان الرماة خمسين رجلا أمر النبى ﷺ عليهم عبد الله بن جبير وقال: « **انضح الخيل عنا بالنبل ،لا يأتونا من خلفنا، واثبت مكانك إن كانت لنا أو علينا لا نؤتين من قبلك**». وفى رواية : « **إن رأيتمونا تتخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم ،وإن رأيتمونا نقتل فلا**=

إذا مــا زالــت الــشم الجَــثــىُّ وكــان لــهــا انـطـلاق أو مـضــىُّ (١)

فكـونوا فـى أمـاكنـكم حـلولا

رمــاة الـنـبـل ردُّوا الخَــيــل عـنَّـا وإن نـهـلـت سـيـوف الـقـوم منَّـا

فــلا تـتـزحـزحــوا ، فــإذا أذنَّـا فــذلـك ، إن لـلـهـيـجــاء فـنَّـا

تلـقنه الجـهـابذة الـفحـولا (٢)

تـلـقَّ أبـا دجـانـة بـالـيـمـين حـسامـك من يد الهـادى الأمـين (٣)

وخــذه بـحـقـه فـى غـيـر لـين لـتنـصـر فى الـكريـهـة خـيـر ديـن

يرفُّ عـلى الـدنى ظلا ظـليـلا

نـصـيـبك نـلـتـه مـن فـضـل ربٍّ قـضاه لـصادق النجدات ضـرب (٤)

= **تغيثونا ، ارشقوهم بالنبـل فإن الخيل لا تقدم علـى النبل ، إنا لا نزال غالبين مـا مكثتم مكانكم ، اللهم إنى أشهدك عليهم »** .

(١) الشم الجثىُّ : الجبال الـرواسى كأنها فى صورة من يجثو ؛ أى : يجلس عـلى ركبتيه أو يقوم على أطراف أصابعه .

(٢) الجهابذة : جمع جهبذ وهو الناقد البصير .

(٣) أخرج ﷺ سيفًا مكتوبًا فى إحدى صفحتيه:

فى الجبن عار وفى الإقبال مكرمة والمرء بالجبن لا ينجو من القدر

ثم قـال : « **من يأخذ هذا السيف بحقه** » ، فقام إليه رجال فـأمسكه عنهم . وكان من جملتهم على بن أبى طالب قام ليأخذه فقال: « **اجلس** » ، وعمر فأعرض عنه ، والزبير (وطلبه ثلاث مرات) فكذلك ، وقام أبو دجانة فـقال : وما حقه يا رسول الله ؟ قال: «**تضرب به فى وجه العـدو حتى ينحنى** » ، قال : أنا آخذه بحقه فـدفعه إليه وأبو دجانة هو سمـاك بن خرشة أخو بـنى ساعدة . وأخذ عـصابة له حمـراء فعصب بهـا رأسه . وقالت الأنصار : أخرج أبو دجانة عصابة الموت . فجعل لا يلقى أحدا من المشركين إلا قتلـه . قال ابن اسحاق : قـال أبو دجانة :رأيت إنـسانا يحمـش الناس حمشـا شديدا (يحرضهم على القتال) فعمدت إليه ، فلما حملت عليه السيف ولول . فأكرمت سيف رسول الله ﷺ أن أضرب به امرأة .

(٤) الضرب : الضرب من الرجال الماضى فى الأمور .

تخطى القوم من آل وصحب فكان عليك عضبًا فوق عضب

تبخترْ وامض مسنونًا صقيلاً (١)

أبا سفيان لا يقتلك هما ولا يذهب بحلمك أن تذما (٢)

أحين بعثتها شرًا وشؤما أردت هوادة ، وطلبت سلما ؟

مكانك لا تكن مذِلاً ملولا (٣)

من الداعى يصيح على البعير أمالى فى الفوارس من نظير (٤)

أرونى همة البطل المغير إلىَّ ـ فما بمثلى من نكير (٥)

أنا الأسد الذى يحمى الشبولا

تحداه الزبير وفى يديه قضاء خف عاجله إليه

رمى ظهر البعير بمنكبيه وجرّعه منيته عليه

فأسلم نفسه وهوى قتيلا

ألا بعدا لطلحة حين يهذى فيأخذه علىٌّ شر أخذ (٦)

(١) كان أبو دجانة يختال عند الحرب ، وقال النبى وقد رآه بين الصفين : « **إنها لمشية يبغضها الله إلا فى مثل هذا الموطن** » .

(٢) نادى عند اصطفاف القوم : يا معشر الأوس والخزرج خلوا بيننا وبين بنى عمنا وننصرف. عنكم فشتموه أشد الشتم.

(٣) الذل : القلق الضجور .

(٤) خرج رجل من المشركين على بعير يدعو للبراز فأحجم عنه الناس وقام إليه الزبير فوثب حتى استوى معه على البعير ثم عانقه فاقتتلا فوق ظهره فوقع المشرك ووقع عليه الزبير فذبحه . فأثنى عليه النبى ﷺ وقال : « **لكل نبى حوارى ، وإن حوارى الزبير ، وقال لو لم يبرز إليه الزبير لبرزت إليه** » [البخاري : ح ٢٨٤٦ و ٣٧١٩ ، مسلم : ح ٢٤١٥ .

(٥) نكر الرجل الآخر نكيرًا جهله ولم يعرفه .

(٦) طلحة بن أبى طلحة ـ من بنى عبد الدار ـ حامل لواء المشركين ـ طلب المبارزة وجعل يهذى بكلام ، منه : يا أصحاب محمد زعمتم أن قتلاكم إلى الجنة وأن قتلانا إلى النار ـ وفى رواية : إنكم تزعمون أن الله يعجلنا بسيوفكم إلى النار ويعجلكم بسيوفنا إلى الجنة =

أصيب بقسوريّ البأس فذٍّ يُعدُّ لكل طاغي النفس مؤذ [١]
يعالج داءه حتى يزولا
أمن فقد إلى فقد جديد ؟ لقد أضحى اللواء بلا عميد
بصارم حمزةَ البطل النجيد هوى عثمان إثر أخ فقيد
وأم الكفر ما برحت ثكولا [٢]
أبى شر الثلاثة أن يريعا فخرَّ على يدَىْ سعد صريعا [٣]
ثلاثة إخوة هلكوا جميعا وراح مسافع لهم تبيعا [٤]
رمت يد عاصم سمًا نقيعا تورّد جوفه فجرى نجيعا [٥]
وجاء أخوه يلتمس القريعا فأوردَ نفسه وِردًا فظيعا [٦]
وإن لربك الفضل الجزيلا
رميتهما فظلا يزحفان يجران الجراح وينزفان [٧]

= فهل أحد منكم يعجلني بسيفه إلى النار ، أو أعجله بسيفي إلى الجنة ، كذبتم واللات والعزى ـ خرج إليه على بن أبى طالب فقتله .

(١) القسورى نسبة إلى القسور وهو الأسد .

(٢) لما سقط لواء المشركين بعد قتل طلحة أخذه أخوه عثمان فحمل عليه حمزة فقطع يده وكتفه حتى انتهى إلى مؤتزره .

والصارم : السيف القاطع ،والثكول من الثكل ، وهو الفقد والهلاك .

(٣) لما قتل عثمان بن أبى طلحة أخذ اللواء أخوه أبو سعيد بن أبى طلحة فرماه سعد بن أبى وقاص فأصاب حنجرته فقتله ، يريع بمعنى يرجع . صريعا : قتيلا .

(٤) مسافع بن طلحة بن أبى طلحة الذى قتله على بن أبى طالب كرم اله وجهه ـ أخذ اللواء بعد أبى سعيد فرماه عاصم بن ثابت بن أبى الأقلح فقتله .

(٥) تورده بمعنى ورده ، النجيع : ما كان إلى لسواد من الدم ، أو هو دم الجوف .

(٦) أخو مسامع الحارث بن طلحة أخذ اللواء بعد أخيه فرماه عاصم رضي الله عنه فقتله .

القريع هنا : المقارع .

(٧) كان كل واحد من مسافع والحارث بعد أن رماه عاصم يأتي أمه سلافة ،ويضع رأسه فى=

وخلفهما من الدم آيتان هما للكفر عنوان الهوان
ترى الرأسين مما يحملان على الحجر المذمم يوضعان
أمن ثديى سلافة يرضعان ؟ تقول وقلبها حرّان عان
علىّ الجود بالمائة الهجان لمن يأتى بهامة من رمانى [١]
فواظمأى إلى بنت الدنان تدار بها علىَّ فودِّعانى

ومونا ، إن للقتلى ذحولا [٢]

دعاة اللات والعزَّى أنيبوا فليس لصائح منكم مجيب
وليس لكم من الحسنى نصيب لربٍّ الناس داع لا يخيب
ودين الحق يعرفه اللبيب وما يخفى الصواب ولا يغيب
رويدا إن موعدكم قريب وكيف بمن يصاب ولا يصيب ؟
سليبُ النفس يتبعه سليب أما يفنى الطعين ولا الضريب
لواء ليس يحمله عسيب عليه من منايكم رقيب [٣]

كفاكم ـ ياله حملا ثقيلا [٤]

رمى بالنبل كل فتى عليم فردَّ الخيل دامية الشكيم [٥]

= حجرها فتقول له : يا بنى من أصابك فيقول : سمعت رجلا يقول : خذها وأنا ابن أبى الأفلح ، فنذرت إن أمكنها الله من رأس عاصم أن تشرب فيه الخمر وجعلت بمن يجىء به مائة من الإبل .

(١) الهجان : الخالصة .

(٢) بنت الدنان هى الخمر ، والذحول : جمع ذحل ،وهو الثأر .

(٣) عسيب اسم جبل .

(٤) تتابع القتل فى حملة اللواء فتمزق المشركون .

(٥) حملت خيل المشركين على المسلمين ثلاث مرات وهى تنضح بالنبل فترجع مغلولة ، وحمل المسلمون عليهم فحمى القتال .

والشكيم جمع شكيمة وهى حديدة اللجام فى فم الفرس .

بنضح مثل شؤبوب الحميم يصب على فراعنة الجحيم (١)
وصاحت هند في الجمع الأثيم تحرِّض كل شيطان رجيم (٢)
ألا بطل يذبّ عن الحريم ويضرب بالمهند في الصميم ؟
فهاجت كلَّ ذات حشى كليم تبثُّ الشجو في الهذر الذميم (٣)
وتذكر طارقا دأب المليم يسيء ويدعي لأب كريم (٤)
وأين مكانهن من النعيم ومن جرثومة الحسب القديم ؟ (٥)
زعمن الشرك كالدين القويم لهنَّ الويل من خطب عميم

رمى الأبناء وانتظم البعولا

من البطل المعصَّب يختليها رقابًا ما يمل الضرب فيها ؟ (٦)
بأبيض تتقيه ويعتريها وتكره أن تراه ويشتهيها
لها من حده وال يليها وينتزع الحكومة من ذويها

(١) شؤبوب الحميم : الماء الحار .

(٢) قامت هند زوج أبي سفيان في النسوة اللاتي معها لما حميت الحرب فأخذن الدفوف يضربن خلف الرجال ويقلن .

ويها بني عبد الدار ويها حماة الأدبار ضربًا بكل بتار

ثم ينشدن :

نحن بنات طارق نمشي على لنمارق مشى القطا النوازق
والمسك في المفارق والدر في المخانق أن تقبلوا نعانق
ونفرش النمارق أو تدبروا نفارق فراق غير وامق

وكان النبي ﷺ إذا سمع ذلك يقول : « **اللهم بك أحول ، وبك أصول ، وفيك أقاتل ، حسبي الله ونعم الوكيل** » .

(٣) حشى كليم : جريح ، والشجو : الحزن والألم .

(٤) ادعى إليه : انتسب .

(٥) جرثومة : أصل .

(٦) هو أبو دجانة ، كان له عصابة حمراء يعصب بها رأسه في الحرب فسميت عصابة الموت، جعل لا يلقى أحدًا إلا قتله بالسيف الذي أخذه من رسول الله ﷺ ، وكان يشحذه بالحجارة كلما كل ، فمازال يضرب به حتى انحنى وصار كأنه منجل .
يختليها يجزها أو ينزعها تشبيهًا لها بالخلا لرطب إذا فعل به ذلك .

بررت أبا دجانة إذ تريها | وحِيَّ الموت تطعمه كريها [1]
صددت عن السفيهة تزدريها | وتكرم سيفك العف النزيها [2]
تولول للمنية تتقيها | فإيها يا ابنة الهيجاء إيها
نجوت ولو رآك له شبيها | مضى العضب المشطب ينتضيها [3]
حياةً مناجز ما يبتغيها | إذا شهد الكريهة يصطليها

فأرسلها دمًا وهوى تليلا [4]

* * *

(١) وحِيّ الموت : الوحى السريع .
(٢) هند سمعها أبو دجانة تحرض على القتال أشد التحريض فحمل عليها بسيفه يظنها رجلا فولولت فأعرض عنها إكراما لسيف رسول الله ﷺ .
(٣) العضب المشطب : السيف به خطوط من أثر الضرب .
(٤) التليل : الصريع .

مقتل حمزة رضي الله عنه

أبلى حمزة رضى الله عنه فى موقعة أحد بلاء حسنًا ، وكان يقاتل بين يدى النبى ﷺ بسيفين ، ويقول : أنا أسد الله ، وقد أصيب ببضع وثمانين جراحة ما بين ضربة بسيف ، أو طعنة برمح ، أو رمية بسهم .

قتله وحشى الحبشى مولى جبير بن مطعم بن عدى ، قال وحشى : إنى لأنظر إلى حمزة يهد الناس بسيفه حتى عثر فانكشفت الدرع عن بطنه فهززت حربتى حتى إذا رضيت منها دفعتها عليه فوقعت فى ثنيته (موضع تحت السرة وفوق العانة) .

خرج النبى ﷺ يلتمس حمزة فوجده ببطن الوادى وقد بقر بطنه ومثل به ، فلم يكن أوجع لقلبه الشريف مما رأى وقال : « **لن أصاب بمثلك أبدا ، وما وقفت قط موقفًا أغيظ لى من هذا ، رحمة الله عليك كنت فعولا للخيرات ، وصولا للرحم**»، ثم قال : جاءنى جبريل فأخبرنى أنّ حمزة مكتوب فى السموات السبع : حمزة أسد الله وأسد رسوله . [سير ابن هشام ٣/٣٩و٤٠] ثم صلى عليه وعلى إخوانه من الشهداء وأمر بدفنهم ، وقيل : إنه أمر بدفنهم بدمائهم وثيابهم فلم يغسلوا ولم يصل عليهم [١] .

جعلت هند زوج أبى سفيان ومن معها من نساء المشركين يمثلن بقتلى المسلمين يجدعن آذانهم وأنوفهم ويتخذن منها القلائد ، وقد بقرت هند بطن حمزة وأخرجت كبده فلاكتها ولم تستطع أن تسيغها فألقتها من فيها ، وكانت قد نذرت أن تأكلها إذا قتل ، وقيل : إن وحشيا هو الذى بقر بطنه وجاءها بكبده فأعطته

---

(١) قال ابن إسحاق : وحدثنى من ولا أنهم عن مقسم عن ابن عباس ، قال : أمر رسول الله ﷺ فسُجِّىَ حمزة ببردة ثم صلى عليه فكبر سبع تكبيرات ، ثم أتى بالقتلى يوضعون إلى حمزة فصلى عليهم وعليه معهم حتى صلى عليه ثنتين وسبعين صلاة .
[ابن هشام فى السيرة : ٣/ ٤٠ ،هذا غريب وسنده ضعيف . قال السهيلى . ولم يقل به أحدٌ من علماء الأنصار .

ثيابها وحليها ووعدته أن تدفع له عشرة دنانير إذا رجعت إلى مكة . وجاء بها إلى مصرع حمزة فجدعت أنفه وقطعت أذنيه ، ثم جعلت من ذلك كالسوار فى يديها، وقلائد فى عنقها .

صاحبُ السيفين ماذا صنعا ؟ ودَّع الصفين والدنيا معا
غاب عن أصحابه ما علموا أى دار حل لما ودعا
غاب عن أعينهم فى غمرة سد غول الهول منها المطلعا
طلبوه ، وتنادى جمعهم نكبة حلت ، وخطب وقعا
يارسول الله ـ هذا حمزة أترى عيناك منه المصرعا ؟
إنه عمك إلا أذنا قطعت منه وأنفًا جدعا
إنه عمك فانظر بطنه كيف شقوه ، وعاثوا فى المعى ؟
كبد الفارس ، ماذا فعلت أين طاحت ؟ من قضى أن تنزعا ؟
نذر هند هى ، لولا أنها لم تسغها أكلتها أجمعا (١)
طفقت تمضغ من أفلاذها علقمًا مرًا وسمًا مُنقعا (٢)
كلما همت بها تدفعها ملء شدقيها أبت أن تُدفعا
نذرت يوم أبيها نذرها علّها تشفى الفؤاد الموجعا
جاء وحشىٌّ فضجَّت فرحا ويك ، إن الأرض ضجت فزعا
تبذلين الحَلْى والمال على أن جناه جاهليًا مفظعا
ياله ياهند جرحًا داميًا ضاق عنه الصبر مما اتسعا
أفما أبصرت رُكنى أحد حين سال الجرح كيف انصدعا ؟

---

(١) ساغ الطعام وأساغه وهو أجود سهل مدخله فى الحلق .

(٢) أفلاذها : جمع فلذ ،وهى القطعة من الكبد ونحوها ، والسم المنقع : المربى .

وأبو سفيان ماذا هاج ؟ أفما يزمع أن يرتدعا ؟ (١)
غره في يومه ما غره إن عند الغد سرا مودعا
يطعن الليث ويفري شدقه حين ألقى جبه فاضطجعا
لو رآه يتحدَّى نفسه لرآها كيف تهوى قطعا (٢)
يذكر العزى ويدعو هبلا ويحه من ذاكر ، ماذا دعا ؟ (٣)
أسد الله رماه ثعلب يا له من حادث ، ما أبدعا
أخذته عثرة مزؤودة ضجت الدنيا لها تدعو لعا (٤)
زالت الدرع فغشَّى بطنه دافق من دمه فادّرعا
حربة ظمأى أصابت مشرعا كان من خير وبرٍّ مترعا (٥)
جزع الهادي لها نازلة جلّلت عليا قريش جزعا
تلك رؤياه وهذا سيفه لا رعى الرحمن إلا من رعى (٦)

---

(١) جعل أبو سفيان يضرب بزج الرمح فى شدق حمزة بعد قتله ويقول : ذق عقق : أى ذق جزاء مخالفتك لقومك يا عاق ـ وقد مر به الحليس سيد الأحابيش وهو يفعل ذلك فقال: يا بنى كنانة ، هذا سيد قريش يفعل بابن عمه ما ترون ، فقال أبو سفيان : اكتمها عنى فإنها زلة ، ويزمع : المراد منها هنا يريد .

(٢) تحدى الشيء تعمده ، والرجل باراه في فعله ونازعه الغلبة .

(٣) لما قتل حمزة نادى أبو سفيان : اعل هبل ، فقال النبى ﷺ: « **قم يا عمر فأجبه فقل : الله أعلى وأجل ، لا سواء ، قتلانا فى الجنة ، وقتلاكم فى النار** » . فقال أبو سفيان إنكم تزعمون ذلك ، لقد خبنا إذًا وخسرنا ، إن لنا العزى ولا عزى لكم ، فقال النبى ﷺ: «**والله مولانا ولا مولى لكم** » . [عن ابن عائذ وغيره ـ عيون الأثر : ٢/ ٢٧] .

(٤) مزؤودة بمعنى مذعورة ، ولعًا أو لعًا لك : كلمة تقال عند العثرة ، وهى دعاء بالانتعاش.

(٥) المشرع : المورد والمنزع المملوء .

(٦) قبل خروج النبى ﷺ إلى أحد رأى رؤيا قصها على سعد بن معاذ وأسيد بن حضير وسعد بن عبادة رضي الله عنهم فقال : « **رأيت بقراً تذبح ورأيت فى باب سيفى ثلما**=

ثلمة هدَّتْ من الكفر حمى | زعم الكفار أن لن يفرعا (١)
بورك المضجع والقوم الألى | وسَّدوا فيه الشهيد الأروعا (٢)
مثّل القوم به من بغيهم | ما نهاهم دينهم أو منعا (٣)
ليس للأخلاق إلا دينُها | يؤثر المثلى ، ويهدى من وعى
وعد الإسلام خيراً مَن عفى | إن حسن العفو مما شرعا
سائل اللائى تقلَّدن الحلى | من جلود من رآها خشعا

= (هو ذو الفقار) ورأيت أنى أدخلت يدى فى درع حصينة وأنى مردف كبشًا ، فأما البقر فناس من أصحابى يقتلون ، وأما الثلم الذى رأيته فى سيفى فهو رجل من أهل بيتى يقتل، وأما الدرع الحصينة فالمدينة ، وأمـا الكبش فإنى أقتل كبش القوم » (هو طلحة ابن أبى طلحة حامل لواء المشركين الذى قتله على بن أبى طالب كرم الله وجهه) . صحيح : رواه البيهقى فى الدلائل : ٣/ ٢٠٤ و ٢٠٥ وأحمد : ١/ ٢٧١ . وسيفه اسمه « ذو الفقار » بفتح الفاء ، سُمى بذلك لأنه كانت فيه حفر صفار حسان والسيف المفقر الذى فيه حزوز مطمئنة عن متنه .

وعن أبى موسى الأشعرى عن النبى ﷺ قال : رأيت فى المنام أنى أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وصلى إلى أنّها اليمامة ، أو هجر ، فإذا هى المدينة يثرب . ورأيت فى رؤياى هذه أنى هززت سيفا ، فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين . ورأيت فيه أيضا بقرا والله خيرا . فإذا هم النفر من المؤمنين يوم أحد وإذا الخير ما جاء الله به من الخير وثواب الصدق الذى أتانا بعد يوم بدر .

متفق عليه : البخارى : ح ٣٦٢٢ ، ٣٨٩٧ و ٧٠٣٥ ومسلم ح : ٢٢٧٢ / ٢٠ .

(١) فرع الجبل ونحوه علاه .

(٢) الأروع من يعجبك بحسنه وجهارة منظره ،أو بشجاعته ، وقيل:هو الشهم الذكى الفؤاد.

(٣) ممن مثل بهم من شهداء المسلمين : عبد الله بن جحش رضي الله عنه بدعوة دعاها على نفسه قبل وقعة أحد وهى : اللهم ارزقنى غداً رجلا شديدا بأسه فيقتلنى ثم يأخذنى فيجدع أنفى وأذنى فإذا لقيتك قلت : يا عبد الله فيم جدع أنفك وأذنك فأقول : فيك وفى رسولك فتقول : صدقت (هو ابن أميمة بنت عبد المطلب) قتله أبو الحكم بن الأخنس بن شريق ثم قتل كافرا فى وقعة أحد .

أهي كـالـلؤلـؤ ، أم أبـهـى سنًـا ... مـن غـواليـه وأسـمـى مـوضـعـا ؟

بـوركَـتْ ـ إنـي أراهـا زُلَـفًـا ... رفـع الله بـهـا مـن رفـعـا [١]

لـن يـفـوت الـكـفـرَ مـنـهـا ذابـح ... لا يـبـالـى أى جـلـد مـزعـا

يـا لـريـب الـدهـر مـا أفـدحـه ... حـادثًـا نـكـرًا ورزءًا مـفـجـعـا

رجـع الـذكـر بـه مـؤتـنـفًـا ... ولـقـد أشـفـقـت أن لا يـرجـعـا

شُـغِـل الأهـل عـن الأهـل فـيـا ... عـجـبًـا لـلـدهـر مـاذا صـنـعـا ؟

أفـمـا أبـصـر إلا لاهـيًـا ... أو مـعـنى بـالأمـانـى مـولعـا ؟

اذكـروا يا قـوم مـن أمـجـادكـم ... مـا نـسـيـتـم ، رب ذكـر نـفـعـا

* * *

---

(١) زُلفا : جمع زلفة وهى القربة والمنزلة .

الرُّمَاة

لما قتل أصحاب لواء المشركين واحداً بعد واحد انهزموا ، وتبعهم المسلمون يضعون فيهم السلاح وينتهبون الغنائم ، فألقى نساؤهم الدفوف وذهبن إلى الجبل كاشفات سيقانهن صارخات مولولات ففارق الرماة أماكنهم ونهاهم أميرهم عبد الله بن جبير رضى الله عنه فتركوه ، وانطلقوا يبتدرون الغنائم إلا فريقًا منهم دون العشرة ثبتوا معه فى أماكنهم .

نظر خالد بن الوليد إلى قلة من بقى فى الجبل من الرماة فكر بالخيل ومعه عكرمة بن أبى جهل فحملوا على هذه البقية فقتلوها ومثلوا بأميرها .

وخرجت أحشاؤه « عبد الله بن جبير » لكثرة ما طعن بالرماح .

وأحاط المشركون بالمسلمين ، وقد شغلوا بالنهب والأسر ووضعوا السيوف فيهم فتفرقوا فى كل وجه انتقضت صفوفهم فاختلطوا ، وصار يضرب بعضهم بعضًا وهم لا يعلمون ـ وقيل : إن مناديًا منهم قال : يا عباد الله أخراكم ـ يريد ـ احترزوا من جهة أخراكم ـ فعطفوا على أخراهم يقتل بعضهم بعضًا وهم لا يشعرون .

وذهب طائفة منهم إلى المدينة فأقامت ثلاثة أيام ثم رجعت وانطلق بعضهم إلى ما فوق الجبل ، ورجعت طائفة أخرى فاختلطت بالمشركين ، فلم يتميزا فأنزل الله ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ** ﴾ [آل عمران:١٥٥]. روى البخارى عن عائشة قالت : لما كان يوم أحد هزم المشركون هزيمة بينة . فصاح إبليس :أى عباد الله أخراكم أى احترزوا من ورائكم ، فرجعت أولاهم فاجتلدت هى وأخراهم ، فبصر حذيفة فإذا هو بأبيه «اليمان » ، فقال : أى عباد الله أبى أبى . قالت : فوالله ما احتجزوا عنه حتى قتلوه ، فقال حذيفة : يغفر الله لكم . قال عروة : فوالله ما زالت فى حذيفة بقية خير حتى لحق بالله .

[البخارى : ١/ ٥٣٩ و ٢/ ٥٨١ ، فتح البارى : ٧/ ٣٥١ و ٣٦٢ و ٣٦٣
وذكر غير البخارى أن رسول الله ـ ﷺ ـ أراد أن يديه . فقال حذيفة : تصدقت بديته على المسلمين . فزاد ذلك حذيفة خيرا عند النبى ﷺ] .

[الرحيق المختوم : ٢٧٩] .

ثبت النبى ﷺ لما تفرق أصحابه وصار يقول : « **إلى يا فلان ، إلى يا فلان ، أنا رسول الله** » ، والنبل يأتيه من كل ناحية ، والله يصرفه عنه ، وثبت معه جماعة من أصحابه واستمر أبو طلحة بين يديه ـ وكان راميًا مجيدًا ـ ينثر كنانته ويقول : نفسى لنفسك الفداء ، ووجهى لوجهك الوقاء ، ومازال ﷺ يرمى عن قوسه الكتوم (التى لا يسمع لها صوت) حتى صارت شظايا .

أئن تولت جنود الشرك مدبرة … خف الرماة وظنوا الأمر قد وجبا ؟

كأنهم والرِّعان الشم تقذفهم … سيل تدفق فى شؤبوبه صببا [١]

يخالهم من يراهم ساعة انطلقوا … سهامهم حين جاش البأس فالتهبا

رَدُّوا على ابن جبير رأيه ومضوا … إلا فريقًا رأى ما لم يروا فأبى

أصابها خالد منهم وعكرمة … أمنية لم تصب من ذى هوى سببا

فاستنفرا الخيل والأبطال وانطلقا … فى هبوة تزدهى الأرماح والقضبا

هم خلَّفوا رمم القتلى مطرحّة … وغادروا الجند جند الله والسلبا

طاروا إلى جبل راس على جبل … ما اهتز مذ قام من ضعف ولا اضطربا

قال الرسول فأعطاه مقالته … وما سوى نفسه أعطى ولا وهبا

توزعوه فلو أبصرت مصرعه … أبصرت فى الله منه منظرًا عجبا

طعن وضرب يعاف البأس عندهما … سلاحَ من طعن الأبطال أو ضربا

سلوا حشاه فظلت من أسنتهم … تموج فى الدم يجرى حوله سربا [٢]

(١) الرعان : أنوف الجبال ، والجبال بجملتها ، والشم : الطوال ، والشؤبوب : الدفعة من المطر .
(٢) سربا : سائلا .

تتابع القتل يجتاح الألى معه ... لولا المناقب لم يترك لهم عقبا
تلك الدماء التى سالت على أحد ... لو أنبت الدم شيئًا أنبتت ذهبا
ظلمْتها ـ ما لشىء مثل رتبتها ... وإن تخطَّى المدى أو جاوز الرتبا
لم يبق سهم ولا رام يُسدّده ... تغيب الوابل الهطال واحتجبا (١)
وكرت الخيل تردِى فى فوارسها ... بعد الفرار فأمسى الأمر قد حزبا (٢)
المسلمون حيارى ـ كيف يأخذهم ... بأس العدو ، أما ردوه فانقلبا ؟
حلُّوا الصفوف وجالوا فى مغانمهم ... ما ظنَّ عسكرهم شرًا ولا حسبا
تنكَّرتْ صور الهيجاء واتخذت ... من الأعاجيب أثوابًا لها قشبا (٣)
خرساء صماء تُعمِى عن معالمها ... عين البصير وتُعيى الحاذق الدربا
مُغبرّة الجو ما زال الخفاء بها ... حتى تقنّع فيها الموت وانتقبا
ترى الليوث وإن كانوا ذوى رحم ... لا يتَّقى بعضهم بعضًا إذا وثبا
يعدو على مهجة الضرغام صاحبه ... ولا يجاوزه إن ظفره نشبا
هذا البلاء لقوم مال غافلهم ... عن رأى سيدهم إذ يُحكم الأُرَبا (٤)
قال : اثبتوا فتولوا ، ما عصى أحد ... منهم ، ولكن قضاء واقع غلبا
أمر من الله مرجوٌّ عواقبه ... يقضيه تبصرة للقوم أو أدبا
إن النبى ليمضى الأمر فى وضح ... من حكمة الله يجلو نوره الريبا
مسدد الرأى ، ما تهفو الظنون به ... الخير ما اختار ، والمكروه ما اجتنبا

---

(١) الوابل : المطر الكثير .

(٢) ردت الفرس : رجمت الأرض بحوافرها ، وحزب الأمر : اشتد . وهو يتعدى فيقال : حزبه الأمر .

(٣) قشبا : جديدة .

(٤) الأرب : جمع أربة وهى العقدة التى لا تنحل حتى تحل .

لـلسـلم والحـرب مـنـه حـازم يقـظ يُعيى الدهاة ، ويُردى الجحفل اللجبا [١]

إن الـذى زيـن الدنـيـا بطـلـعـتـه حابى العـروبة فيه ، واصطفـى العربا[٢]

* * *

(١) يردى : يهلك ، والجفل اللجب : الجيش الكثير العدد .

(٢) حاباه : نصره واختصه ومال إليه .

زياد بن عمارة (١) رضي الله عنه

كان من أعظم أبطال هذه الغزوة ، ثبت بين يدى النبى ﷺ يتلقى السهام دونه ويدافع القوم عنه حتى أثقلته الجراح فسقط ، فأمر النبى ﷺ أصحابه وقال : «**أدنوه منى**»، فأفرشه قدمه الشريفة فمات وخده عليها .

أكان يزيد بأسك إذ تصاب ؟ ... زيادة ذلك لعجب العجاب

تكاثرت الجراح ، وأنت صلب ... يهابك فى الوغى من لا يهاب

قوىً تنصبُّ ممنعة حثاثًا ... وللدم فى مواقعها انصباب

تردُّ الهندوانيات ظمأى ... يخادعها عن الرِّى السراب

تريد محمدًا والله واق ... فترجع ، وهى محنقة غضاب

(١) صحة الاسم : عمارة بن زياد بن السَّكَن وهو ابن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ،قُتل يوم أحد شهيدا وبه أربعة عشر جرحا ، وهو الذى وسَّدَه رسول الله ـ ﷺ ـ قدمه ، وقال : ادنُ منى ، فدنا منه ، فما زال متوسدًا لقدم رسول الله ﷺ حتى مات . ولا عقب له . ولقد انقرض ولد السَّكن بن رافع بن امرى القيس فلم يبق منهم أحد إلا امرأتان لمنطور بن سعد بن حسين بن عامر بن يزيد بن السكن ، تزوجتا فى الأنصار فولدت فيهم .

(*) عن أنس بن مالك ؛ أنّ رسول الله ﷺ أفرد يوم أحد فى سبعة من الأنصار ، ورجلين من قريش ، فلما رهقوه قال : « من يردهم عنا وله الجنة ، أو هو رفيقى فى الجنة ؟ » فتقدّم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل ، ثم رهقوه أيضا . فقال : « من يردهم عنّا وله الجنة ؟ أو هو رفيقى فى الجنة ؟ فتقدّم رجل من الأنصار ، فقاتل حتى قتل . فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة فقال رسول الله ﷺ لصاحبيه : « ما أنصفنا أصحابنا » وكان آخر هؤلاء السبعة « عمارة بن يزيد بن السكن ، قاتل حتى اثبتته الجراح ، فسقط ثم فاءت إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فئة من المسلمين ، فأجهضوا الكفار عن عمارة ، وأدنوه من رسول الله ـ ﷺ ـ فوسده قدمه ، فمات وخده على قدم رسول الله ﷺ [ابن هشام: ٢/٨١ ، صحيح مسلم : باب غزوة أحد ، ح : ١٧٨٩ ، الرحيق المختوم : ٢٨١] .

زيادة دونه سور عليه ... من النفر الألى احتضنوه باب
وما بمحمد خوف المنايا ... ولا فى سيفه خُلُق يعاب
ولكن جلَّ منزلة وقدراً ... فبرَّ رجاله ووفى الصحاب
هوى البطل المغامر واضمحلّت ... قواه ، وخارت الهمم الصلاب
فتى صدقت مشاهده فظلت ... تعاوره القواضب والحراب
وهى منه الأديم ، فلا أديم ... وأعوزه الإهاب فلا إهاب
تمزقت الصحائف من كتاب ... طواه فى صحائفه الكتاب
تلقاه برحمته ، وروّت ... غليل جراحه السوَر العذاب
أيادى الله يجعلها ثوابًا ... لكل مجاهد ـ نعم الثواب
أهاب محمد أدنوه منى ... فذلك صاحبى المحض اللباب
على قدمى ضعوا لِلَّيث رأسًا ... أحاذر أن يعفره التراب
ففاضت نفسه نوراً عليها ... وماج الجو وامتدَّ العباب
عباب تنطوى الآفاق فيه ... ويغرق فى جوانبه السحاب
مضى صعداً عليه من الدرارى ... ومن بركات خالقه حباب
تلقّته الملائك بالتحايا ... منضّرة تحب وتستطاب
وزخرفت الجنان ، وقيل : هذا ... مآبك ـ إنه نعم المآب

* * *

مُصعَبُ بن عُمَيْر (*) رضي الله عنه

قاتل مصعب بن عمير رضى الله عنه قتالا شديداً فى هذه الغزوة .

وصنع الأعاجيب بين يدى رسول ﷺ يدافع عنه ويقيه بنفسه ، ولما قطعت يده اليمنى فسقط اللواء وهو يجاهد المشركين أخذه بيده اليسرى ، وبقى يعمل بين يدى الله ويدى رسوله ، فلما قطعت يده اليسرى وسقط اللواء جثا عليه وضمه بعضديه إلى صدره ثم دأب على القتال حتى قتله عبد الله بن قمئة يظنه النبى ﷺ، ثم رجع إلى المشركين يقول : قتلت محمداً ، وذلك بعد أن أقبل على المسلمين وهو يقول : أين محمد لا نجوت إن نجا ، وفى رواية : أن قاتل مصعب هو أبى بن خلف .

هو مرتقَى الأبطال ، مالك دونه   متزحزح ، فاصبر له يا مصعب

(*) هو مصعب ابن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد البر بن قصىّ ويكنى « أبا محمد». وأُمّه خُناس بنت مالك بن المُضَرَّب بن دهب بن عمير بن جُحير بن عبد بن معيص بن عامر بن لُؤى . أسلم . وكتم إسلامه خوفا من أمه وقومه . فبصربه « عثمان بن طلحه» فأخبر أمه وقومه فأخذوه وحبسوه حتى خرج إلى الحبشة فى الهجرة الأولى ثم رجع متغير الحال قد حرج ؛ يعنى : غلظ ، فكفّت أمه عنه من العذل . وكان قبل إسلامه ما بمكة فتى من قريش أنعم عند أبويه نعيما منه . خرج الهجرتين بأرض الحبشة . وقتل بأحد عن أربعين سنة أو يزيد [الطبقات : ٣/١٠٧ أو ما بعدها ـ سير أعلام النبلاء : ١/١٤٥]

(*) وقف عليه رسول الله ﷺ وهو فى بُرْدة مقتول ، فقال : لقد رأيتك بمكة وما بها أحدٌ أرقّ خلّة ، ولا أحسن لحِة منك ، ثم أنت شَعِثُ الرأس فى بُرْدة . ثم أمر به يُقْبَرُ . عن عبد الله ابن الفضل بن العباس قال : أعطى رسول الله ـ ﷺ ـ يوم أحد مصعب بن عمير اللواء فقُتل ، فأخذه ملك فى صورة مصعب فجعل رسول الله ـ ﷺ ـ يقول له فى آخر النَّهار : تقدّم يا مصعب ، فالتفت إليه الملك ، فقال : لست بمصعب . فعرف رسول الله ـ ﷺ ـ أنّه ملك أُيِّد به.

ولقد صبرت تخوض من أهواله ... ما لا يخوض الفارس المتلبب [١]
ترمى بنفسك دون نفس محمد ... وتقيه من بأس العدى ما ترهب
تبغى الفداء ، وتلك سنة من يرى ... أن الفداء هو الذمام الأوجب
دع من يعضُّ على الحياة فإنه ... غاوٍ يضلّل ، أو دعِىٌّ يكذب
ما اختار نُصرة دينه أو رأيه ... من لا يرى أن الفداء المذهب
ما هذه المثل التى لا تنتهى ؟ ... هذا هو المثل الأبرُّ الأطيب
طاح الجهاد به شهيداً صادقًا ... أوفى بعهد إلهه يتقرَّب
إيمان حر لا يبالى كلما ... ركب العظائم أن يهول المركب
يرسو ، وأهوال الوقائع عصّف ... تذرو الفوارس ، والمنايا وُثَّب [٢]
إن يضربوه ففارس ذو نجدة ... ما انفكَّ يطعن فى النحور ويضرب
كم هارب يخشى بوادر بأسه ... ويخاف منه مشيَّعًا ما يهرب
الموت فى وثباته يجرى دمًا ... والموت فى نظراته يتلهب
سقطت يداه ، وما يزال لواؤه ... فى صدره يحنو عليه ويحدب
لو يستطيع لمدّ من أهدابه ... سببًا يشد به إليه ويجذب
يمناه أم يسراه أعظم حرمة ... أم ساعداه وصدره والمنكب ؟
جارَى منيته ، فكل يرتمى ... فى شأنه جللا ، وكل يدأب
حتى دعاه الله يرحم نفسه ... فأجاب يلتمس القرار ويطلب
إن كان ذلك من أعاجيب الوغى ... فالبخل بالدم فى المحارم أعجب
إنَّ امرأ كره الجهاد فلم يفز ... بالموت فى غمراته لمخيَّب

---

(١) تلبب الرجل للحرب تحزم وتشمر .
(٢) تذرو : ترمى .

المؤمنون والمنافقون

لما ذهب ابن قمئة يقول : إنى قتلت محمداً ، جاء أبو سفيان إلى عمر بن الخطاب ﷺ بعد أن كان من أمره ما كان فقال : أنشدك الله يا عمر أقتلنا محمداً. قال عمر : لا وإنه ليسمع كلامك الآن ـ قال : أنت أصدق عندى من ابن قمئة وأبر .

قال قوم من المؤمنين [1]: إن كان محمد قد قتل أفلا تقاتلون على دين نبيكم وعلى ما كان عليه نبيكم حتى تلقوا الله شهداء ، وقال ثابت بن الدحداح رضى الله عنه: يا معشر الأنصار إن كان محمد قد قتل فإن الله حى لا يموت ، قاتلوا على دينكم فإن الله مظفركم وناصركم ، وفى هؤلاء نزل قوله تعالى : ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

هال بعض المؤمنين الأمر فظلوا حيارى ، ولكن الله ثبت قلوبهم وحفظ عليهم إيمانهم فلم يزلوا ولم يمسكوا عن القتال .

يقول أبو سفيان أودى محمد ... قتيلا ، ويأبى الشيخ إلا تماديا [2]

فلما أراد الحق أقبل سائلا ... فأبدى له الفاروق ما كان خافيا

---

(١) هو أنس بن النضر ؛ قال : ما تصنعون بالحياة بعده ؟ قوموا فموتوا على ما مات عليه رسول الله ﷺ ثم قال اللهم إنّى اعتذر إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المسلمين ـ وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء ـ يعنى المشركين ـ ثم تقدّم فلقيه « سعد بن معاذ » فقال : أين يا أبا عمر ؟ فقال أنس : وها لريح الجنة يا سعد . إنى أجده دون أحد ثم مضى فقاتل حتى قتل ، فما عرف حتى عرفته أخته بعد نهاية المعركة ببنانه ، وبه بضع وثمانون ما بين طعنة برمح ، وضربة سيف ، ورمية بسهم . [زاد المعاد : ٢/ ٩٣ـ٩٦ البخارى ـ كتاب المغازى ، حديث : ٤٠٤٨ ، وطرفة : ٢٨٠٥] .

(٢) أودى : هلك .

وقـال له : لا يـعـل صـوتـك إنـه ... ليـسـمـعه مـن جاء بـالحق هـاديا (١)
كـذلك ظن الـقوم إذ طاح مـصـعب ... فـرحـوا سكـارى يكثـرون الـدعـاويا
وريعـت قلـوب المؤمـنين فـأجـفـلوا ... يخـافون من بـعد النـبى الدواهيـا (٢)
وزلـزل قـوم آخـرون فـأدبـروا ... سراعـًا يجـرون الظبى والـعواليـا (٣)
يـقـولون مـا نبـغى وهـذا نبـينـا ... تردى قـتـيـلا ؟ لـيـتـه كـان باقـيـا
فـمـا أقـبلـوا حـتى انـبـرت أم أيمن ... وقد جـاوز الغيظ الحشا والتراقـيا (٤)
تدافـعـهـم غـضـبى وتحـثـو تـرابهـا ... تـعـفـر مـنهـم أوجـهـا ونـواصـيـا
تقـول ارجـعـوا ، مـا بالمديـنة مـنزل ... يـبـارك مـنـكـم بـعـد ذلـك ثـاويـا

---

(١) من حديث البراء : « . . وأشرف أبـو سفيان ، فقال : أفى القوم محـمدٌ ؟ فقال رسول الله ﷺ لا تُجيبوه . فقال : أفى القوم ابن أبى قُحافة ؟.
قال : لا تجيـبوه . فقال : أفى القوم ابن الخـطاب ؟ ثم قال أبو سفيـان ـ إنّ هؤلاءقتلوا فلو كانوا أحـياء لأجابوا . فلم يملك نفسـه ، فقال : كذبت يا عدو الـله ، أبقى عليك الله ما يخزيك . . . » .
[البخارى ـ كتاب المغازى ـ ح : ٤٠٤٣ ، وطرفة ٣٠٣٩] .

(٢) ربعت : من الروع وهوالفزع وأجفل : انزعج .

(٣) هؤلاء هم المنافقون الذين رجع بهم عبد اللـه بن أبي ابن سلول إلى المدينة وكانوا ثلاثمائة رجل ، وكان جيش المسلمين كله في هذه الغـزوة ألف رجل . وقد بقى من المنافقين قوم آخرون فى أحد لم يـتبعوا ابن أبى . قالت طـائفة منهم : لو كان لنا مـن الأمر شىء ما قتـلنا هاهنا فـنزلت ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤] الآية وقـال بعضهم : لو كان نبـيًا ما قتل فارجعـوا إلى دينكم الأول وفى ذلك أنزل الله ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ الآية [آل عمران:١٤٤] وقـال جماعة : ليت لنا رسـولا إلا عبد الله بن أبى ليـأخذ لنا أمانًا من أبـى سفيان ، يا قـوم إن محمداً قـد قتل فارجعـوا إلى قومكم قـبل أن يأتوكم فيقتلوكم . والظبى : السيوف ، والعوالى : الرماح .

(٤) لما رجع من رجع إلى المدينة لقيتهم أم أيمن حـاضنة النبى ﷺ ، وجعلت تحثو التراب فى وجوههم وتقول لبعضهم : هاك المغزل فـاغزل به . وهلم سيفك ـ أى أعطنيه .[الرحيق المختوم:٢٩١] .

أمن ربكم يا قوم تبغون مهربا فيا ويحكم إذ تتَّقون الأعاديا
ألا فانصروا الدين القويم وجاهدوا جهادا يرينا مصرع الشرك داميا
فمن خاف منكم أن يعود إلى الوغى فذا مغزلى ، وليعطنى السيف ماضيا
لك الخير ، لو تدرين ما قال معتب لأرسلت شؤبوبا من الدمع هاميا (١)
جزى الله ما قدمت يا أم أيمن من الخير تقضين الحقوق الغواليا (٢)
تطوفين بالجرحى ، تواسين شاكيا يمُجُّ دمًا منهم ، وتسقين صاديا (٣)
سعى بك من إيمانك الحق دائب يفوت المدى الأقصى إذا جدَّ ساعيا

---

(١) قيل : إن معتب هذا هو الذى قال : لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا هاهنا .
والشؤبوب : الدفعة من المطر ، وهاميا : سائلا .

(٢) هى بركة ابنة ثعلبة ، ورثها الرسول ﷺ عن أبيه ـ وفى أقوال عن أمه ـ اعتقها حين تزوّج خديجة بنت خويلد ، تزوجت من عُبيد بن زيد من بنى الحارث بن الخزرج . فولدت له أيمن ، وقُتل عُبيد يوم حنين ، فتزوجت زيد بن حارثة بن شراحبيل الكلبى مولى خديجة بنت خويلد . وكانت قد وهبته إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فأعتقه . وولدت له أسامة . قال محمد بن عمر . وقد حضرت أم أيمن أُحدًا . وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى ، وشهدت خيبر . وتوفيت فى أول خلافة عثمان . [سير أعلام النبلاء للذهبى ٢/ ٢٢٣ وما بعدها ـ الإصابة لابن حجر ٨/ ١٧٠ ، الطبقات : ١٠/ ٢١٢ وما بعدها] .

(٣) كانت أم أيمن من جملة نساء المؤمنين اللائى كن يسقين الجرحى فى هذه الغزوة وعدتهن أربع عشرة امرأة ، ومنهن عائشة وفاطمة بنت النبى ﷺ ، وأم سليم ، وأم عمارة المازنية عن النبى ـ ﷺ ـ قال عن أنس : « ولقد رأيت عائشة بنت أبى بكر ، وأم سُلَيم وإنّهما لمشمرتان أرى خَدَم سوقها تنقزان القرب على متونها تفرغانه فى أفواه القوم ، ثم ترجعان فتملآنها ، ثم تجيئان فتفرغانه فى أفواه القوم ، . . . » [البخارى : ح : ٢٩٠٢ ـ ٢٨٨٠ ـ ٣٨١١ ـ ٤٠٦٤] ، يمج : يسيل ، والصادى : العطشان .

عجبت لمن يرميكِ ماذا بدا له ؟ أطاشت يداه ، أم رمى منك غازيا [١]
ألم ير هندًا يرحم السيف ضعفها فيصدف عنها وافِرَ البر وافيا ؟ [٢]
تورَّع عنها مؤمن ليس دينه كدين حباب ;نه كان غاويا
جزاه بها سعد إساءة ظالم فأمسى رسول الله جذلان راضيا
وإذ أنزل الله النعاس فأمسكت جوانح لولا الله ظلت نوازيا [٣]
كذلك إيمان النفوس إذا رست قواعده أمست ثقالا رواسيا
ينام الفتى ، والموت يلمس جنبه ويرجع عنه واهن الظفر واهيا [٤]
بجانبه حتى إذا جاء يومه فأبعد شيء أن يرى منه ناجيا
فما استطعت فاجعل من يقينك جُنَّة كفى بيقين المرء للمرء واقيا
هوت من عيون الهاجعين سناتها ولاحت عيون الحرب جمرًا روانيا

---

(١) رماها حِبَّان بن العرقة وهى تسقى الجرحى بسهم فأصابها فوقعت وانكشفت فأغرق في الضحك ، وشق ذلك على النبى ﷺ فدفع إلى سعد بن أبى وقاص سهمًا لا نصل له وقال : « ارم به » فوقع السهم فى نحر حباب فوقع مستلقيًا حتى بدت عورته فضحك رسول الله ـ ﷺ ـ حتى بدت نواجذه [السيرة الحلبية : ٢/ ٢٢ ـ الرحيق المختوم : ٢٩١]. قال النبى ﷺ ، «**استقاد لها سعد ، اللهم استجب لسعد إذا دعاك** » ، فكان مجاب الدعوة .

(٢) هند زوج أبى سفيان ـ إشارة إلى ما كان من أمر أبى دجانة معها حين أراد ضربها وهو يظنها رجلا فولولت فعرفها وعف عنها ، ويصدف عنها يميل .

(٣) أنزل الله النعاس على المؤمنين تثبيتًا لهم ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤] الآية فهو خاص بالمؤمنين دون المنافقين ، عن الزبير بن العوام ﷺ قال : لقد رأيتنى مع رسول الله ﷺ يوم أحد حين اشتد علينا الخوف وأرسل علينا النوم فما منا أحد إلا وذقنه فى صدره . النوازى : النوازع ، أو التى تثب .

(٤) وهن ووهى معناهما ضعف .

وهبَّ أمير الغيل يدفع دونه ويولع بالفتك الليوث الضواريا (١)
يزلزل أبطال الكريهة مقدما ويصرعهم فى حومة البأس ، داميا
توالت جراحات الكتوم فأسأرت بهم أثرًا من ساطع الدم باديا (٢)
تضِنُّ بنجواها وتكتم صوتها ليخفى من الأسرار ما ليس خافيا
تظلُّ شظاياها تطاير حوله وللرمى ألهوب يواليه حاميا (٣)
هو القائد الميمون ، ما خاض غمرة فغادرها حتَّى يرى الحق عاليا
أبا طلحة انظر كيف يرمى وجَاره قضاء على القوم المناكيد جاريا
وياسعد لا ترفق بقوسك وارمها سهامًا أصابت من يد الله باريا (٤)

---

(١) أمير الفيل : الرسول الأعظم ﷺ . الليوث الضوارى هى الأسد والمراد الشجعان من أصحابه .

(٢) الكتوم : قوس النبى ﷺ . وأسأرت : بمعنى أبقت .

(٣) الألهوب : الاجتهاد فيما هو الشأن . وهو من الفرس العدو حتى يثير الغبار أو يخرج من حافره نار ، وقيل : إنه جمع اللهب وهو الغبار الساطع .

(٤) سعد بن أبى وقاص قال : أجلسنى رسول الله ﷺ أمامه فجعلت أرمى وأقول : اللهم سهمك فارم به عدوك ، ورسول الله يقول : «**اللهم استجب لسعد ، اللهم سدد رميته وأجب دعوته**» ، حتى إذا فرغت من كنانتي نثر ما فى كنانته ـ قيل إن سعدا رمى فى ذلك اليوم ألف سهم ورسول الله يقول له عند كل سهم : «**إرم فداك أبى وأمى**» ، وكان الرسول ﷺ يفتخر به ويقول : «**سعد خالى فليرنى امرؤ خاله**» ـ كان من بنى زهرة قوم أمة آمنه . عن هاشم بن هاشم السعدى قال : سمعت سعيد بن المسيب يقول : سمعت سعد ابن أبى وقاص يقول نكل لى النبى ﷺ كنانته يوم أحد ، فقال : ارم فداك أبى وأمى [البخارى ، ح : ٣٧٢٥ و ٤٠٥٥] .

(*) وعن ابن شداد قال : سمعت عليا يقول : « ما سمعت النبى ﷺ يجمع أبويه لأحد غير سعد [البخارى ح : ٢٩٠٥ و ٤٠٥٨] .

(*) وعن أبى عثمان قال : لم يبق مع النبى ﷺ فى بعض تلك الأيام التى قاتل فيهن رسول الله ﷺ غير طلحة وسعد عن حديثهما . [البخارى : ٣٧٢٢ و ٤٠٦٠ ـ مسلم ح : ٢٤١٤] .

ودونك فاضرب يا سهيل نحورهم ودعنى أصف للدنس تلك المرائيا [١]
وعينك فاحمل يا قتادة عائذاً بمن لا ترى من دونه لك شافيا [٢]
ألا ليتنى أدركت أم عمارة فألثم منها موطئ النعل جاثيا [٣]

(١) قتادة بن النعمان الأوسى ، بايع النبى ﷺ على الموت فى أحد وثبت معه حتى انكشف الناس عنه . وهو من المشهورين بالرماية .

(٢) قتادة بن النعمان الأوسى، قال :كنت أتقى السهام بوجهى دون وجهه ﷺ فكان آخرها سهما ندرت معه حدقتى فأخذتها بيدى وسعيت بها إليه فلما رآها فى كفى دمعت عيناه وقال :«**اللهم ق قتادة كما وقى وجه نبيك**» ،وردها إلى موضعها وقال :«**اللهم اجعلها أحسن عينيه وأحدهما**» فكانت لا ترمد إذا رمدت الأخرى . وهو : ابن زيد بن عامر ابن سواد بن ظفر ،وأمه أنيسة بنت قيس بن عمرو بن عبيد بن مالك بن عمرو بن عامر ابن غَنْم بن عدى بن النجار من الخزرج ، وكان يكنى أبا عمر. وقيل أب عبد الله . شهد العقبة مع السبعين من الأنصار، وشهد بدرا وأحدا والمشاهد كلها مات سنة ثلاث وعشرين وهو يومئذ ابن خمس وستين رصلى عليه عمر بن الخطاب.
[تهذيب الكمال : ٢٣/ ٥٢٠، سير أعلام النبلاء : ٢/ ٣٣١ ، الطبقات : ٣/ ٤١٨ و ٤١٩] .

(٣) أم عمارة المازنية واسمها نسيبة بنت كعب بن عمرو بن عوف بن مندول بن عمر بن غَنْم من بنى مازن بن النجار . وأمها الرباب بنت عبد الله بن حبيب بن زيد بن ثعلبة بن زيد مناة بن حبيب بن عبد حارثة بن غَضْب بن جُشْم بن الخزرج . وهى أخت عبد الله بن كعب . شهدت عقد النبى - ﷺ - والبيعة له ليلة العقبة . زوج زيد بن عاصم ، قالت: خرجت يوم أحد لأنظر ما يصنع الناس ومعى سقاء فيه ماء أسقى به الجرحى فانتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو فى أصحابه والدولة والريح للمسلمين فلما انهزموا انحزت إليه فقمت أباشر القتال ، وأذُبُّ عنه بالسيف وأرمى بالقوس حتى جرحت ، جرحت اثنى عشر جرحا بين طعنة برمح، أو ضربة بسيف . وروى على عاتقها جرح أجوف له غور فقيل لها : من أصابك بهذا ؟ قالت : ابن قمئة . لما ولى الناس عن رسول الله ﷺ أقبل يقول : دلونى على محمد فلا نجوت إن نجا فاعترضت له أنا ومصعب بن عمير فضربنى هذه الضربة وضربته ضربات ولكن عدو الله كان عليه درعان ، قال النبى ﷺ : «**ما التفت يمينا ولا شمالا يوم أحد إلا رأيتها تقاتل دونى**» . . . . [أورده الواقدى ص ٢٦٨ وما بعدها - وانظر الإصابة : ٨/ ٢٦٥ .وكان زوجها فى غزوة أحد : غَزِيّة بن عمرو ، ومعها ابنيها : عبد الله وحبيب] .

وأشهد من حول النبى بلاءها وأنشدها فى الله هذى القوافيا
وأجعل من وجهى وقاء لوجهها إذا ما رماها مشرك من أماميا
وياليت أنى قد حملت جراحها وكنت لها فى المأزق الضنك فاديا
تفيض على الجرحى حنانا ، وتصطلى من الحرب ما لا يصطلى الليث عاديا
كذلك كان المسلمون وهذه سجايا اللواتى كنَّ فيهم دراريا
إذا الحادثات السود عبَّ عبابها كفهن البلايا ، أو كشفن الدياجيا
مناقب للدنيا العريضة هِزَّة إذا ذُكرتْ ، فليشدُ من كان شاديا
لها من معانى الخلد كلُّ بديعة فياليت قومى يفهمون المعانيا
ووا أسفى إن لم تجد من شيوخهم حفيظا يُلقَّاها ، ولم تُلف واعيا
إذا ما رأيت الهدم للقوم ديدنا فوارحمتا فيهم لمن كان بانيا (١)

* * *

(١) ديدنا : عادة وطبيعة .

عبد الله بن جحش رضي الله عنه (*)

هو من أعظم أبطال غزوة أحد ، استشهد فيها على يد أبى الحكم ابن الأخنس بن شريق الذى قتل كافرًا قبل انتهائها ، وكان عبد الله من جملة الشهداء الذين مثل بهم المشركون ونساؤهم ، ومن حديثه أنه دعا على نفسه قبل الغزوة فقال : فعن سعيد بن المسيب ، قال أن رجلاً سمعه يقول قبل يوم أحد : اللهم إذا لاقوا هؤلاء غدا فإنى أقسم عليك لما يقتلونى ويبُقروا بطنى ويجدعونى ، فإذا قلت لى : لم فُعِل بك هذا ؟ فأقول اللهم فيك . فلما التقوا فعلوا ذلك به .

[أسد الغابة : ٣/ ١٩٤ ، الإصابة : ٤/ ٣٥ ، الطبقات : ٣/ ٨٤] .

أبشر ،فذلك ما سألت قضاه ... رب هداك ، فكنت عند هداه

آثرته ورضيت بين عباده ... من صالح الأعمال ما يرضاه

قتلوك فيه تردُّهم عن دينه ... صرعى وتمنع أن يباح حماه

وبغوا عليك فعذَّبوا الجسد الذى ... ما للكرامة والنعيم سواه

هى دعوة لك ما بسطت بها يدًا ... حتى تقبل واستجاب الله

ولقد رأيت حمى الجهاد فصف لنا ... ذاك الحمى القدسىّ كيف تراه ؟

ماذا جزاك الله من رضوانه ... وحباك فى الفردوس من نعماه ؟

ماذا أعد لكل برٍّ متَّقٍ ... غوث النفوس فما أطاع هواه ؟

(*) هو ابن رياب بن يَعْمُر بن صبرة بن مُرّة بن كبير بن غَنْم بن دودان بن أسد بن خزيمة ، ويكنى « أبا أحمد » . وأمه : أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى. أسلم قبل دخول رسول الله ـ ﷺ ـ دار الأرقم . هاجر إلى احبشة المرّة الثانية . قتله فى أحد أبو الحكم بن الأخنس بنشريف الثقفى ، ودفن وحمزة ـ خاله ـ فى قبر واحد . وكان ابن بضع وأربعين سنة . وولى تركته لرسول الله ـ ﷺ ـ فاشترى لابنه مالا بخيبر. [الطبقات: ٣/ ٨٤].

أرأيت عبد الله كيف بلغته شرفًا مدى الجوزاء دون مداه ؟ [١]
دمك المطهر لو أُتيح لهالك أعيا الأساة شفاؤه لشفاه [٢]
صوت يهيب لكل شعب غافل طوبى لمن رزق الهدى فوعاه
معنى التفوق فى الحياة ، فمن أبى إلا الصدود فما درى معناه
الأمر رهن الجد ، ليس بنافع قول الضعيف ، لعله وعساه
تشقى النفوس ، ولا كشقوة خاسر لا دينه استبقى ولا دنياه
والمرء يرغب فى الحياة وطولها حتى يكون الموت جُلّ مناه

* * *

أوتيت نصرًا يا محمد ساطعًا يبقى على ظلم العصور سناه [٣]
لك من دم الشهداء بأس لم يقم فى الأرض دينك عاليًا لولاه
ما تنقضى لإمام حقٍّ قوة إلا تزيد على الزمان قواه

* * *

(١) الجوزاء : نجم فى السماء .
(٢) الأساة : جمع آس وهو الطبيب .
(٣) السنا : الضوء .

محمَّد رَسُول الله ﷺ

هـذا إمـــام الـديـن فـى أعـــلامـــه ... والـدين مـعـتـصـم بـبـأس إمـامـه

يـحـمى حـقـيـقـتـه بـقـوة بطـشـه ... ويصـون بـيـضـتـه بحـدّ حـسـامـه

شـيـخ الجـهـاد يـود كـل مـجـاهـد ... لو كـان يـدعى فـى الوغـى بغـلامـه

عـالـى الـلـواء يـقـيـمـه بـحـدوده ... ويُـبَـيِّـن المـأثـور مـن أحـكـامـه

المصـلحـون عـلى الـزمـان سـيـوفـه ... وجـنـوده فـى حـربـه وسـلامـه

عـرفـوا الجـهاد بـه ، ومنـه تعَـلمُـوا ... مـا صـحَّ مـن دسـتـوره ونـظامـه

غـضبـت قريـش أن جفـا أصنـامهـا ... ووفـى بـعـهـد إلهـه وذمـامـه

يغـزو فـوارسـهم ويقـتل جـمـعـهـم ... حـتـى يديـن مـرامـهـم لمـرامـه

ويـرى المحـجَّـة كـلُّ غـاوٍ منـهـم ... فـيـكـفُّ عن طـغـيـانه وعُـرامه

ويتـوب جـاهـلهـم إلى ديـن الهـدى ... والـنور مـن ديـن العـمـى وظـلامـه

دلَـفـوا إليـه ، وظـنَّ أكـذبهـم مُنـىً ... أنْ قـد سـقتـه يـداه كـأس حمـامـه

أكـذاك يـنـخـدع الـغـبـىُّ وهـكـذا ... يـتـخـبط المـفـتـونُ فـى أوهـامـه

مـهـلا أبـىُّ لقـد ركـبـت عظـيـمـة ... وأردت صـرحًا لسـت من هُدّامـه (١)

---

(١) أبى بن خلف ، أقبل يقول: أين محمد ، لا نجوت إن نجا ، فاعترضه رجال من المسلمين فأمرهم النبى ﷺ أن يخلوا طريقه وتناول حربة من بعض أصحابه (الحارث بن الصمة . أو الزبير بن العوام) فخدشه بها في عنقه خدشًا غير كبير احتقن الدم فقال : قتلنى والله محمد فقالوا: ذهب والله فؤادك ـ أو ذهب والله عقلك ـ إنك لتأخذ السهام من أضلاعك فترمى بها فما هذا ؟ والله ما بك مـن بأس ، إنما هوخدش لو كاذ بعين أحدنا ما ضره . فقـال : والـلات والـعزى لو كـان هذا الذى بـى بأهل ذى المجـاز ـ سوق من أسـواق الجاهلية كان عند عرفة ـ أو لو كان بربيعة ومضر ـ أو بأهل الأرض . لما توا ـ كان يقول=

صَرح بناه الله أول ما بنى وأطال من عرنينه وسنامه
لا يبلغ البانى ذراه ، ولا يُرى فى الداعمين بناءهم كدعامه
مهلا أبىُّ فإن جهلت مكانه فانهض إليه إن استطعت وَسَامِه
أقدم فخذه طعنة من باسل يغتال عزم الليث فى إقدامه
تلك المنيّة يا أبىُّ سُقيتها فانظر إلى الساقى ورَوعة جامه
خدش كوقع الظفر ، أو هو دونه لمَ تشتكى وتضجُّ من آلامه ؟
أأُبَىُّ أين العودُ والعلف الذى أعددته وجعلته لطعامه ؟
اذهب لك الويلات من متمرد عادَى الإله ولجَّ فى آثامه
لك من قتيل الكبش أشأم صاحب يُلقى إلى غول الردى بزمامه [١]
أخذ النبىَّ بضربة كانت له حتفًا يمزق لحمه بعظامه
ولمن تقدم فوق صهوة عاثر أشقى وأخيب آخذ بلجامه [٢]
هو فى الحفيرة دون حصن محمد جثم الحِمام عليه قبل قيامه

= للنبى بمكة : يا محمد إن عندى العود ـ يعنى فرسًا له ـ أعلفه كل يوم فرقا (مكيال يسع اثنى عشر مدًا) من ذرة سأقتلك عليه ، كان أبى من أسارى بدر ثم أطلق ـ مات وهم قافلون به إلى مكة بسرف ـ وقيل ببطن رابغ ـ لم يقتل النبى ﷺ أحدًا بيده الشريفة قبل أبى ولا بعده .

(١) هو ابن قمئة . خرج إلى غنمه بعد الواقعة فوافاها على ذروة الجبل فأخذ يعترضها . وشد عليه كبشها فنطحه نطحة أداره بها من شاهق الجبل فتقطع ـ وفى رواية ـ فسلط الله عليه تيس جبل فلم يزل ينطحه حتى جعله قطعة قطعة .

(٢) هو عثمان بن عبد الله بن المغيرة ـ أقبل على فرس أبلق وعليه لامة كاملة قاصدًا رسول الله ﷺ وهو متوجه للشعب قائلا : لا نجوت إن نجا فوقف الرسول الكريم ﷺ وعثر بعثمان فرسه فى إحدى الحفر فمشى إليه الحارث بن الصمة فقتله وأخذ درعه ومغفره . وأقبل عبيد الله بن جابر العامرى يعدو فضربه الحارث فجرحه. واحتمله أصحابه فوثب أبو دجانة وذبحه .

ألقى القضاء عليه من أثقاله ... مترامِيًا ينصبُّ فى أجرامه (١)
أرداه بابن الصّمّة البطل الذى ... أعيا الردى المحتال فضٌ صمامه (٢)
يغشاه سيف العامرى فينثنى ... ودم الجريح يبلّ حرَّ أوامه (٣)
سلمت يداك أبا دجانة من فتى ... وسْمُ المنية من حِلَى صمصامه
أحسنت ذبح المشركين فأشبهوا ... ما يذبح الجزار من أنعامه
ياويلهم إذ يقذفون نبيهم ... بحجارة تهوى هُوِىَّ سهامه (٤)

---

(١) أجرامه : جمع جرم بكسر الجيم ، فهى بمعنى الأجسام الثقيلة .

(٢) صمامه : صمام القارورة ونحوها سدادها ، وهو هنا على الاستعارة .

(٣) الأوام : العطش الشديد ، وقيل : هو حر العطش.

(٤) لم يبق مع الرسول ﷺ سوى اثنين من القرشيين ، ولم يتوان المشركون فى انتهاز الفرصة فرماه « عتبة ابن أبى وقاص » بالحجارة ، فوقع لشقه وأصيبت رباعيته اليمنى السُّفلى ، وكُلمت شفته السفلى وتقدّم إليه « عبد الله بن شهاب الزهرى » فشجّه فى جبهته ، وجاء « عبد الله بن قَمِئة » فضرب على عاتقه بالسيف ضربة عنيفة شكا لأجلها أكثر من شهر ، إلا أنّه لم يتمكن من هتك الدرعين ، ثم ضرب على وجنته ﷺ ضربة عنيفة كالأولى ، حتى دخلت حلقتين من حلق المغفر فى وجنته . وقال : خذها وأنا ابن قمئة فقال رسول الله وهو يمسح الدم من وجهه : أقمأك الله . وقد استجاب الله . فعن ابن عائذ أنّ ابن قمئة انصرف إلى أهله فخرج إلى غنمه فوافاها على ذروة جبل ، فدخل فيها ، فشدّ على تيسها ، فنطحه نطحه أرداه من شاهق الجبل ، فتقطع [فتح البارى : ٧/٣٧٣] وعند الطبرانى : فسلّط الله عليه تيس الجبل فلم يزل ينطحه حتى قَطَّعَهُ قطْعَةً قطعة [فتح البارى : ٧/٣٦٦] وفى الصحيح أنه ـ ﷺ ـ كُسرت رباعيته ، وشُجّ فى رأسه ، فجعل يَسْلُت الدم منه ، ويقول : « كيف يفلح قوم شجوّ وجه نبيهم ، وكسوا رباعيته ، وهويدعوهم إلى الله . فأنزل الله عزّ وجل ﴿ لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴾ [آل عمران:١٢٨] . وفى رواية الطبرانى ، أنّه قال : اشتد غضب الله على قوم دموا وجه رسوله] ثم مكث ساعة ، ثم قال : اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون . انظر : [فتح البارى : ٧/٣٧٣، الرحيق المختوم : ٢٨١ ، مسلم : باب غزوة أحد ، ح : ١٧٩٠ و ١٧٩١ و ١٧٩٢ ، البخارى ؛ ح : ٤٠٦٩ و ٤٠٧٠ و ٤٥٥٩ و ٧٣٤٦] .

كسروا عوارضه وشجوا وجهه ... من كل غاوٍ جدَّ فى إجرامه
يجرى الدم المدرار من متهلل ... طلق المحيَّا فى الوغى بسَّامه
لا يعجب الكفار من مسفوحه ... فلقد جرى من قبل فى إلهامه
ما ظنهم بالله يؤثر عبده ... بالبالغ الموفور من إنعامه ؟
لن يستطيع سوى الضلالة مذهبًا ... من ليس بالمصروف عن أصنامه
لم يخذلوه ولم تفته كرامة ... هم عند نصرته ،وفى إكرامه
صبْرُ المشمِّر للجهاد على الأذى ... خلق يتمُّ المجد عند تمامه
هذا مقام محمد فى قومه ... هل لامرئ فى الدهر مثل مقامه ؟
القادة الهادون من أتباعه ... والسادة البانون من خدَّامه
الله أرسله طبيبًا شافيًا ... للعالم الوحشى من أسقامه
الأمر بانَ ، فأين يلتمس الهدى ... من ضلَّ بين حلاله وحرامه ؟
ركبُ النبى إلى المدينة عائد ... يمشى به جبريل فى أعلامه (١)

---

(١) لما انتهت الواقعة ركب النبى ﷺ فرسه عائدًا إلى المدينة والمسلمون حوله . وكان أكثرهم جرحى ، فلما كانوا بأصل أحد قال لهم « اصطفوا حتى أثنى على ربى عز وجل » ، فوقفوا صفوفًا ووقف النساء خلفهم وقال :« **اللهم لك الحمد كله ، اللهم لا قابض لما بسطت . ولا باسط لما قبضت ، ولا هادى لمن أضللت ، ولا مضل لمن هديت ، ولا معطى لما منعت ولا مانع لما أعطيت ، ولا مقرب لما أبعدت ،ولا مبعد لما قربت اللهم ابسط علينا من بركاتك ورحمتك وفضلك ورزقك » اللهم أنى أسألك النعيم المقيم الذى لا يحول ولا يزول ، اللهم إنى أسألك العون يوم العيلة ، والأمن يوم الخوف ، اللهم إنى عائذ بك من شر ما أعصتنا ، وشر ما منعتنا ، اللهم حبب إلينا الإيمان وزينه فى قلوبنا ، وكرّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلنا من الراشدين ، اللهم توفنا مسلمين ، وأحينا مسلمين، وألحقنا بالصالحين غير خزايا ولا مفتونين اللهم قاتل الكفرة الذين يكذبون رسلك ، ويصدون عن سبيلك ، واجعل عليهم رجزك وعذابك ، اللهم قاتل الكفرة الذين أوتو الكتاب ، إله الحق** » .

[رواه البخارى فى الأدب المفرد ، ح : ٦٩٩ والإمام أحمد فى مسنده : ٣/ ٤٢٤ ، =

يتوسط الجرحى تسيل دماؤهم ... فوق الحصى من خلفه وأمامه
ويمدُّ فوق المؤمنات جناحه ... يقضى لهن الحق من إعظامه
أذِّين مسنون الجهاد ، وذقن فى ... وهج الجلاد الحق حرَّ ضرامه
شمت اليهود وأرجف النفر الألى ... طبع النفاق قلوبهم بختامه
قالوا ، أصيب محمد فى نفسه ... ورجاله ، وأصيب فى أحلامه
ما تلك منزلة النبى ، فإنما ... يُؤتَى النبىُّ النصر عند صدامه
جلت مطالبه ، فراح يريده ... ملكا يدوم جلاله بدوامه
لو أن قتلى الحرب كانوا عندنا ... ما هدَّ هالكُهم ذوى أرحامه
هاجوا من الفاروق غضبة واثق ... بالله لا يصغى إلى لوَّامه
فدعا : أيُترك رأس كل منافق ... فى القوم يؤذينا بسوء كلامه ؟
قال النبى : وكيف تقتل مسلما ... أفما تخاف الله فى إسلامه ؟
صلى عليك الله من متحرج ... جمُّ الأناة يعف عن ظلامه (١)
سمح الشريعة والخلال مسَدَّدٍ ... فى نقضه للأمر أو إبرامه

* * *

= والرحيق المختوم : ٢٩٥] .

ولما وصل المسلمون إلى المدينة أظهر اليهود والمنافقون الشماتة والسرور . وكان من سيء ما قالوا : ما محمد إلا طالب ملك ما أصيب بمثل هذا نبى قط ، أصيب فى بدنه وأصيب فى أصحابه ، لو كان الذين قتلو عندنا ما قتلوا . فقال عمر للنبى ﷺ : أتأذن لى في قتل هؤلاء المنافقين ؟ قال: **«أليس يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله ، إنى نهيت عن قتل المسلمين »** .

(١) تحرج : جانب الحرج . وهو الإثم .

غزوة حمراء الأسد

هو مكان على ثمانية أميال من المدينة [١] ، وكان الخروج إلى هذه الغزوة يوم الأحد سادس عشر شوال فى السنة الثالثة من الهجرة ، على أثر رجوع المسلمين من غزوة أحد ، دعا إليها النبى ﷺ بعد صلاة الصبح ،وأمر ألا يخرج معه أحد ممن تخلف عن أحد ، وكانت جراحه وجراح الذين أصيبوا معه فى هذه الغزوة لا تزال كما كانت ، فلم يتخلف أحد منهم ، وسبب الخروج إلى حمراء الأسد أن عبد الله بن عمرو المزنى جاء إلى الرسول الكريم وأخبره أن أبا سفيان يريد الرجوع إلى المدينة بمن معه ليستأصل من بقى من أصحابه ، وأن المشركين يحرضونه على القتال ولما بلغ المسلمون حمراء الأسد أقبل معبد بن أبى معبد الخزاعى إلى رسول الله ﷺ فأسلم فأمره أن يلحق بأبى سفيان فيخذله ، ولما رجع . . ، ولما رجع معبد الخزاعى من عند النبى ﷺ إلى أبى سفيان بالروحاء وصف له بأس المسلمين وقوة جيشهم ، ثم نهاه عن القتال ، فانصرف خائفًا إلى مكة [٢].

أقبلوا أو فاتقوا سوء المرد ... ربض الموت بحمراء الأسد [٣]

غاظكم أن لم تنالوا مأربا ... فتمادى الغيظ واشتد الحسد [٤]

كيف ينجو من رمى من قومكم ... كل جبار ، فأمسى قد همد

لم لا تُزجَى السبايا ، فترى ... مردفات تشكى مما تجد [٥]

---

(١) معجم البلدان : ٢/ ٣٤٦ .

(٢) قال معبد بن أبى معبد الخزاعى لأبى سفيان : محمد وأصحابه قد تحرقوا عليكم ، وخرجوا فى جمع لم يخرجوا فى مثله . وقد ندم من كان تخلّف عنهم من أصحابهم. فقال : ما تقول؟ فقال : ما أرى أن ترتحل حتى يطلع أول الجيش من وراء هذه الأكمة فقال أبو سفيان : والله لقد أجمعنا الكرة عليهم لنستأصلهم . قال : فلا تفعل ، فإنى لك ناصح. فرجعوا على أعقابهم إلى مكّة .
[ابن القيم الجوزيه ـ فقه السيرة ص ١٩١] .

(٣) ربض : أقام .

(٤) المأرب : الحاجة .

(٥) المردفات : المحمولات خلف الراكب .

لا تدعها يا ابن حرب جذوة ... تتلظى من قريش فى الكبد[1]

يا ابن حرب أطفئ النار التى ... شبها أبطال بدر وأحد

كل حرب خمدت نيرانها ... منذ حين . وهى حرَّى تتَّقد

لا تطع صفوان وانبذ رأيه ... لا تطعه مرشدًا يأبى الرشد[2]

ارجعوا ، فاستأصلوا أعداءكم ... تلك عز الدهر ، أو مجد الأبد

---

(١) يقصد سفيان بن حرب .

(٢) هو صفوان بن أمية ابن خلف بن وهب بن حذافة بن جُمح ، وأمه : صفية بنت معمر ابن حبيب بن وهب ابن حذافة بن جمح ، نهى أبا سفيان ومن معه عن الحرب ، وقال: يا قوم لا تفعلوا فإنى أخاف أن يجمع عليكم محمد من تخلف عن الخروج إلى أحد ، فارجعوا والدولة لكم، إنى لا آمن إن رجعتم أن تكون الدولة عليكم ، فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : «**أرشدهم صفوان وما كان برشيد** » . « حدث مالك بن أنس عن ابن شهاب : أنّه بلغه أنّ نساء كن فى عهد النبى ﷺ ـ يُسْلمن بأرضهن غير مهاجرات وأزواجهن حين أسلمن كفار . مىهم ابنة الوليد بن المغيرة وكانت تحت صفوان بن أمية ، فأسلمت يوم الفتح ، وهرب زوجها صفوان من الإسلام . فبعث له الرسول ـ ﷺ ـ ابن عمّه وهب بن عمير برداء الرسول ﷺ أمانا لصفوان ودعاء إلى الإسلام ،وأن يقدم عليه . فإن رضى أمرًا ، وإلا سيره شهرين . فلما قدم صفوان على الرسول ـ ﷺ ـ بردائه ناده على رؤوس الأشهاد ، فقال : يا محمد إن هذا وهب بن عمير جاءنى بردائك ، يزعم أنك دعوتنى إلى القدوم عليك ، فإن رضيت أمرًا وإلا سيرتنى شهرين. فقال رسول الله ـ ﷺ ـ انزل أبا وهب . قال : لا والله لا أنزل حتى تبين لى ، فقال بلى لك تسير أربعة أشهر ، فخرج الرسول ـ ﷺ ـ قِبَلَ هوازن بحنين فأرسل إلى صفوان يستعيره أداة وسلاحا كان عنده ، قال صفوان : طوعا أو كرها .قال : بل طوعا. فأعاره السلاح والأداة التى كانت عنده . وخرج صفوان مع الرسول ـ ﷺ ـ وهو كافر . فشهد حنينا والطائف وهو كافر ، وامرأته مسلمة ، فلم يفرق رسول الله ـ ﷺ ـ بينه وبين امرأته، حتى أسلم صفوان واستقرت امرأته عنده بذلك النكاح .

مات صفوان فى خلافة معاوية . ولم يغز مع رسول الله .

[الاستيعاب لابن عبد البر : ٧١٩ ، سير أعلام النبلاء : ٢/٥٦٥ ، المغازى للواقدى : ٨٥٣ ، الطبقات : ٦/١١١] . .

حاربوا الله ، وزيدوا شططًا ... إنها فتنته فيمن جحد (1)

حاربوه ، وانصروا أصنامكم ... لا تبالوا من قواه ما حشد (2)

يا ابن عمرو هات من أنبائهم ... ما رأت عيناك من هزل وجد (3)

لك أذن من رسول الله فى ... حد عضبٍ يتَّقيه كل حد (4)

شاورَ الصديق فيهم ودعا ... يسأل الفاروق ما الرأى الأسد ؟ (5)

إنها الهيجاء يا خير الورى ... مالنا منها ، ولا للقوم بد (6)

ارفع الصوت ، وأذّن بالوغى ... يا بلال الخير أذّن واقتصد (7)

أدع من خاض المنايا ، واصطلَى ... جذوة الأمس ، وأمسك لا تزِد

* * *

نفر القوم خفافًا ما ونى ... منهم الجرحى ، ولا استعفى أحد (8)

---

(1) الشطط : الجور .

(2) حشد : جمع .

(3) قال عبد الله بن عمرو المزنى للنبى ﷺ : إنه سمع المشركين يقولون لأبى سفيان : لا محمدًا ولا الكواعب أردفتم ، بئس ما صنعتم ارجعوا .

(4) العضب : السيف القاطع .

(5) دعا النبى أبا بكر وعمر ، وحدثهما بما قال عبد الله بن عمرو ليعرف رأيهما ، فقالا : يا رسول الله اطلب القوم ، لا يقتحمون على الذرية .

(6) الهيجاء : الحرب ، والورى : الناس .

(7) أمر النبى بلالا أن يؤذن فى المسلمين بالخروج للحرب ، وأن يقعد المتخلفون عن أحد . قال ـ ﷺ ـ لا يخرج معنا إلا من شهد القتال . فقال له عبد الله بن أبى : أركب معك؟ قال: لا . [الرحيق المختوم : 297 ، البداية والنهاية : 4/397 ـ فقه السيرة : 191] .

(8) كان منهم الذى به تسع جراحات ،وهو أسيد بن حضير ، ومثله عقبة بن عامر ، والذى به عشر ، وهو خراش بن الصمة ، والذى به بضع عشرة جراحة . وهو كعب بن مالك وعشرون ، وهو عبد الرحمن بن عوف ، وبضع وسبعون ، وهو طلحة بن عبيد الله الذى قطعت أصبعه ، فشلت بقية أصابع يده اليسرى ، ﴿ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِن بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [آل عمران: 172] وونى : ضعف .

دعـوة الحق ، اسـتفـزت جـابـرا ... فـاسـتـفـزت هـبـرزيًّا ذا لـبـد [(١)]

جـاء يشكـو : كـيـف يُنـفى دمـه ... وهـو لله يُـربَّـى ويـعـد ؟

لـم أغـب عـن أحـد لـولا أبـى ... يـا رسـول الله والجَّـد الـنـكـد [(٢)]

فـاز بـالـرضـوان إذ خـلـفـنـى ... فـى قـواريـر كـثـيـرات العـدد [(٣)]

ومـضـى قـبـلـى شـهـيـدًا ، فـأنـا ... أبتـغى الـزلفى لدى الـفرد الـصمـد [(٤)]

أنـعـم الله عـلـيـه ، فـشـفـى ... مـا يـعـانـى من تـباريـح الكـمـد [(٥)]

سـار فى الجـيـش ، وخـلـى همـه ... يـصـطـلـيـه مـن تـولـى وقـعـد

فـزت يـا جـابـر فـانـعـم وابتـهـج ... أفـلـح الوالـد ، واسـتـعلـى الـولـد

* * *

ذهـب الـسـكب حـثـيـثًـا ، فـانجرد ... يـحـمـل الـبـأس ، ترامـى فـاطـرد [(٦)]

يـحـمـل الـويـل لـقـوم غـرّهـم ... مـن ذويـهـم كـل شـيـطـان مَـرد [(٧)]

زعـمـوا الحـق حـديـثًـا يُفـتـرى ... ورضـوا بـالـشـرك دينًـا يـعـتـقـد

---

(١) جابر بن عبد الله ، جاء إلى النبى ﷺ متهيئًا للخروج ، ولم يكن قد شهد أحدًا ، فقال : يا رسول الله ىما تخلفت عن أحد لأن أبى خلفنى على سبع ـ وقيل تسع ـ أخوات لى ، وقال : يا بنى إنه لا ينبغى لى ولا لك أن نترك هؤلاء النسوة لا رجل فيهن ، ولستِ بالذى أوثرك ـالجهاد مع رسول الله ، لعل الله يرزقنى الشهادة ، فتخلف على أخواتك فبقيت فيهن ، واستأثر هو بالشهادة فائذن لى يا رسول الله ، فأذن له ولم يأذن لغيره من المتخلفين . والهبرزى: الأسد ،لبد : جمع لبدة وهى شعر زبرة الأسد [الرحيق المختوم : ٢٩٧ ، البداية والنهاية :٤/٣٩٧] .

(٢) الجد : النكد : الحظ السيء .

(٣) القوارير : كناية عن النساء .

(٤) الزلفى : القربى.

(٥) يعانى : يلاقى من آلام الحزن .

(٦) السكب : اسم فرس من خيل الرسول ﷺ خرج عليه فى هذه الغزوة وعليه الدرع والمغفر،ولم يكن فى الجيش يومئذ فرس سواه ،وانجرد : أسرع ومضى لا يلوى على شىء.

(٧) مرد بمعنى عتا وتكبر وجاوز الحد .

وتماروا فى النطاسىِّ الذى ... يصلح الأمر إذا الأمر فسد (١)
ساحر آنًا، وآنًا شاعر ... ما رأوا من سحره، ماذا قصد ؟ (٢)
سطع النور لمن يأبى العمى ... فعلى عينيه يجنى من يصد

* * *

من رأى الضعف على الضعف انطوى ... فإذا القوة والعزم الأشدّ ؟
حمل الجرح على الجرح فتى ... موجع الكاهل، مهدود الكتد (٣)
إيه عبد الله أشهِدْ رافعًا ... غزوة الحمراء فى القوم الشهُد
ألقه عن منكب لو ماد من ... هضب رضوى كل عال لم يمد (٤)
ما لحقِّ الله إلا مؤمن ... لا يبالى غيره فيما اعتمد
إيه عبد الله ما أصدقها ... همة صماء تأبى أن تهد
يا أبا سفيان أنصت واستمع ... ثم أنصت واتئد، ثم اتئد
إن ترد خيرًا فهذا مَعبد ... أو لم ينبئك أن الأمر إدّ ؟ (٥)

---

(١) تمارى فى الشيء شك، والنطاسى: الطبيب والعالم والمراد به النبى صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) هكذا كانوا يقولون، وقصد الشاعر واصل عمل القصائد.

(٣) الكتد: مجتمع الكتفين أو الكاهل، أو هو ما بين الكاهل والظهر، والبيت وما بعده فى عبد الله ورافع ابنى سهل بن رافع، قال عبد الله: شهدت أحدا أنا وأخى فرجعنا جريحين، فلما أذن بالخروج إلى « حمراء الأسد » قال أخي: أتفوتنا هذه الغزوة وما كان لنا من دابة نركبها، فخرجنا وكنت أخف جراحًا منه، فكنت أحمله مرة وأرسله أخرى - دعا لهما النبى ﷺ لما انتهيا إليه وقال: « **إن طال بكما العمر كانت لكما مراكب من خيل وبغال وإبل** » هما ابنا سهل بن عامر بن عمرو بن جُشم بن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك ابن الأوس، وأمهما الصَّعبة بنت التيهان بن مالك. شهد عبد الله بدر وشهدا أحد والخندق. واستشهد فيها عبد الله. .

(٤) ماد: اضطرب، ورضوى: اسم جبل.

(٥) كانت خزاعة موالية للرسول الكريم ﷺ، فلما أصاب المسلمين ما أصابهم فى غزوة أحد جاءه معبد الخزاعى وقال: يا محمد والله لقد عز علينا ما أصابك فى نفسك، وما أصابك فى أصحابك. ولوددنا لو أن الله تعالى أعلى كعبك. وإن المصيبة كانت =

جمع الغازى لكم من صحبه ... وذويه كل صنديد نجد [١]
أنظروا النيران : هل تحصونها ؟ ... إنها شتى تراءى من بعد [٢]
واسألوها ، إنها ألسنة ... يا ابن حرب للمنايا الحمر لَد [٣]
لا تريدوا من بريد غيرها ... إنها من قومكم خير البرد [٤]
لا تظنوا أنكم أكفاؤهم ... إنها منكم لأحلام شرد
اذكروا الأبطال تهوى ، واتقوا ... حاصد الموت كفاكم ما حصد

* * *

أرأيت الرعب يغتال القوى ... مستبدًا بالعتِّى المستبد ؟
رجع القوم سراعًا ، وارعوى ... عاصف الشر ، فأمسى قد ركد
وتولوا فتولت أنفس ... تتنزَّى ، وقلوب ترتعد
يقذف الوادى بهم قذف الحصى ... تبلغ الريح به أقصى الأمد
غارة الله على أعدائه ... تتوالى مددًا بعد مدد
سوَّم الأحجار ، لو صبت على ... ذلك الجمع المولّى لم يعد [٥]

* * *

= لغيرك ، ثم مضى إلى أبى سفيان فقال : تركت محمدًا وأصحابه قد خرجوا لطلبكم فى جمع لم أر مثله قط . يتحرقون عليكم تحرقًا ، وأطال فى ذلك تخويفًا له ولمن معه . ثم نهاهم عن القتال فانتهوا . الأد : لأمر الفظيع والداهية .

(١) النجد : الشجاع الماضى.

(٢) كان المسلمون يوقدون كل ليلة خمسمائة نار ليظن العدو أنهم كثيرو العدد ، وكانوا دون السبعمائة رجل .

(٣) من اللدد وهو شدة الخصومة .

(٤) البرد جمع : بريد .

(٥) أرسل أبو سفيان إلى النبى ﷺ يقول: إنهم أجمعوا على الرجعة ، فقال : « **حسبنا الله ونعم الوكيل ، والذى نفسى بيده لقد سومت لهم الحجارة ، ولو رجعوا لكانوا كأمس الذاهب** » ، وسوَّم الشىء جعل له علامة .

يا أبا عزة ماذا تتقى ؟ ... يا أبا عزة أقبل ، لا تجد [(١)]
أين تمضى ؟ كل شىء مصرع ... كل فج من فجاج الأرض سد
هل رعى السيف دمًا من عابث ... ناكثٍ من كل عهد ما عقد؟
تطلب العفو ، وتهدى ضارعًا ... ببنيات ضعيفات الجلد
أوَ لمْ يمنن عليك المرتجى ... لذوى الضعف ، فأكثرت الفنَد ؟ [(٢)]
تنظم الشعر مُلحًّا حردًا ... ويك خذها ضربة تشفى الحرد [(٣)]

* * *

وثب العدل ، يوالى صيده ... وهو ظلم فاتك إن لم يصد
أخذ الذئبين فى أنيابه ... ما يبالى منهما ما يزدرد [(٤)]
لا تعودوا من صريعى شقوة ... وليعد من كل حى من سعد
موغل فى الشر يسعى دائبا ... وحقود لو تزكى ما حقد
جاهلىّ زل فى إسلامه ... فهوى من بعدما كان صعد

* * *

---

(١) أبو عزة الشاعر الذى مَنَّ عليه النبى ﷺ وهو أسير ببدر فأطلقه بغير فداء رحمة ببناته وقد كان عاهده أن لا يقاتله ، ولا يظاهر عليه أحدًا ، فى نقض العهد ، وخرج مع المشركين فى غزوة أحد يستنفر الناس ويحرضهم على قتال النبى - فوقع أسيرًا فى هذه الغزوة ، فقال للنبى امنن على ودعنى لبناتى ، وعهدى لك ألا أعود لمثل ما فعلت . قال : «**لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين** » ، وأمر بقتله .

(٢) الفند : الكذب والكفر بالنعمة .

(٣) الحرد : الغضب .

(٤) معاوية بن المغيرة بن أبي العاص ، جد عبد الملك بن مروان لأمه ، وابن عم عثمان بن عفان - والحارث بن سويد - أمر النبى ﷺ بقتل معاوية بعد رجوعه إلى المدينة لأنه كان يتتبع أخباره ويلقى بها إلى المشركين ، وكان عثمان شفع له قبل ذلك ، وأمر بقتل الحارث (وكان مسلمًا) لقتله المجذر بن زياد غدرًا فى غزوة أحد ، وكان المجذر قبل إسلامه قتل أبا الحارث بأبيه .

أخطأته خطوة ، كانت له حظوة الساعى ، وفوز المجتهد
احذر العقبى ، فما يدرى الفتى أى وِرد إن دعا الداعى يرد

* * *

ابتدر يا سعد فالزاد نفد واصطناع الخيرِ أشهى ما تود [1]
ابعث التمر على العير لها من سجاياك العلى حادٍ غرد
تحمل التقوى ، وتمضى سمحة فى سوىً ليس فيه من أود [2]
موقرات أقبلت فى جزُرٍ تطرد العسر بيسر ورغد [3]
ردت الجوع ، وصانت أنفسا هى لله سيوف ما ترد
لك يا سعد لديه ولها من جزاء غير نزر ما وعد [4]

* * *

(١) سعد بن عبادة ساق إلى المسلمين فى هذه الغزوة ثلاثين بعيراً تحمل تمراً من عنده ، وبعث معها جزراً فنحروها وأكلوا منها . وهو ابن دُليم بن حارثة بن أبى خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ، ويكنى أبا ثابت ، وأمه عمره بنت مسعود بن قيس بن عمرو توفى « بحوران » من أرض الشام سنة ١٥هـ .
(٢) الأود : الإعوجاج .
(٣) موقرات : محملات ، والجزر : جمع جزور ما يذبح من الأنعام ، والرغد : العيش الهانى .
(٤) غير نزر : غير قليل .

غزوة بنى النضير

كانت هذه الغزوة فى ربيع الأول من السنة الرابعة ، وبنو النضير قوم من اليهود ، نقضوا العهود ، وذهب إليهم النبى ﷺ فى أصحابه فجلس إلى جنب جدار من بيوتهم ، فخلا بعضهم ببعض يأتمرون به ، وأراد رجل منهم يقال له : عمرو بن جحاش أن يلقى عليه صخرة من أعلى الجدار ليقتله ، فنبأه الله بذلك، فقام من مكانه ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهرهم ، وإجلائهم عن ديارهم .

ما الكيد ، ما الغدر هذى الأباطيل ؟ ... الجيش محتشد ، والسيف مسلول

بنى النضير وما تغنى معاقلكم ... كفوا الأذى ودعوا العدوان ، أو زولوا

إن القتيل لمن غرته صخرته ... فظن أن رسول الله مقتول [1]

جاء البريد بها حرّان يحمله ... من رحمة الملك القدوس جبريل [2]

ما أكذب ابن أبيٍ إذ يقول لكم ... لا تتقوا القوم ، إن النصر مكفول [3]

أولاكم النصح سلام وأرشدكم ... لو أن نصح ذوى الألباب مقبول [4]

---

(١) أسلم من اليهود رجلان فى هذه الغزوة ، أبو سعد بن وهب ، ويامين بن عمير فجعل هذه الرجل عشرة دنانير من ماله على أن يقتل عمرو بن جحاش غضبًا لرسول الله ﷺ فقتله .

(٢) الضمير عائد على الصخرة . أى بأمرها ، فإن الله أنبأ نبيه على لسان جبريل .

(٣) عبد الله بن أبى ابن سلول ، أرسل إليهم يقول : لا تخرجوا من دياركم ، وأقيموا فى حصونكم ، فإن معى ألفين من قومى وغيرهم من العرب . يدخلون حصونكم ويموتون عن آخرهم قبل أن يوصل إليكم ، وتمدكم قريظة وحلفاؤكم من غطفان ، فطمع بنو النضير ، وأرسلوا إلى النبى أنهم يريدون القتال .

(٤) سلام بن مشكم أحد سادات اليهود ، نهاهم عن الحرب . وقال لحيى بن أخطب كبيرهم منتك نفسك والله يا حيى الباطل فإن قول ابن أبى ليس بشىء ، وإنما يريد أن يورطك فى الهلكة ، حتى تحارب محمدًا ، فيجلس فى بيته ويتركك .

مـهــلا حـيـى أمـا تـنـهـاك نـاهـيـة عـمـا أردت ، ولا يـهـديـك مـعـقـول ؟
لا الحلف حق ، ولا الأنصـار إن صدقوا يغـنـون عنكـم ، وأنى يصـدق القـيل ؟
بـنـو قــريظـة هـدّ الخـوف جـانـبـهـم والـقـوم مـن غطـفـان غـالـهـم غـول
إن الألى جـمـع الـليث الـهـصور لـكم لهـم الحـماة إذا مـا استـصرخ الـغـيل
أتـطـلبــون دم الإسـلام ؟؟ لا حـكـم إلا السـيوف ، ويـقضـى الأمر عـزريل
هل يـنـفـع القـوم إن أزرى بـهـم قـصـر عن مركـب البأس آطام بهـا طول ؟ [١]
ملّـوا الحـيـاة ، وملـتـهم مـعـاقـلهـم كـل بغــيض ، وكـل بعـــد مملـول [٢]
يـدعـو كـنانـة مـحـزونًـا وصـاحـبـه زال الخلفـاء ، وبعض القول تـضليل [٣]
يـا قـومـنـا : أرأيتـم كـيف يـخلـفكـم من كـل ذى مقـة وعـد ومأمـول ؟ [٤]
دعوا الحـصون ، وزولوا عـن مساكـنكم حُمَّ الـقضـاء ، وأمـر الله مـفعـول [٥]
قـضـى النـبى فـمــا من دون مـطلـبـه وسـولـه مطـلب لـلـقـوم أو سـول [٦]
ولـيس لـلأمـر إذا يُـقـضَـى عـلى يـده بـالحـق مـن ربـه رد وتحـويـل

❊ ❊ ❊

تـلفـتـوا ، يـنـظرون الـدور شـاهـقـة من حولهـا النخل ، تحنيها العـثاكيل [٧]

---

(١) الآطام :الحصون .
(٢) طال عليهم الحصار فى حصونهم ، فاشتد الأمر عليهم .
(٣) كنانة بن صوريا ، وسلام بن مشكم ، لما اشتد الأمر على القوم ولم يروا من ينجدهم . جعلا يقولان لحيى بن أخطب :أين نصر ابن أبى الذى زعمت ؟ فيقول :ماذا أصنع ؟ إنما هى ملحمة كتبت علينا .
(٤) المقة :الحب .
(٥) حم القضاء : نزل .
(٦) أمرهـم النبى ﷺ بالجـلاء ، وأن يأخذوا الـنساء والذرارى والأمـوال ، لا يحمـلون من سلاحهم شيئًا .
(٧) العثاكيل للنخل بمنزلة العناقيد للعنب ، والشاهقة : العالية .

والماء ينساب ، والأظلال وارفة ... والزرع في شطئه بالزرع موصول (١)
قالوا : أيذهب هذا كله سلبًا ... للقوم من بعدنا ؟؟ تلك العقابيل (٢)
وأقبلوا يهدمون الدور ، فاختلفت ... فيها المعاول شتى والأزاميل (٣)
لها على الكره في أرجائها لغة ... كما تردد في الأسماع ترتيل
الروح يهتف ، والإسلام مبتهج ... والكفر في صعقات الهول مخبول

* * *

يا للركائب إذ تمشي مذممة ... والقوم من فوقها سود معازيل (٤)
العز في عرصات الدور مطرح ... والمال والحَلْي في الأكوار محمول (٥)
قالوا : الرحيل ، فما أصغت مثقفة ... ولا استجاب طرير الحد مصقول (٦)
نادَى الموكَّل بالأدنى يعللهم ... وفي الأباطيل للجهاد تعليل (٧)
هذا الذي يرفع الدنيا ويخفضها ... هيهات ـ ذلك إرجاف وتهويل
مواكب العار ، لا وسم الهوان بها ... خاف ، ولا أثر الخذلان مجهول (٨)
ما في الهوادج ، والديباج يملؤها ... للخزى ملء وجوه القوم تبديل
وما الأساور والأقراط نافعة ... ولا العقود الغوالي والخلاخيل

---

(١) الشطء : فراخ الزرع أو ورقه .

(٢) العقابيل : ما ثبت من بقايا الداء فلم يزل .

(٣) جعلوا يهدمون الدور قبل جلائهم ، ويأخذون من خشبها وحديدها ما يقدرون على حمله ، والأزاميل جمع أزميل ، آلة من الحديد ينقر بها الخشب والحجر .

(٤) معازيل :لا سلاح معهم .

(٥) عرصات : جمع عرصة وهي ساحة الدار ، والأكوار : جمع كور وهو الرحل .

(٦) إشارة إلى تركهم السلاح . والمثقفة: الرماح المقومة . والطرير : الحد من السيوف وغيرها الماضي .

(٧) هو سلام بن أبي الحقيق أحد كبارهم ، ذهب يحمل أموالهم وحليهم في جلد جمل ـ وقيل : جلد ثور ـ ويقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها .

(٨) خرجت النساء في الهوادج عليهن الديباج والحرير ، وقطف الخز الأخضر والأحمر والحلى من الذهب والفضة ، وخلفهن القيان بالدفوف والمزامير ، يتقين الشماتة .

تشدو القيان ، بأيديها معازفها ... وما عليها غداة الجدّ تعويل
تجلَّدوا ، يتقون الشامتين بهم ... لبئسما زعم القوم المهازيل
فيم الشماتة ، هل كانوا ذوى خطر ؟ ... بل غال أحلامهم ظن وتخييل
لهم بخيبر أقدار مؤجلة ... وأذرعات وللأقدار تأجيل [(١)]

* * *

أدركتها يا ابن وهب نعمة نصرت ... فى القوم جدك والمغرور مخذول [(٢)]
تلك الوسيلة ، من تعلق بها يده ... لم يعده من عطاء الله تنويل
وأنت يا ابن عمير زدت مرتبة ... وللمراتب عند الله تفضيل [(٣)]
أنكرت فعلة عمرو حين همّ بها ... فالنفس غاضبة ، والمال مبذول
رميته من بنى قيس بمقتنص ... يمشى الضَّرَاء ، فأمسى وهو مأكول
أتلك إذ صدقت يا عمرو ، أم حجر ... يرمى به الصادق المأمول إجفيل ؟ [(٤)]

* * *

(١) ذهب بعضهم إلى خيبر وبعضهم إلى أذرعات من بلاد الشام ، والمعنى أنهم مدركون فى هذه وتلك إذا حان يومهم .

(٢) أبو سعد بن وهب الذى هداه الله للإسلام . [الإصابة: ٧/ ١٧٢ ، الطبقات: ٥/ ٣٩٤].

(٣) صاحبه يامين .

(٤) الإجفيل : الجبان .

غزوات ذات الرقاع

اختلفت الروايات فى شأن هذه الغزوة ، فقيل : إنها كانت فى شهر ربيع الثانى ، وقيل : فى جمادى الأولى من السنة الرابعة (١) بعد غزوة بنى النضير ، وفى بعض الروايات أنها كانت بعد غزوة خيبر (٢) . وقيل فى تسميتها « ذات الرقاع » : إن المسلمين نقبت أقدامهم وسقطت أظفارهم فيها ، فلفوها بالخرق ، فسموها ذات الرقاع . وقيل : إنها سميت كذلك لأنهم رقعوا راياتهم فيها ، وقيل غير ذلك . وسببها أن النبى ﷺ علم أن بنى محارب وبنى ثعلبة بن سعد ابن غطفان « بنجد » يؤلبون الجموع من غطفان لمحاربته ، فخرج إليهم فى أربعمائة ، أو سبعمائة ، أو ثمانمائة من أصحابه واستعمل على المدينة أبا ذر الغفاري ، وقيل : عثمان بن عفان . فلما بلغ نجدًا لم يجد رجالا يقدمون على حربه ، وهمت طائفة منهم أن يوقعوا بالمسلمين عند صلاة الظهر (٣) ، فصلى النبى ﷺ بهم صلاة الخوف (٤) ، وترقبوا صلاة العصر فكانت كذلك ﴿ وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً ﴾ [النساء:١٠٢] الآية ،

---

(١) وقيل فى المحرم .

(٢) عن أبى هريرة أن « مروان بن الحكم » سأله : هل صليت مع رسول الله ـ ﷺ ـ صلاة الخوف ؟ قال : نعم ، قال : متى ؟ قال : عام غزوة نجد [صحيح ـ أخرجه أحمد : ٢/ ٣٢٠ ، والنسائى فى الكبرى كتاب صلاة الخوف فى صدره : ١/ ٥٩٤ ح : ١٩٣١]. وهذا يدل على أنّ غزوة ذات الرقاع بعد خيبر [أنظر : فقه السير لابن قيم الجوزيه صـ ١٩٧] .

(٣) فلقى جمعا من غطفان ، فتواقفوا ، ولم يكن بينهما قتال .

(٤) انظر ـ البخارى ـ كتاب المغازى ـ باب غزوة ذات الرقاع ـ ح ٤١٢٥ ، ٤١٢٦ ، ٤١٢٧ . وقال ابن عباس : صلى النبى ﷺ الخوف بـ « ذى قرد » .

ولم تنشب الحرب فى هذه الغزوة التى وقع فيها من العجائب ما جعلهم يسمونها (غزوة العجائب) وقد وجد المسلمون بعض النسوة فأخذوهن (١) .

إلى القوم الألى جمعوا الجوعـ ... إلى نجد كفى نجدا هجوعا (٢)
أبت شمس الهدى إلا طلوعـ ... ففاض شعاعها ، يغشى الربوعا (٣)
ويسطع فى جوانبها سطوعا
إلى غطفان إنهم استعدُّوا ... وظن غواتهم أن لن يُهدوا
بنى غطفان جدوا ثم جدّوا ... جرى القدر المتاح ، فلا مردٌّ
بنى غطفان صبرًا أو هلوعا (٤)
مشى جند النبى فأىّ جند ؟ ... وأين مضى الألى كانوا بنجد ؟
تولى القوم حشدًا بعد حشد ... حذار البطش من جنٍّ وأسد
ومن ذا يشتهى الموت الفظيعا ؟
نساء الحىِّ ، ما صنع الرجال ؟ ... أمكتوب عليكنّ القتال ؟
لَكنَّ الأمن إن فزعوا فزالوا ... ما ومحمد وهو الثمال (٥)
لقد نلتنّه حرزًا منيعا

(١) فى مرجعهم ، سبوا امرأة من المشركين ، فنذر زوجها ألا يرجع حتى يهريق دما من المسلمين ، فجاء ليلا ، وقد أرصد رسول الله ـ ﷺ ـ رجلين ربيئة للمسلمين من العدو، وهما « عبّاد بن بشر و عمار بن ياسر » فضرب « عبادا » وهو قائم يصلى بسهم فنزعه ، ولم يبطل صلاته حتى رشقه بثلاثة أسهم ، فلم ينصرف حتى سلّم ، فأيقظ صاحبه . فقال سبحان الله ، هلا أنبهتنى ؟ . فقال : إنى كنت فى سورة ، فكرهت أن أقطعها .

[عن ابن اسحاق ـ انظر ابن هشام فى السيرة : ١٥٩/٣] .

(٢) الهجوع : النوم .

(٣) الربوع : الأماكن .

(٤) الهلوع : الجزع .

(٥) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

إليهِ إليهِ ، إن يكنّ ضعفا وإن به لمرحمةً وعطفا
وفيه من التقى ما ليس يخفى وما حاولت ترجمةً ووصفا
فلست لمثل ذلك مستطيعا
نزيلَ الشعب من يحمى سواكا ولكن قل : تبارك من هداكا [(١)]
أترقد هاهنا ، وهمو هناكا ؟ أما من كالئ يُرجَى لذاكا [(٢)]
إلى أن يبعث الله الصديعا ؟ [(٣)]
ألا طوبى لعبّاد بن بشر وعمارٍ كفاية كل أمر
رسول الله نحن لهم ويجرى قضاء الله إن طرقوا بشّر
كعهدك إذ جرى سمًّا نقيعا [(٤)]
وأجرى الأمَر عَبادٌ سويا فقام ، ونام صاحبه مليًّا
وكان بأن يناصفه حريًّا محافظة على المثلى وبُقيا
قريع شدائد وافى قريعا [(٥)]
لربك صلِّ يا عباد فردا وزد آلاءه شكراً وحمدا
ومحكم ذكره فاجعله وردا فإنّ له على الأكباد بردا
وإن أذكى الجوانح والضلوعا
ولاح سواده ، فرماه رام أتى إثر الحليلة فى الظلام [(٦)]
هديتك يا ابن بشر من همام أما تنفك عن نزع السهام
تحامى عن صلاتك ما تحامى وجسمك واهن الأعضاء دام ؟

---

(١) سبق أن ذكرنا القصة فى هامش (١) الصفحة السابقة .
(٢) الكالى : الحافظ والحارس .
(٣) الصديع : الصبح .
(٤) أى كما عهدت فى مواطن البلاء .
(٥) القريع الغالب فى المقارعة . والفحل والمختار من الرجال.
(٦) الحليلة : الزوجة .

أمالك يا ابن بشر في السلام وقد جرت الدماء على الرغام ؟ [١]

ألا أيقظ أخاك من المنام كفاك فقد بلغت مدى التمام

وما تدع القنوت ولا الخشوعا

رأى عمّار خطبك حين هبّا فلم ير مثله من قبل خطبا [٢]

يقول ونفسه تنهدّ كربا أيدعوني الحفاظ ، وأنت تأبى ؟

فلقد كُلفتُ أمرًا منك صعبٌ ولو أيقظتني لشفيت قلبا

جرحت سوده جرحًا وجيعا

وأبصر شخصه الرامي الملحُّ فزلزل قلبه للرعب نضح [٣]

وأمسك منه تهتان وسحُّ وما إن راعه سيف ورمح

ولكن مسه خبَلُ فريعا

تولّى يخبط الظلماء ذعرًا ويحسب درعه كفنًا وقبرًا

ألا أدبر ، جزاك الله شرًا ظفرت بصابر ، وأبيت صبرًا

فآثرت الهزيمة والرجوعا

وجاء غويرث يبغي الرسولا ويطمع أن يغادره قتيلا [٤]

كذلك قال ، يستهوي القبيلا غويرث رمت أمرًا مستحيلاً

---

(١) الرغام : التراب .

(٢) قال عمار لعباد حين أيقظه ورأى ما به : أي أخي ، ما منعك أن توقظني له في أول سهم رمى به ؟ قال :كنت أقرأ في سورة الكهف فكرهت أن أقطعها ، ولولا أني خشيت أن أضيع ثغرا أمرني به رسول الله ﷺ ما انصرفت ولو أتى على نفسي .

(٣) لما أبصر الرجل عمارًا انقلب خائفًا ، والنضح : الرمي بالنبل .

(٤) عن جابر « أنّه غزا مع رسول اله قبِل نجد ، فلما قفل رسول الله ـ ﷺ ـ قفل معه ، فأدركتهم القائلة في واد كثير العِضاهِ فنزل رسول الله ـ ﷺ ـ وتفرّق الناس في العضاة يستظلون بالشجر ، ونزل رسول الله ـ ﷺ ـ تحت سَمُرَه ، فعلّق بها سيفه . قال جابر: فنمنا نومه . ثم إذا برسول الله ـ ﷺ ـ يدعونا ، فجئناه ، فإذا عنده أعرابي جالس . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ إنّ هذا اخترط سيفي وأنا نائم ، فاستيقظت وهو في يده صلتا فقال لي : من يمنعك منِّي ؟ . قلت الله . فهاهو ذا جالس . ثم لم يعاقبه رسول الله ـ ﷺ ـ . [البخاري ؛ ح : ٤١٣٥، طرفة ؛ ح : ٢٩١٠] .

فهل لك أن تثوب وأن تريعا ؟ [(١)]

أتيت محمداً تبدى السلاما وتخفى الغيظ يضطرم اضطراما

تقول مخاحلا - أرنى الحساما وتأخذه ، فلا ترعى الذماما

أغدراً ؟ ياله خلقًا وضيعا

تهمُّ به ، ولست بمستطيع فأين مضارب السيف الصنيع ؟ [(٢)]

وكيف وهت قوى البطل الضليع ؟ تعالى الله من ملك رفيع

يريك جلاله الصنع البديعا

سألت رسوله : أفما تخاف وسيفك فى يدى موت ذعاف ؟ [(٣)]

أراك من الموارد ما يعاف فلا فرَق عراك ولا ارتجاف

فيالك كرةً خسرت جميعا

فقال محمد ربى يقينى ويمنع مهجتى ، ويصون دينى

وصارمَه تلَّقى باليمين ألا بوركت من هاد أمين

ترد أناته الحلم النزيعا

أخذت السيف لو تبغى القصاصا لما وجد المسىء إذًا مناصا

تقوله له : بمن ترجو الخلاصا إذا أنا لم أرد إلا اقتناصا

فلن تجد الولىَّ ولا الشفيعا ؟

يقول غويرث كن خير مولى وأنت أحق بالحسنى وأولى

فقال له : أتؤمن قال كلا ولكنى أعاهد ، ثم ولى

ودين الله يطلبه سريعا

وحدث قومه : يا قوم إنى بخير الناس قد أحسنت ظنى

رأيت خلاله ، فرجعت أثنى عليه ، وقد مضى الميثاق منى

فلست لمن يناوئه تبيعا

---

(١) تثوب وتريع : بمعنى ترجع .

(٢) السيف الصنيع : المجرب الصقيل .

(٣) الموت الذعاف : السريع العاجل .

أعــزّ الله شــيــخ الأنــبــيــاء وأيــده بــآيــات وضــاء
ألــم تــخــبــره تــرجــمــة الــرغــاء بمـا يجـد الـبـعـيـر من الـبـلاء ؟ (١)
تــوجــع يــشــتــكــى ســوء الجــزاء وفــقــدان المــروءة والــوفــاء
أيــذبــحــه ذووه عــلــى الــعــيــاء وبــعــد الجــد مــنــه والمــضــاء ؟
رثــى لــشــكــاتــه حــق الــرثــاء وراض ذويــه مــن بــعــد الإبــاء
فــمــنــع بــالــســلامــة والــبــقــاء وراح ، فــأىٌّ حــمــد أو ثــنــاء

يؤدى الحـق ، أو يجـزى الصـنيـعـا

* * *

---

(١) من العجائب التى وقـعت فى هذه الغزوة باتفاق الروايات أن بعيـرًا جاء يرقل حتى وقف على رأس النبى ﷺ ، وجعـل يردد الرغاء ، فسأله أصحابـه :ما شأنه ؟ قال : « إنــه يقول إنـه أحسن خدمـة أصحابه ، فلـما كبر هـموا بذبحه فـهرب ، وجاء مـستغيـثًا » ، وقدموا علي أثره فذكر لهم النبى ﷺ ما قاله ، فقالوا : صدقت ، فأوصاهم به خيرًا .

غزوة بَدر الآخِرة

ويقال لها : (غزوة الموعد) لقول أبى سفيان عند رجوعه من أحد :

موعد ما بيننا وبينكم بدر ـ يريد موسمها ـ كانت فى شهر شعبان [١] من السنة الرابعة ، فخرج النبى إليها فى ألف وخمسمائة من أصحابه وكان الخيل عشرة أفراس ، وكان يحمل لواءه (على بن أبى طالب) واستخلف على المدينة عبد الله بن رواحة وذهب (نعيم بن مسعود) الأشجعى (قبل إسلامه) وهم يتأهبون للخروج فأخبر المشركين بأمرهم ، فجعل له أبو سفيان عشرين بعيراً إذا هو عاد إلى المدينة فثبط المسلمين عن القتال ، وأوهمهم أن المشركين فى جمع كثير. فما زادهم هذا إلا ثباتا وقوة ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] ، وكره أبو سفيان القعود خشية العار ، فأجمع أن يخرج بالمشركين ثم يرجع بهم من مكان قريب وكانوا ألفين ، ومعهم خمسين فارسا ، فلما بلغوا (مجنة) وهى سوق معروف من أسواق العرب[٢] قال لهم : يا معشر قريش لا يصلحكم إلا عام خصب ترعون فيه الشجر وتشربون الماء ، وإن عامكم هذا عام جدب ، وإني راجع فارجعوا [٣] ، وأقام النبى ﷺ بجيشه فى بدر مدة الموسم وهى ثمانية أيام ينتظر القوم ثم رجع إلى المدينة .

إليك أبا سفيان لا الوعد صادق	ولا أنت ذو جد ، ولا القوم أبطال
أتاك ابن مسعود بأنباء يثرب	فما تنقضى منكم هموم وأوجال [٤]
لكم عند بدر فى لواء محمد	خطوب ترامى بالنفوس وأهوال

(١) أوجال مخاوف .

(٢) الروع : الفزع والخوف والمقصود الحرب .

(٣) وقيل : ذو القعدة .

(٤) فى « فقه السيرة لابن قيم الجوزيه صـ ١٩٨ :

[فلما انتهوا إلى مر الظهران ـ على مرحلة من مكة ـ قال لهم . . .] .

هنالك قوم يا ابن حرب كأنهم ... إذا عصفت ريح الكريهة أغوال
جنود عليها من على مظفر ... لدى الروع ، جياش على الهول جوال[1]
دع المرء يذهب بالأباطيل مرجفًا ... وَعِدْه جزاء الإفك ـ لا حبذا المال
تردد ، يخشى منك شيمة مخلف ... يقول ، فلا وعد وفىٌّ ، ولا قال [2]
تمسَّك من قول ابن عمرو بموثق ... وطارت به في الجوّ هوجاء مجفال [3]
مضى ، يصف الكفار وصف مهوِّل ... يقول : جموع ما تُعدُّ وأرسال [4]
فما وجفت تلك القلوب ، ولم تكن ... كأخرى ، لها من هدَّة الرعب زلزال [5]
رجال رسا الإيمان ملء نفوسهم ... فلا الجبن منجاة ، ولا البأس قتّال
ولا الموت مكروه على العز ورده ... ولا العيش مورود إذا خيف إذلال
تداعوا فقالوا ، حسبنا الله إنه ... لما شاء من نصر الهداة لفعال [6]
وأرسلها الصديق دِيمة حكمة ... لها من فم الفاروق سح وتهطال [7]
محمد إن الله ناصر دينه ... ومظهره ، والحق أقطع فصّال

---

(١) سماهم أهل مكّة « جيش السويق » ، يقولون : إنما خرجتم تشربون السويق .

(٢) قال أبوسفيان لنعيم : بدا لى أن لا أخرج ، وأكره أن يخرج محمد ولا أخرج أنا فيزيدهم ذلك جراءة ، ولأن يكون الخلف من قبلهم أحب إلى من أن يكون من قبلى ، فالحق بالمدينة وأعلمهم أنا فى جمع كثير ولا طاقة لهم بنا ، ولك عندى من الإبل كذا وكذا ، أدفعها لك على يد سهيل بن عمرو ،فجاء نعيم إلى سهيل وقال له :يا أبا يزيد، تضمن لى هذه الإبل وأنطلق إلى محمد فأثبطه؟ قال: نعم ، فذهب يرجف بما قيل له .

(٣) الجو : هنا ما اتسع من الأودية ، والهوجاء : الناقة السريعة ، المجفال بمعنى الهوجاء .

(٤) الأرسال : الجماعات .

(٥) وجفت : اضطربت والهدة : صوت وقع الشيء العظيم كالبناء ونحوه .

(٦) كانوا كلما سمعوا أخبار قريش وجموعها يقولون : حسبنا الله ونعم الوكيل .

(٧) جاء أبو بكر وعمر رضي الله عنه إلى النبى ﷺ وقالا : يا رسول الله إن الله مظهر نبيه، ومعز دينه، وقد وعدنا القوم موعدًا لا نحب أن نتخلف عنه ، فيرون أن هذا جبن ، فسر لموعدهم، فوالله إن فى ذلك لخيرة ـ فسر النبى ﷺ وقال : «**والذى نفسى بيده لأخرجن وإن لم يخرج معى أحد** » . فاحتدمت نفوس المسلمين حماسة وقوة .

لهم موعد لابدّ منه ، ومورد ... من الحتف ، تغشاه نفوس وآجال [١]
عزيز علينا أن نكون مقالة ... يرددها قوم مهاذير جُهّال
يقولون : لولا الخوف منا لأقبلوا ... وإنّا لإقدام حثيث وإقبال
وخفّ أبو سفيان يكذب نفسه ... ويشهدها من خيفة : كيف يحتال
يقول ، وقد وافى الرجال مجنة ... أيا قومنا مهلا ، فإنا لضلال
أيا قومنا : إنا نرى العام مُجدبًا ... وشرٌّ عتاد الحرب جدب وإمحال
فعودوا إلى عام من الخصب صالح ... ولا تقربوا الهيجاء ، فالقوم أصلال [٢]

* * *

تقدم جيش الله وارتدّ جيشهم ... وما فيه أكفاء تُهاب وأمثال
وأين من الصيد المصاليت معشر ... لهم من مواليهم لدى البأس خذال ؟ [٣]
لبئس الموالى ما تزال تغرهم ... ظنون كأحلام النيام وآمال

* * *

ألا إنّها الدنيا أعيد بناؤها ... وصيغ لها رسم جديد وتمثال
فلا شأنها الشأن الذى كان يرتضى ... بنوها الألى بادوا ، ولا حالها الحال [٤]
عفا السالف المغبر من سيئاتها ... فتلك بقاياها قبور وأطلال
أتبقى قلوب الناس فى ظُلماتها ... تظاهرُ أكنان عليها وأقفال ؟ [٥]
هو النور نور الله ، يملأ أرضه ... فتلقَى الهدى فيه عصور وأجيال
أتى مطلقُ الأسرى يحرر أنفسًا ... لها من سجاياها قيود وأغلال

---

(١) الحتف : الموت .
(٢) أصلال : جمع صل وهو الحية .
(٣) الصيد : جمع أصيد وهو من صفات الأسد ، والأصل فيه ارتفاع الرأس ، والمصاليت: جمع مصلات، وهو الشجاع الماضى فى الأمور ، المشمر لها .
(٤) بادوا : هلكوا .
(٥) أكنان : أغطية .

غزوة دُوَمة الجَنْدَل [1]

هى أقرب بلاد الشام إلى المدينة ، وكانت هذه الغزوة فى أواخر السنة الرابعة ـ على رواية ـ وفى ربيع الأول من السنة الخامسة ـ على رواية أخرى واستعمل على المدينة : سباع بن غرفطة الغفارى ـ وسببها أن النبى ﷺ أخبر أن بهذه البلدة قومًا يظلمون من مر بهـا ، ويعتدون عليه ، وأنهم يريدون الاقتـراب من المدينة فخرج إليها فى ألف من المسلمين ، فلما اقترب الجـيش منها خاف القوم فتفرقوا وأصاب المسلمون مـن ماشيتهم ورعـاتهم ما أصابوا ، وفى الرجـوع من هذه الغزوة وادع النبى ﷺ عيينة بن حصن الفزارى [2] ، وأباح له أن يرعى بمحل بينه وبين المدينة ستة وثلاثون ميلا ، فلما سمنت مواشيه ، وعاد إلى أرضه وقد زال عنها الجدب، أغار على لقاح النبى ﷺ [3] ، وكان يقال له (الأحمق المطاع) [4] ومن سوء خلقه

(١) وهى بضم الدال ، أما « دوَمة » بالفتح فمكان آخر .

(٢) أجدبت بلاد آل بدر بـن عمروحتى ما بقت مـن حالهم إلا الشريد ، وذكرت لـه سحابة وقعت بـ « تغلمين » موضع من بلاد فزاره ، قبل ريم ـ فسار عيينة بن حصن فى آل بدر نحوا من مائة بـيت ، حتى أشرف على بطن نخل ـ ثم هاب الـنبى ـ ﷺ ـ وأصحابه ، فورد المدينة ، فـأتى النبى ـ ﷺ ـ فدعاه إلى الإسـلام ، فلم يبعد ، ولم يـدخل فيه ، وقال : إنى أريد أن أدنو من جوارك ، فوادعنى . فوادعه ثلاثة أشهر ، لا يغير أحد من المسلمين . فلما انقضت المدة انصرف عيينة وقومه إلى بلادهم قد أسمنوا ، وألبنوا .

(٣) أغار فى أربعين رجلا وهى بالغابة ، وكانت عشريـن لِقْحَة واستاقها ، وقتل ابنا لأبى ذر كان فيـها . فخرج رسـول الله ـ ﷺ ـ فى طلبهـم . فاستنفـذ المسلمون عشـر لِقاح . وأفلت القوم بما بـقى ، وقتلوا « حبيب بن عيـينة » و « مَسْعَدة بن حكَمـة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وقَرفَة بن مالك بن حذيفة و « أوثار » ، وعمرو بن أوثار .
[الطبقات : ٦/ ١٧٤] .

(٤) فى هذه الغزوة أتى « مخشى بن عمـرو الضمرى »وقد كان وادع النبى ـ ﷺ ـ فى غزوة «ودان » على بنى ضمرة . فـقال : يا محمد أجئت للقاء قـريش على هذا الماء ؟ قال ـ ﷺ ـ : « نعم يا أخا بنى ضمرة ، وإن شئت رددنا إليك ماكان بيننا وبينك ، وجادل =

أنه دخل على النبى ﷺ بغير استئذان ـ وفيه يقول صلوات الله وسلامه عليه : «**شر الناس من تركه الناس اتقاء فحشه** » أسلم بعد فتح مكة، وشهد حنينًا والطائف ، ثم ارتد فى خلافة الصديق ، ولحق بطليحة بن خويلد الذى ادعى النبوة فآمن به ، فلما هرب طليحة أسره خالد بن الوليد وبعثه إلى الصديق فى وثاق ، فمنّ عليه وأسلم .

سيرى الهوينى دومة الجندل ... معنت فى الظلم ولم تُجملى [(١)]

أكُلُّ من مرّ خفيف الخطى ... ترمينه بالفادح المثقل ؟ [(٢)]

المسلمون استصرخوا ربهم ... فاستعصمى منه ، ولن تفعلى

مضى رسول الله فى جحفل ... ما مثله فى البأس من جحفل [(٣)]

يمشى إذا اسودّت وجوه الوغى ... فى ساطع من وحيه المنزل

لولا الذى استعظمتِ من أمره ... لم يُهزم القوم ، ولم تُخذلى

أهلوك طاروا خوف تَقتاله ... فأيُّهمُ بالرعب لم يُقتل ؟

كلٌّ له من نفسه ضارب ... إن يُدبرِ الخوف به يُقبل

تلك لعمرى من أعاجيبهم ... ويبتلى ربُّك من يبتلى

* * *

شرّدَهم مذكور من دارهم ... لا كنت من دار ومن منزل [(٤)]

هلاّ رعوا إذ أدبروا جُفَّلا ... ما ريع من أنعامك الجفَّل ؟ [(٥)]

= حتى يحكم الله بيننا . قال : لا والله ما لنا بذلك من حاجة . ثم رجع ـ ﷺ ـ إلى المدينة ولم يلق كيدا [سيرة ابن هشام : ٣/ ١٢٤ ، البداية والنهاية : ٤/ ٤٣٦] .

(١) أمعن تمادى .

(٢) الفادح : العظيم .

(٣) الجحل : الجيش الكثيف .

(٤) «مذكور» اسم رجل من بنى عذرة ، اتخذه النبى ﷺ دليلا للجيش فى هذه الغزوة ، فلما رآه القوم مقبلا أخذهم الرعب فتفرقوا .

(٥) جفَّل : منزعجين مسرعين .

مــاذا يــريــد الجــيــش مــن عـــورة ... حــلــت مــن الــذلــة فــى مـــوئــل ؟
لــولا المـــروءات وســلــطــانــهـــا ... لانــقــضّ أعــلاهــا عــلــى الأســفــل
شـــريـــعـــة الإســـلام فـــى أهــلــه ... أهــل الحــجــا والــشــرف الأطــول (١)
وســـنـــة المخـــتـــــار مـــن ربـــه ... والمــصــطفــى مــن خــلــقــه المــرســل
جـــــاء بمــلء الأرض مـــن نـــوره ... والنــاس مــن حــيــرى ، ومــن ضُلّــل
لا عــذر لــلــمــصــروف عــن رشــده ... لــم يــبق مــن داج ولا مــجــهــل (٢)
مـــعـــــالــم الإيمــان وضـــاحـــة ... والحــق مــلء العــين لــلــمــجــتــلــى

* * *

إيــه قـــنــيـــص الله فـــى حـــبــلــه ... ظــفــرت بــالأمــن ، فـــلا تَوجــل (٣)
جــئــت مــعـــافــى في يــدى صــائــد ... لم يــخدع الصــيــد ، ولــم يختــل (٤)
أقبل ، فــهــذا خــيــر مــن أبصــرت ... عــيــنــاك فى الجــيــش ، وفى المحــفــل
هــذا الــذى أعـــرض عـــن حـــقـــه ... قـــومــك مـــن بـــاغ ومــن مُــبــطــل
لــو أنهــم جـــاؤوه فــاســتــغـــفــروا ... رأوا ســـجـــايــا المنــعــم المــفـــضــل
أســلـــمـــتَ تـــأبـــى ديـــنــهـــم أولا ... فـــمـــرحـــبًـــا بــالمـــســلــم الأول

* * *

عـــيـــيــنــة المغـــبــون فـــى نــفــســـه ... مــاذا جــنــى من دائــه المعــضــل ؟ (٥)
حـــمـــلــه مـــا لـــو تـــلــقّــت ذرى ... مُــستَشــرف العــرنين ، لم يَحــمــل (٦)
ألـــوى به الجـــدب ، فـــأفـــضى إلــى ... أكــنــاف واد مـــعـــشـــب مـــبــقــل (٧)

---

(١) الحجا : العقل .

(٢) داج : مظلم .

(٣) أسر محمد بن مسلمة رجلا منهم وجاء به إلى النبى ﷺ ، فعرض عليه الإسلام فأسلم.
لا توجل : لا تخف .

(٤) يختل : من الختل وهو الخداع .

(٥) المغبون : المخدوع ـ المعضل : المستعصى .

(٦) مستشرف العرنين : صفة لمحذوف ، والمراد الجبل العالى .

(٧) ألوى به : ذهب به .

مِن أنعم الغيث الكثير الجدا ومكرمات العارض المسبل [١]
حتى إذا أعجبه شأنه وغرّه من ماله ما يلى
أتى بها شنعاء مكروهة من سيئات الأحمق الأثول [٢]
بئس المغير انقضَّ فى غرة على لقاح الغابة الهمَّل [٣]
ما وقعة اللص بمأمونة ولا أذاة الضَّرع الذُّمَّل [٤]
آذى رسول الله فى ماله وآثر الغدر ، ولم يحفل
لو ارتضى دين الهدى صانه وزانه بالخلق الأمثل

* * *

يا أم سعد لست من همه سعد عن الأهلين فى معزل [٥]
إنْ أهلُه إلا الألى استوطنوا دار الوغى في دُومة الجندل
لا تذرفى الدمع على راحل فى الله لولا الله لم يرحل
واستقبلى الموتَ على هوله إنى أراه سائغ المنهل [٦]
ظمئت من سعد إلى نظرة تطفئ حرَّ اللاعج المشعَل
روَّاك رب الناس من سرحة ألقى عليها ظلَّة من عل [٧]
تؤتى الجنى كالأرْيِ طيبا إذا كان الجنى كالصاب والحنظل [٨]
صلاة أصفى الناس مما سقى أفنانها ذو النائل السلسل [٩]

(١) المراد به الرسول الكريم .
(٢) الأثول: المجنون والأحمق .
(٣) الغابة : اسم المكان الذى كانت ترعى فيه اللقاح.
(٤) الضعيف : الجبان .
(٥) كان سعد بن عبادة مع النبى ﷺ فى هذه الغزوة ، فماتت أمه وهو غائب ، فلما رجع النبى ﷺ بعد شهر من وفاتها صلى على قبرها .
(٦) شراب سائغ : عذب ، والمنهل : مكان الشرب .
(٧) السرحة : الشجرة العظيمة .
(٨) الأرى : العسل ، والصاب : شجر مر أو هو عصارته .
(٩) النائل : العطاء .

لو وُزنتْ كل صلاة بها   من أنبياء الله لم تعَدل
يا أمَّ سعد إنها نعمة   جاءتك ، لم تُطلب ، ولم تُسأل
هذا جوار الله فاستبشرى   وهذه جنّته فادخلى

* * *

غزوة بنى المصطلِق (١)

بنو المصطلق بطن من خزاعة ، والمصطلق لقب جذيمة بن سعد بن عمرو والخزاعى ، لقب به لارتفاع صوته (من الصلق) ، وقيل : إنه كان حسن الصوت، وأنه أول من غنى فى خزاعة .

بلغ النبى ﷺ أن الحارث بن أبى ضرار سيد بنى المصطلق جمع قومه وآخرين من العرب لمحاربته ، فبعث إليهم « بريدة بن الحصيب » الأسلمى يتعرف أخبارهم، وأذن له أن يقول فيه ما يشاء ، ليأمنوه ويقوه شرهم ولقى الحارث بن أبى ضرار وكلمه ، ورجع يذكر تأهبهم للحرب ، فخرج إليهم النبى ﷺ يقود جيشًا كبيرًا وخرج معه جماعة من المنافقين ، لم يخرجوا فى غزاة قبلها . واستعمل على المدينة زيد بن حارثة ، وقيل : أبا ذر وقيل : نميلة بن عبد الله الليثى فى شعبان من السنة الخامسة ، وبعث الحارث عينا له ليوافقه بأخبار المسلمين ، فأمر النبى ﷺ بقتله ، فضعفت نفسه ، وتفرق عنه كثير من رجاله . وانتهى الرسول إلى « المريسيع ، وهو مكان الماء .

وأعطى النبى ﷺ راية المهاجرين إلى أبى بكر ـ وقيل : لعمار بن ياسر ـ وراية الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وأمر عمر بن الخطاب أن يقول للمشركين قولوا لا إله إلا الله تمنعوا بها أنفسكم وأموالكم ، فلم يقبلوا ورموا المسلمين بالنبل. فدار القتال وكان النصر لله ورسوله وللمؤمنين ، فغنموا وأسروا وسبوا ، وعادوا بنعمة من الله وفضل ، وكان من السبايا (برة) بنت الحارث بن ضرار ، بنى عليها النبى ﷺ وسماها (جويرية) فقال المسلمون : أصهار رسول الله ﷺ ، وأطلقوا من كان بأيديهم من الأسرى والسبايا (٢) ، وفى الرجوع من هذه الغزوة كانت واقعة أم المؤمنين السيدة عائشة رضى الله عنها (٣) .

---

(١) فى « فقه السيرة » غزوة المريسيع » صـ ١٩٩ .

(٢) أعتق المسلمون مائة من بنى المصطلق قد أسلموا .

(٣) فى هذه الغزوة سقط عقد لعائشة ، فاحتبسوا على طلبه ،فنزلت آية التيمم عن عائشة=

نهضت من كل أوب تلتقى فاحذروها يا بنى المصطلق [١]

احذروها غارة ملمومة يتقى أهوالها من يتقى [٢]

لا تظنوا جمعكم كفؤًا لها حين تمضى فى العجاج المطبق [٣]

سرِّحوا الجيش ، وكُفُّوا ، إنها مصرع الجيش ، وحتف الفيلق

نعق الحارث يدعوكم إلى أن تبيدوا : ليته لم ينعق

لا يغرَّنكم رسول جاءكم مبغض القلب ، ومحب المنطق [٤]

يا رسول الصدق : ماذا جمعوا لذوى البأس وأهل المصدق ؟ [٥]

الألى تتسع السبل بهم للمنايا فى المجال الضيق

يخفق النصر على أعلامهم إن تَردَّى كل جيش مخفق

ما يبالون المنايا النكر فى مرعدٍ من هولها أو مبرق

لأبى بكر وسعد نظرة بعد أخرى ، كالشواظ المحرق [٦]

فى اللوائين ضياء منهما واضح المطلع ، طلق المَشرق

وعلى الفاروق من إيمانه ما على صمصامه من رونق [٧]

= قالت : ولما كان من أمر عقدى ما كان ، قال أهل الإفك ما قالوا ، فخرجت مع النبى ، فخرجت مع النبى - ﷺ - فسقط عقدى أيضا حتى حبس التمامه الناس ، ولقيت من أبى بكر ماشاء الله ، وقال لى : يابنية فى كل سفر تكونين عناءً وبلاءً وليس مع الناس ماء ، فأنزل الله الرخصة للتيمم .

(١) الأوب : الطريق والجهة .

(٢) ملمومة : مجتمعة مضموم بعضها إلى بعض .

(٣) العجاج : الغبار الثائر من أثر المعركة أطبق عليه الشىء غشيه وعمه .

(٤) هو بريدة بن الحصيب ، جاءهم فقالوا له : من الرجل ؟ قال : منكم قدمت لما بلغنى من جمعكم لهذا الرجل ، فأسير فى قومى ومن أطاعنى ، فنكون يدًا واحدة حتى نستأصلهم ، قال الحارث : فنحن على ذلك ، فعجل إلينا - قال بريدة : أركب الآن فآتيكم بجمع كثير من قومى ففرحوا ، وعاد إلى النبى ﷺ بخبرهم .

(٥) المصدق : الشجاعة وصدق الحملة .

(٦) الشواظ : لهب لا دخان فيه .

(٧) صمصامه : سيفه ، والرونق : الحسن .

وعليٌّ وابن عمار هما ... عُدَّةَ الحرب لهول المأزق
يترامى القائد الأعلى بهم ... في عباب للمنايا مغرق (١)
جاش فيه كل زخار القوى ... يرتقي من لجه ما يرتقي (٢)
خير خلق الله في شكته ... يمتطي خير العتاق السبق (٣)
سحر القوم ، ومن آياته ... رقية السحر ، وطب الأولق (٤)
نزل الذكر عليه ، فانطوى ... مصحف الحبر وسفر البطرق (٥)
وسع الكتب جميعًا ، ووعى ... من سناها كل معنى مونق (٦)
علم الدنيا الهدى فيما مضى ... وهو خير هاديًا فيما بقي
عربي فتحت آياته ... كل باب للمعاني مغلق
في أساليب حسان غضَّة ... وفنون حرة لم تطرق
نفحات الحق في أبهى الحلى ... من رياحين البيان المورق
نهض الفاروق يدعوهم إلى ... ملة الخير دعاء المشفق
فأبى القوم ، وقالوا : ديننا ... إن ندعه لسواه نفسق
ومشى جاسوسهم يبغي الأذى ... فمشى عزريله في المفرق (٧)
قيل : أسلم قال : لا ، فاحتقبت ... نفسه إثم الغويِّ الأحمق (٨)
يا أبا برَّة ليس البر أن ... تتولى ، فاتئد واستوثق

---

(١) القائد الأعلى : النبي ﷺ ، العباب في الأصل الماء الكثير والمراد به هنا الموت المحدق بهم .

(٢) جاش : تحرك ، وزخار : ممتلىء .

(٣) الشكة : السلاح كان مع النبي ﷺ ، من خيله اللزاز والظرب ، والعتاق : من الخيل الكريمة .

(٤) الأولق : الجنون .

(٥) السفر : الكتاب ، والبطرق والحبر : من علماء أهل الكتاب .

(٦) المونق : الحسن المعجب .

(٧) المراد به السيف الذي قتل به .

(٨) سأله النبي ﷺ عن أخبارهم فلم يقل شيئًا وعرض عليه الإسلام فأبى ، فأمر عمر بن الخطاب بقتله ، واحتقب الرجل الإثم : احتمله .

أفــمــن يــعــتــق مــن رق الــهــوى أنــفــس الــنــاس كــمــن لــم يعــتــق ؟

يــا أبــا بــرَّة لا تــأبَ الــهــدى وبمــن حــولــك فــأرأف وارفــق

قــلــتم : الحــرب وقــتــلاهــا ، ومــا هــى بــالأمــر الأحــب الأخــلــق

وتــوالــى الــنــبــل ، يهــمــى صــوبــه فــوق صــوب من نجــيــع مــهــرق (١)

إذ يــقــول الله فــى عــلــيــائــه لــرســول الله ـ ســدد وارشــق

قــادة ، مــا صــادفــوا أكــفــاءهــم وجــنــود مــثــلــهــا لــم يــخــلــق

ذعــر الجــمــع ، فــلــو أن الــقــطــا طــار فــي آثــاره ، لــم يــلــحــق

صــدّ عــن ظــمــأى العــوالى ، ولــوى كــلَّ صــبٍ فــى المــواضــى شــيِّــق

فــجــعــوا فــى الــنــهــب والسبــى مــعًــا وسُــقُــوا أســوأ شِــرب المــســتــقــى

نَــعــمــتْ بَــرَّةٌ مــاذا تــشــتــكــى مــن أسى بــرْح ، وهــمّ مــقــلــق ؟ (٢)

يــا ابــنــة الحــارث طــيــبــى وانعــمــى أيُّ رزق صــالــح لــم تــرزقــى ؟

ذاك جــوٌّ المجــد وضّــاح الــســنــا حــلــقــى مــا شــئــت فــيــه ، حــلــقــى

اصــطــفــاك الله فــيــمــن يصــطــفــى وانــتــقَــى بــيــتــك فــيــمــا يــنــتــقــى

واحــتــوى الــتــاجُ المحــلَّــى دُرّةً مــنــك ، من يــلــمــح سنــاهــا يُــطــرق

فــارقــى أســر ابــن قــيــس واشــكــرى يــا ابــنــة الحــارث ، فــضــل المُــطــلــق

الــلــبــابِ المحــض مــن رســل الهــدى مــنــذ كــانوا ، والــصــمــيم المعــرق (٣)

---

(١) همى : سال ، والنجيع : الدم يضرب لونه إلى السواد ، والمهرق : السائل .

(٢) جاءت إلى النبى ﷺ فقالت : يا رسول الله إنى امرأة مسلمة أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله ، وإنى برة بنت الحارث سيد قومه ، أصابنا من الأمر ما قد علمت ، ووقعت فى سهم ثابت بن قيس وابن عم له ، وخلصنى ثابت من ابن عمه بنخلات فى المدينة ، وكاتبنى على ما لا طاقة لى به وإنى رجوتك فأعنى فى مكاتبتى قال : «أوخير من ذلك » ، قالت : ما هو ؟ قال : « أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك » ، قالت: نعم ، وطلبها من ثابت ؟ وقال : هى لك يا رسول الله ، فأدى ما كان كاتبها عليه ، وأعتقها، ثم تزوجها .

(٣) اللباب والمحض الخالص .

إسلام الحارث بن ضِرار رضي الله عنه

جاء الحارث بن ضرار إلى المدينة يسوق إبلا فى فداء بنته برة ، ولم يكن قد علم أنها أسلمت ، وتزوجت من النبى ﷺ ، فلما أتى وادى العقيق رغب فى بعيرين كانا من أفضل هذه الإبل ، فاستبقاهما فى شعب من شعاب هذا الوادى ليرجع بهما إلى دياره ، ثم أقبل فقال : يا محمد أصبتم ابنتى وإنها لكريمة لا تسبى ، وهذا فداؤها ، فقال له : « **أين البعيران اللذان عقبتهما بالعقيق فى شعب كذا وكذا ؟** » ، قال : أشهد أنك رسول الله ، ما اطلع على ذلك إلا الله .

حط عنك الإصْرَ براً ، ورثى ... لك من ضُر شديد مرهق (١)
ورعى حقك ، لا يبغى سوى ... أن تكونى بالمحل الأليق
أقبل الحارث يحدو إبله ... وبهِ من طول هَم ما بهِ
سيد القوم يريد ابنته ... ويروم الذبَّ عن أحسابهِ (٢)
قال ـ ويحى : كيف تسبَى برة ... وأبو برةَ فى أثوابهِ ؟
حرةٌ من حرةٍ ، أنجبها ... ونماها نابِهٌ من نابهِ (٣)
إبلى سيرى ، وأُمِّى يثرباً ... واطلبى ليث الوغى فى غابهِ (٤)
شرفى آبىَ عليه ، وابنتى ... أفتدى منه ، ومن أصحابِه

* * *

ساقها إلا بعيرين هما ... من صفايا المال أو صُيَّابِه(٥)
غودرا فى جانب الوادى ، وما ... يجلب الأمر سوى أسبابِه

---

(١) الإصر : الحبس والذنب والثقل .
(٢) يروم: يريد والذب : الدفع .
(٣) نماها : رفعها وعزاها إليه .
(٤) ليث الوغى: النبى ﷺ .
(٥) صُفيًا به : صفايا الشىء وصيابه خياره .

قال : دعها يا رعاك الله لى واشف هذا القلب من أوصابه [١]

إنها بنتى التى ربيتها فى حمى العز ، وفى محرابه

أعطنيها ، وتقبل ما معى من فداءِ جلّ عن أضرابه [٢]

قال : بل أحدثت أمراً لم تخف سوءَ ما يغشى الفتى من عابه

غاب عن ذودك ما استبقيته لك فى الوادى ، وفى أعشابه [٣]

يا أبا برّة إنى لأرى موضع العودين فى أنقابه [٤]

قال : أسلمت ، وما أدنى الهدى يا رسول الله من طُلاّبه

وضح الحقُّ ، فما من حُجّة لغبِّى القلب ، أو مرتابه

إنّه لله فضلٌ ما له غير من يؤثر من أحبابه

نكص الشركُ على أعقابه وهوى القائمُ من أنصابه

يا رسول لا كان امرؤٌ لم يكن دينك من آرابه [٥]

شرف الأخلاق من أحكامه والتُّقى والبِرُّ من آدابه

أنت نعم الصهر مجداً وسنًا إن طلبنا المجد فى أقطابه

جئت بالخير بشيراً ، لم تزل تصدع الأغلاق عن أبوابه

تلك بنتى دخلت فيه معى ما خشينا المنع من حُجابه

* * *

(١) الأوصاب : جمع وصب وهو المرض .

(٢) جل : عظم ، وأضرابه نظرائه .

(٣) الذود من الإبل ما بين ثلاثة إلى عشرة ، أو ما فوق ذلك .

(٤) العودين : مثنى عود ، وهو المسن من الإبل .

(٥) آرابه : جمع أرب والأرب الحاجة .

بَركة أمّ المؤمنين جُويْرِيَة رضي الله عنها

قالت عائشة رضي الله عنها: لا أعلم امرأة أكثر بركة على قومها من جويرية، أعتق بتزويجها من رسول الله ﷺ أهل مائة بيت (١) .

جويرية احمدى عقبى البناء ... بنى بك خير من تحت السماء
بلغت به ذؤابة كل عال ... من الشرف الممنع والسناء (٢)
وكنت لقومك الأدنين يمنا ... يريهم يُمن خير الأنبياء
فكم أسرى فككتِ ، وكم سبايا ... رددتِ إلى الخدور بلا فداء
محرَّرة الرقاب كفاك فضلاً ... صنيعك بالرجال وبالنساء
كشفت الضرّ عنهم بعد يأسٍ ... وأحييت الرميم من الرجاء (٣)

---

(١) عن عائشة قالت : أصاب رسول الله نساء بنى المصطلق ، فأخرج الخمس منه ، ثم قسمه بين الناس ، فأعطى الفرس سهمين ، والرجل سهما .

وقعت « جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار » فى سهم ثابت بن قيس بن شمّاس الأنصارى ، وكانت تحت ابن عم لها يقال له « صفوان بن مالك بن جذيمة ذو الشُفُر » ، فقتل عنها ، فكاتبها « ثابت بن قيس على نفسها على تسع أواق ، وكانت امرأة حلوة ، لا يكاد يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فبينا النبى - ﷺ - عندى إذ دخلت عليه جويرية تسأله فى كتابتها ، فوالله ما هو إلا أن رأيتها فكرهت دخولها على النبى - ﷺ - وعرفت أنّه سيرى منها مثل الذى رأيت . فقالت يا رسول الله أنا « جويرية بنت الحارث» سيد قومه ، وقد أصابنى من الأمر ما قد علمت . فأعنى فى فكاكى فقال : أو خير من ذلك ؟ . فقالت : ما هو ؟ أؤدى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت : نعم وخرج الخبر إلى الناس ، فقالوا : أصهار رسول الله - ﷺ - يسترقون . فأعتقوه ما كان فى أيديهم من سبى بن المصطلق . فلا أعلم امرأة أعظم بركة على قومها منها . [مختصر بن عساكر : ٢/ ٢٨٢ ، الإصابة : ٧/ ٥٦٥ ، الطبقات : ١٠/ ١١٣].

(٢) ذؤابة العز والشرف : أعلاه .

(٣) الرميم : أصله العظام البالى ، والمراد به الميت من الرجاء .

تـوالـى المسلمون على سبيل ... مـن الـكـرم المحبب والسخاء
لأجـلـك آثـروا البُـقْـيـا ، وقـالـوا ... عـلـينـا الـعـهـدُ عهدُ الأوفياء
أمَنْ وصـل الـنَّـبىُّ فكان صهراً ... كـمنقطع من الأقوام ناء ؟ (١)

* * *

خـذوا يـا قـوم أنفسكم ، وعودوا ... إلى أوطانكم بعد الجلاء
سَمَوْا بـنـفـوسـهـم وبنى أبيهم ... إلى دين المروءة والإباء (٢)
وردَّ الله غربتهم وفازوا ... بنعمته ، فنعم ذوو العلاء
هـو الإسلام ما للنفس عنه ... إذا ابتغت السلامة من غناء
نظام الأرض ، يدفع كل شرّ ... وطِبٌّ القوم ينزع كل داء
إذا انـصـرفت شعوب الأرض عنه ... فبشر كل شعب بالشقاء

* * *

---

(١) ناء : بعيد .
(٢) الإباء : العز .

بين الخزرج والمهاجرين

كان المسلمون على الماء بعد انتهاء هذه الغزوة ، فاختصم أجير لعمر بن الخطاب رضي الله عنه اسمه جهجاه مع رجل من حلفاء الخزرج وهو سنان بن فروة ، فضربه الأول حتى سال منه الدم فنادى : يا معشر الأنصار ، ونادى الضارب: يا معشر المهاجرين ، فأقبل جمع من الجيش وشهروا السلاح ، فكادت تكون فتنة عظيمة لولا أن خرج رسول الله ﷺ وقال : «**ما بال دعوى الجاهلية ؟**» فقالوا : رجل من المهاجرين ضرب رجلا من الأنصار ، فقال :« **دعوها** ـ يريد دعوى الجاهلية ـ **فإنها منتنة** » ، فترك المضروب حقه ، وسكنت الفتنة .

جهجاه مالك هجتها مذمومة ... هوجاء ، لولا الله ظلت تعصف ؟

الخزرج انطلقوا لنصر حليفهم ... ومضى لنصرتك الكماة الدلَّف (١)

لَسنانُ إذا تؤذيه منك بضربة ... أولى وأخلق من تحب وتألف

هفت السُّيوف إلى السُّيوف ، وأوشكت ... صُمُّ الرماحِ تقصَّف

ومشى النبى يقول : يا قوم اسكنوا ... أكذاك تضطرب الجبال وترجف؟

تدعون دعوى الجاهلية جهرةً ... فمَن الدُّعاة من الهداة الهتف ؟

أوَ لستم النفر الذين بنورهم ... يجد السَّبيلَ الحائرُ المتعسّف ؟

ردوا السُّيوف إلى جماجم معشر ... فيهم مردٌ للسيوف ومصرف

* * *

هدأ الرجال ، وراح ظالم نفسه ... يهذى فيمعن ، أو يظن فيسرف (٢)

---

(١) الكماة : جمع كمى وهو الشجاع ، والدلف جمع دالف ، وهو المتقدم .

(٢) هو عبد الله بن أبى ابن سلول ، لما اختصم الرجلان غضب وكان عنده رهط من منافقى قومه الخزرج فقال :ما رأيت كاليوم مذلة . أو قد فعلوها ؟ نافرونا فى بلادنا . وأنكروا علينا ملتنا ، والله ما أعدنا ـ يعنى الأنصار ـ وهؤلاء ـ يريد المهاجرين ـ إلا كما قال الأول فى أمثالهم : سمن كلبك يأكك ، وأجعه يتبعك . . والله لقد ظننت أنى =

لجَّ النفاق ، فقائلٌ لا يستحى ... مما يقول ، وسامعٌ لا يأنف (١)

ما بال من جمحت به أهواؤه ... أفما يزال على الغواية يعكف ؟ (٢)

يؤذى رسول الله يزعم أنه ... فى قومه منه أعزُّ وأشرف

ويقول : موعدنا المدينة إذ يرى ... أىُّ الفريقين الأذل الأضعف

فَلنخرجَنَّ محمداً منها غداً ... وليعلمن الأمر ساعة يأزف (٣)

* * *

سمع ابن أرقم ما يقول ؛ فهاجه ... غضبٌ يضيق به التقىُّ الأحنف (٤)

ومضى يقصّ على النبىِّ حديثه ... فيكاد عنه من الكراهة يصدف (٥)

قال : اتئد ، فلقد يغان على الفتى ... فيزلُّ منه السَّمع أو يتحرف (٦)

فمضى على أسف يلوذ بعمهِ ... فيُلامُ غير مكذَّب ويعنَّف (٧)

= سأموت قبل أن أسمع هاتفًا يهتف بما سمعت . أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل يعنى بالأعز نفسه ، وبالأذل النبى ﷺ .

(١) لج : تمادى .

(٢) جمحت به أهواؤه : غلبته .

(٣) أزف الأمر : حان وقرب .

(٤) كان زيد بن أرقم ، وهو غلام حديث السن ـ عند عبد الله بن أبى ورهطه وهو يقول لهم ما قال . فمشى به إلى رسول الله ﷺ ، فكره ذلك وتغير وجهه ، وقال له : « **ياغلام لعلك غضبت عليه** » قال . والله لقد سمعته أى الحديث منه ، قال «**لعله أخطأ سمعك**»، والأحنف هنا الشديد الميل إلى الحق .

(٥) يصدف : يعرض .

(٦) يغان عليه بمعنى يغطى على قلبه .

(٧) لما قال النبى لزيد بن أرقم ما قال ، عظم عليه الأمر وذهب إلى عمه فى غم شديد ، فقال له : ما أردت إلا أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ، قال زيد : والله لقد سمعت ما قال ، ولو سمعت هذه المقالة من أبى لنقلتها إلى رسول الله ، وإنى لأرجو أن ينزل الله عليه ما يصدق حديثى ، ولاذبه : لجأ .

قال : اقتصد يا عم ، ما أنا بالذى ... يغضى إذا اغتاب الرسول مُحدِّف (١)
ثقلت علىَّ من الغبىِّ مقالة ... جلل ، تهدُّ بها الجبال وتنسف (٢)
والله لو ألقى صواعقها أبى ... لحملتها، وذهبت لا أتخفف

* * *

رُوِى الحديث وغيظ من مكروهه ... عمر فغيظ المشرفى المرهف ؟ (٣)
أعزى بقائله مخوفَ غراره ... ما كان يعلم من أذاه ويعرف
سأل الرسول الإذن فيه لعله ... يشفيه من دمه بما يترشف
فأبى ، وقال : أليس من أصحابنا ؟ ... دعه ، فتلك أشد ما أتخوف

* * *

وأتى ابنهُ فدعا : أبى أنا خصمه ... فدعوه لى ، إنى به لمكلَّف (٤)
مرنى رسولَ الله أكفِك أمره ... فلقد عهدتك راحمًا تتلطف
إنى أحب أبى ، وأعرف حقه ... ولأنت بى وبه أبر وأرأف
سيفى أحق به ، فإن يك غيره ... عظم الأسى فيه ، وهال الموقف
إنى لأخشى أن أرى دم مؤمن ... بيدى لأجل أبى يراق وينزف
قال النبى : ارفق بشيخك وراعه ... إن العقوق من البنين لمتلف

* * *

---

(١) التجديف الكفر بالنعمة والشتم والإهانة والافتراء .

(٢) جلل : عظيمة .

(٣) طلب عمر بن الخطاب من النبى ﷺ أن يأذن له أو لغيره بقتل عبد الله بن أبى فأبى وقال: «**كيف يا عمر إذا تحدث الناس بأن محمداً يقتل أصحابه ؟**»والمشرفى: المرهف ، السيف الحاد.

(٤) ابن عبد الله بن أبى واسمه عبد الله ، لما علم أن عمر يستأذن النبى ﷺ فى قتل أبيه ، جاء إليه وقال : يا رسول الله إن كنت فاعلا فمرنى أن أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها رجل أبر بوالده منى ، إنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله ، فأقتل مؤمنًا بكافر ، فأدخل النار ، فقال له الرسول الكريم: « **بل ترفق به ، وتحسن صحبته** ».

القاذف الجبار زُلزل قلبُه بالرعب يُلقَى ، والمخافة تقذف (١)
ضاقت مذاهبه ، فأقبل ضارعًا وأخو الهوان الضارع المستعطف (٢)
جحد الحديث ، وراح يحلف ما جرى صدق المنبئ وافترى من يحلف
إن ابن أرقم لم تكن لتخونه أُذُنٌ تعى وتصون ما تتلقف (٣)
يبقى بها نقش الكلام ، كأنه نقشت على الصخر الأصم الأحرف
صُوَرٌ إذا ولَّى اللسان أداءها فالزور من أعدائها والزخرف
ما رُمتُ وصفًا ، حسب زيد أنه بفرائد الوحى المنظَّم يوصف
الله أنزله بيانًا صادعًا كبت الألى قلبوا الأمور وزيفوا
كشف الغطاء عن النفاق بسورة نزلت ، وكان غطاؤه لا يكشف
جُرْمٌ إذا استخفى مخافة ذاكر نادى الزمان به ، وضجَّ المصحف

* * *

(١) هو عبد الله بن أبى ـ جاءه رجل من الأنصار الذين سمعوا حديث زيد بن أرقم عنه فقال له : يا أبا الحباب إن كنت قلت ما نقل عنك فأخبر به النبى ﷺ فليستغفر لك . ولا تجحده فينزل فيك مـ يكذبك ، وإن كنت لم تقل فائته واعتذر ، واحلف ما قلته، فحلف بالله العظيم ما قال من ذلك شيئًا ،ومشى إلى النبى ﷺ فقال له : « **يا ابن أبى إن كانت سبقت منك مقالة فتب** » ، فجعل يحلف بالله ما قلت ما قال زيد وما تكلمت به .

(٢) الضارع الذليل .

(٣) كان يقال لزيد بن أرقم ـ ذو الأذن الواعية ـ لقول الله تعالى فيه : ﴿**وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ**﴾ [الحاقة:١٢] وعنه أنه لما نزلت سورة المنافقون ، أخذ النبى ﷺ بأذنه وهو على راحلته يرفعها إلى السماء حتى ارتفع عن مقعده وهو يقول: «**وعت أذنك يا غلام ، وصدق الله حديثك وكذب المنافقين**».

عبد الله بن أبيّ ابن سلول
بعد نزول (سورة المنافقون)

كان مما قاله النبى ﷺ لعمر بن الخطاب ؓ وهو يستأذنه فى قتل عبد الله ابن أبى : « **ترعد له إذن أنف كثيرة بيثرب** »، فلما نزلت سورة المنافقون صار قومه يعاتبونه ويعنفونه ، فقال النبى لعمر :

«**كيف ترى يا عمر ؟ إنى والله لو قتلته يوم قلت لأعدت له أنوف لو أمرتها اليوم بقتله :لقتلته** » ،قال عمر : قد والله علمت لأمر رسول الله ﷺ أعظم بركة من أمرى .

ما يكسب المرء من إثم ولا يزر ... إلا أحاط به من ربه قدر (١)
وليس للنفس إن خابت وإن خسرت ... إلا عواقب ما تأتى وما تذر (٢)
جلبت يا ابن أبيّ شر ما جلبت ... نفس على قومها ، لو كنت تعتبر
زوّدت قومك خزيًا لم يدع أحدًا ... إلا قلاك وأمسى صدره يغر (٣)
تتابع الوحى ، ترميهم قوارعه ... لما تتابع منك اللغو والهذر

* * *

قالوا : استجر برسول الله ملتمسًا ... سبل النجاة ، فما يغنيك منتظر (٤)
إن تُلفه حين ترجوه وتسأله ... مستغفرًا لك لا يعلق بك الغمر (٥)

---

(١) يزر يحمل .

(٢) تزر تترك .

(٣) قلاه أبغضه ووغر صدره توقد من الغيظ .

(٤) قال له أصحابه : اذهب إلى النبي ﷺ يستغفر لك . فلوى رأسه وقال : أمرتمونى أن أؤمن فآمنت ، وأن أعطى زكاة أموالى فأعطيت ، فلم يبق إلا أن أسجد لمحمد ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ ﴾ الآية [المنافقون: ٥] .

(٥) الغمرُ : هو فى الأصل دسم اللحم يتعلق باليد .

فقال : يا ويلكم ، ما زلت أتبعكم ... حتى هلكت ، فلا جاه ولا خطر
لم يبق فيما أرى إلا السجود له ... يقضى به الحق ، أو يقضى به الوطر
أذلك الجد منكمُ ، أم هو السَّخَر ؟ ... دعوا اللجاج ، فهذا مطلب عسر
وصدَّ مستكبرًا يلوى لشقوته ... رأسًا يغيظ الظُبَى أن ليس يهتصر [1]
يزيده الجهل طغيانًا ، ويصرفه ... عن الهدى من أفانين الهوى سَكَر

* * *

قال الرسول ونار الغيظ تلفحهم ... ألم أقل لك : لا تقتله يا عمر ؟
لو قمت يومئذ بالسيف تأخذه ... بعثتها غضبة جأواء تستعر [2]
تلك الأنوف التي كنا نحاذرها ... أمست سلامًا ، فلا خوف ولا حذر
لو قلت للقوم : جيئونى بهامته ... رأيتهم يفعلون اليوم ما أمروا

* * *

تبين الرشد للفارق وانحسرت ... عن جانبيه غواشى الظن والستر
فقال : بوركت من هاد لأمته ... تعيا بحكمته الألباب والفكر
لسنا كمثلك فى علم ومعرفة ... أنت الإمام وهذا النهج والأثر
تدرى من الأمر ما تُخفى ظواهره ... وما لنا فيه إلا الرأى والنظر
فى معجزاتك للغاوين تبصرة ... وفى علومك للجهال مزدجر
صلى عليك الذى أتاك من شرف ... ما ليس يبلغه جنٌّ ولا بشر
هذا ابنه جاءه غضبان يمسكه ... دون المدينة للمختار ينتصر [3]
يقول : تلك ديار لست تدخلها ... حتى تفىء ، وحتى يُعلم الخبر

---

(١) الظبى السيوف ، ويهتصر من هصر الغصن إذا أماله .

(٢) جأواء ، حمراء فى كدرة ، تستعر تشتعل

(٣) لما انتهى الجيش إلى وادى العقيق جعل عبد الله بن عبد الله بن أبى يلتمس أباه ، فلما رآه أناخ بعيره وقال : والله لا تدخلها (المدينة) حتى يأذن لك رسول الله ، لتعلم الأعز من الأذل ـ فصار يقول : لأنا أذل من الصبيان ، لأنا أذل من النساء ، فجاء النبى ﷺ وقال : «**خل عن أبيك** » ، فخلى عنه .

أنت الأذلُّ فقلها غير كاذبة ... إن كنت حُرًّا ، فبئس الكاذب الأشر [١]

فقالها مُرّةً حَرَّى ، وأرسلها ... كأنها روحه من فيه تنحدر

مشى أعز بَني الدنيا وأشرفهم ... قدراً ، وأرفعهم ذكراً إذا ذُكروا

حلَّ المدينة منه ليث ملحمة ... لا النصر يخطئه فيها ، ولا الظفر

فليعرف الحق قوم ضل رائدهم ... وارتدَّ قائدهم خزيان يعتذر

* * *

(١) أشر الرجل : مرح وبطر .

قِصَةُ أمّ المؤمنينَ عَائِشَةَ رضي الله عنها

لما رجع النبى ﷺ بالمسلمين من غزوة بنى المصطلق ، وكانت عائشة وأم سلمة رضي الله عنها معه ، بات الجيش فى مكان على مسافة من المدينة ، وقبل أن يؤذن الناس بالرحيل ذهبت تقضى حاجتها فجاوزت الجيش . وفى عودتها إلى رحلها ، أحست أنها فقدت عقداً لها ، فرجعت إلى المحل الذى كانت فيه تلتمسه، وأمر الجيش بالرحيل وهى لا تزال فى التماسه ، وأقبل الموكلون بها فحملوا هودجها ، ووضعوه على البعير الذى كانت تركبه وهم يظنون أنها فيه ، ثم سار الجيش وعادت هى فلم تجد أحداً وغلبتها عينها فنامت ، وكان صفوان بن المعطل السلمى على ساقة الجيش ، فتخلف عنه وأصبح عند المنزل الذى بقيت فيه أم المؤمنين رضي الله عنها ، فرأى سواد إنسان نائم ، واقترب منه ، وإذ عرفها أخذه الحزن ورفع صوته قائلاً : إنا لله وإنا إليه راجعون ، فاستيقظت على صوته وخمرت وجهها بجلبابها ، وصمت صفوان بعد ذلك فلم يزد على أن أناخ راحلته وقال : أمه ، قومى فاركبى ، ثم سار بها فأدرك الجيش بعد ما نزل عند الظهر . قالت رضي الله عنها : فلما نزلنا هلك من هلك بالقول والافتراء . . . .

والذى تولى كبره عبد الله بن أبى ابن سلول ، فإنه أول من أشاع الإفك فى العسكر ، ثم برأها الله فشرح صدر النبى ﷺ والمؤمنين بهذه البراءة ﴿ **إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ [النور:١١] إلى بقية الآيات العشر (سورة النور) .

سيّد الرسل وأم المؤمنين بشر الأبطال بالنصر المبين
خرجت فى الجيش ترجو ربّها عصمة الراجى ، وعون المستعين

ينصر الحق ، ويقضى أمره إن رماه كل أفّاك مهين
اصبرى إن جل أمر ، إنها يا ابنة الصديق دنيا الصالحين
أرأيتِ الأرض لما رجفت إذ هوى عقدك ؟ بل لا تشعرين [(١)]
اقشعّرتْ ، وتمنت لو هوى كل عال من رواسيها مكين
أنت فى شأنك إذ تبغينه وهى فى هَمٍ وغمٍّ وأنين
سوف يبدى الخطب عن روعته بعد حين ، فاصبرى حتى يحين

* * *

رفعوا الهودج ، والظنُّ بها أنها فيه ، وساروا مُدلجين [(٢)]
وانجلى الليل عن الخطب الذى غادر الإصباح مسوَّد الجبين
أين غابت أىَّ أرض نزلت كيف غُم الأمر ؟ هل من مستبين ؟
يا رسول صبراً إنها فى ذمام الله رب العالمين
يا أبا بكر رويداً ، إننا لنراها فى حمى الروح الأمين

* * *

رجعت والليل فى بردته دائم الإطراق كالشيخ الرزين
ذهب الجيش ، وأمست وحدها غير أصداء من الوادى الحزين
خطرت فى الجو من أنفاسها خطرات للأسى ، ما ينقضين
ماج كالبحر طغتْ أثباجه وارتمت أهواله حول السفين [(٣)]
نام عنها الهمُّ لما رقدت فهو فى الأحشاء مكتوم دفين
وأتى صفوان ما يبدو له غير شىء ماثل للناظرين
يرسل الطرف ، ويمشى نحوها مِشية المرتاب فى رفق ولين

---

(١) كان العقد من جزع ـ خرز ظفار ،وهى قرية من قرى اليمن ، قيل : إنه كان يساوى اثنى عشر درهمًا) وقد وجدته فى ذلك المكان .

(٢) مدلجين : من أدلج إذا سار بالنهار .

(٣) أثباجه : أعاليه ، جمع ثبج .

عرف الخطب ، فما أصدقه — حين يدعو دعوة المسترجعين
دعوة رنَّتْ ، فلو قيل : اسمعوا — لسمعنا اليوم تردادَ الرنين
أيقظت عائشةً من نومها — مثلما يوقظها صوت الأذين (١)
جفلَتْ منه ، فغطت وجهها — وهى فى سِترين من عقل ودين
يصرف اللحظ كليلا دونها — خاشع القلب ، كدأب المتقين
قرب الناقة منها ، ودعا — اركبى أماه ، مُلِّيت البنين (٢)
أخذ المِقْودَ يمنًا ، ومضى — يتبع الماضين من أهل اليمين
ينتحى يثرب بالنور الذى — يملأ الدنيا ، ويُعيى المطفئين (٣)

❊ ❊ ❊

نشروا الإفك فسادًا وأذى — وعلى الله جزاء المفسدين
لا ينال الحقَّ فى سلطانه — كذب الحمقى ، وإفك المرجفين
يا لها من عصبة فاسقة — هاجها للشر شيخ الفاسقين (٤)
وجدت فيه زعيمًا حاذقًا — وإمامًا بارعًا للمفترين

❊ ❊ ❊

هكذا يا ابن أبيٍّ هكذا — لا يكن شأنك شأن المسلمين
انفث السمَّ ، وخضها فتنة — تتلظى نارها للخائضين

❊ ❊ ❊

يا ابنة الصديق صبرًا ، ليته — ألم المرضى وَهَمُّ الموجَعينْ (٥)
يا لها من علة لو تعلمين — إنها أبرح مما تشتكين

---

(١) الأذين: المؤذن .
(٢) مُلِّيت البنين : متعت بطول حياتهم معك .
(٣) ينتحى : يقصد .
(٤) شيخ الفاسقين : عبد الله بن أبى .
(٥) مرضت بعد قدومها المدينة شهرًا ، والناس يفيضون فى الإفك وهى لا تعلم .

أعقبَ البشرَ عُبوسٌ وبدا … من رسول الله ما لا ترتضين (١)
كيف تِيكُمْ ليس من عاداته … كيف تيكم ؟ يالهم من مجرمين
غَيَّروه ، فلوى من عطفه … وطوى من لطفه ما تعهدين
وهو يُخفي لك ما لا ينقضي … من هوى صاف ، وشوق وحنين
سجن السرً ، وكم من روعة … لك يا أماه في السرِّ السجين

* * *

أنصتي ، فالليل مصغ ، أنصتي … وقع الخطبُ ، فماذا تصنعين ؟
جاشت النفس ، وجئتْ رعدة … لم تدع في القلب من ركن ركين
مسطح ، لا قرّ عينًا مِسطح … شبَّها نارًا تهول المصطلين (٢)
فضحته عثرةٌ من أمه … فانظري كيد ذويك الأقربين
لا تلوميها إذا ما غضبت … إنها تعلم ما لا تعلمين
أرسلتها دعوة واحدة … ليتها زادت على حد المئين
تعس الثعلب ما أخبثه … فدعى بدرًا وآساد العرين

* * *

رجعت في غمرة من همها … لم تبت منها بليل الراقدين
لوعةٌ مشبوبة في سقم … في شآبيب من الدمع السخين
يا رسول الله هل تأذن لي ؟ … إن بيتي بمصابي لقمين (٣)
مرْ ودعْ همي لأمي وأبي … إنما استأذنت خير الآمرين

---

(١) كان يريبها انقباض النبي ﷺ كلما جاء يعودها وقوله :« كيف تيكم ؟ » ، ثم لا يزيد .

(٢) خرجت مع أم مسطح خالة الصديق لقضاء حاجتها ليلا فعثرت أم مسطح في إزارها فقالت : تعس مسطح ، فقالت لها : بئسما قلت ، أتسبين رجلا شهد بدرًا ؟ قالت: يا هنتاه (أي يا هذه) ألم تسمعي ما قال وأخبرتها بحديث أهل الإفك . وكان مسطح منهم، فأخذتها حمى نافضة وأصبحت تبكي .

(٣) دخل عليها النبي ﷺ وهي تبكي ، وقال : « كيف تيكم ؟ » ، على عادته فقالت : أتأذن لي أن آتي بيت أبوي فأذن لها ، والقمين : الخليق والجدير .

بان حسنُ الصبر ،والعزم انطوى وأرى السقم مقيمًا ما يبين
قال : ما شئت ، هلمّي فافعلى لك يا صاحبتى ما تؤثرين

* * *

ذهبتْ ، يحزنها أن لم تكن طوَّحَ الدهر بها فى الذاهبين
ثم قالت وهي تبكى : عجبًا لك يأماه ، ماذا تكتمين ؟ (١)
أفلا نبَّأتنى ما زعموا ؟ ويحهم : ما حيلتى فى الزاعمين ؟
ظلمونى ، ما رعوا لى حرمة ربِّى كن لى ـ ما أقل المنصفين

* * *

جزع الصديق مما نابه إنه خطب يهول الأكرمين (٢)
قال : أف لك من داهية ما رمينا بك فى ماضى السنين
أفَلمَّا زاننا دين الهدى ساءنا شر حديث لا يزين ؟

* * *

كيف تبكم ؟ يالها صاعقة أرسلتْ من فم خير المرسلين
كيف تبكم ؟ كيف تبكم كلما جاء ، إن الله مولى الصابرين
اصبرى يا ربَّةَ العقد الذى زيِّن من عينيك بالدر الثمين

* * *

أوجعتها من على شدة هى من دأب الأباة الأولين (٣)

---

(١) قالت لأمها : يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، وأنت لا تخبريننى بشىء ، قالت : يا بنية هونى عليك ،وقالت : وهل علم أبى ؟ قالت : نعم . قالت : ورسول الله ؟ ، قالت : نعم . فاستعبرت وبكت ، وباتت لا يرقأ لها دمع .

(٢) قال: ما أعلم أهل بيت من العرب دخل عليهم ما دخل على ، والله ما قيل لنا هذا فى الجاهلية حيث لا يعبد الله أفيقال لنا فى الإسلام ؟

(٣) عن عائشة أن النبى ﷺ استشار الصحابة فى أمره ، فقال له عمر : من زوجها لك يا رسول الله ؟ قال : « **الله تعالى** » ، قال : أفتظن أن الله دلس عليك فيها ؟ سبحانك هذا بهتان عظيم ، وقال أسامة بن زيد : أهلك يا رسول الله فما نعلم إلا خيراً ، فأما على ابن أبي طالب كرم الله وجهه فقال : يا رسول الله لم يضيق الله عليك ،والنساء =

سلط الضرب على مولاتها أيُّ سرٍّ عندها للضاربين ؟؟
أقسمتْ صادقة ما علمت غير ما يدفع دعوى الواهمين
التقى والبر فى تاجيهما هل رأى التاجين أعلى المالكين ؟

* * *

مرحبًا بالحق ، يحمى جنده ما استباحت تُرَّهات المبطلين (١)
مرحبًا بالوحى ، يجلو ما طوت ظلمات الشك من نور اليقين
مرحبًا بالروح يُلقَى من علٍ رحمة الله ، تغيث المؤمنين
فتنة جلت ، فلما انكشفت أزلفوا الشكر وراحوا راشدين
وتجلّت غمرة الهادى فلا ريبة تغشى ، ولا ظن يرين (٢)
يا ابنة الصديق طيبى وانعمى ذاك حكم الله خير الحاكمين
ضرب القومَ بماضٍ مِخذم من مواضيه ، فولوا مدبرين (٣)
سقطوا صرعى ، عليهم غبرة من قتام البغى تخزى الظالمين

* * *

أمسك الصديق من معروفه ينكر الغدر ، وينهى الغادرين(٤)
وطوى عن مسطحٍ نعمته ليرى حق الكرام المنعمين

= سواها كثير ،وإنك لتقدر أن تستحلف وأن تسأل الجارية بريرة تصدقك ،وجاءت بريرة فقالت : والذى بعثك بالحق ما علمت عليها من شىء يعاب . فقام إليها على يضربها ضربًا شديدًا ويقول لها : أصدقى رسول الله ، فتقول : والله ما علمت إلا خيراً .

(١) إشارة إلى نزول الآيات الشريفة فى براءتها .

(٢) ران الشىء على القلب غلب عليه وكان له كالصدأ ونحوه .

(٣) المخذم : السيف القاطع .

(٤) كان مسطح يتيما فى حجر أبى بكر ، يتولاه برعايته وينفق عليه لفقره وقرابته منه ، فلما قال ما قال من الإفك غضب عليه ، وقيل : إنه أخرجه من منزله وقال له : لا وصلتك بدرهم أبدًا ، فأنزل الله تعالى : ﴿ وَلا يَأْتَلِ أُوْلُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُوْلِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢] فرجع أبو بكر رضي الله عنه ينفق على مسطح .

عاله دهراً ، فلما خانه   راح يجزيه جزاء الخائنين [١]
سنة العدل ، قضاها من قضى   سنة الرحمة بين الراحمين
نزل الذكر بها قدسية   فعفا الناقم وارتاح الضنين

* * *

اجعل الخير قرينًا إن أبى   كل غاو ، إنه نعم القرين
جلَّ ربى وعلا ، كل امرئٍ   بالذى يكسب من أمر رهين

* * *

(١) عاله : أنفق عليه .

غزوة الخندق

لما أصاب بنى النضير ما أصابهم شق ذلك على اليهود ، فسار من سادتهم إلى مكة حيى بن أخطب ، وسلام بن مشكم ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة ابن قيس ، وأبو عامر الفاسق ، وجعلوا يحرضون المشركين على قتال النبى ﷺ، ويعاهدونهم على أن يكونوا معهم . فرحب بهم أبو سفيان وقال لهم : لا نأمنكم إلا إن سجدتم لآلهتنا ، فسجدوا ، وخرج من بطون قريش خمسون رجلا فألصقوا أكبادهم بالكعبة ، وتعلقوا بأستارها يتحالفون على النصرة وحرب النبى ﷺ ، ثم جاؤوا إلى غطفان ، وجعلوا لهم تمر خيبر سنة إن هم نصروهم فرضوا. وتأهبت الجموع للحرب فى أربعة آلاف ، ووافتهم بنو سليم بمر الظهران وخرجت بنو أسد ، وفزارة وأشجع ، وبنو مُرّة ، وجاءت غطفان وقائدهم عيينة ابن حصن، وكان من وافى الخندق من الكفار عشرة آلاف ، وكانت القيادة العليا لأبى سفيان ، وقدم المدينة ركب من خزاعة ، فأخبر النبى ﷺ بما أجمعوا عليه ، فجمع الصحابة وشاورهم فى الأمر . وهل يخرجون من المدينة للقاء العدو أم يبقون فيها للدفاع عنها ؟ فقال سلمان الفارسى رضي الله عنه : يا رسول الله إنا كنا بأرض فارس إذا تخوفنا الخيل خندقنا علينا ، فركب النبى ﷺ فى رجال من المهاجرين والأنصار وكانوا ثلاثة آلاف وأمر النبى - ﷺ - بالنساء والذراى فجعلوا فى آطام المدينة واستخلف عليها (ابن أم كلثوم) ، وجعل يرتاد أفضل المواقع لحفر الخندق، ثم أقبلوا يعملون فيه والنبى ﷺ بينهم وكان حفر الخندق أمام سلع ، وسلع : جبل خلف ظهور المسلمين ، والخندق بينهم وبين الكفار ، وقد انتهت هذه الغزوة بقهر المشركين ، وكسر شوكتهم ، وكانت فى شهر شوال من السنة الخامسة ، وهو قول الجمهور وكان المسلمون ثلاثة آلاف .

اذهب حيى [١] مذممًا مشئوما أحشدت إلا جمعك المهزوما ؟
إن تغضبوا لبنى النضير فإنه خطب يراه بنو أبيك عظيما
القوة انصدعت ، فكيف بكم إذا ترك الهداة بناءكم مهدوما ؟
سرتم تحكون الجراح ، ولا أرى مثل الجراح إذا امتلأن سموما
رحِّب أبا سفيان إن لمثلهم من مثلك الترحيبَ والتسليما
جمع الهوى بعد التفرق بينكم بئس الهوى يصلى على النفوس جحيما
تُذكى سيوفُ الله من أضغانكم نارا تصيب من القلوب هشيما
ضمُّوا القبائل ، واجمعوا أحزابكم سترون بأس محمد مضموما
قال ابن حرب لليهود مقالة لم تلق إلا فاسقًا وأثيمًا
إن كان حقًا ما زعمتم ، فاعبدوا ما نحن نعبد ، وانبذوا التحريما
خرّوا لآلهة ابن حرب سجَّداً لا ينكرون صنيعه المذموما
كفروا على كفر رموا بركامه والكفر أقبح ما يرى مركوما
سئلوا عن العلم القديم فزوروا وأذى المزوِّر أن يكون عليما [٢]
قالوا : شهدنا ، دينكم خير لكم من دين صاحبكم وأصدق سيما

(١) هو حيى بن أخطب حيث انطلق إلى بنى قريظة ، فدنا من حصنهم ، فأبى كعب بن سعد أن يفتح له . فلم يزل يكلمه حتى فتح له . فلما دخل قال : كعب : جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش وغطفان وأسد على قادتها لحرب محمد ، قال كعب : جئتنى والله بذل الدهر ، وبجهام ـ السحاب الذى لا ماء فيه . قد هراق ماؤه ، فهو يروع ويبرق وليس فيه شئ ، فلم يزل به حتى نقض العهد الذى بينه وبين الرسول ـ ﷺ ـ ودخل المشركين فى محاربته . وشرط كعب على حيى أنّه إذا لم يظفروا بمحمد أن يجئ حتى يدخل معه فى حصنه ، فيصيبه ما أصابه . فأجابه إلى ذلك . ووفى له به . [فقه السيرة صـ ٢٠٨ ـ ٢٠٩] .

(٢) قالت قريش : يا معشر اليهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم القديم أخبرونا عما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمداً . فديننا خير أم دين محمد ؟ قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه ، فأنزل الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ ﴾ الآيات [النساء : ٥١] .

خفَّ الرجال إلى البنيّة إنهم ... كانوا أخف من اليهود حلومًا (١)
عقدوا لهم حلفا على أستارها ... والله يعقد أمره المحتوما
هل ألصقوا الأكباد من سفه بها ... أم ألصقوا إحناً بها وكلوما ؟ (٢)

* * *

غطفان هبِّى للكريهة واغنمى ... من تمر خيبر حظك المقسوما
كذب اليهود ، وخاب ظنك ، إنهم ... لم يبلغوا أن يُرزقوا المحروما
لن يُطعموك سوى سيوف محمد ... وستعلمين ذعافها المطعوما
ما أكذب الأحزاب يوم تعاهدوا ... أن لا يبالوا الصادق المعصوما
جعلوا أبا سفيان صاحب أمرهم ... كن يا ابن حرب قائداً وزعيمًا
كن كيف شئت ، فلن ترى لك ناصراً ... ما دمت لله العلىّ خصيما
جمعوا الجنود ، وجاء ركب خزاعة ... يبدى الخفىَّ ، ويظهر المكتوما
حمل الحديث إلى الرسول فزاده ... بأسًا ، وزاد المسلمين عزيما (٣)
نزلوا على الشورى بأمر نبيهم ... يبغى لأمته السبيل قويما
قال : انظروا ، أنقيم أم نمضى معًا ... نلقى العدو إذا أراد هجوما ؟
فأجابه سلمان : نحفر خندقًا ... كصنيع فارس في الحروب قديمًا
حملوا المساحى والمكاتل ما بهم ... أن يحملوها أنفسًا وجسوما (٤)
هى عندهم لله ، أو هم عندها ... خدامه ، سبحانه مخدوما
دلفت قروم محمد فى شأنها ... تلقى بيثرب من ذويه قروما (٥)
يسعى ويعمل بين عينى ربه ... طلق الجلالة ، بالهدى موسوما (٦)

(١) البنيَّة : الكعبة .

(٢) الإحن : جمع إحنة وهى الحقد والغضب ، والكلوم : جمع كلم وهو الجرح .

(٣) العزيم : عقد الإرادة على الأمر وإمضاؤه من غير تردد .

(٤) المساحى : جمع مسحاة آلة من حديد كالمجرفة، المكاتل جمع مكتل وهو الزنبيل يعمل من الخوص .

(٥) دلفت : تقدمت ، والقروم : جمع قرم وهو السيد .

(٦) عمل النبى ﷺ فى الخندق وحمل التراب على ظهره الشريف . عن البراء بن عازب =

دأب الإمــام فـمــا ترى مـن رائـث إن الإمــام يصــرف المـأمـومـا (١)
حـمل الـتـراب ، فظـل يثـقل ظـهـره ويقـلقـل الأحـشـاء والحـيـزومـا (٢)
وإذا رأيـت خـلـيـفـتـيـه رأيتـه لله فـي ثوبـيـهـمـا مـلمـومـا (٣)
ومــضـت بـعـمـارٍ وزيـد هـمـة لم تـبق مـن هم الجـهاد مـرومـا (٤)

* * *

سلـمـان أحـسنـت الصـنيـع ونلتـه نسبًا مـضى ، فقضى لك التـقديما (٥)
لمـا تنافـس فـيـك أعـلام الهـدي حـكم الـنبـى فـأنـصف المـظلـومـا

* * *

سـلمـان مـنا آل بـيـت محـمـد ولقـد نسبـت فمـا نسبـت زنيمـا (٦)
الديـن يجـمع ، وليـس منا مـن يرى فـى أهلـه عـربًا ، ويعـرف رومـا

= قال: كـان رسول الله ـ ﷺ ـ ينقـل التراب يوم الخندق حـتى أغمـر بطنه أو أغبـر بطنه ، يقول:

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينة علينـا وثبت الأقدام إن لاقينا
إن الألى قد بغوا علينـا إذا أرادوا فتنة أبينـا

ورفع بها صوته : « أبينا أبينا » .

[متـفق عـليـه ـ البـخـارى ، ح : ٤١٠٤ ، مـسلـم فى الجـهـاد والسـيـر ؛ ح : ١٨٠٣/١٢٥].

(١) رائث : من راث إذا أبطأ .

(٢) الحيزوم : الصدر .

(٣) أبو بكر وعمر والضمير فى (رأيته) عائد على التراب .

(٤) عمار بن ياسـر ، وزيد بن ثابت ، كانا يعمـلان بهمة عظيمة ، فـمسح النبى ﷺ رأس عمار وقال : «**ابن سمية ، تقتلك الفئة الباغية**» . . وقال فى زيد : «**أما إنه نعم الغلام**».

(٥) كان سلمـان رجلا قويًا يعمل عـمل عشرة رجال ، فـتنافس فيه المهـاجرون والأنصار ، وجعل كل فريق يقول سلمان منا فقال الرسول الكريم « **سلمان منا أهل البيت** » .

(٦) الزنيم : الدعى يلحق بالقوم وليس منهم ،وهم فى غنى عنه .

والأكــرم الأتــقـى تـبــارك ربـنـا ... إنـا نـطيـع كـتـابـه المرقـومـا (١)
الله مـولاكـم ، وأنـتـم شـعـبـه ... لا تـذكـروا شـعـبًا ولا إقـلـيـمـا

* * *

سلـمان دعـهـا كـدية توهـى القـوى ... وتـرد كـل مـحـدد مـثلـومـا (٢)
اضـرب رسـول الله كم من صـخـرة ... لـم تألـهـا صـدعًا ولا تحطيـمـا
من لـيس يـبلغ مـن جـبابـرة القـوى ... مـا أنـت بـالغـه ، فـلـيس ملـومـا
بـشِّـرْ جـنـودك بـالفـتـوح ثـلاثـة ... تدع الـعزيـز من العـروش مـضيـمـا
وصـف المدائـن والقـصـور لمـعشـر ... مـثلـتـهـا صـوراً لـهم ورسـومـا
أبصـرتـهـا فى نـور ربك ، مـا رأت ... عـيـنـاك آفـاقًا لـهـا وتـخـومـا
مـا زلـت تحـدث كل أمـر مـعـجـز ... لـولا النـبـوة لـم يكـن مـفـهـومـا
جـهل العـجائـب مـعشر لـم يعرفـوا ... مـنـهـن إلا الـسـحـر والـتـنـويمـا
لله أسـرار تـريـك جـلالـه ... إن شـاد فـضَّ كـتـابـهـا المختـومـا
والعـلـم إن ضل الـسـبيـل ، ولم يـلد ... مـا يرشـد الجـهـلاء كـان عـقـيـمـا
بـلوى ذوى الأسـقـام أكـثـرهـا أذى ... بـلوى أخـى عـقـل تراه سـقـيـمـا

* * *

---

(١) إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ [الحجرات: ١٣] .

(٢) استعصت كـدية على سلمان ، فأخذ النبـى ﷺ المعول من يده وقال: « **بـسم الـلـه** » ، وضرب ضربة فكسر ثلـثها ، وبرقت برقة . فخرج نور من جهة الـيمن . فكبر وقال : « **أعطيـت مفاتيـح اليمن ، إنـى لأبصر أبواب صنـعاء من مكانـى الساعـة . كأنها أنـياب الكـلاب** » ، ثم ضرب الثانية فقطع ثلثًا آخـر ، فخرج نور من قبل الروم فكبر وقال : « **أعطيت مفاتـيح الشام والله إني لأبصر قصورهـا ، ثم ضرب الثالثة فقطع بقـية الحجر ، وبرقت برقة فكـبر وقال أعطيت مفاتيـح فارس ، والله إنى لأبصر قصور الحـيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب في مكانى هذا** » ، وجعل يصفها فيقول سلمان : صدقت ، أشهد أنك رسول الله ـ قال: « **هذه فتوح يفتحهـا الله بعدى يا سلمان** » ، والثلم كسر فى حد المعول . روى هذا الحديث بطرق كثـيرة فى « الكبير للطبرانى : ١١/ ١٢٠٥٢ ، والدلائل للبيهقى : ٣/ ٤٢١] .

بلغ الطوى بالقوم غاية جهده ... وكأنما طمعوا الصفايا الكوما [(١)]

جيش يصوم على الدؤوب ، ولم يكن ... لولا أمانة ربه ليصوما

من كل مبتهل يضجُّ مبكرًا ... في الحرب ، يدعو الواحد القيّوما

* * *

كانت فتاتك يا ابن سعد إذ أتت ... غوثًا وخيرًا للغزاة عميما [(٢)]

جاءت ببعض التمر ، تطعم والدًا ... برًا ، وخالا في الرجال كريما

ألقى عليه الله من بركاته ... فكفى برحمته ، وكان رحيما

أخذ النبي قليله ، فدعا الطوى ... داعى الرحيل ، وما يزال مقيما

جمع الجنود ، وقال : هذا رزقكم ... فكلوا هنيئًا ، واشكروه نعيما

فرحوا بنعمة ربهم ، وتبدلوا ... حالا تزيد الكافرين وجوما

* * *

هذا الذى صنع الشويهة قادم ... أحبب بذلك مشهدًا وقدوما [(٣)]

---

(١) الطوى : الجوع ،وقد أصاب النبى ﷺ وجيشه من شدته فى هذه الغزوة ما أصابهم ، حتى لقد لبثوا ثلاثة أيام بغير زاد . والصفايا من الإبل وغيرها خيارها ، والكوم : جمع كوماء ، وهى ذات السنام الضخم من الإبل .

(٢) قال محمد بن إسحاق : وحدثنى سعيد بن ميناء أنّه قد حدث ْنّ ابنه لبشير بن سعد أخت النعمان بن بشير ، قالت : دعتنى أمى عمرة بنت رواحة ، فأعطتنى حفنة من تمر فى ثوبى ، ثم قالت : أى بنية ، اذهبى إلى أبيك ، وخالك عبدالله بن رواحة بغذائهما. قالت : فأخذتها وانطلقت بها ، فمررت برسول الله ـ ﷺ ـ فقال : تعالى يا بنية ، ما هذا معك ؟ قالت : قلت : هذا تمر بعثتنى به أمى لأبى وخالى يتغذيانه . فقال : هاتيه ، قالت : فصببته فى كفى رسول الله ـ ﷺ ـ فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب فبسط له ، ثم دحا بالتمر إليه ، فتبدد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : « اصرخ فى أهل الخندق أن هلّم إلى الغذاء ، فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد ، حتى أصدر أهل الخندق عنه ، وإنّه ليسقط من أطراف الثوب [ابن اسحاق فى السيرة : ٣/ ١٣٠ وفيه انقطاع ، والبيهقى فى الدلائل ٣/ ٤٢٧] .

(٣) « عن سعيد بن ميناء ، عن جابر بن عبد الله ، قال : عملنا مع رسول الله فى الخندق ، وكانت عندى شويهة غير جد سمينة ، قال : فقلت : والله لو صنعناها لرسول الله ـ =

حـيًّـا النبـى وقال : جـئـتك داعـيًـا ‏ ‏ ‏ ‏ ولقـد أرانـى فى الـرجـال عـديما (١)
مـا لـى رعـاك الله غـيـر شـويـهـة ‏ ‏ ‏ ‏ لـو زادها ربـي بـذلت جـسـيـمـا
أعـددتهـا لـك يا مـحـمد مـطمـعًـا ‏ ‏ ‏ ‏ يشـفـيك مـن سـغب أراه أليـمـا (٢)
يـكفـيـك من ألـم الـطوى وعـذابـه ‏ ‏ ‏ ‏ حـجـر يظل عـلى الحـشـا محـزومـا

* * *

سار الـرسول بجـنده ، ومشـى الذى ‏ ‏ ‏ ‏ صنـع الشـويـهـة حـائرًا مـهـمـومـا
يـارب ، صـاع واحـد وشـويهـة ‏ ‏ ‏ ‏ دبِّـر وداو ، فـقـد دعـوت حكـيـمـا
وضع الـطعام ، فـظل يشـرق وجهـه ‏ ‏ ‏ ‏ بشـرًا ، وكان من الحـياء كـظيمـا (٣)
وضـع النـبـى يديـه فـيــه ، فـزاده ‏ ‏ ‏ ‏ ربٌّ يــزيـد رسـولــه تـكـريمـا
تلـك الموائد لـو يقـال لهـا : انظـمى ‏ ‏ ‏ ‏ شـمل الـشـعوب ، رأيـتـه منـظومـا
كـرم صـمـيـم ، راح يورث جـابـرًا ‏ ‏ ‏ ‏ شـرفًـا يـفـوت الوارثـين صـمـيـمـا

* * *

والأشـهـلـيـة إذ يـجـيء رسـولـهـا ‏ ‏ ‏ ‏ يمشـى بجـفـنـتـهـا أغر وسـيـمـا (٤)

= ﷺ ـ قال: وأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئًا مـن شعير ، فصنعت لنا خبزا . وذبحت تلك الشاة فشويناها . فلما أمسينا فقلت يا رسول الله إنى قد صنعت لك شويهة وصنعنا شيئـا من خبز الشعـير، فأنا أحب أن تنصـرف معى إلى منزلى ، قـال : وإنّما أريد أن ينصرف معـى رسول الله ـ ﷺ ـ وحده . قال: فلما أن قلـت ذلك ، قال : نعم . ثم أمر صارخا فصرخ : أن انصرفوا مـع رسول الله ـ ﷺ ـ إلى بيت جابر قال: قلت : إنا لله وإنا إليـه راجعون . قال : فـأقبل رسول الله ـ ﷺ ـ وأقـبل الناس معـه ، فجلس وأصرخناها إليه ، فـقال : فبّرك ، وسمّى الله تعالى ، ثم أكـل وتواردها الناس ، كلما فرغ قوم قاموا وجاء ناس ، حتى صدر أهل الخندق عنها . [أحمد : ٣/٣٧٧] .

(١) العديم الفقير .

(٢) السغب : الجوع ، والأليم المؤلم .

(٣) الكظيم : المكروب .

(٤) أم عامر الأشهلية واسـمها فكيهة ،ويقال اسماء بنت يـزيد بن السَّكن بن رافع بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل ، أرسلت إلى النبى ﷺ قـصعة فيها حيس وهو فى القبة عنده أم سلمة. فأكـلت منها ما كفاها ، ثم خرج بها على المسلمين فأكلوا منها جميعًا =

بعد حفر الخندق

لما انتهى المسلمون من حفر الخندق أمر النبى ﷺ أن يجعلوا ظهورهم إلى جبل (سلع) وأن يستعدوا لـلقاء العدو ، ثم أعطى لواء المهاجرين إلى زيد بن حارثة ، ولواء الأنصار إلى سعد بن عبادة ، وأمر بصرف الغلمان الذين لم يبلغوا الخامسة عشرة من سنهم ، وكانوا يعملون فى الخندق . وكان بنو قريظة على عهد معه ﷺ ، فما زال حيى بن أخطيب بسيدهم كعب بن أسد القرظى حتى نقض العهد، ومزق الصحيفة ،وكان أبو سفيان هو الذى حرض ابن أخطب على ذلك.

الله علّمها مناقب دينه ... فشفى الخبال ، وأحسن التعليما
لولا مراشده تُقوِّم خلقه ... لم يعرفوا الإصلاح والتقويما
نهض الحماة به ، ولو لم يهتدو ... لم يبرحوا فى القاعدين جثوما
مضت السيوف ، وولت الأرباب ... فإلى الهزيمة أيها الأحزاب
لا اللات نافعة ولا أخواتها ... كل بلاءٌ واقعٌ وعذاب
في السفح من سلع قضاءٌ رابض ... والويل حين يثور أو ينساب
يبغى الفريسة ، والمنيَّة مخلب ... ويصول ، والأجل المعجَّل ناب
هوى يابن حرب ما علمت وحربوا ... الغيل بَسْل ، والليوث غضاب [1]
أشَفى سليط وابن عوف ضغنكم ... أم ثَمَّ ضغن واغر وضباب ؟ [2]
لا بوركتْ تلك السيوف ، فإنها ... لتصيب من أعدائها فتصاب
كل الذى نلتم ونالت من دم ... عطَب يُتاح لكم معًا وتباب

* * *

= حتى نهلوا وهى كما هى. والوسيم : الجميل .

(١) الغيل : بيت الأسد ، وبسل : محرم ، والليوث : الأُسْد .

(٢) ذهب سليط وسفيان بن عوف من قبل النبى ﷺ ليستطلعا أخبار القوم فقتلوهما .

زيد وسعد فى الفوارس ، فانظروا إن كان يَصدق نفسَه المرتاب (١)
الله أكبر ، كل شىء دونه صدق الذين دعاهُم فأجابوا
ثوبوا جموع المشركين ، فإنما غرتكم الأوثان والأنصاب
لا يُعجبنَّ بنى قريظة غدرُهم فمحمد للغادرين عقاب
هب ابن أخطب فاستزلَّ بمكره كعبًا ، وأمرُ الجاهلين عجاب (٢)
يا للصحيفة إذ يمزقها ، أما ينهاه عن خطأ الغواة صواب ؟

* * *

خطر الفحول ، فأين تذهب فتية مُلْدُ السواعد والسيوف رطاب ؟ (٣)
قال النبى دعوا القتال لمعشر بلغوا النصاب ، فللقتال نصاب
إن تذهبوا ناجين من غمراته فَلَكُمْ إليه مرجع ومآب
لن يُحرَموا فى الله أجر جهادكم إذ تعملون ويعْمل الأصحاب
عنق المجاهد ليس يُغمط حقُّه سيَّانِ سيف قاطع وتراب
الخندق الهيجا ، حملتم عبئها والأمر جدٌّ ، والخطوب صعاب

* * *

(١) زيد بن حارثة وسعد بن عبادة .

(٢) قال أبو سفيان لحيى بن أخطب : إئت قومك حتى ينقضوا العهد الذى بينهم وبين محمد فذهب إلى كعب بن أسد القرظى سيد بنى قريظة وولى عهدهم الذى عاهدهم الرسول الكريم عليه ، وأخذ يدق باب حصنه وهو لا يفتح له ، وألح عليه ، فقال له : ويحك يا حيى ، إنك رجل مشؤوم ، وإنى قد عاهدت محمداً فلست بناقض ما بينى وبينه ، ولم أر منه إلا وفاء وصدقًا ثم ألح عليه ففتح له . فقال له : ويحك يا كعب ، جئتك بعز الدهر ، جئتك بقريش حتى أنزلتهم بجمع الأسيال (مكان) وبغطفان حتى أنزلتهم بجانب (أحد) قد عاهدونى ألا يبرحوا حتى يستأصلوا محمداً ومن معه . . فقال كعب: جئتنى والله بذل الدهر وبكل ما يخشى ، فإنى لم أر فى محمد إلا صدقًا ووفاء، فلم يزل به حتى نقض العهد ومزق الصحيفة .

(٣) هم الغلمان الذين أمر النبى ﷺ بردهم إلى أهليهم . والملد جمع أملود وهو الرطب الناعم.

هاتيك خيل ابن الوليد وصحبه ... تدنو فتطمع تارة وتهاب (١)
باب من الهيجاء ، لم تر مثله ... فيما تُسدُّ وتُفتح الأبواب
ذُعر الفوارس فى متون جيادهم ... لَمَّا تردَّى الفارس الوثاب (٢)
نظروا ، فكان لهم بمصرع نوفل ... خطب تطيش لهوله الألباب (٣)

* * *

الجو مستعر يشبُّ أواره ... ويعبُّ فيه من اللهيب عُباب
جرت النبال به ، يذيب وطيسُها ... بأس الألى لولا الرجاء لذابوا
ماذا لهم بعد الغرور وما لقوا ... فى الحرب ، إن كذب الرجاء وخابوا؟

* * *

دفعوا الجياد ، وصاح عمرو صيحة ... هاج الهزبر لها ، وماج الغاب (٤)

---

(١) لما نظر المشركون إلى الخندق قالوا : والله إن هذه لمكيدة ما كانت العرب تكيدها وصاروا يتناوبون ، فيغدو أبو سفيان فى أصحابه يومًا ، ويغدو خالد بن الوليد ،ويغدو عمرو بن العاص يوما، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوما ، ويغدو عكرمة ابن أبى جهل يومًا،فلا يزالون يجيلون خيلهم ، ويفترقون مرة ، ويجتمعون أخرى ويناوشون المسلمين ،و كان الأمر فى هذه الحركة لا يتعدى الرمى بالنبل والحصى .

(٢) متون الجياد : ظهورها ، تردى : هلك .

(٣) هو نوفل بن عبد الله بن المغيرة ، أقبل على فرس له ليوثبه الخندق فوقع فيه فاندقت عنقه، وقيل : إنه رمى بالحجارة وأن على بن أبى طالب ـ كرم الله وجهه ـ ضربه بالسيف فشقه نصفين .

(٤) هو عمرو بن عبدود . أقبل فى طائفة من المشركين أكرهوا خيولهم على اقتحام الخندق من مضيق كان به ، وكان عمرو شيخًا فى التسعين من عمره ، وجعل ينادى مرة بعد أخرى: من يبارز ؟ ثم يوبخ المسلمين ويقول لهم : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم دخلها وينشد .

ولقد بححت من الندا ... ء بجمعكم :هل من مبارز ؟
إن الشجاعة فى الفتى ... والجود من خير الغرائز

فقام إليه على بن أبى طالب وضربه بلسيف على حبل عاتقه فسقط قتيلا ، وكبر المسلمون ، والهزبر : الأسد .

شيخ قضى في الغالبين لنفسه ... فقضى عليه الأشوش الغلاب
يا عمرو خذها من علي ضربة ... هي إن سألت عن الجحيم جواب

* * *

حِبان لا سلمت يداك ، ولا سقى ... أحياء قومك ما حييت سحاب [(١)]
أرسلته سهمًا ، تضجُّ لهوله ... أمم الكتاب وتفزع الأحقاب
من ذا رميت ؟ رماك ربُّك بالتي ... تنهدُّ من صدماتها الأصلاب
أخزيت أمك لا تُحدّثْ بعدها ... عن طيب أمك هاهنا الأطياب
دم من جرحت ، وإن جهلت مكانه ... في القوم ، مسك ساطع وملاب [(٢)]
سعد العشيرة والكتيبة حوله ... أسد العرين ، تزينها الأحساب
الفارس المرجوُّ يقدم قومه ... عند الوغى ، والسيد المنتاب [(٣)]
إن جدَّ جِدُّ الضرب فهو مهنّد ... أو جنَّ ليل الخطب فهو شهاب

* * *

أغرى عيينة وابن عوف مطمع ... يعيا بأيسر أمره الطلاب [(٤)]

---

(١) هو حبان بن العرقة رمى سعد بن معاذ رضي الله عنه بسهم في أكحله عرق في وسط الذراع، وقد أمر النبي ﷺ بوضعه في خيمة رفيدة الأسلمية ليعوده من قرب ، والعرقة: اسم جدة حبان. سميت به لطيب عرقها .

(٢) الملاب نوع من الطيب .

(٣) الذي يقصد في الكبير من الأمور ، أو للخير.

(٤) عيينة بن حصن الفزارى ، جاء إلى النبي ﷺ مستخفيًا من أبي سفيان ومعه الحارث بن عوف المرى ، وطلبا منه أن يقطعهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه ، فأبى عليهما إلا الثلث ، وبعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة ، فذكر لهما ذلك واستشارهما فيه . فقالا : يا رسول الله ،أمرًا تحبه فنصنعه ، أم شيئًا أمرك الله به إلى آخره فقال: « **و أمرني الله ما شاورتكما** » ،قالا : إن كان إنما هو الرأى فما لهم عندنا إلا السيف ـ وقال سعد بن معاذ : قد كنا نحن وهؤلاء القوم (يعني غطفان) على الشرك بالله وعبادة الأوثان ، لا نعبد الله ولا نعرفه ، وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا ثمرة إلا قرى أو بيعًا ، فحين أكرمنا الله بالإسلام ، وهدانا له ، وأعزنا بك وبه . =

تركا أبا سفيان فى غفلاته ... وكأنما يُلقَى عليه حجاب
لم يبصر الذئبين حين تسللا ... ومن الرجال ثعالب وذئاب
قالا ـ رضينا السلم ، يشبع قومنا ... تمرًا ، وراضى السلم ليس يعاب
تمر المدينة إن أصبنا نصفه ... فلكم علينا ذمة وكتاب
ندع القتال ، وإن أبى حلفاؤنا ... فاشتدّ لوم ، واستحرّ عتاب [(١)]
لهم الكريهة ، يُطعَمون سمومها ... ولنا طعام سائغ وشراب

* * *

هاجا من السعدين سورة غضبة ... هى للضراغم شيمة أوداب
أبيا اصطناع الرأى فى وهج الوغى ... لم تصطنعه قواضب وحراب
وتنازعا نظرًا يهول ومنطقًا ... يوهى القلوب الصمَّ ، وهى صلاب
مَنْ هُمْ ؟؟ أيجمل أن يقال : تحكموا ... فينا ، ونحن السادة الأقطاب ؟
نحمى مدينتنا ونمنع نخلها ... من أن يحوم على جناه ذباب

* * *

قال النبى بدا المغيّب ، فارجعا ... ولكل نفس مرعد وحساب
النصر عند الله ، ويجعله لنا ... إن شاء ، وهو المنعم الوهاب
صبرًا على حرِّ القتال ، فإنه ... خطب يزول ، وغمرة تنجاب

* * *

شغل القتال عن الصلاة ، وإنها ... سكن لنا من ربنا وثواب [(٢)]

= نقطعهم أموالنا ؟؟ وفى قول آخر : نعطى الدنية ما لنا بهذا من حاجة ، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله ـ قال له النبى ﷺ : «**فأنت وذاك**» . وقال لعيينة وصاحبه : «**إرجعا ، بيننا وبينكم السيف** » .

(١) استحر بمعنى اشتد .

(٢) استمر القتال بين الجيشين إلى الليل ، فلم يصل النبى ﷺ ولا أحد من المسلمين صلاة الظهر والعصر والمغرب والعشاء ، فصاروا يقولون : ما صلينا ، فيقول صلوات الله وسلامه عليه : « **ولا أنا** »، ثم أمر بلالا فأذن وصلوا .

قم يا بلال مؤذنًا لنقيمها سكن القتال ، وزالت الأسباب
ربِّ ارمهم بالنار ملء بيوتهم وقبورهم ، فلو اتقوك لتابوا (١)
وببأسك انصرنا ، وزلزل جمعهم تزُل الهموم ، وتذهب الأوصاب

* * *

(٣) ورد أن النبى ﷺ قال: « **ملأ الله عليهم بيوتهم وقبورهم نارًا كما حبسونا شغلونا عن الصلاة الوسطى حتى غابت الشمس** »[مسلم ؛ ح : ٦٢٧ ، ٦٢٨] البخارى ؛ ح : ٢٩٣ ، الترمذى ح : ٢٩٨٤ ، النسائى ١/٢٣٦ ، ابن ماجة ؛ ح : ٦٨٤ ،ومن دعائه عليهم: « **اللهم منزل الكتاب سريع الحساب ، اهزم الأحزاب ، الله اهزمهم وانصرنا عليهم وزلزلهم** » . متفق عليه ، رواه البخارى ؛ ح : ٤١١٥ ، ومسلم ؛ ح : ١٧٤٢.

عباد بن بشر رضي الله عنه

كان عباد بن بشر رضي الله عنه لا يفارق قبة الرسول الكريم ﷺ ساعة من الليل، فهو يبيت طائفًا حولها يحرسها من الأعداء ، وكان بالخندق ثلمة يتفقدها النبى ﷺ بالليل مرة بعد أخرى ويقول : « **ما أخشى أن يؤتى المسلمون إلا منها**»، وقال مرة: « **ليت رجلا صالحًا يحرس هذه الثلمة الليلة** » ، فسمع صوت السلاح ، فقال : « **من هذا ؟** » ،قال سعد بن أبى وقاص رضي الله عنه : أنا يا رسول الله جئت أحرسك قال : « **عليك هذه لثلمة فاحرسها** » ، وطافت خيل المشركين بالخندق، فبعث عباد بن بشر وأصحابه فى وجوههم ، ورماهم المسلمون بالنبل فانقشعوا .

مَن ينم عن لهذم أو مخذم ... فابن بشر ساهر لم ينم [١]
يحرس القبة ما فيها سوى ... حارس الجيش وحامى العلم
هبَّ يدعو : يا ابن بشر خلِّنى ... إنها الخيل أراها ترتمى
كل لحم من جنودى ودم ... فهو لحمى يا ابن بشر ودمى
خلِّنى واذهب إلى القوم الألى ... قذفونا بالرعيل المقدم [٢]
امض فى صحبك ، إنى هاهنا ... فى حمى الله الأجلِّ الأعظم
احرسوا الخندق وارموا دونه ... لا تخافوا كل غاو مجرم
أدرِكوا سعدًا وكونوا مثله ... إن رمى فى الله سهمًا أو رُمِى
حارس الثلمة ، يُلقى حولها ... صخرة من عزمه لم تُثلم
أدركوه ، واهزموها قوة ... لن تنالوا النصر ما لم تُهزم
انصروا الله ، وصونوا دينه ... إن خير الدين دين المسلم

---

(١) اللهذم : الحاد القاطع من الأسنة .

(٢) الرعيل : القطعة من الخيل .

هو إن طمَّ على الأرض الأذى ... رحمة الأرض ، ومحيا الأمم [١]
وإذا ما أظلمت أرجاؤها ... فهو نور الله ماحى الظلم

* * *

ذهب الصحب كرامًا ، ورَمَوْا ... بيد الله الأعز الأكرم
يذهب السهم سديدًا راشدًا ... فهو ملء العين أو ملء الفم
وهو فى النحر قضاء آخذ ... نافذ فى كل سد محكم

* * *

عادت الخيل سراعا وبها ... من جنود الله مثل اللمم [٢]
وتولَّى الجند فى زلزلة ... تصدع الفيلق ، إن لم تهدم

* * *

حارت الأحزاب : ماذا تنتوى ... وبمن فيما دهاها تحتمى [٣]
خذلتها فى الوغى آلهة ... لو هوى الوادى بها لم تعلم
تطلب الغوث وما من سامع ... أى غوث يرتجى من صنم ؟
يا زعيم القوم أيقن واستفق ... إنه الحق الذى لم تزعم
يا زعيم القوم هل من نادم ؟ ... إنما يهلك من لم يندم
نهض القوم برأيٍ مُبصر ... ودهتكم عثرة الرأى العم
استفيقوا ، وانبذوا أربابكم ... أو فذوقوا البأس مرَّ المطعم
إنكم ممن كرهتم دينهم ... بين نابَىْ كل صِلٍ أرقم [٤]

* * *

---

(١) طم الأمر : غلب وتفاقم .
(٢) اللمم : الجنون أو طرف منه .
(٣) انتوى بمعنى قصد .
(٤) الصل : الحية . والأرقم صفة لأخبث الحيات وأطلبها للناس ، أو ما فيه بياض وسواد منها، أو هو الذكر خاصة .

نعيم بن مَسْعُود الأشجعِى وجُنُود الله

قدم نعيم بن مسعود الأشجعى [١] على النبى ﷺ فقال : يا رسول الله إنى أسلمت ، وإن قومى (غطفان) لم يعلموا بإسلامى ، فمرنى بما شئت ، فقال له : « **إنما أنت رجل واحد ، فخذل عنا ما استطعت ، فإن الحرب خدعة** » ، وأجاز له أن يقول ما أراد ، فذهب إلى بنى قريظة وكان لهم نديمًا : فأخذهم بدهائه ، وقال لهم كالناصح الأمين : لقد رأيتم ما وقع لبنى قينقاع ولبنى النضير من إجلائهم وأخذ أموالهم ، وإن قريشًا وغطفان ليسوا مثلكم ، البلد بلدكم ، وبها أموالكم ونساؤكم وأبناؤكم ، لا تقدرون على أن ترحلوا منه إلى غيره ، فإن رأى هؤلاء نهزة أصابوها ، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم ، وخلوا بينكم وبين محمد ولا طاقة لكم به ، فلا تقاتلوا معهم حتى تأخذوا رهنًا من أشرافهم سبعين رجلا يكونون بأيديكم ، قالوا : أشرت بالرأى والنصح ، ودعوا له وشكروه . . ثم ذهب إلى أبى سفيان ومن معه من أشراف قريش فقال : قد عرفتم ودى لكم وفراقى لمحمد ، وإنى ناصح لكم ، إن معشر يهود ندموا على ما صنعوا من نقض عهدهم الذى أعطوه محمداً ، وقد أرسلوا إليه وأنا عندهم يقولون : هل يرضيك أن نأخذ لك من قريش وغطفان سبعين رجلا من أشرافهم تضرب أعناقهم وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم ، ثم نكون معك على من بقى منهم حتى نستأصلهم فقبل ذلك منهم . . . . . ثم ذهب نعيم إلى غطفان فقال : إنكم أهلى وعشيرتى ، وأحب الناس إلى ، ولا أراكم تتهموننى ، قالو : صدقت ما أنت عندنا بمتهم ، فقال لهم مثل ما قال لقريش ، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان ورؤوس غطفان إلى بنى قريظة عكرمة بن أبى جهل فى نفر منهم ، فقالوا لهم : إنا لسنا بدار مقام وقد هلك الخف والحافر ، فأعدوا للقتال حتى نناجز محمدًا ونفرغ مما بيننا وبينه . . . قالوا : إن غدًا السبت وقد علمتم ما

---

(١) هو نعيم بن مسعود بن عامر بن أنيف بن ثعلبة بن قنفذ بن خلاوة بن سُبيع بن بكر بن أشجع . قيل أنّ رسول الله ـ ﷺ ـ نزع الأخلة (جمع خلال) بقية عن نعيم بن مسعود وحين مات . وقيل : لم يمت على عهد رسول الله ـ ﷺ ـ ، وبقى إلى زمن عثمان بن عفان .

[الإصابة : ٦/ ٤٦١ ، الطبقات : ٥/ ١٦٦ وما بعدها] .

أصاب الذين اعتدوا منا يوم السبت ، ومع ذلك فإنا لا نقاتل معكم حتى تعطونا سبعين رجلا رهنًا ـ قالوا : صدق والله نعيم .

اختلفت كلمتهم وبعث الله عليهم ريحًا عاصفًا نقلت بيوتهم وكفأت قدورهم، وسفت عليهم التراب ، ورمتهم بالحصى ، وكانوا يسمعون فى أرجاء معسكرهم التكبير وقعقعة السلاح ، ومزق الله جمعهم فانقلبوا خاسرين ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب:٩] .

أقبل نعيم هداك ربك ساريا ... وكفى بربك ذى الجلالة هاديا [1]

جئت النبى فقلت ، إنى مسلم ... من أشجع لم يدر قومى ما بيا

مرنى بما أحببت فى القوم الألى ... كرهوا الرشاد أكن لأمرك واعيا

قال : ارمهم بالرأى ، يصدع بأسهم ... عنا ، ويتركه ضعيفًا واهيا

عد يا ابن مسعود إليهم راشدًا ... واصنع صنيعك آمرًا أو ناهيا

قال : استعنت بمن هداك بنوره ... ومحا بملتك الظلام الداجيا

ومضى فهزّ بنى قريظة هزة ... يغتال راجفها الأشم الراسيا

قال : اتبعوا يا قوم رأى نديمكم ... إنى محضتكم الوداد الصافيا

أفما رأيتم ما أصاب محمد ... من قومكم لما أطاعوا الغاويا ؟ [2]

جهلوا ، فعاجلهم ببأس عاصف ... لم يبق منهم فى الجزيرة ثاويا

فدعوا قريشًا لا تظنوا أمرها ... من أمركم أمما ولا متدانيا [3]

إن البلاد بلادكم ، فإذا انثنت ... ومضى البلاء ، فلن تصيبوا واقيًا

إن تأخذوا سبعين من أبطالهم ... رهنًا ، يكن حزمًا ورأيًا شافيا

وأتى قريشًا فى مخيلة ناصح ... يبدى الهوى ، ويذيع سرًا خافيا [4]

---

(١) كان مجيئه إلى النبى ﷺ ذات يوم عشاء [البداية والنهاية : ٤/ ٤٦٤] .

(٢) الغاويا : حيى بن أخطب .

(٣) الأمم : القريب .

(٤) المخيلة هنا ما يظن ويتوهم .

يا قوم إن بنى قريظة أحدثوا ... أمرًا طفقت له أعضُّ بنانيا
قال المنبئ إنهم ندموا على ... ما كان منهم ، إذ أجابوا الداعيا [١]
بعثوا فقالوا يا محمد ما ترى ... إن نحن أحسنا ؟ أتصبح راضيًا ؟
نعطى سيوفك من قريش ثُلَّة ... ونسوق من غطفان جمعًا رابيا [٢]
من هؤلاء وهؤلاء نعدهم ... سبعين تقتلهم جزاء وافيا
وتردّ إخوتنا إلى أوطانهم ... بعد الجلاء ، وكان حكمك ماضيا
كانوا على حدث الزمان جناحنا ... فتركت ناهضه كسيرًا داميا

* * *

ومشى إلى غطفان ينبئهم بما ... سمعت قريش أو يزيد مُحابيا
أهلى منحت نصيحتى ، وعشيرتى ... نبهت ، أخشى أن يجل مصابيا

* * *

هفت المخاوف بالنفوس ، فزُلزلت ... ومضت بها هوج الظنون سوافيا [٣]
لم يُبق منها الأشجعىُّ بمكره ... ودهائه غير الهواجس باقيا

* * *

جلس ابن حرب في سراة رجاله ... همًا يطالعهم ، وخطبًا جاثيا
والرهط من غطفان ينظر واجمًا ... حينًا ، ويهدر عاتبًا أو لاحيا
لبثوا ، يدير الرأى كل مجرب ... منهم ، فيا لكِ حيرة هى ماهيا

* * *

بعثوا ، فقالوا لليهود تأهَّبوا ... للحرب ، نطوى شرها المتماديا
لم يَبق من خُفّ ولا من حافر ... إلا سيصبح هالكا أو فانيا [٤]
طال المقام ، ولا مقام لمعشر ... نزلوا من الأرض البعيدَ النائيا

---

(١) الداعيا هو : حيى بن أخطب .
(٢) الثلة : الجماعة ، ورابيا : زائدا .
(٣) من الهوج بفتحتين وهو الطيش والتسرع . وهوج جمع أهوج وهوجاء .
(٤) المراد ذوات الخف والحافر من الإبل و لخيل ونحوها .

أمست منازلهم بأرض عدوهم ... والموت يخطر رائحًا أو غاديًا
قالوا : أيوم السبت نبرز للوغى ... ولقد علمنا ما أصاب الباغيا ؟
لسنا نقاتل ، أو تُؤدُّوا رهنكم ... إنا نرى الداء المكتَّم باديا
سبعين إن خفتم قضينا أمرنا ... فيهم ، ولن يجدوا هنالك فاديا

* * *

غضبت ابن حرب ثم قال لقومه ... صدق ابن مسعود وخاب رجائيا
غدر اليهود وتلك من عاداتهم ... يا قوم ، ما للغادرين وماليا ؟
ما كنت أحسب ، والخطوب كثيرة ... أن الأحبّةَ يصبحون اعاديا

* * *

هذا بناء القوم مال عموده ... فوهى ، وأصبح ركنه متداعيا
هدم الإمام العبقرى أساسه ... وسما بدين العبقرية بانيا
شيخ السياسة ليس يبعث غارة ... أو يبعث الرأى المظفر غازيا
الله علمه .. فليس كفنِّه ... فنٌّ ، وإن بهر العقول معانيا

* * *

الله أرسله عليهم عاصفًا ... متمردًا يدع الجبال نوازيا
شرس القوى ، عجلان أهوج يرتمى ... يزجى الغوائل مستبدًا عاتيا
ما لامرئ عهد يظنُّ بمثله ... من بعد عاد رائيًا أو راويا
قلَب المنازل والبيوت فلم يدع ... إلا مصائب مثَّلا ودواهيا
ألقى على القوم العذاب ، فما يُرَى ... متزحزحًا عنهم ، ولا متجافيا
الأرض واسعة الجوانب حولهم ... ما مسَّ منها عامرًا أو خاليا (١)
نزلت جنود الله رعبًا بالغًا ... ملأ القلوب ، فما برحن هوافيا (٢)

---

(١) كانت الريح تقلبهم وتضربهم بالحجارة وهى لا تجاوز عسكرهم .

(٢) أرسل الله الملائكة فى هذه الغزوة فقذفت الرعب فى قلوب المشركين . وهوافيا : من هفا القلب إذا ذهب فى أثر الشيء والمقصود ذهل .

وأتى حذيفة فى مدارع غيهب ... ألقى على الدنيا حجابًا ضافيًا (١)

يتلمس الأخبار : ماذا عندهم ؟ ... أأفاق غاويهم ، فيصبح صاحيا ؟

جاء الرجالَ ، يدسّ فيهم نفسه ... والحتفُ يرقبه مخوفًا عاديا (٢)

بِيَدَى معاويةٍ وعمرو أمسكت ... كلتا يديه مواربًا ومداجيا

لولا الرسول ودعوة منه مضت ... لقَى الأسنة والسيوف مواضيا

بلغ البلاء بهم مداه ، فلم يجد ... منهم سوى شاكٍ يطارح شاكيا

يدعو أبو سفيان يا قوم انظروا ... إنا وجدنا الأمر صعبًا قاسيا

فيم المقام ؟ كفى التعلل بالمنى ... هبوا ، فإنى قد مللت مقاميا

حسبى على ألم الرحيل وحسبكم ... أن يرجع الجيش العرمرم ناجيا (٣)

ثم اعتلى ظهر البعير ، وقال : سر ... لا كان ذا الوادى المروَّعُ واديا

فاهتاج عكرمةٌ وقال : أهكذا ... يهِنُ الزعيم ألا تقيم لياليا ؟ (٤)

---

(١) حذيفة بن اليمان ، دعاه الرسول الكريم ﷺ ليأتيه بأخبار القوم وقال له :« **اللهم احفظه من بين يديه ، ومن خلفه ، وعن يمينه ، وعن شماله ، ومن فوقه ، ومن تحته** » وقال له : «**يا حذيفة لا تحدثن فى القوم شيئا حتى تأتينى** ».

قال حذيفة : فجئت إليهم ودخلت فى غمارهم ، فسمعت أبا سفيان يقول : يا معشر قريش ، ليعرف كل امرئ منكم جليسه ، واحذروا الجواسيس والعيون ، فأخذت بيد جليسى الذى على يمينى ،وقلت : من أنت ؟ قال معاوية بن أبى سفيان، وقبضت يد من على يسارى ، وقلت: من أنت ؟ قال عمرو بن العاص ،فعلت ذلك خشية أن يفطن بى، فقال أبو سفيان : أخلفتنا يا معشر قريش إنكم والله لستم بدار مقام ، ولقد هلك الكراع والخف ، وأخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذى نكره ، ولقينا من هذه الريح ما ترون . فارتحلوا فإنى مرتحل [ابن إسحاق كما فى السيرة : ٣/١٣٩ و ١٤٠] ، ووثب على جمله . . . والغيهب : الظلمة الشديد.

(٢) الحتف : الموت .

(٣) الجيش العرمرم : الكثير .

(٤) عكرمة بن أبى جهل ، قال لأبى سفيان : إنك رأس القوم وقائدهم : تذهب وتترك الناس ؟ فاستحيا أبو سفيان وأناخ جمله ، وأخذ بزمامه وهو يقوده ، وقال للناس : ارحلوا فجعلوا يرحلون .

انزل ، وسر فى القوم سيرة ماجد لا تُشمتنَّ بك العدو ولا بيا
نزل الزعيم يجرُّ حبل بعيره ويقول : سيروا مسرعين ورائيا

* * *

ساروا وقال ابن الوليد أمالنا يا عمرو أن نلقى الليوث ضواريا ؟ (١)
إن كنت صاحب نجدة فأقم معى وليبق من رزقوا النفوس أوابيا
أبيا الرحيل حميّة فتخلفا وأباه قوم يتقون الزاريا
ثم استبدّ بهم قضاء غالب فمضوا ، وأدبر جمعهم متراميا

* * *

ومضى حذيفة بالبشارة يبتغى عند النبى بها المحلَّ العاليا (٢)
وافاه فى حرم الصلاة وقدسها والنور نور الله يسطع زاهيا
حتى قضاها سمحة مقبولة متهجدًا ، يتلو الكتاب مناجيا
ركعات ميمون النقيبة مشرق ترد السماء أهلة ودراريا
سمع الحديث ، فراح يحمد ربه فرحا ، ويشكر فضله المتواليا

* * *

إن يجمع القوم الجنود ، فإنما جمعوا مزاعم تفتَرى ودعاويا
جمعوا لأغوال يطول غليلها مّما تحاماها المنون تحاميَا
من كل مقتحم ، سواء عنده ورِدَ المنية شاربًا أو ساقيا

* * *

سر فى عبيدك يا ابن حرب إنما لاقيت منهم سادة ومواليا
لن تبلغ النصر المروم ، ولن ترى إلا ظُبىً مهزومة وعواليا (٣)

---

(١) أقام خالد بن الوليد وعمرو بن العاص فى مائتى فارس بعد مسير أبى سفيان وعكرمة ثم لحقوا بهم .

(٢) رجع حذيفة بن اليمان إلى الرسول الكريم ﷺ وهو يصلى ، فلما قضيت الصلاة نبأه بما كان من أمره وأمر المشركين فضحك حتى بدت ثناياه ثم حمد الله وشكره .

(٣) الظبى : السيوف ، والعوالى : الرماح .

ذهبت لِطيَّتها الكتائب خيَّبا ... وذهبتَ تبعث بالكتاب مُناويا [١]
بئس الكتاب ، عويت فيه ولن ترى ... ضرغامة الوادى يخاف العاويا [٢]
ورفعت للأصنام فيه لواءها ... وهى التى تركت لواءك هاويا
أتعيبها أن لم تكن عربية ؟ ... أفما رأيت جمالها المتناهيا ؟
أنكرت حسن الفارسية غيرة ... وحسدتها ، فجعلت نفسك واشيا
زدها من الوصف البديع ، وغنِّنا ... لله درك يا ابن حرب شاديا
ماذا أصابك من كتاب محمد ... لا تُخف ما بك إن أردت مواسيا [٣]
أفما صعقت له ، وبت بليلة ... تسرى أراقمها ، فتعى الراقيا ؟ [٤]
انهض أبا سفيان نهضة مهتد ... أفما تزال القاعد المتوانيا ؟

* * *

---

(١) ألطية : النية والمقصد والمنزل والمنتوى .

(٢) أرسل أبو سفيان كتابًا إلى النبى ﷺ يقول فيه : باسمك اللهم فإنى أحلف باللات والعزى وإساف ، ونائلة ،وهبل . لقد سرت إليك فى جمع وأنا أريد أن لا أعود إليك أبدًا حتى أستأصلكم ، فرأيتك قد كرهت لقاءنا ، واعتصمت بمكيدة الخندق ما كانت العرب تعرفها، وإنما تعرف ظل رماحها ، وشبا سيوفها ، وما فعلت هذا إلا فرارًا من سيوفنا ولقائنا ، ولك منى كيوم أحد .

(٣) أجابه النبى ﷺ بكتاب قال فيه : أما بعد فقد أتانى كتابك ،وقديمًا غرك بالله الغرور ، أما ماذكرت أنك سرت إلينا وأنت لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا ، فذلك أمر يحول الله بينك وبنه، ويجعل لنا العاقبة . وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى وإسافا ونائل وهبل.

(٤) الأراقم : جمع أرقم وهو أخبث الحيات ، أو ما فيه بياض وسواد .

غزوة بنى قريظة

كانت هذه الغزوة يوم رجع المسلمون من غزوة الخندق [١] ، فأمر النبى ﷺ بلالا رضي الله عنه فأذن فى الناس بالقتال ، وبعث مناديًا يقول : يا خيل الله اركبى، ثم سار إلى بنى قريظة فى ثلاثة آلاف مقاتل ، وكانت الراية فى يد على ابن أبى طالب رضي الله عنه .

ولجأ اليهود إلى حصنهم فحوصروا فيه خمسًا وعشرين ليلة ـ على أصح الروايات .

ونصح كعب بن أسد كبير اليهود لقومه وعمرو بن سعدى فلم يقبلوا ، وضاق بهم الأمر ، فبعثوا إلى النبى ﷺ يطلبون أن يرسل إليهم أبا لبابة ـ من الأوس حلفائهم ـ فلما جاءهم قالوا : تحقن دماءنا ، ونأخذ ما تحمل الجمال إلا الحلقة (السلاح) وعرض ذلك على النبى ﷺ فأبى ، وطلبوه ثانية ونزلوا عن الأموال والحلقة فأبى ، ثم نزلوا على حكمه ﷺ وحكم سعد بن معاذ رضي الله عنه ، فأمر بهم فكتفوا ، وبالنساء والذرارى فجعلوا ناحية ، وقتل حيى بن أخطب فى من قتل منهم .

---

(١) انصرف الرسول ـ ﷺ ـ عن الخندق راجعا إلى المدينة ، فلما كان الظهر ، أتى جبريل رسول الله ـ ﷺ ـ معتجزا بعمامة من استبرق على بغلة عليها رحالة عليها قطيفة من ديباج ، فقال : أوقد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم ، فقال جبريل : ماوضعت الملائكة السلاح بعد ، ومارجعت الآن إلا من طلب القوم ، إنّ الله يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة فإنى عامد إليهم فمزلزل بهم . فأمر رسول الله ﷺ مؤذنا فأذن فى الناس : « من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا فى بنى قريظة . واستعمل على المدينة ابن أم كلثوم . [سيرة ابن هشام : ٣/ ١٤٠ ، ١٤١ ، البخارى بنحوه ؛ ح : ٤١١٩ ، مسلم فى الجهاد والسير ، ح ١٧٧٠] .

ترامى الجيش ، وندفع الرعيل فقل لبنى قريظة ما السبيل ؟ [١]
سلوا كعبًا وصاحبه حييًا نزيل الشؤم هل صدق النزيل ؟ [٢]
أطعتم أمره ، فتلقفتكم من الأحداث داهية أكول
وكان دليلَكم ، فجنى عليكم وقد يجنى على القوم الدليل
دليل السوء ، لا عقل حصيف يسدده ، ولا رأى أصيل
تفرقت الجموع وأدركتكم جنود الله يقدمها الرسول [٣]
جهلتم ما وراء الغدر حتى رأيتم كيف يتعظ الجهول
ألم تروا اللواء مشى إليكم به وبسيفه البطل المهول ؟
حذار بنى قريظة من عنى ولا يغرركم الأطم الطويل [٤]
وما يجديكم الهذيان شيئًا وهل يجدى المُخبّل ما يقول ؟
وما لبنى القرود سوى المواضى يكون لها بأرضهم صليل [٥]

* * *

تواروا كالنساء محجَّبات حمتها فى المقاصير البعول
خلا الميدان ، لا بطل ينادى ألا بطل ؟ ولا فرس يجول

---

(١) الرعيل : مقدمة الخيل أو القطعة القليلة منه تقدر بالعشرين أو الخمسة والعشرين .

(٢) إشارة إلى ما كان من أمر حيى بن أخطب مع كعب بن أسد حين ذهب إليه وحمله على نقض العهد وتمزيق الصحيفة . راجع غزوة الخندق وإلى أنه معه فى الحصن وفاء بعهده.

(٣) الذين جاؤوا لحرب النبى ﷺ فى غزوة الخندق .

(٤) الأطم:الحصن .

(٥) إشارة إلى قول الرسول الكريم ﷺ لهم وقددنا من حصنهم:« يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته ؟ »، فإن عليًا كرم الله وجهه أقبل على الحصن فى جماعة من المهاجرين والأنصار ، وغرز اللواء عند أصله .فسمع من بنى قريظة كلامًا بذيئًا فى رسول الله وأزواجه ، ثم رآه مقبلا فأوصى أبا قتادة الأنصارى رضي الله عنه أن يلزم اللواء وخف إليه فقال : يا رسول الله لا عليك أن لا تدنو من هؤلاء الأخابث ، قال : «لعلك سمعت منهم لى أذى ؟ » قال : نعم فدنا من الحصن وقال لهم : « يا إخوان القردة . . . » .

أقاموا مُخْجَرين على هوان ... أقام ، فما يريم ولا يحول (١)
يرنق عيشهم جوع وخوف ... كلا الخطبين أيسره جليل (٢)
يبيت الهم منتشرًا عليهم ... إذا انتشرت من الليل السدول (٣)
يلفهم السهاد ، فلا رقاد ... يطيب لهم ، ولا صبر جميل
يخاف النومَ أكثرُهم سهادًا ... كأن النوم فى عينيه غول
إذا مالت به سِنَة تنزّى ... يظن جوانب الدنيا تميل (٤)
تطوف بهم مناياهم ظنونًا ... توهَّجُ فى مخالبها النصول
بهم وبحصنهم مما دهاهم ... وحاق بهم جنون أو ذهول

* * *

يقول كبيرهم يا قوم ماذا ... ترون ؟ أهكذا تَعمى العقول ؟ (٥)

---

(١) أحجره غطاه وستره ، كناية عن بقائهم فى الحصن رام مكان هزال عنه وفارقه .

(٢) يرنق بمعنى يكدر .

(٣) جمع سدل وهو الستر .

(٤) تنزى : توثب وتسرع .

(٥) كعب بن أسد ، قال لهم : يا معشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنى عارض عليكم خلالا ثلاثا ، أيها شئتم فذاك قالوا : وما هى ؟ قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه، فوالله لقد تبين لكم أنه نبى مرسل ،وأنه الذى تجدونه فى كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم ونسائكم وأبنائكم ، وما منعنا من الدخول معه إلا الحسد للعرب، حيث لم يكن من بنى إسرائيل ، ولقد كنت كارهًا لنقض العهد ،ولم يكن البلاء والشؤم إلا من هذا الجالس (يعنى حيى بن أخطب) أتذكرون ما قال ابن خراش حين قدم عليكم ، أنه يخرج بهذه القرية نبى فاتبعوه وكونوا له أنصارًا فتكونوا قد آمنتم بالكتابين ، الأول والآخر ـ قالوا : لا نفارق حكم التوراة أبدًا ولا نستبدل به غيره : قال: فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالا مصلتين السيوف ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا ثقلا ، وإن نظفر فلعمرى لنجدن النساء والأبناء. . . قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، فما خير العيش بعدهم ؟؟ قال : إن الليلة ليلة السبت . وأن عِسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب منهم غرة ، فقالوا : نفسد سبتنا وأبوا.

أليس محمد من قد علمتم فما الخَبَل الملحُّ ، وما الغفول ؟ [١]
رسول الله ما عنه صدوف لمن يبغى النجاة ، ولا عدول
أبعد العلم شك ؟ بل ضللتم على علم ، وذلكم الغلول [٢]
هلموا نتّبعه ، فإن أبيتم فليس لنا سوى الأخرى بديل
نضحّى بالنساء وبالذرارى ونخرج ، والدم الجارى يسيل

* * *

(٣) الغفول : بمعنى الغفلة .

(٤) الغلول : الخيانة .

بأيدينا السيوف مسللات ... نصون بها الذمار إذا نصول
فإلا تفعلوا فالقوم منا ... بمنزلة تنال بها الذحول (١)
لهم منا غداً بالسبت أمن ... فإن تك غرة شُفِيَ الغليل
هلموا بالقواضب إن أردتم ... فما يغنى التردد والنكول
عصوه ، وراضهم عمرو بن سعدى ... فما اجتُنِب الجماح ولا الجفول (٢)
أبوها جزية ثقلت عليهم ... وقالوا : بئسما يرضى الذليل
ففارقهم على سخط وضغن ... وراح يقول : لا نعم القبيل
نهاهم قبل ذلك أن يخونوا ... فكان الغدر والداء الوبيل

* * *

توالىَ الضُّر عبثًا بعد عبء ... فهدّ قواهم العبء الثقيل
دَعَواْ يستصرخون : ألا دواء ... فقد أشفى على الموت العليل ؟
لعل أبا لبابة إن ظفرنا ... بمقدمه لعثرتنا مقيل (٣)

---

(١) الذحول : جمع ذحل ، والذحل الثأر .

(٢) قال لهم عمرو بن سعدى :خالفتم محمداً ولم أشرككم فى غدركم ، فإن أبيتم أن تدخلوا معه فاثبتوا على اليهودية ، وأعطوا الجزية فأبوا ، وغضب فقال: إنى برىء منكم،ثم فارقهم ولم يعد إليهم .
الجفول : النفور من كل شىء .

(٣) طلب اليهود أت يبعث المسلمون إليهم أبو لبابة ،لما جاءهم أبو لبابة واسمه (رفاعة بن المنذر) قام إليه الرجال وأسرع النساء والأطفال يبكون فى وجهه فرقّ لهم ، وقالوا : يا أبا لبابة أترى أن ننزل على حكم محمد (أن لا تحقن دماؤهم وأن لا تترك لهم نساؤهم وأبناؤهم) قال: نعم وأشار بيده إلى حلقه أنّه الذبح ، فأبوا وقالوا :نترك السلاح ونجلو، فلم يقبل النبى ﷺ ، وعادوا فقالوا : نترك السلاح والمال ، فكذلك .

(*) قال أبو لبابة : فوالله مازلت قدماى من مكانهما حتى عرفت أنى قد خنت الله ورسوله، ثم انطلق أبو لبابة على وجهه ولم يأت رسول الله ـ ﷺ ـ حتى ارتبط فى المسجد إلى عمود من عمده . وقال لا أبرح مكانى حتى يتوب الله على ما صنعت ، وأعاهد الله أن لا أطأ بنى قريظة أبدًا ، ولا أرى فى بلد خنت الله ورسوله فيها أبدا . وأنزل الله فيه ﴿يَا أَيُّها الَّذِين آمَنُوا لا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] . وظل =

وأرسله النبى فخالفوه وقالوا : لا يصاب لنا قتيل
لكم منا السلاح إذا أردتم وتنطلق الركائب والحمول
وعاد ، فراجعوه على اضطرار وهان عليهم المال الجزيل
إليك أبا لبابة ما منعنا وشرُّ المال ما منع البخيل
خذوه مع السلاح ، وأطلقونا فحسب محمد منا الرحيل
فقال : دماؤكم لابدّ منها وذلك حكمه ، فمتى القبول ؟
أجب يا كعب إن الأمر حتم فماذا بعد إلا المستحيل
وما من معشر يا كعب إلا على حكم النبى لهم نزول
نصحت لكم ، وما للقوم عذر إذا نصح الحليف أو الخليل

* * *

هَووا من حصنهم ، وكذاك تهوى وتهبط من معاقلها الوعول (١)
وجاؤوا ضارعين ، لهم خوار يجاوبه بكاء أو عويل
يبثُّ الوجدَ مبتئس حزين وتذرى الدمع والهة ثكول
قضاء الله من قتل وسبْى مضى ، والبغى دولته تدول

* * *

يقول الأوس إن القوم منا على عهد ، وقد طمتِ السيول (٢)

= مربوطًا حتى نزلت توبته فى قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٢] [سيرة ابن هشام :٣/ ١٤٣ـ١٤٤] .

(١) نزلوا على حكمه ﷺ فبرزوا من الحصن . وجاؤوه أذلاء ضارعين ، فأمر بهم فكتفوا ، وأخرج النساء والذرارى فجعلوا ناحية .
الوعول جمع وعل : وهو التيس الجبلى أو ذكر الأروى .

(٢) تواثبت الأوس وقالوا : يا رسول الله ، موالينا وحلفاؤنا ، وقد فعلت فى موالى إخواننا بالأمس ما قد فعلت يعنون بنى قينقاع حلفاء الخزرج ، وقد كلمه فيهم عبد الله بن أبي ابن سلول ، فوهبهم له على أن يجلوا ـ فقال : «**أما يرضيكم يا معشر الأوس أن يحكم فيهم رجل منكم ؟** » قالوا : بلى ـ فقال : « **فذلك إلى سعد بن معاذ** » .

مـوالـيـنـا ، إذا خَـطـب عـنـاهـم ... عـنـانـا مـا يُـشـقُّ ومـا يـعـول
وهـم حلـفـاؤنا ، نـحـنو عـلـيـهـم ... ونحـدب إن جـفـا الجِـدبُ الوصـول
أنـقـتـلهـم بـأيديـنـا ؟ ؟ فـعـفـواً ... رسـول الله إن أثـم الـضـلـول
فـقـال : جـعـلـت أمـر القـوم طـراً ... إلـى سـعـد فـنعـم هـو الـوكـيـل
وجـيء بـه ، يـقـول لـه ذووه ... تـرفـق ، إنك المـولـى الـنـبـيـل (١)
فـقال : دعـوا الـلجـاج فإن سـعـداً ... بـنـصـرة ربـه الأعـلـى كـفـيـل
فـصـاح يـقـول : واقـومـاه مـنـهـم ... رجـال عـزمـهـم واه كـلـيـل (٢)
أتـى ، فـأقـرَّ حـكـم الله فـيـهـم ... وآل الأمـر أحـسـن مـا يـؤول (٣)
عـلـيٌّ والـزبـيـر لـكـل عـضـب ... صـقـيـل منهـما عـضـب صـقـيـل (٤)
هـمـا اسـتـبـقا نـفـوس القـوم نهـبًا ... وروح الله بـيـنـهـمـا رسـيـل (٥)

* * *

تـقـدم يـا حـيـى فـلا مـحـيـص ... ورِدْ يـا كـعـب مـا ورد الزمـيـل (٦)

---

(١) بعث النبى ﷺ إلى سعد بن معاذ وكان فى خيمة رفيدة الأسلمية فحمله بعض قومه على حمار وهم يقولون له :يا أبا عمرو أحسن فى مواليك ، فإن رسول الله ﷺ إنما ولاك ذلك لتحسن فيهم ، فقد رأيت ابن أبى وما صنع فى حلفائه ـ كانوا يقولون ذلك له وهو ساكت فلما أكثروا عليه قال: لقد آن لسعد أن لا تأخذه فى الله لومة لائم . فصاح بعضهم : واقوماه .

(٢) واه كليل :بمعنى ضعيف .

(٣) جاء سعد فقال لبنى قريظة : أترضون بحكمى ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أحكم فيكم أن تقتل الرجال ، وتغنم الأموال ، وتسبى الذرارى والنساء .

(٤) كان الذى تولى قتلهم على بن أبى طالب والزبير بن العوام .

(٥) الرسيل : المرسل ، والموافق فى النضال وغيره .

(٦) جيء بحيى بن أخطب مجموعة يداه إلى عنقه بحبل . فقال له النبى ﷺ : « **ألم يمكن الله منك يا عدو الله ؟** » قال : بلى ، أما والله ما لمت نفسى فى عداوتك ، ولكن من يخذل الله يخذل ، ثم أقبل على الناس فقال : أيها الناس إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقدر ، وملحمة كتبها الله على بنى إسرائيل ، ثم جلس فضربت عنقه . أما كعب بن أسد فقال له بعض قومه : يا كعب ما تراه يصنع بنا ؟ قال :فى كل موطن لا تعقلون،=

لكل من شقاء الجِدِّ وِرد ... وسَجْل من منيته سجيل (١)
أصابكما من الأقدار رام ... هوى بكما ، فشأنكما ضئيل
لبئس السيدان لشر قوم ... همُ البرحاء والداء الدخيل (٢)
منابت فتنة خبثت وساءت ... فلم تطب الفروع ولا الأصول
قلوب من سواد القوم عميٌ ... وألباب من الزعماء حول
أضلَّهُمُ الغباء ، فهم كثير ... وعمهم البلاء ، فهم قليل
تخطَّفهم هريت الشدق ضار ... له من محكم التنزيل غيل (٣)
فما نجت النساء ولا الذرارى ... ولا سلم الشباب ولا الكهول
تهلّلت المنازل والمغانى ... وأشرقت المزارع والحقول
وبات الحصن مبتهجًا ، عليه ... لآل محمد ظل ظليل

* * *

لعمر الهالكين لقد تأذّى ... تراب فى حفائرهم مَهيل (٤)
طوى رجسًا تكاد الأرض منه ... تمور بمن عليها أو تزول (٥)
يساق السبْى ، شرذمةٌ بنجد ... وأخرى بالشآم لها أليل (٦)
جلائب ، لا أب فى السوق يحمى ... ولا ولد يذبُّ ، ولا حليل (٧)

= أما ترون أن من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل . . . قد دعوتكم إلى غير هذا فأبيتم على، قالوا : ليس حين عتاب

(١) السجل: الدلو وسجيل بمعنى عظيم ،ولا يقال له سجل إلا إذا كان ممتلئًا ،والجد:الحظ .

(٢) البرحاء : الأذى الشديد.

(٣) واسع الشدق من صفات الأسد ،والمراد به النبى ﷺ .

(٤) أمر النبى ﷺ فحفرت الحفائر ، ثم ألقى قتلى بنى قريظة فيها وهيل عليهم التراب .

(٥) تمور : تضطرب .

(٦) بعث النبى ﷺ سعد بن زيد الأنصارى ببعض سبايا بنى قريظة إلى نجد ، وسعد بن عبادة ببعض منها إلى الشام ليبتاعا بها خيلا وسلاحًا ـ الأليل : الأنين ، ورفع الصوت بالصراخ عند المصيبة .

(٧) جلائب : مسوقات ، يذب : يدفع .

تُجَر على الهوان ، ولا مغيث ... بأرض ما تجرّ بها الذيول
أصاب المسلمون بها سلاحًا ... وخيلا في قوائمها الحجول
مكرمة ، تُعدُّ لكل يوم ... كريم الذكر ، ليس له مثيل
إذا ذكرت مناقبه الغوالى ... تعالت أمة ، واعتزّ جيل
مناقب ما يزال لها طلوع ... إذا الأقمار أدركها الأفول
لها من نابه الأدب انبعاث ... فما يُخفى زواهرها الخمول
ضمنتُ لها البقاء وإن عنتنى ... من الدهر العوائق والشغول
وما تغنى الخزائم حين تُلوَى ... إذا انطلقت لحاجتها الفحول
تُخلّدُها مصونات حسان ... حرائرُ ، ما لها أبدًا مُذيل
صفايا الشِّعر ، ولا خلق زرىٌّ ... يخالطها ، ولا أدب هزيل
لعلّ الله يجعلها ربيعًا ... لألباب أضرّ بها المحول
فواأسفا ، أتُطمعنى القوافى ... فيخلف مطمع ، ويخيب سول ؟
وواحربًا ، أما يُرجى فكاك ... لأسرى ما تفارقها الكبول ؟ [1]

* * *

(١) يقصد الأمم الإسلامية المغلوبة على أمرها فى أيامنا هذه .

ثابت بن قيس رضي الله عنه (١)

والزبير بن باطا

كان الزبير بن باطا (بزاى مفتوحة ، وقيل : مضمومة) شيخًا من بنى قريظة مَنَّ على ثابت بن قيس فى الجاهلية يوم بعاث ـ حرب بين الأوس والخزرج ـ كان الظفر فيها للأولين أخذه فجز ناصيته ، ثم خلى سبيله .

سأل ثابتا رضي الله عنه أن يشفع له لدى النبى ﷺ لينجو من القتل ، فجاءه وذكر له ما كان من أمره معه ، وقال :

يا رسول الله إنها يد أحفظها له ، وأحب أن أجزيه بها ، فقال : « **هو لك** »، وعاد فأخبر الزبير فقال : شيخ كبير لا أهل له ولا ولد ، فما يصنع بالحياة ؟

ورجع ثابت فكلم النبى ﷺ فى أهله وولده . فقال : « **هم لك** » ، وأخبر الشيخ فقال : أهل بيت بالحجاز لا مال لهم ، فما بقاؤهم على ذلك ؟؟ وشفع ثابت فى ماله ، فقال له الرسول الكريم : « **هو لك** » .

قال اليهودى : أما أنت فقد قضيت ما عليك ، فماذا فعل بالذى كان وجهه مرآة مضيئة ، تتراءى منها عذارى الحى يعنى كعب بن أسد سيد بنى قريظة ؟ قال ثابت : قتل ، قال : فما فعل بسيد الحاضر والبادى من يحملهم فى الجدب . ويطعمهم فى المحل : حيى بن أخطب ؟ قال : قتل . . . ثم سأله عن آخرين من سادات قومه . فقال : قتلوا ، قال : أسألك يا ثابت أن تلحقنى بالقوم ، فوالله ما فى العيش بعد هؤلاء من خير ، أأرجع إلى دار قد كانوا فيها حلولا فأخلد

---

(١) هو ثابت بن قيس بن شماس بن ملك بن امرئ القيس بن مالك بن الأعز بن ثعلبة بن كعب ابن الخزرج بن الحارث بن الخزرج . وأمه : هند بنت رهم بن حبى بن الأعز بن ظريف بن عيد رضا من طئ ، ويقال بل : كبشة بنت واقد بن عمرو بن الاطنابة . شهد أحد وباقى المشاهد ، استشهد يوم اليمامة . [الإصابة : ١/٣٩٥ ، سير أعلام النبلاء : ١/٣٠٩ ـ الطبقات : ٤/٣٤٢] .

فيها؟؟

قال ثابت : ما كنت لأقتلك ، وقدمه إلى الزبير بن العوام ﷺ فقتله .

كذلك يَشقى الجامح المتعسف ويركب متن الظلم من ليس ينصف
يموت بسوء الرأى من ساء خلقه وللمرءِ ذى التقوى عن الغى مصرف
أضاع الزبير الأمر مقبل وآثر حد السيف ، والسيف يصدف
سعى ثابت يجزيه سالف صنعه لدى محسن يُسدى الجميل ويعطف
فقال رسول الله جئتك شافعًا لشيخ دعانى ضارعًا يتلهف
حبانى دمى يوم البعاث وفكّنى وتلك يد بيضاء للشيخ تُعرف
فهبه رسول الله لى إننى به على ما ترى من شأنه لمكلف
فقال : فعلنا ، ثم عاد شفيعه يبشره بالعفو ، والشيخ يرجف
فجدّ له فى المحسن السمح مطمع وقال : حياة شرها ليس يوصف
بنِىً وأهلى ليس لى إن فقدتهم سوى الموت ، إنى عن حياتى لأعزف
فلما تسنّى الأمر قال لثابت أنبقى بلا مال ، فنشقى ونتلف ؟
وجاد رسول الله بالمال رحمة وبرًا فراح الشيخ يهذى ويهرف
يسائل عن كعب وسادات قومه ويُطري سجاياهم ، فيغلو ويسرف
توجّع لما قيل : ذاقوا حِمامهم وقال : أريد الموت ، فالعيش أخوف
خذ السيف واضرب يا ابن قيس فإنهم هم الصحب ، مالى بعدهم متخلف
كفى حزنًا يا صاحبى أن تضمنى ديار بهم كانت تُحبُّ وتؤلف
أرحنى أرحنى يا ابن قيس بضربة تبيت لها نفسى ترف وتنطف
تزودت من نأى الأحبة غُلة فهل أنت للصادى المعذب مسعف ؟
فقال : معاذ الله ، لست بفاعل ومثلى يا أبى ما تريد ويأنف
وجاء به يلقى الزبير على أسى يغالبه ، والموت بالشيخ يهتف
وقال : اسقه ريّ الغليل من الردى فطاح به ماضى الغرارين مرهف (١)

(١) غرار السيف : حده .

فيالك من رأى سفيه ومركب كريه ، وخطب فادح ليس يكشف
قضى ثابت حق المروءة وافيا وبرً رسول الله والبرّ مجحف
ولكنّ شيخ السوء أهلك نفسه وذو الجهل يُرمى من يديه ويقذف

❊ ❊ ❊

سَعد بن معاذ رضي الله عنه

فى خيمةِ رفيدةَ الأسلمية

لما رمى حبان بن العرقة سعد بن معاذ رضي الله عنه فى غزوة الخندق بسهم فى أكحله أمر النبى ﷺ أن يوضع فى خيمة رفيدة الأسلمية رضي الله عنها ، وكانت فى جانب من مسجده ليعوده من قرب ، فلما عاد إليها بعد أن أمضى رأيه فى بنى قريظة انفجر جرحه ، فإذا الذين فى المسجد يرون الدم يسيل إليهم ـ وله هدير من خيمة زوج رفيدة ، وهو من (بنى غفار) فسألوا فقيل لهم : إنه سعد بن معاذ انفجرت جراحته فمات ـ وقد كان يسأل الله حين أصابه ذلك السهم أن لا يميته حتى يشفى صدره من بنى قريظة وقد شفاه .

هدأ المخيم ، واطمأنَّ المضجع ... وأبى الهدوءَ الصارخ المتوجع

الحقُّ جنْبٌ بالجراحة مثخن ... وحشاشة تهفو وقلب يفزع [1]

يا سعد خطبك عند كل موحد ... خطب يجىء به الزمان ويرجع

السهم حيث تراه ، لا آلامه ... تُرجَى عواقبها ، ولا هو ينزع

ما أنت حيث يكون سيد قومه ... أين الولائد والفناء الأوسع ؟ [2]

لك من رُفَيدة خيمة فى مسجد ... للمعشر الجَفَلى تقام وترفع [3]

بل تلك منزلة الصفى ، بلغتها ... فوفى الرجاء ، وصحَّ منك المطمع

حدِبَ الرسول عليك ، يكره أن يرى ... مثواك مطرح الجوار ويجزع [4]

جارَ الرسولِ وما بليت بحاسد ... الخير والرضوان عندك أجمع

---

(١) أثخنته الجراحة : أوهنته وأعجزت قواه .

(٢) الولائد : جمع وليدة وهى الصبية والأمة ، أو التى تستوصف قبل أن تحتلم .

(٣) الجفلى : جماعة الناس وعامتهم .

(٤) حدب : بمعنى عطف .

قال : اجعلوا البطل المنوّهَ باسمه ... منّي على كثب ، أراه وأسمع [1]
وَأعُودُهُ ما شئتُ ، أقضي حقه ... وأرى قضاء الله : ماذا يصنع ؟
حسب المجاهد أن يكون بمسجدى ... فلذلك الحرم الأعزُّ الأمنع

* * *

الله خصمك يا ابن قيس إنه ... سهم أصيب به التقي الأروع [2]
لا أخطأتك من الجحيم وحرها ... مشبوبة فيها تدَعُّ وتدفع [3]

* * *

لمن الدم الجارى ، يظل هديره ... ملء المسامع دائبًا ما يُقلع ؟
أفما ترون بنى غفار أنّه ... من عند خيمتكم يفيض وينبع ؟
ماذا بِسَعْدِ يا رُفَيْدةُ خَبِّرى ... إن القلوب من الجنوب تَطلع ؟
يا حسرتا : هو جرحه يجرى دمًا ... بعد الشفاء ، ونفسه تتمزع
حضرت منيته ، وحُمَّ قضاؤه ... ولكل نفس يومها والمصرع

* * *

ضجَّ النعاة ، فهزَّ يثرب وجدها ... وهفا بمكة شجوها المتنوع [4]
ركن من الإسلام زال وما انتهى ... بانيه ، ذلكم المهمُّ المفظع [5]

(١) على كثب : على قرب .

(٢) هو حبّان بن العرفة ابن العرقة .

(٣) دعه : دفعه دفعا عنيفا

(٤) الوجد : الألم ، والشجو : الحزن .

(٥) عن جابر بن عبد الله قال: جاء جبريل إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال : من هذا العبد الصالح الذى مات فتحت له أبواب السماء ، وتحرّك له العرش ؟ قال: فخرج رسول الله ﷺ فإذا سعد بن معاذ . قال : فجلس رسول الله ـ ﷺ على قبره وهو يدفن . فبينما هو جالس إذ قال : سبحان الله . مرتين ، فسبح القوم . ثم قال : الله أكبر ، فكبّر القوم ، ثم قال: عجبت لهذا العبد الصالح شُدِّد عليه فى قبره حتى كان هذا حين فرّج له [البيهقى فى الدلائل : ٤/٢٩] ، وعن جابر ؛ قال: قال رسول الله ﷺ لسعد يوم مات وهو يدفن : « سبحان الله لهذا العبد الصالح الذى تحرّك له عرش الرحمن، وفتحت له أبواب السماء ،شدد عليه ، ثم فرّج الله عنه » [أحمد : ٣/٣٢٧] .

خطب أصاب المسلمين ، فذاهل   ما يستفيق ، وجازع يتفجع

* * *

صبراً رسول الله إن تك شدة   نزلت ، فإنك لَلأشدّ الأضلع
أنت المعلم لا شريعة للهدى   إلا تُسنُّ على يديك وتُشرع
تمضى على المثلى ، وكل يقتفى   وتجىء بالفضلى ، وكلٌّ يتبع
أقم الصلاة على الشهيد وسرْ به   فى ظل ربك ، والملائك خشَّع (١)
يمشون حول سريره عدد الحصى   فالأرض ما فيها لرجلك موضع
تمشى بأطراف الأصابع ، تتقى   ولقد تكون وما تُوقى الإصبع
العرش مهتز الجوانب ، يحتفى   والله يضحك ، والسماء تُرجِّع (٢)

* * *

يا ناهضًا بالدين ، يحمل عبأه   والبأس يعثر ، والسوابق تظلع

---

(١) ورد فى خبر وفاته أن سبعين ألفًا من الملائكة نزلوا لتشييعه إلى قبره ، وإن شأنه فى ذلك كان كشأن ثعلبة بن عبد الرحمن الأنصارى عن ابن عمر ؛ قال: قال رسول الله ـ ﷺ ـ « لقد نزل لموت سعد بن معاذ سبعون ألف ملك ما وطئوا الأرض قبلها . » ، فإن النبى ﷺ سئل بعد دفنه : لم كان يمشى على أطراف أنامله وهو يشيع جنازته فقال : «**والذى بعثنى بالحق ما قدرت أن أضع قدمى من كثرة ما نزل من الملائكة لتشييعه** » .
وعن سلمة بن أسلم بن جريش ، قال : دخل رسول الله ﷺ وما فى البيت أحد إلا سعد مسجى ، فرأيته يتخطى . وأوماء إلى : قف . فوقفت ورددت من ورائى ،وجلس ساعة ثم خرج فقلت يا رسول الله ما رأيت أحدًا ورأيتك تتخطى فقال : « **ما قدرت على مجلس حتى قبض لى ملك من الملائكة أحد جناحيه** » .

(٢) تواترت الروايات باهتزاز العرش لموته ،وهذا لفرح الملائكة بقدوم روحه ولما حمل على نعشه جعلت أمه تبكى فقال لها النبى ﷺ : « **ليرقأ دمعك ، ويذهب حزنك ، فإن ابنك يضحك الله له** » قال صاحب السيرة :وهذا كناية عن إقبال الله تعالى عليه بالروح والريحان والمغفرة والرضوان ،ورجع الرجل ، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ، وردد صوته فى حلقه ، والمؤذن أتى بكل من الشهادتين مرتين خافضا صوته ،ومرتين رافعًا إياه .

اهنأ بها حللا حملت حسانها ... نوراً على نور يضيء ويسطع (١)
هذا مكانك ، لا العطاء مقتَّر ... عند الإلهِ ، ولا الجزاء مُضَيَّع
لك يوم بدر عند ربك مشهد ... هو للهدى والحق عرس مُمتع
نُصِر النبى به على أعدائه ... والجو يُظلم ، والمنايا تلمع
كانت مقالَة مؤمن صدعت قوى ... زعمت قريش أنها لا تُصدَع (٢)
بعثت من الأنصار كل مدرَّب ... يقظ المضارب ، والقواضب هُجَّع
يا سعد ما نسى العريشَ مُقيمُه ... يحمى غياث العالمين ويمنع (٣)
لما توالى الزحف جئت تحوطه ... وتردُّ عنه المشركين وتردع
فى عصبة ممن عليك دعوتها ... فالبأس يدلف ، والحمية تسرع
قمتم صفوفًا كالهضاب ، يشدها ... راس على الأهوال ، ما يتزعزع
ولقد رميت بنى قريظة بالتى ... سمع المجيب فهالك ومُروَّع (٤)
أحببْ بها من دعوة لك لم تمت ... حتى أصابك خيرها المتوقَّع
نقع الإله غليلَ صدرك ، إنه ... يشفى صدور المؤمنين وينقع
إن شيعوك فلم تجدنى بينهم ... فالخطب خطبى ، والبيان مشيِّع
الدهر معمور بذكرك آهل ... ما فى جوانبه مكان بلقع

---

(١) أهديت إلى النبى ﷺ حلة من الحرير فجعل أصحابه يسمونها ويعجبون من لينها فقال لهم : « **أتعجبون من لين هذه الحلة ، والذى نفس محمد بيده لمناديل سعد في الجنة خير منها وألين** ».

(٢) إشارة إلى قوله هو والمقداد بن عمرو الملقب بابن الأسود للنبى ﷺ عند الخروج لغزوة بدر الكبرى ـ ولم يخرج الأنصار معه قبل هذه الغزوة : يا رسول الله امض لما أمرك الله فنحن معك ، لسنا نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون ـ ولكنا نقاتل عن يمينك وعن شمالك ، وبين يديك وخلفك ، إلى آخر ما قال .

(٣) توسل إلى النبى ﷺ يوم بدر أن يبنى له عريشًا على تل يشرف منه على المعركة فقبل ، ولما التحم القتال جاء مع جماعة من الأنصار فوقفوا أمام العريش بسيوفهم مع أبى بكر الصديق .

(٤) هو الله تبارك وتعالى .

رفيدة الأسلمية

أقامت هذه السيدة الفاضلة خيمة لمداواة جرحى المسلمين الذين ليس لهم من أهليهم وذوى قرابتهم من يقوم عليهم ، ويتولى أمورهم ، وكانت هذه الخيمة المباركة فى ناحية من مسجد الرسول الكريم بالمدينة .

رفيدة علمى الناس الحنانا ... وزيدى قومك العالين شانا
خذى الجرحى إليك فأكرميهم ... وطوفى حولهم آنًا فآنا
وإن هجع النيام ، فلا تنامى ... عن الصوت المردَّد حيث كانا
أعينى الساهرين على كلوم ... تؤرِّقهم ، فمثلك من أعانا (١)
همُ الأهلون ، ما عرفوا أنيسًا ... سواك لهم ، ولا وجدوا مكانا
حباك الله من تقواه قلبًا ... وسوًى من مراحمه البنانا
رفعت لأسلمٍ ذكرًا جليلا ... يزاحم فى مواكبه الزمانا
ضيوف الله عندك فى محلّ ... تذكِّرنا محاسنه الجنانا
فيالك خيمةٌ للبر فيها ... جلال لا يرام ولا يُدانى
جلال الله ألقاه عليها ... فجمّلها بروعته وزانا
نسيج من شعاع الحق بدْع ... نزيد على الزمان به افتتانا
تقِلُّ بدائع النساج عنه ... وإن نسجوا اللجَيْن أو الجمانا (٢)
وما يجد الأديب الفرد وصفًا ... يحيط به ، ولو أفنى البيانا
له فى الذهن ترجمة ومعنى ... جليل الشأن ، يعيى الترجمانا
لسانى مُوثَق، يارب هب لى ... جناح الريح أجعله لسانا
فأذهب حيث شئت من القوافى ... وأرسلها محببة حسانا

---

(١) الكلوم : الجروح .

(٢) اللجين والجمان : الفضة والذهب .

وألبسها رفيدة معجبات ضوامن أن تُجلَّ وأن تصانا

* * *

رُفيدة جاهدى ودعى الهوينى فما شرف الحياة لمن توانى
وربَّ مجاهد بلغ الثريَّا وما عرف الضراب ولا الطعانا
وكم هزّ الممالك فى علاها فتى ما هزَّ سيفًا أو سنانا
ومن لم يمتحن دنيا المعالى فما امتحن الشجاع ولا الجبانا
رفيدة ذلك الإسلام حقا تبارك من هداك ومن هدانا
تبارك ربنا ألقى علينا سنا الوحى المنزَّل واصطفانا
هدينا العالمين به ، وإنا لنحن القوم ، لا هادٍ سوانا

* * *

سعد بن عُبادة رضي الله عنه

كان طعام المسلمين فى هذه الغزوة التمر يرسله سعد بن عبادة رضي الله عنه، فهو الذى مون الجيش ، ومن مناقبه أنه أبى على عيينة بن حصن والحارث بن عوف أن يأخذا نصف تمر المدينة ليرجعا بمن معهما فى غزوة الخندق ، وكان سعد ابن معاذ رضي الله عنه على رأيه فى ذلك ، ومن هذه المناقب طوافه على الأنصار يستنفرهم للقتال فى غزوة بدر ، وقد غاب عن هذه الغزوة المباركة ؛ لأن حية نهشته فلم يقدر على الغزو ، وقال النبى ﷺ فى ذلك : « **لئن لم يشهدها سعد لقد كان حريصًا عليها**» ثم ضرب له بسهمه وأجره .

كان رضي الله عنه نقيب بنى ساعدة (من الخزرج) ومات بحوران من أرض الشام فى السنة الرابعة عشرة ـ فى خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقبره بالمنيحة (قرية من غوطة دمشق) [١] .

يا مطعم الجيش أشبعت السيوف دما ... لولاك ما شبعتْ يومًا ولا طعِما
أنت الحياة جرت في كل منطلق ... تغشى الكمىَّ ، وتغشى الصارم الخذما [١]
تتبع الجود ، لا بخل ولا سأم ... دين المروءة يأبى البخل والسأما
المسلمون يد لله عاملة ... تمضى أصابعها فى شأنها قدما
لا تشتكى إصبع من إصبع وهنًا ... ولا تغايرها إذ تشتكى الألما

* * *

يا سعد أديت حق الله من ثمر ... لو كان من ذهب ما زدته عظمًا

---

(١) سعد بن عبادة بن دُلَيم بت أبى حَزِيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة ويكنى « أبا ثابت . وأمّه عمرة بنت مسعود بن قيس بن عمرو بن زيد مناة عدى بن عمرو بن مالك بن النجار بن الخزرج . [تهذيب الكمال: ١٠/٢٧٧ـ سير أعلام النبلاء : ١/٢٧٠، الطبقات : ٣/٥٦٦] .

(٢) الكمى : الشجاع والصارم الخذم : السيف القاطع .

كذلك الخير ، يُدعَى المرء مغنَما ... إن راح ينهبه في القوم مغتنما
زادتك نخلك يا سعد بن ساعدة ... فضلا ، وزادت على أمثالها كرما
هذا جناها بأيدى القوم منتَهب ... والله يكتب، فانظر، هل ترى القلما ؟
أحصاه يا سعد عدا ثم ضاعفه ... فلست تحصيه حتى تحصىَ الأمما

* * *

ادفع عيينة واردع جهل صاحبه ... إن الحديث حديث الدهر لو علما
تمر المدينة ما فيه مساومة ... أو يرجعَ السيف عنه مترعًا بشما [١]
طعام كل فتى لله منتدب ... لا يغمد السيف عمن يطعم الصنما
منعته ونصرت الله فى همل ... من عصبة الشرك لا يرضَوْنه حكما
وصنته علمًّا للحق تحفظه ... لا يحفظ العرض من لا يحفظ العلما
ما يصنع الناس إن ضاعت محارمهم ؟ ... وما على الأرض أن لا تحمل الرمما ؟

* * *

ألم تُهِبْ يوم بدر بالألى نفروا ... للحرب ، يصلَون من نيرانها ضرما ؟
يا قوم إن جموع الكفر حاشدة ... فأين يذهب دين الله إن هُزما ؟
إن لم يبتْ ناجيًا من سوء ما اعتزموا ... فلا نجا أحد منا ولا سلما

* * *

يا باعث القوم شتى من مجاثمهم ... ما بال عزمك فى آثارهم جثما ؟
من حيّة السوء ألقيت السلاح على ... كره ، ورحت تعانى الهم والسقما
كنت الحريص عليها وقعة جللا ... لم تُبق للكفر من آطامه أطما [٢]
كذاك قال رسول الله فابتهجت ... منك المشاهد لم تنقل لها قدما
أعطاك سهمك يجزى نية صدقت ... شريعة الله ، ما حابى ولا ظلما

---

(١) مترعا : ممتلئا ، بشما : متخما .
(٢) الآطام : الحصون .

غزوة بنى لحيان

كانت فى ربيع الأول من السنة السادسة [١] ، وسببها حزن النبى ﷺ لما أصاب عاصم بن ثابت وأصحابه ، والمنذر بن عمرو الخزرجى وأصحابه (القراء السبعين) ﭫ من غدر بنى لحيان وفتكهم ، وكانوا قد طلبوا منه أن يبعث إليهم من يفقههم فى الدين ، ويدعوهم إلى الإسلام ، فقتلوا من قتلوا من الأولين فى (الرجيع) واستأصلوا هؤلاء عند (بئر معونة) وكانت الوقعة الأولى فى مستهل السنة الرابعة ، والثانية فى صفر من هذه السنة .

والواقعتان داخلتان فى باب السرايا ، وقد اعتمدنا فى ملاحمنا هذه أن نبدأ بالغزوات ثم نأتى بعدها بالسرايا [٢] فى مجموعة خاصة . فنحن إذًا لا نجرى على الترتيب التاريخى فى هذين البابين احتفاظًا بالوحدة النوعية فى كل باب .

خرج النبى ﷺ إلى هذه الغزوة فى مائة من أصحابه فخرج فى مائتى رجل ، واستخلف على المدينة ابن أم كلثوم ، فلما بلغ (وادى غراب) من منازل بنى لحيان، وهو المكان الذى قتل فيه أصحاب الرجيع ترحَّم عليهم ، ودعا لهم بالمغفرة ، فسمع القوم وهربوا فى رؤوس الجبال ، فأقام يومًا ـ أو يومين يبعث السرايا فى كل ناحية من نواحيهم فلا تجد منهم أحدًا ، ثم رجع ﷺ».

بنى لحيان لوذوا بالجبال ... وقوا مهجاتكم حرّ القتال
أمن غدر إلى جبن ؟ لعمرى ... لقد ضقتم بأخلاق الرجال
لكم من خصمكم عذر مبين ... فليس لناره فى الحرب صال

---

(١) قال ابن اسحاق : وخرج فى جمادى الأولى على رأس سنة فتح قريظة إلى بنى لحيان وهى عند ابن سعد لغرة شهر ربيع الأول سنة ست [عيون الأثر: ٢/ ١١٣ و البداية والنهاية : ٤/ ٥٠٥ .

(٢) يفهم من هذا أنه سيأتى بالسرايا فقط ولكنه جاء من بعد ذلك بعدد من الغزوات .

أما انصدعت قواكم إذا أخذتم ... صحابته بمكر واحتيال ؟ [١]
كذبتم ، ما لأهل الشرك عهد ... وما الكفار إلا في ضلال
قلتم عاصمًا بطلا مجيدًا ... مخوف الكر ، مرهوب النزال [٢]
فنون الحرب تعرفه عليما ... بأسرار الأسنَّة والنصال
وتشهد أنه البطل المرجى ... إذا فزع الرماة إلى النبال
رماكم ، ثم جالدكم ، فأدّى ... أمانته ، وأودى غير آل
وقاتِلُ عقبةٍ في يوم بدر ... أيحفل حين يقتل أو يبالي ؟ [٣]

(١) أصحاب الرجيع وهم عاصم بن ثابت ، ومرثد بن أبي مرثد الغنوي ، وخبيب بن عدي الأوسي البدري ، وزيد بن الدثنة ، وعبد الله بن طارق ، وخالد بن البكير ، وزاد بعضهم معتب بن عبيد وبعضهم مغيث بن عوف رضي الله عنهم لما بلغوا الرجيع ـ اسم ماء هذيل ابن مدركة بن إلياس بين مكة وعسفان ـ مع الذين بعثهم النبي ﷺ معهم غدر هؤلاء بهم ، واستصرخوا هذيلا ليعينوهم عليهم ، فثار إليهم القوم بأيديهم السيوف . وهم في رحالهم ، وكانوا نحو مائتي رجل ، فأخذ عاصم ومن معه أسيافهم ليقاتلوهم فقالوا : إنا والله لا نريد قتلكم ، ولكن عهد الله وميثاقه ، فأما عاصم ومرثد وخالد فقالوا : والله لا نقبل من مشرك عهدا . وقاتلوا حتى قتلوا . وأما زيد وخبيب وعبد الله ، فرغبوا في الحياة واعتصموا ببعض الجبال . فأحاطوا بهم وقالوا : لكم العهد والميثاق أن لا نقتلكم إن نزلتم إلينا ، فما نزلوا حتى ربطوهم بأوتار القسي ، فقال عبد الله بن طارق : هذا أول الغدر ، لا أصحبكم ، إن لي بهؤلاء (يعني القتلى) أسوة ، فجردوه وعالجوه وهو يأبى فقتلوه ، وانطلقوا بخبيب وزيد إلى مكة ، فباعوا الأول لبني الحارث ابن نوفل ، لأنه هو الذي قتل عامر بن نوفل يوم بدر ، وباعوا الثاني لصفوان بن أمية لأنه هو الذي قتل أمية .

(٢) لما كانت ليلة العقبة أو ليلة بدر قال النبي ﷺ لمن عنده : « **كيف تقاتلون ؟** » فقام عاصم ابن ثابت فأخذ القوس والنبل وقال : إذا كان القوم قريبًا من مائتي ذراع كان الرمي ، وإذا دنوا حتى تنالهم الرماح كانت المداعبة بالرماح حتى تنقصف ، فإذا انقصفت وضعناها وأخذنا السيوف وكانت المجالدة ، فقال النبي ﷺ : « **هكذا أنزلت الحرب ، ومن قاتل فليقاتل كما يقاتل عاصم** » .

(٣) عقبة بن أبي معيط ـ في رواية أنه قتله بعد الانصراف من بدر .

أردتم بيعة لُينال وتر ... رويدًا ، إن صاحبكم لغال [١]
وليس لدى سلافة من كفاء ... لهامة ماجد سمح الخلال [٢]
حماة الله من دنس ورجس ... وسوء المنكرات من الفعال
شهيد الحق تحرسه جنود ... من الدبْر المسلَّح للنضال [٣]
وعبد الله فيم قتلتموه ... وسقتم صاحبيه بشر حال ؟ [٤]
طلاب المال يولع بالدنايا ... ويلوى المرء عن طلب المعانى
رضيتم بيع أنفسكم ببخس ... قليل النفع من إبل ومال

* * *

خُبيبٌ فى يدى جاف شديد ... يُعذَّب فى أدهمه الثقال [٥]
وزيد عند جبار عنيد ... يصبُّ عليه مختلف النكال
كلا أبويهما قتلا ببدر ... فتلك حفائظ الرمم البوالى
يزيدهما البلاء هدى وعلمًا ... بأن الحادثات إلى زوال
وأن لكل نفس منتهاها ... وإن طمع المضلّل فى المحال
لكل مشهد عجب ، عليه ... جلال الحق ، بورك من جلال
يروح الموت حولهما ويغدو ... يكشر عن نواجذه الطوال
وذكر الله متَّصل ، يوالى ... من العبَق المقدس ما يوالى [٦]
هو الإيمان ، من يشددْ قواه ... يزلزلْ فى الخطوب قوى الجبال

---

(١) كانوا يريدون بيعه لولى القتيل . والوتر : الثأر .

(٢) سلافة : امرأة قتل عاصم ابنيها مسافعًا وجلاسًا يوم أحد ،فجعلت لمن يجيئها برأسه مائة ناقة ، ونذرت لتشربن الخمر فى فلقة جمجمته .

(٣) الزنابير ، أرسلها الله فحمت جسده الطاهر ، ولم يستطع أحد أن يناله بسوء ،وكان قد دعا الله فقال :اللهم إنى حميت لك دينك صدر النهار فأحم لحمي آخره .

(٤) هو : عبد الله بن طارق .

(٥) الأداهم : القيود .

(٦) كان خبيب يتهجد بالقرآن فإذا سمعه النساء بكين ورققن عليه .

هنيئًا يا خُبَيبُ بلغت شأوا ... رفيع الشأن ، ممتنع المنال (١)

ملأت يديك من رزق كريم ... أتاك بغير كد أو سؤال

تنزَّل من لدن رب رحيم ... عميم الجود ، فيّاض النوال

كل العنب الجنىَّ ، وزده حمدًا ... على حمد يدوم مدى الليالى

تقول الحارثية ما لعينى ... أفى سحر تقلَّب أم خيال ؟

أرى عنبًا ، وما من ذاك شىء ... بمكة يا لها عظةَ ويالى

ويالكَ من أسير ما علمنا ... له بين الأسارَى من مثال

***

أتى الأجل الذى انتظروا وهذى ... سيوف القوم محدثةُ الصقال (٢)

فماذا فى يمينك يا خبيب ... وما بال الصغير من العيال ؟ (٣)

كان بأمة حذرًا عليه ... نوازع من جنون أو خبال

ترى الموسى بكفك ، وهو رهن ... بذبح فوق فخذك واغتيال

ولكنْ للكريم السمح ناه ... من الشيم السنيّة والخصال

وماذا كنت تحذر من عقاب ... وورد الموت محتضر السِّجال ؟ (٤)

وسعت عدوك الموتور حلمًا ... ومكرمة على ضيق المجال

فأيكما الذى رمت السَّجايا ... مروءته بأسر واعتقال

وأيكما القتيل ؟ ومن سيبقى ... حياة للأواخر والأوالى ؟

---

(١) قالت زينب بنت الحارث : والله ما رأيت أسيرًا خيرًا من خبيب ، لقد وجدته يأكل قطفًا من عنب مثل رأس الرجل ،وإنه لموثق بالحديد ،وما بمكة من ثمرة عنب وما كان إلا رزقا رزقه الله .

(٢) كان شراؤهما فى ذى القعدة فحبسوهما حتى تنتهى الأشهر الحرم .

(٣) لما أجمعوا على قتلهما استعار خبيب من زينب بنت الحارث موسى ليستحد به . فغفلت عن ابن لها صغير أقبل حتى جلس على فخذه والموسى فى يده فخشيت أن يقتله وفزعت لذلك ، فقال لها : أتخشين أن أقتله ؟ ما كنت لأفعل ذلك إن شاء الله .

(٤) السجال : جمع سجل وهو الدلو المملوء .

ألا إن الصلاة لخير زاد ... وإن الركب آذن بارتحال [(١)]
تزودْ يا خُبَيبُ وثق بربٍ ... لمثلك عنده حسن المآل
فسر في نوره الوضاح ، وألبس ... جمال الخلد في وطن الجمال
هنالك معرض لله فخم ... بديع الصنع ، لم يخطر ببال
أترضى أن ترى خير البرايا ... مكانك ؟ ساء ذلك من مقال [(٢)]
صدقت خبيب إنك للعوادى ... إذا هى أخطأته لذو احتمال
تبيع بشوكة تؤذيه نفسًا ... تشكُّ صميمها صم العوالى
كذلك قال زيد الخير لما ... تردَّى فى السفاهة كل قال [(٣)]
همو قتلوك مصلوبا وأغروا ... به وبك الضعاف من الموالى
رفيقك فى التجلُّد والتأسى ... وخدنك فى التقدم والصيال
أتعتزلان دين الله خوفًا ؟ ... فمن أولى بخوف وابتهال ؟ [(٤)]
معاذ الله ، إن الله حق ... وإن المجرمين لفى وبال
لدين الشرك أجدر باجتناب ... وأخلق باطِّراح واعتزال
هو الداء العضال لمبتغيه ... وكل الشر فى الداء العضال
كمال النفس إيمان وتقوى ... وماذا بعد مرتبة الكمال ؟

---

(١) لما خرجوا بخبيب ليقتلوه قال : اتركونى أصلى ، فتركوه فصلى ركعتين ثم انصرف إليهم وقال : لولا أن تقولوا جزع من الموت لزدت ، ثم قال :اللهم أحصهم عددًا ، ولا تبق منهم أحدًا ، واقتلهم بددًا ، وأنشد أبياتا منها :

ولست أبالى حين أقتل مسلمًا ... على أى جنب كان فى الله مصرعى
وذلك فى ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

(٢) لما أرادوا قتله شدوه إلى خشبة طويلة ،وأعملوا فيه الرماح والحراب ، ثم قالوا له : أتحب أن محمدًا مكانك ؟ قال : لا والله ما أحب أن يفدينى بشوكة فى قدمه .

(٣) كذلك قالوا لزيد بن الدثنة وقال لهم مثل صاحبه .

(٤) قالوا لخبيب : ارجع عن الإسلام أو لنقتلنك . قال : إن قتلى فى سبيل الله لقليل ، وهكذا قالوا لصاحبه فأجاب بمثل هذا .

حبيس الأربعين ألا انطلاق ... كفاك : ألم تزل مُلْقَى الرحال ؟ (١)
أسرَّك أن تظل مدى الليالى ... جميع الشمل ، موصول الحبال
على خرقاء يكره من يراها ... طلاب الودِّ منها والوصال (٢)
علقت بها ، فما أحدثت هجراً ... ولا حدَّثت نفسك بالزيال (٣)
يمل المرء صاحبه فيشقى ... بصحبته ، وما بك من ملال
ويسلو كل ذى شجن ووجد ... وأنت على مصابك غير سال
بليت بكل ذى قلب غبيٍ ... غدافى من الإيمان خال (٤)
لأنت الحجة الكبرى عليهم ... فما نفْعُ المراء أو الجدال ؟

* * *

تأهبْ يا خبيب أتاك غوث ... يؤمك فى ركائبه العجال (٥)
مضى بك ، يتبع الغرماء منه ... بعيد مدى التعلل والمطال
تقاضوه فما ظفر التقاضى ... بغير علالة النقع المدال (٦)
قطيع من طغام القوم يعدو ... على آثاره عدو الرئال (٧)
فلما أوشكوا أن يدركوه ... أهاب : عليك يا رب اتكالى
وألقى بالشهيد فغيبته ... طباق الأرض كنزاً من لآل

---

(١) هو خبيب ، تركوه مصلوبًا على خشبته بعد قتله أربعين يومًا ،وحوله الحراس ليراه الناس.

(٢) الخرقاء : المراد بها الخشبة

(٣) الزيال : الفراق .

(٤) الغداف : الغراب والغدافى ما أشبه لونه .

(٥) بعث النبى ﷺ الزبير بن العوام والمقداد بن عمرو لإنزال خبيب عن خشبته ، فوجدا عنده أربعين رجلا يحرسونه ،ولكنهم سكارى نيام فحمله الزبير على فرسه وهو رطب لم يتغير منه شيء، وشعر بهما المشركون فانطلقوا وراءهما ، فلما لحقوا بهما بعد جهد قذفه الزبير فابتلعته الأرض .

(٦) المدال : المسبل .

(٧) الرئال : أفراخ النعام ، واحدها رأل .

يزين المسلمين إذا تداعت ... شعوب الأرض من عطل وحال
طوت جسدًا من الريحان رطبًا ... عليه جلالة الشيخ البجال (١)
قضى ، وكأنه حى يُرجَّى ... لحسن الصنع من صحب وآل
يدير القوم أعينهم حيارى ... كأن الله ليس بذى محال (٢)
ويأسف معشر باتوا سهارى ... تفيض جراحهم بعد اندمال
أجاب الله دعوته ، فبادوا ... وعادوا مثل محترق الذبال (٣)

* * *

بنى لحيان ما صنع ابن عمرو ... وماذا بالأسُود من النمال ؟ (٤)
قتلتم صحبه وصرعتموه ... فيا للؤم والخلق الرُّذال
ولولا العذر لم يخشوا أذاكم ... وهل تخشى القروم أذى الأفال ؟ (٥)
أأصابُ اليمن بكم أصيبوا ... لأنتم شر أصحاب الشمال

* * *

بنى لحيان واعجبى لبأس ... خبت جمراته بعد اشتعال
فررتم ، تتقون الموت زحفًا ... على القمم الشواهق والقلال (٦)

---

(١) البجال : السيد العظيم المبجل من الناس .

(٢) المحال : القوة .

(٣) الذبال : جمع ذبالة ،وهى الفتيلة للسراج .

(٤) هو المنذر بن عمرو ، بعثه النبى ﷺ هو وأصحابه القراء مع أبى عامر بن مالك ملاعب الأسنة لما قدم عليه فقال : إنى أرى أمرك هذا أمرًا حسنًا شريفًا ، فلو بعثت رجالا من أصحابك إلى أهل نجد فدعوتهم إلى أمرك رجوت أن يستجيبوا لك ، قال له: «إنى أخشى أهل نجد عليهم» . فقال أبو عامر : هم فى جوارى وعهدى ، فساروا بكتاب من النبى ﷺ إلى عامر بن الطفيل سيد بنى عامر ، فلما انتهوا إلى بئر معونة ذهب أحدهم بهذا الكتاب إلى عامر فلم ينظر إليه وقتله . ثم صاح بقوم من بنى لحين ورعل وذكوان فقتلوا القراء وبقى بكعب بن يزيد رمق فحمل من المعركة وعاش بعد ذلك واستشهد فى غزوة الخندق ، ونجى الله منهم عمرو بن أمية الضمرى ورجلا آخر .

(٥) الأفال : جمع أفيل وهو الفصيل .

(٦) وعال: رؤوس الجبال .

هو المسخ المُبين ، فمن أسود ... تصيد القانصين إلى وعال [1]
دعوا الشرك المذلّ إلى حياة ... من الإسلام وارفة الظلال
هو الدين الذى يُحيى البرايا ... ويصلح أمرهم بعد اختلال
يَظلُّ النور فى الآفاق يسرى ... ويسطع ما تلا القرآن تال

* * *

أرى أممًا على الغبراء مرضى ... تَبَطَّن جوفَها داء السلال
تخال أشد خلق الله بأسا ... على الضعف المبرِح والهزال
إذا ملأت جوانبها دويًا ... فلا تغررك جلجلة السعال
مخضبة الجنان لكل صيد ... يعنُّ ، وتلك أنياب السعالى [2]
حيارى لا تريد الحق نهجًا ... ولا تدع الحرام إلى الحلال
ألا هادٍ يقومٌ من خطاها ... ويحسم داءها بعد اغتلال ؟

* * *

---

(١) وعال : جمع وعلة وهى أنثى الوعل .
(٢) السعالى : الأغوال جمع سعلاة .

غزوة ذي قرد

كانت بعد أيام قلائل من غزوة بنى لحيان واستخلف الرسول ـ ﷺ ـ على المدينة عبد الله بن أم مكتوم ، وخلّف سّعد بن عبادة فى ثلاثمائة من قومه يحرسون المدينة ، وسببها أن عيينة بن حصن أغار فى خيل من غطفان على لقاح رسول الله ﷺ ، وكان يرعاها رجل (١) من غفار، وامرأة (٢) بمكان يقال له (الغابة) فقتلوا الرجل ، واحتملوا المرأة مع اللقاح، وعلم بذلك سلمة بن الأكوع، فجعل يرميهم بالنبل بعد أن اشتد فى أثرهم . وكان يسبق الفرس جريًا ، ففعل بهم الأفاعيل ، واستنقذ المسلمون منهم عشر لقائح . وأفلت القوم ما بقى، وصاح ابن الأكوع فسمعه النبى ﷺ وقال : « **الفزع الفزع ، يا خيل الله اركبى**» ، فجاء الرجال ، وجعل اللواء لسعيد بن زيد ، ﷺ جميعًا . وصلى بذى قرد صلاة الخوف ، وقسّم فى مل مائة من أصحابه جزورا ينحرونها . وكانوا خمسمائة ويقال سبعمائة [النويرى : ١٧/ ٢٠٣] .

ترفق يا عُيينة باللقاح ... وبالخيل المغيرة والسلاح (٣)
وخفض من غرورك والطماح ... فما مال النبىَّ بمستباح
ولا هو يوم حرب أو كفاح

أتحسبها صناديد الرجال ... تداعَوا بالقواضب والعوالى ؟
وخفوا يا عيينة للقتال ؟ ... يلفُّن الرعال على الرعال ؟ (٤)
فليس على الفوارس من جناح ؟

---

(١) هو ولد أبى ذر الغفارى .

(٢) زوجة أبى ذر .

(٣) كانت لقاح رسول الله ـ ﷺ ـ وهى عشرون لقحة وهى ذات اللبن القريبة من الولادة ـ ترعى بالغاية ، فأغار عليهم عُيينة بن حصن فى أربعين فارسا فأستاقوها ، وقتلوا ابن أبى ذر . .

(٤) الرعال الجماعة المتقدمة من الخيل .

رويدًا ، إنها إبل تساق ... وراع واحد دمه يراق
وما بال التى احتمل الرفاق ؟ ... أخفتم أن يكون لها انطلاق
فترميكم بمصحة رداح ؟ (١)

كفى ابن الأكوع (٢) البطل الجسور ... فذوقوا النار حامية تفور
رمى بالنبل ، فاضطرم السعير ... كذلك يفعل الرامى القدير (٣)

(١) الشيء المصمت المغلق المبهم الذى يمتنع على من يريده أو يريد أن يعلم ما ينطوى عليه ، وهو فى الأصل ما لا جوف له ولا فراغ فيه ، والرداح الكتيبة الثقيلة الجرارة. والمعنى : أكنتم تخافون حين احتملتم هذه المرأة الضعيفة أن ترميكم بكتيبة هذه صفتها ؟؟

(٢) هو سلمة بن الأكوع ، قال : غزوت مع رسول الله ـ ﷺ ـ سبع غزوات فذكر الحديبية وخيبر وحنينا ويوم القَرَد ، قال : ،نسيت بقيتهن [سير أعلام التبلاء :٣/٣٢٦ ، الطبقات: ٥/ ٢١٠ ، وانظر ترجمته فى: بن منظور: مختصر تاريخ دمشق : ١٠/ ٨٣]
عن يزيد ابن ابى عبيد قال : سمعت سلمة بن الأكوع يقول : خرجت قبل أن يؤذن بالأولى .وكانت لقاح رسول الله ـ ﷺ ـ ترعى بذى قرد ، فلقينى غلام لعبد الرحمن بن عوف فقال : أخذت لقاح رسول الله ـ ﷺ ـ فقلت من أخذها ؟ قال : غطفان . قال : فصرخت ثلاث صرخات يا صبحاء ؛ قال : فأسمعت ما بين لابتى المدينة . ثم اندفعت على وجهى حتى ادركتهم بذى قرد ، وقد أخذوا يسقون من الماء ، فجعلت أرميهم بنبلى. وكنت راميا . وأقول :

اما ابن الأكوع ... واليوم يوم الرُّضَّع

فأرتجز . حتى استنفذت اللقاح منهم ، واستلبت ثلاثين بردة . قال : ،جاء النبى ـ ﷺ ـ والناس . فقلت يا نبى الله إنى قد حميت القوم الماء . وهم عطاش . فأبعث إليهم الساعة ، فقال : « يا ابن الأكوع ملكت فاسجع » . قال ثم رجعنا ويردفنى رسول الله ﷺ على ناقته حتى دخلنا المدينة » .
[مسلم ـ باب غزوة ذى قرد وغيرها ـ ح ١٨٠٦] .

(٣) عن إياس بن سليمة بن الأكوع عن أبيه قال : خرجت أنا ورباح غلام النبى ـ ﷺ ـ بظهر النبى ـ ﷺ ـ وخرجت بفرس لطلحة بن عبيد الله كنت أريد أن أنديه مع الإبل ، فلما أن كان بغلس ، أغار عبد الرحمن بن عُيينة على إبل رسول الله ـ ﷺ ـ فقتل راعيها ، وخرج يطردها هو وأناس معه فى خيل ، فقلت : يا رباح اقعد على هذا الفرس ، فألحقه بطلحة . وأخبر رسول الله ـ ﷺـ أنَّه قد أغير على سَرْحه قال : =

. . . .

= وقمت على تل ، فجعلت وجهى من قبل المدينة ، ثم ناديت ثلاث مرات : يا صبحاه: ثم اتبعتُ القوم ومعى سيفى ونبلى ، فجعلت أرميهم ، واعقربهم وذلك حين يكثر الشجُر فإذا رجع إلىّ جلست له فى أصل شجرة ثم رميت ، فلا يقبل على فارس إلا عقرت به ، فجعلت أرميهم وأقول :

أنا ابن الأكوع والليوم يوم الرُّضَّع

فألحق برجل فأرميه وهو على رحله فيقع سهمى فى الرجل حتى انتظمت كيده فقلت :

خذها وانا ابن الأكوع واليومُ يومُ الرَّضَّع

فإذا كنت فى الشجرة أحدقهم بالنبل ، وإذا تضايقت الثنايا علوت الجبل فرميتهم بالحجارة، فما زال ذاك شأنى وشأنهم ، اتبعهم وارتجز ، حتى ما خلق الله شيئًا من ظهر النبى - ﷺ - إلا خلفته وراء ظهرى ، واستنقذته من أيديهم ، ثم لم أزل أرميهم حتى ألقوا أكثر من ثلاثين رمحا ، وأكثر من ثلاثين بُرْدة ، يستخفون منها ، ولا يلقون من ذلك شيئًا إلا جعلت عليه حجارة ، وجمعته على طريق رسول الله - ﷺ - حتى إذا امتد الضحى أتاهم عُيينة بن بدر الفزارى مددا لهم ، وهم فى ثنية ضيِّقة ، ثم علوت الجبل فأنا فوقهم . قال عُيينة : ما هذا الذى أرى ؟ قالوا : لقينا من هذا البَرْح [الشدّة والأذى] ما فارقنا بسحر حتى الآن ، وأخذ كل شيء بأيدينا ، وجعله وراء ظهره فقال عيينة: لولا أنْ هذا يرى أنّ وراءه طلبا لقد ترككم ثم قال : ليقم إليه فر منكم، فقام إلىّ نفر منهم أربعة فصعدوا فى الجبل ، فلما أسمعتهم الصوت قلت لهم : أتعرفوننى؟ قالوا : ومن أنت ؟ قلت : أنا ابن الأكوع ، والذى كرّم وجه محمد - ﷺ - لا يطلبنى رجل منكم فيدركنى ، ولا أطلبه فيفوتنى ! فقال رجل منهم . إنّ ذا ظن . قال : فما برحت مقعدى ذاك حتى نظرت إلى فوارس رسول الله - ﷺ - يتخللون الشجر ، وإذا أولهم الأحزم الأسدى وعلى أثره أبو قتادة فارس رسول الله - ﷺ - وعلى أثر أبى قتادة المقداد ، فولى المشركون مدبرين . وأنزِلُ من الجبل ، فأعرضُ للأحزم فأخذ عنان فرسه، قلت: يا أحزم أنْذِر القوم ! يعنى : احذرهم ، فإنى لا آمن أن يقتطعوك ، فاتئد حتى يلحق رسول الله - ﷺ - وأصحابه . قال يا سلمة : ان كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أنّ الجنة حق ، والنار حق فلا تحل بينى وبين الشهادة فخليت عنان فرسه ، فيلحق بـ « عبد الرحمن بن عينية » فاختلفا طعنتين ، فعقر الأخرم بعبد الرحمن ، فطعنه عبد الرحمن فقتله ، فتحول عبد الرحمن على فرس الأخرم فيلحق أبو قتادة بعبد الرحمن،=

وتلك سهامه ، ما من براح

يُوالى الكرَّ ، ساعده شديد وبين ضلوعه قلب حديد
عذاب إذ يكرُّ وإذ يحيد يفوت الخيلَ منه ما تريد

= فاختلفا طعنتين ، فعقر بأبى قتادة ، وقتله أبو قتادة ، وتحوّل أبو قتادة على فرس الأخرم. ثم أنى خرجت أعدو فى أثر القوم حتى ما أرى من غبار أصحاب النبى - ﷺ - شيئًا ، ويعرضون إلى شعيب فيه ماء يقول له : ذى قَرَد ، فأرادوا أن يشربوا منه ، فأبصرونى أعدو وراءهم ، فعطفوا عنه ، واسندوا فى الثنية [ثنية ذى دبر] وغربت الشمس، فألحق رجلا فأرميه و فقلت :

خُذها وأنا ابن الأكوع واليوم يوم الرُّضَّع

فقال : يا ثكل أمى ! أكوعى بُكرَة [يعنى : أنت الأكوع الذى تبعنى بكرة اليوم] قال : قلت نعم يا عدو نفسه ، فكان الذى رميته بُكرة ، فأتبعته بسهم آخر ، فعلق فيه سهمان، ويخلّفون فرسين ، فجئت بهما ، أسوقهما إلى رسول الله - ﷺ - وهو على الماء الذى حلأتهُم عنه « ذو قرد » ، فإذا نبى الله فى خمسمائة ، وإذا بلال قد نحر جزورا مما خلّفتُ ، فهو يشوى لرسول الله - ﷺ - من كبدها وسنامها ، فأتيت رسول الله - ﷺ - فقلت : يا رسول الله خَلّنى ، فانتخب من أصحابك مئة فآخذ على الكفار بالعشوة فلا يبقى منهم مُخبر إلا قتلته ! قال : أكنت فاعلا ذلك يا سلمة ؟ قلت : نعم، والذى أكرمك . فضحك حتى رأيت نواجذه فى ضوء النار ، ثم قال : إنّهم الآن يفرون بأرض بنى غطفان فجاء رجل من عَطَفان ، فقال : مرّوا على فلان الغطفانى، فنحر لهم جزورا ، فلما أخذوا يكشطون جلدها رأوا غيره ، فتركوها وخرجوا هربا . فلما أصبحنا قال رسول الله - ﷺ - خير فرساننا اليوم : أبو قتادة . خير رجالنا اليوم : سلمة ، فأعطانى رسول الله - ﷺ - سهم الراجل والفارس . ثم أردفنى وراءه على القَضْباء راجعين إلى المدينة ، فلما كان بيننا وبينها قريبًا من ضحوة ، وفى القوم رجل من الأنصار كان لا يسبق جعل ينادى: هل من مُسابق ؟ ألا رجل يسابق إلى المدينة ؟ فأعاد ذلك مرارا . فقلت له : ما تُكرمُ كريمًا ، ولا تهاب شريفًا؟ قال : لا ، إلا رسول الله - ﷺ - فقلت : أذهبُ إليك . فظفر عن راحلته ، وثنيت رجلى على الناقة ، ثم إنّى ربطت عليه شرفا أو شرفين ، يعنى استبقيت نفسى ، ثم إنّى عدوت حتى ألحقه فأصك بين كتفيه بيدى . قلت : سبقتك والله إلى فوزه . أو كلمة نحوها ، قال : فضحك ، وقال : أنا أظن حتى قدمنا المدينة [الطبقات : ٧٨/٢ إلى ٨١ - مغازى الواقدى : ٥٥٠ - النويرى : ٢٠٣/١٧ ، ومسلم : ح : ١٨٠٧] .

وإن طارت بأجنحة الريا

إذا طلبته لم تبلغ مداه وإن رجعت ، فليس لها سواه
يمزّقها بما ترمى يداه فتذهب كلما جاشت قواه
حوامل للجراح على الجراح

تخطَّف لقحة من بعد أخرى وجاهد ، يرهق الفرسان عسرا
يريد لقاح خير الخلق طرا ويكره أن يساء وأن يُضرا (١)
وتلك مشاهد البطل الصراع

أذاقهم البلاء ، فما استطاعوا وغالهم ارتجاف وارتياع
قوى ضاقت بها هممٌ وِسَاعُ فأسلمت الأكفَّ قوى شَعاعُ
وألقت بالبرود وبالرماح (٢)

ويالك صيحة ذهبت ترامى فنبهت الألى كانوا نياما (٣)
تلقاها النبى فما أقاما وهبَّ الجيش يحتدم احتداما
وحانت وقعة القدر المتاح

وطار الأحرمُ الأسديُّ فردا يسبُّ المجرمين وما تعدَّى (٤)

---

(١) طرا : جميعا .

(٢) ألقوا أكثر من ثلاثين بردة وثلاثين رمحًا ليخففوا عن أنفسهم وهو يجهدهم ويستفرغ قواهم .

(٣) لما علم بأمرهم علا ثنية الوداع ، وصرخ بأعلى صوته : واصباحاه ثلاث مرات .

(٤) هو محرز بن نضلة . كان أول من لحق بالفريق الأول من المسلمين فى هذه الغزوة فلما انتهى إلى المغيرين تقدم فوقف بين أيديهم وقال لهم : يا معشر بنى اللكيعة (اللئيمة) قفوا حتى يلحق بكم من وراءكم من المهاجرين والأنصار ، وقد أخذ سلمة بن الأكوع بعنان فرسه . وقال له : احذر القوم لا يقتطفوك حتى يأتى رسول الله ﷺ وأصحابه ، فقال : يا سلمة إن كنت تؤمن بالله واليوم الآخر ، وتعلم أن الجنة حق والنار حق ، فلا تحل بينى وبين الشهادة . فخلى سبيله ، والتقى هو وعبد الرحمن بن عيينة ، فعقر فرس عبد الرحمن وطعنه وطعنه عبد الرحمن فقتله ،ولم يقتل فى هذه الغزوة من المسلمين غيره .

ولـم يـر مـن ورود المـوت بـدًا فـجـاد بـنفـسه ورعـاه عـهـدا
دعا داعيه ، حى على الفلاح
هـى الـرؤيا الـتى قـصَّ الـقـتـيـل علـى الصدِّيق صـدقـهـا الدلـيل (١)
مـضى لـسبيلـه ، نعـم السـبـيـل فـتى كـالـسيف مـشـهـده جـلـيـل
هوى بمصارع البيض الصفاح
أتـى جـيـش الـنبـىِّ فـأىُّ خـطـب أصـاب الـقـوم مـن فـزع ورعـب ؟
إذا خـفـق الـلـواء ، فـكـل قـلـب مـن الخـفـقـان فـى هـمٍّ وكـرب
فرفقًا يا ابن زيد بالقداح (٢)
رمـوا ورَمَـيْتَ بـالأبـطال شـوسـا تخـوض إلى الوغى يومًـا عبـوسا (٣)
تُـفـلِّق مـن أعـاديـهـا الـرؤوسـا وتـبـذل دون بيـضـتـهـا الـنـفـوسـا
كذلك فليكن بذل السماح
إلـى ابنِ عُـيـينةَ انـطلق الـقـضـاء فـمـا بـأبـيـه إذ أَوْدى غـنـاء (٤)
لـه مـن حـول مـصـرعـه عـواء إذا شـفـت الـصـدى الـبـيضُ الـظـمـاء
فأهونْ بالعواء وبالنباح
وأيـن دم ابـن نضـلـة هـل يـضـيـع ويـبـقـى بـعـده الحـدث الـفـظـيـع ؟
لـعـمـرك مـا لـقـاتـلـه شـفـيـع صـريـع طـاح فـى دمـه صـريـع
أحيط به ، فعوجل باجتياح

---

(١) رأى قبل ذلك بيوم أن سماء الدنيا فرجت له هى وما فوقها حتى انتهى إلى السماء السابعة ، ثم انتهى إلى سدرة المنتهى ، فقيل له : هذا منزلك . وقص رؤياه على أبى بكر فقال له : أبشر بالشهادة .

(٢) سعيد بن زيد ابن عمرو بن نفيل أمير الجيش ، القداح : سهام الميسر ، وكان من عادتها أن تقلب وتقلقل والمعنى أن قلوب القوم كانت تشبه هذه القداح فى خفوقها واضطرابها .

(٣) شوسا : جمع أشوس ، وهو الذى ينظر بمؤخر عينه .

(٤) قتله المقداد بن عمرو ، وأودى : هلك .

هو المقداد إن دعيتْ نزالِ تقدَّمَ لا يهاب ولا يبالى (١)

وما بأبى قتادة فى الرجال خفاء حين تشتجر العوالى (٢)

وحين يقال : أين ذوو النطاح ؟

أصاب السهم وجهًا منه نضرا وأبصره النبى فقال : صبرًا

وعالجه ، فأخرج منه شرًا وألقى نفثة كرمًا وبرًا

فراح يزف فى القوم الصحاح (٣)

تزوَّد منه كنزًا ليس يفنى تزود دعوة سعدًا ويمنَا

تزوَّدَ رحمة ، وهدى ، وأمنا تزود ما أحب وما تمنى

وجاوز كل سؤل واقتراح

شفيت أبا قتادة كل صاد لهيف الصدر حرَّان الفؤاد

يبيت على أسى ممن يعادى رسولَ الله فى دين الجهاد

وفى دنيا المروءة والصلاح

غنمت سلاح مسعدة الشقىِّ وفزت بطرفه فوز التقىِّ (٤)

عطاء من جواد أريحىٍّ عطاء الله من يدِ النبى

رسولِ الله أفضل مستماح (٥)

لقد أحدثت للأبطال شغلا وهما ما أشد وما أجلاَّ (٦)

---

(١) كان المقداد بن عمرو أول من خف إلى رسول الله ﷺ . حين قال : « **الفزع الفزع ، يا خيل الله اركبى** » .

(٢) قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ، وقد أصيب بسهم فى وجهه فنزعه النبى ﷺ بيده الشريفة نزعًا دقيقًا ، ثم بزق فيه ، ووضع راحته عليه ثم قال : «**اللهم بارك له فى شعره وبشره**» . فمات فى السبعين وكأنه فى السنة الخامسة عشرة ، وتشتجر العوالى: تشتبك الرماح .

(٣) يزف بمعنى يسرع .

(٤) الطرف : الكريم من الخيل .

(٥) استماحه : سأله العطاء .

(٦) لما قتل أبو قتادة مسعدة الفزارى ألقى عليه برده - برد أبى قتادة - فغطاه ، فلما رآه =

سقوا مكروهه نهلا وعلاً ... ولولا فضل ربك ما تجلَّى [١]

دعواْ إذا أبصروا البرد المخلى ... على الجسد الذى أوجعت قتلا

نعاء أبا قتادة إذ تولى ... نعاءِ الفارسَ البطل المدلا [٢]

وضجُّوا بالتى فى الخطب تتلى ... فتنفع من تجلد أو تسلى [٣]

فقال محمد : يا قوم كلا ... أخوكم لم يزل حيًّا ، فمهلا

كفاكم ربكم فقدًا وثُكلا ... فأشرقت الوجوه ، وكان فضلا

طوى قرحى القلوب على ارتياح [٤]

تداعى القوم صفًا بعد صفٍّ ... وولّوا بعد إقدام وزحف [٥]

مضوا بالنصف ، لو ذهبوا بألف ... من اللائى اصطفى النعمانُ صرف [٦]

لما فرحوا بفوز أو نجاح

وأقبلت الأخيذة بعد يأس ... على العضباء فى شعَث وبؤس [٧]

= المسلمون استرجعوا وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال النبى ﷺ : «**ليس بأبى قتادة ولكنه قتيل له وضع عليه برده ليعرف أنه صاحبه**» أى قاتله فخرج عمر بن الخطاب حتى جاءه ، وكشف البرد عن وجهه فإذا هو مسعدة .

(١) النهل : الشرب الأول ، والعل : الشرب الثانى .

(٢) نعاء بالبناء على الكسر كنزال ، اسم فعل للأمر بمعنى انع ، قال الأصمعى : كانت العرب إذا مات منها ميت له قدر ، ركب راكب فرسًا . وجعل يسير فى الناس ويقول: نعاء فلانًا ؛ أى : أنعه وأظهر خبر وفاته .

(٣) كلمة الاسترجاع : إنا لله وإنا إليه راجعون .

(٤) قرحى : جمع قريح ، والقريح : الجريح .

(٥) تداعى : من تداعى البناء إذا انهار .

(٦) النصف : نصف اللقاح ، والنعمان بن المنذر كانت له إبل تسمى عصافير النعمان .

(٧) هى امرأة أبى ذر انفلتت من الوثاق ليلا . فأتت الإبل ، فجعلت إذا دنت من البعير رغا فتتركه ، حتى انتهبت إلى العضباء فلم ترغ ، فقعدت على عجزها ثم زجرتها . وعلموا بها فطلبوها فأعجزتهم ، فنذرت لئن نجاها الله عز وجل لتنحرنها وتأكل من كبدها وسنامها ، وأقبلت تخبر الرسول الكريم ﷺ بذلك ، فتبسم وقال : «**بئسما جزيتها لا نذر في معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، ارجعى إلى**=

عناها الضُّرُّ من أسر وحبس وسوء الصنع من ظلم ووكس

على يد كل عِرِّيض وقاح (١)

أتت ، للمسلمين بها ابتهاجٌ وللكفار إذ نجت اهتياج

أبا ذرٍّ وللضيق انفراج وربَّتما حلا الورد الأجاج (٢)

هنيئًا ،بات صدرك في انشراح

أتذكر إذ يقول لك الرسول أقم فالأمر باطنه مهول ؟

وما تدرى إلام غدًا يؤول ستعرفه وتذكر ما أقول

إذا ما الغيب آذن باتضاح

أتت فرحى ، وقالت : حلَّ نذرى فإن أذن الرسول قضيت أمرى

هى العضباء تعقر ما لإصرى سواها ، إن أردت شفاء صدرى (٣)

علىَّ اليوم بعد فكاك أسرى وفاء النذر ، ما لى من مفرّ

وقانى الله من سوء وشر له سبحانه حمدى وشكرى

على أن صرت مطلقة السراح

فقال لها رسول الله إيه لبئس جزاءها أن تفعليه

دعى النذر المحرَّم واتركيه وخافى الله ربك واتَّقيه

لشر النذر ما لا ترتضيه وما لا حقَّ للإنسان فيه

دعى لى ناقتى وتعلَّميه قضاء ما اهتدى من لا يعيه

وكيف تُقاس منزلة الفقيه بمنزلة الغبىِّ أو السفيه

= **أهلك على بركة الله»** .

(١) العريض الذى يتعرض للناس بالشر .

(٢) استأذن أبو ذر الغفارى رسول الله ﷺ أن يكون فى اللقاح فقال له : « **لا تأمن عيينة بن حصن وذويه أن يغيروا عليك** ». فألح عليه فقال له : « **لكأنى بك قد قتل ابنك ، وأخذت امرأتك،وجئت تتوكأ على عصاك** ». فلما وقعت الواقعة جعل أبو ذر يعجب ويشيع الحديث ، والأجاج الماء الملح .

(٣) الإصر : الثقل أو العبء الثقيل .

هنالك حيٌّ أهلك ، فاطلبيه　　على بركات ربك واحمديه

إلهًا ما لما يقضيه ماح

* * *

قضيتَ الحق ، فاغتنم الجزاء　　وزد يا سعد فى الدنيا علاء [١]

وسعت غزاة ذى قَرَد سخاء　　وكنت لهم أخًا يرعى الأخاء

بعثت التَّمْرَ يُعجبهم نماء　　وَسُقْتَ البُدْن تُطربهم رُغاء [٢]

قِراك إذا هُمُ التمسوا الغذاء　　وَبِرُّكَ ، لا يزال لهم رَجاء

كذلكَ أنت ما تألوا وفاء　　وَحُبًّا للأُلى صدقوا البلاء

بُنَاةُ الحقِّ ، مَا مَلُّوا البِنَاء　　وإن عَلَت الدِّماءُ به الدّماء

أجَلْ يا سعدُ فارفعها سماء　　تُجاوِزُ كُلَّ مُطَّلَعٍ سَناء

جَرَى الكرماءُ ، فانتهبوا الثناء　　وما بلغوكَ جودًا أو عطاء

رُزِقتَ البأسَ أجمعَ والمضاء　　فكنتَ أحقَّ من مَنع اللّواء

بِشكر فى الهزاهزِ وامتداح [٣]

رسولُ الله يُؤذن بالإياب　　ويرجع بالأحبة والصحاب

يسيرُ من الجلالةِ فى ركاب　　تَدينُ لعزِّه غُلْبُ الرقاب

تُسَايِرهُ بآياتِ الكتاب　　مُرَتَّلَةً بأنغامٍ عِذاب

صفوف من ملائكة طِرَاب　　تُظَلِّلُهُ بأجنحةٍ رِطاب

ترفُّ على الروابى والبطاح

حبا ابنَ الأكوع الشرف المنيفا　　وحسبك أن يكون له رديفا [٤]

---

(١) سعد بن عبادة ، بعث إلى المسلمين فى هذه الغزوة بأحمال من التمر وبعشر جزائر ، فقال النبى ﷺ : « **اللهم ارحم سعداً وآل سعد ، نعم المرء سعد بن عبادة** » ، فقال الأنصار : هو سيدنا وابن سيدنا . من بيت يطعمون فى المحل ، ويحملون الكل الضعيف وينهضون بأمر العشيرة ، فقال ﷺ : « **خيار الناس فى الإسلام خيارهم فى الجاهلية إذا فقهوا فى الدين** » .

(٢) البدن : جمع بدنة ، وهى الأضحية السمينة .

(٣) الهزاهز : الأمور العظيمة تحرك الناس ، والحروب .

(٤) رجع النبى ﷺ إلى المدينة على ناقته العضباء مردفًا سلمة بن الأكوع رضى الله عنه .

كذلك يرفع الله الشريفا ... ويجزى المؤمن البرَّ الحنيفا
أطيلى ناقَة الله الوجيفا ... ووالى الخطو مرتجلا خفيفا (١)
حملت أجلَّ من يحمى الضعيفا ... وأعدل من يحاذر أن يحيفا
حماك وعطَّلَ النذرَ السخيفا ... وأمضى حكمه سمحًا عفيفا
حملتِ الليثَ ، فالتمسى الغريفا ... جُزيتِ كرامة ، ورزقت ريفا (٢)

وبورك فى غدوك والرواح

رسولُ الخير جاء بكل سمح ... من الأخلاق فى صدق ونصح
تدارك سَورة البطل الملحٍّ ... وأوصاه بإحسان وصفح (٣)
وكان القوم فى جهد وبرح ... وراء الماء ما ظفروا برشح
تنحَّوا عنه إذ كره التنحى ... فما ابتلَّت جوانحهم بنضح
ولو أُخِذُوا بتقتيل وذبح ... لما اعتصموا بسيف أو برمح
صنيعة محسن يمسى ويضحى ... له تاجان من شكر ومدح
رحيم القلب ، يأسو كل جرح ... ويعتدُّ الجميل أجلَّ فتح
وما ينفكُّ فى كدٍّ وكدح ... يقيم الحق صرحًا بعد صرح

وبورك فى غدوك والرواح

* * *

---

(١) الوجيف نوع من سير الإبل والخيل .

(٢) الغريف : الغيضة أو الأجمة ، والشجر الملتف ، والمقصود هنا بيت الأسد .

(٣) هو سلمة ، طارد القوم حتى أجلاهم عن الماء وهم عطاش ، وجاء يخبر النبى ﷺ فقال له : « **ملكت فأسجح** » ، فتركهم يشربون . [مسلم : ح ١٨٠٦] .

غَزوة الحديبيَة

ويقال لها : عمرة الحديبية بئر قريبة من مكة ، خرج إليها النبى ﷺ فى ألف وأربعمائة ـ على أصح الروايات ـ من أصحابه يوم الإثنين مستهل ذى القعدة من السنة السادسة ، وكان قد رأى أنه دخل مكة وأصحابه آمنين ، محلقين رؤوسهم ومقصرين ، وأنهم دخلوا البيت وطافوا به ، وأخذ هو مفتاحه ، ووقف على عرفات مع الواقفين .

قص هذه الرؤيا على أصحابه ففرحوا ، وخرجوا معه معتمرين محرمين من ذى الحليفة والهدى يساق بين أيديهم واستخلف على المدينة عبد الله بن أم مكتوم،ولم يكن معهم من السلاح سوى السيوف فصلى الظهر بذى الحليفة ، ثم دعا بالبدن التى ساق فجللت ثم أشعرها فى الشق الأيمن . وقلدها ، وأشعر أصحابه أيضا وهن موجهات إلى القبلة وهى سبعون بدنة فيها جمل أبى جهل الذى غنمه يوم بدر ، وكانوا يخافون أن تصدهم قريش عن البيت ، وعلم النبى ﷺ أنهم خرجوا فى نسائهم وصبيانهم متأهبين للقتال . فصف الجيش وقدّم عبّاد ابن بشر أمامه ، طليعة فى عشرين فرسا . وخرج من المسلمين ألف وستمائة [أو ألف وأربعمائة ، وألف وخمسمائة وخمس وعشرون رجلا] وأخرج معه زوجته أم سلمة ومضى بعد أن استشار أصحابه ، واختلفت الرسل بين الفريقين ، فعقد الصلح على وضع الحرب مدة اختلف الرواة فى تقديرها ، فقال بعضهم : عشر سنين ، وقال بعضهم : أربع ، وقيل : سنتان ، وأن من جاء إلى النبى ﷺ من المسلمين بغير إذن وليه رده إليه ، ومن أتى المشركين بمكة مرتدًا من المسلمين احتبسوه عندهم ، وأن يرجع النبى ﷺ وأصحابه ، ثم يعودوز للطواف بالبيت فى العام التالى ، لا يحملون سوى سلاح الراكب ، فتخلى لهم قريش مكة ثلاثة أيام يعودون بعدها إلى المدينة، وقد ثارت نفوس المسلمين لهذا الصلح ، ولكن الله ثبت قلوبهم ببركة رسوله الكريم ﷺ وحكمته التى تجلت آثارها بعد ذلك ،

وكانت بيعة الرضوان من بركات هذه الغزوة الميمونة (١) .

منك الحنين ، ومنه ما هو أعظم ... لو يستطيع أتاك لا يتلوم (٢)
البيت أنت به أحق وإن أبى ... من أهل مكة جاهل لا يعلم
ما أصدق الرؤيا وأقرب حينها ... فاصبر على ثقة ، وربك أكرم
إن يخل منها اليومُ ، فالغد بعده ... بالخير والرضوان منها مُفعَم (٣)
سر يا رسول الله جندك باسل ... وقواك محصدة ورأيك محكم (٤)
آثرت ربك وحده ، لا تشتكى ... فيه من الأهوال ما تتجشم
ومضيت معتمراً بصحبك محرمًا ... والهَدْىُ حال بالقلائد معلم (٥)
والمؤمناتُ الصالحاتُ كأنما ... فيهن سارة والرضية مريم (٦)
من كل أمٍّ برة لم يلهها ... بَعْلٌ ، ولم يَغلب نوازعَها ابْنَم (٧)

* * *

يا طيب ما لبيت ربك إنه ... للحق يزلفه فؤادك والفم (٨)
أين الشريك لمن تصرف وحده ... فى مُلكه ، أمَّنْ سواه المنعم ؟
لبيك ربى ، إن قضيت لنا الهدى ... فكتابك الهادى ، وأنت الملهم

(١) انظر : مغازى الواقدى : ٥٧١ وما بعدها ـ النويرى : ٢١٧/١٧ ـ الطبقات : ٩١/٢ .
(٢) التلوم : التمكث والانتظار .
(٣) مفعم : ملآن .
(٤) المحصد : المحكم الفتل .
(٥) الهدى : ما يهدي إلى الحرم من النعم.
(٦) خرجت أم سلمة وأم عمارة ، وأم منيع ، وأم عامر الأشهلية رضى الله عنهن مع الجيش فى هذه الغزوة.
(٧) ابنم : ابن .
(٨) لبى ﷺ بقوله: « **لبيك اللهم لبيك ، لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك** » . يزلفه : بمعنى يقربه .

تلكم قريش أقبلت فى غضبة ... مشبوبة ، وحمية تتضرم
قالت : أيدخلها علينا عنوة ؟ ... السيف أولى أن يُحكَّم والدم (١)
وروى ابن سفيان الحديث ، فلو درى ... لغة السيوف لخالها تتكلم (٢)
أصغت إليه ، فلم يقرّ بغمده ... منها على طول التحلّم مخذم (٣)
يجد التقاة المحرمون ولا كما ... يجد التقىُّ من السيوف المحرم
أبدتْ تباريح الهموم شديدة ... وأشدُّ منها ما تُجنُّ وتكتم
ودَّت لو أن الله قال لها ، اضربى ... فمضت ، تظللها النسور الحوَّم

* * *

قال النبى أَنَتّقيها خُطّةً ... هى ما علمتم ، أم نجدّ ونقدم ؟ (٤)
فأجبه الصّدّيق بلى نمضى إلى ... ما كنت تنوى بالخروج وتعزم

---

(١) قالوا : أيريد محمد أن يدخلها ـ مكة ـ علينا فى جنوده معتمراً ، فتسمع العرب أنه دخل علينا عنوة،وبيننا وبينه من الحرب ما بيننا ؟والله لا كان هذا أبدًا ومنا عين تطرف .

(*) جاء « بُدين بن ورَقُاء » وركب من « خُزاعة » فسلموا على الرسول ـ ﷺ ـ وقال بديل: جئناك من عند قومك : كعب بن لؤى ، وعامر بن لؤى ، قد استنفزوا لك الأحابيش ومن أطاعهم معهم : العود والمطافيل والنساء والصبيان . يقسمون بالله لا يخلّون بينك وبين البيت حتى تبيد خضراؤهم . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لم نأت لقتال أحد ، إنما جئنا لنطوف بهذا البيت ، فمن صدّنا عنه قاتلناه .

(٢) هو بسر بن سفيان أرسله النبى ﷺ إلى مكة لتعرف أخبارهم فعاد إليه يقول : إنهم استنفروا من أطاعهم من العرب ،وخرجوا بالنساء والصبيان ،ولبسوا جلود النمر ، وإنهم نزلوا بذى طوى يتعاهدون على صد المسلمين ـ قال : وهذا خالد ابن الوليد فى خيلهم عند كراع الغميم .

(٣) المخذم : السيف القاطع .

(٤) لما سمع النبى ﷺ أن المشركين يريدون منعه عن البيت ، قال لأصحابه : « **أشيروا على أيها الناس ، أتريدون أن نؤم البيت فمن صدنا عنه قاتلناه ؟** » ، قال أبو بكر : يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحد ولا حربًا ، فتوجه له ، فمن صدنا عنه قاتلناه.

ورمى بها المقداد خطبة مؤمن   يرمى الخطوب بنفسه ، لا يُحجم (١)
ومضوا يرون المشركين بذى طوى   والخيل شتى ، والخميس عرمرم (٢)
أبلال أذِّن للصلاة ، فإنّها   أسنى وأشرفُ ما يحبُّ المسلم (٣)
نهض النبىُّ يُقيمها فى صحبه   لله ، تبدأُ بالخشوع وتُختم
وأعدَّ طائفة تقوم ، فتتَّقى   كيد العدو إذا يكر ويهجم
حتى إذا سجد الرفاق تخلَّفوا   عنهم ، فضوعف أجرهم المغنم
جيش الهدى واليُمنِ عند جلاله   بيمين قائده يُصفُّ ويُنظم
جعل ابن بشر فى الجهاد لخالد   يلقاه إن جَمعَ الفوارسَ مأزم (٤)

* * *

سلكوا الطريق الوعر يسطع نوره   وأضلَّ غيرَهم الطريقُ المظلمُ (٥)

(١) المقداد بن عمرو ، قال : يا رسول الله ، لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى ولكنا نقول :اذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا معكما مقاتلون ، والله لو سرت بنا إلى (برك الغماد) سرنا معك ما بقى منا رجل ، قال : « **فامضوا على اسم الله ، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثنى الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة** » .
صفحة العنق : كناية عن القتل .

(٢) الخميس العرمرم : الجيش الكثير العدد .

(٣) صلاة العصر كانت بعسفان وهو موضع قريب من كراع الغميم ـ موقف خالد بن الوليد بالخيل ـ صف النبى ﷺ المسلمين صفين ثم أحرم بهم وركع فركعوا ،واعتدل فاعتدلوا ، فلما سجد سجد معه الصف الأول سجدتيه ، وتخلف الصف الثانى فبقى معتدلا للحراسة ، ثم قاموا فسجد هؤلاء وقاموا ، ثم تقدم الصف الثانى وتأخر الأول ، فقام بالحراسة على النحو السابق ، فلما جلس النبى ﷺ للتشهد فى الركعة الأخيرة جلسوا جميعًا فتمت الصلاة.

(٤) لما صف النبى ﷺ الجيش جعل عباد بن بشر بإزاء خالد بن الوليد والمأزم المضيق .

(٥) قال النبى ﷺ: « **من يخرج بنا على طريق غير طريقهم ؟** » فقال رجل من أسلم هو ناجية بن جندب : أنا يا رسول الله ،ومشى أمام الجيش فى طريق وعر حتى جاؤوا الحديبية بأسفل مكة.

يمضى الدليل بهم ، ويذهب موقنا ثبتًا ، فما يرتاب أو يتوهم
بوركت ناجيةَ بن جندب من فتى جلد على الضراء لا يتبرم
وجب الثناء لأسلمىٍّ ماجد شرفت به نسبًا ، وعزت أسلم

* * *

تلك الحديبية المحبَّب ذكرها للحق فيها منزل ومخيَّم
نزل الهداة بأرضها ، فكأنما طلعت لأهل الأرض فيها الأنجم
يا مبرك القصوى أتلك رسالة جاءتك ، أم هى من كلال ترزم ؟ (١)
أبت المضى ، ولم يكن ليعوقها لو شاء ربك مبرك أو مجثم
لو شاء أرسلها فزلزل مكة خطبٌ يضجُّ له الحطيم وزمزم

* * *

أبديل أقبل فى رجالك ، والتمس علم اليقين لمن يظن ويزعم (٢)
قال النبىُّ أتيتُ غير مُحاربٍ وانظر ، فإن الحرب لا تتلثم
الهدىُ حولك ، والسيوف كما ترى مقروبةٌ ، وكأنما هى نوَّم (٣)

---

(١) سار رسول الله ـ ﷺ ـ حتى دنا من الحديبية ، وهى أطراف الحرم على تسعة أميال من مكّة، فوقعت يد راحلته على ثبية تهبطه على غائط القوم . فبركت : فقال المسلمون : حَلْ حَلْ ! يزجرونها ، فأبت أن تنبعث، فقالوا : خلأت القصواء ، فقال النبى ـ ﷺ ـ إنّها ما خلأت ، ولكن حبسها حابس الفيل ، وأما والله لا يسألونى اليوم خُطة فيها تعظيم حُرمة الله إلا أعطيتهم إياها. ثم زجرها فقامت ، فولى راجعا عوده على بَدْئه حتى تزل بالناس على ثميد من أثماد الحديبية ظنون قليل الماء ، فانتزع سهما من كنانته فأمر به فغرز فيها فجاشت لهم بالرّواء .

(٢) بديل بن ورقاء سيد قومه أسلم يوم فتح مكة ، قدم إلى النبى ﷺ من قبل قريش فى رجال من خزاعة يسأله ماذا يريد ؟ فقال : « **ما جئت للحرب ، ولكنى جئت زائرا للبيت . ومعظمًا لحرمته** » ، فلما عادوا إلى قريش وأخبروهم بذلك اتهموهم وأحفظوهم بسىء القول .

(٣) مقروبة : مغمدة فى قربها جمع قراب وقراب السيف غمده .

مــا جــئــت إلا لــلــبــنِــيَّــة زائــراً أقــضــى لربــى حــقــهــا وأعــظّــم
ارجع إلى القوم الغـضاب ، وقل لهم ردُّوا الـنفـوس إلـى الـتى هـى أقـوم
إن تمنعوا البـيت العـتيق يكن لـكم يـوم مـن الحــدثـان أربـد أقـتـم
الـبـيـت بـيـت الله ، جـل جـلالـه ولَـنـحن أولـى بـالمـنـاسـك منـهـم

* * *

نصـح ابن ورقـاءَ الـرجـال ، فـيـاله مـن ذى مـنـاصـحـة يسُـبُّ ويُشـتـم
قالـوا : أنذعن صاغـرين ؟ وأقسـموا أن ينـبذوا المـثلـى ، فبـئس المـقـسم
وتـتـابعـت رسلٌ ، فـمـنهـم غـادر يـبـغـى الفـسـاد ، وحاذر يـتـأثم (١)
ومُـقَـسَّم الأخـلاق يـحـسـن مـرة ويـسـيء أخرى فـى الحوار فـيعـرم (٢)
أهـوى علـى يـده المغـيـرة ضـاربًـا لـولا الأنـاة لـطـار منـه المعـصـم
مـا انفـكَّ يضـربـه بمقـبض سـيـفـه والسـيـف يُغـضـى ، والمنـيـة تحلـم
أسرفت عـروة فاقتصـد ، واقبض يداً ربع السـماكُ لـها ، وغـيظ المرزم (٣)
كـيـف ارتقـيـت إلـى مـحلٍّ مـا لـه راق ، ولـو أن الـكـواكـب سـلـم ؟
أبـلحـيـة المخـتـار تمـسك ؟ إنـهـا لتـصـان فـى حرم الجـلال وتـعـصم

---

(١) الغادر هو مكرز بن حصن ، بعثوه إلى النبى ، فلما رآه مقبلا قال : «**هذا الرجل غادر**»، وكان ما أخبره به كالذى سمعه بديل بن ورقاء ، والحاذر هـو الحليس بن علقمة سيد الأحابيش .

(٢) عروة بن مسعود الثقفى أسلم بعـد ذلك ، وفد على النبى ﷺ فجلس بين يديه ثم قال : يا محمـد جمعت أوباش الناس ثم جئـت فيهم إلى بيضتـك لتفضها بهم ، إنـها قريش خرجت معها العـوذ المطافيل قد لبسوا جلود النمر ، يعاهدون الـله أن لا تدخلها عليهم عنوة أبدًا ، وايم الله لكـأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنـك ، ثم جعل يتناول لحيتـه الشريفة وهو يكلمه على عادة العرب ، والمغيرة بن شـعبة واقف على رأسه يضرب على يد عروة بمقبض السيف . ويعرم بمعنى يفارق القصد ويجاوز الحد .

(٣) السماك : نجم ، والمرزم : الأسد .

أحسنت قولك في الذين ذممتهم ... وأبى الذين طغوا ، فأنت مذمم [١]

عابوك إذ قلت الصواب جهالة ... أيعاب من يأبى النفاق ويوصم ؟

صدق الحُليس فأوجعوه ملامة ... والقوم للـيقظ المسدد لوَّم [٢]

بعث الهداة الهَدْى ، ثمت أقبلوا ... يلقونه فعناه همٌّ مؤلم

جاؤوه شعثًا يرفعون لربهم ... صوتًا يردده الأصم الأبكم

فهفت جوانحه ، وقال على أسىً ... سبحان ربى ، ما لنا نتجرم ؟ [٣]

سبحانه ، أنصدهم عن بيته ؟ ... إنا إذًا قوم نجور ونظلم

مولى الأحابيش الذين تألهوا ... لا يتبعون سبيل أقوام عموا

نبذتْ قريش رأيه واستكبرت ... والغيُّ أنكد ما علمت وأشأم

* * *

---

(١) لما رجع عروة إلى قريش قال : إني جئت كسرى في ملكه ، وقيصر في ملكه ، والنجاشي في ملكه ، فوالله ما رأيت ملكًا في قومه قط كمحمد في أصحابه ، إنى رأيت قومًا لا يسلمونه لشيء أبدًا ، فروا رأيكم فإنه عرض عليكم رشدًا ، اقبلوا ما عرض عليكم فإنى ناصح لكم ، وإنكم لن تنصروا عليه ـ قالوا : لا تتكلم بهذا يا أبا يعفور. . قال : ما أراكم إلا ستصيبكم قارعة ، ثم انصرف هو ومن معه إلى الطائف ـ وعروة هذا هو ابن مسعود الثقفى الذى عنته قريش بقولها (لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم)وقيل : هو الوليد بن المغيرة .

(٢) الحليس : سيد الأحابيش لما رآه النبى ﷺ قال: «**هذا من قوم يتألهون**»، أى يتعبدون ويعظمون أمر الله، «**ابعثوا الهدى في وجهه حتى يراه**» فلما رآه يسيل عليه بقلائده من عرض الوادى قد أكل أوباره من طول الحبس ، واستقبله المسلمون يلبون قد شعثوا ، صاح قائلا : سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، هلكت قريش ورب الكعبة ،وعاد إليهم فنهاهم عما اجتمعوا له ، فغضبوا وقالوا : اجلس فإنما أنت أعرابي ولا علم لك، فثارت نفسه ، ونوى الانفصال عنهم .

(٣) تجرم الرجل على الآخر نسب إليه الجرم وهو برىء .

اذهب خراشُ إلى قريش ناصحا فلعلها تبغى الصواب فتفهم [١]
عقروا بعيرك ناقمين ، وأوشكوا أن يقتلوك ، فليتهم لم ينقموا
لولا الأحابيش استُحلَّ بظلمهم منه دم ما يُستحلُّ محرم

* * *

ذهب ابن عفان إليهم يبتغى أن يؤثروا الرأى الذى هو أحزم [٢]
فأبوا وقالوا ، لا فكاك لكم وما نحن الألى نأبى الهوان فنرغم
هم أمسكوه ثلاثة فى صحبه ورموا بها ملمومة تتقحم
أفلا رعوا رسل النبى وصهرَهُ ؟ إن العقول على المراس لتعقم
دبّ ابن حصن فى الظلام ، فراعه يقظان مثل الصلّ ليس يُهوِّم [٣]
حمل ابن مسلمة فغادر صحبه ومضى ، فلا رجع الجبانُ الأيهم [٤]
جاؤوا المعسكر أربعين ، يقودهم أسرى عليهم للمذلة ميسم
وأتى الرماة فجال فى أحشائهم سهم تظل به السهام تحطم [٥]
منع الأسى ، وشفى كلوم قتيلهم شكوى قلوب من قريش تكلم [٦]

(١) خراش بن أمية الخزاعى بعثه النبى ﷺ إلى قريش وحمله على بعير له ليبلغ رؤساءهم أنه ما جاء محاربا فعقروا بعيره وأرادوا قتله فمنعه الأحابيش .

(٢) هو عثمان بن عفان ، ذهب إليهم فى عشرة رجال من أصحابه بأمر النبى ﷺ ليصرفهم عما هم فيه فلم يقبلوا ،واحتبسوه ومن معه ثلاثة أيام .

(٣) مكرز بن حصن ، بعثته قريش فى أربعين رجلا ليطوفوا بمعسكر المسلمين ليلا ، لعلهم يصيبون منهم أحدًا ، أو يجدون منهم غرة ،وكان المعسكر فى حراسة محمد بن مسلمة، فحمل عليهم وأسرهم إلا مكرزًا (الغادر) فإنه أفلت .

والصل : الثعبان ، وهوم الرجل: هوم رأسه من النعاس أو نام قليلا .

(٤) الأيهم : من لا عقل له ولا فهم .

(٥) لما أرسل محمد بن مسلمة من أسر بعثت قريش قوة من رجالها فرموا المسلمين بالنبل والحجارة ، وأعان الله عليهم ، فأسروا منهم اثنى عشر رجلا .

(٦) هو ابن زنيم أصابه سهم فمات .

أشقى الأذى والعدر جدَّ رجالهم وجرى لهم بالأسر طَيْرٌ أسحم
سقطوا ، فحسب القوم ما يجدونه وكفى شهيد الحق ما يتسنم

* * *

بعثت قريش أطلقوا أصحابنا وخذوا الرهائن والأسارى منكم (١)
صُدموا بقارعة تفاقم صدعها لولا سفاهة رأيهم لم يصدموا
لولا الضراعة من سهيل هَدَّهُمْ بأس تُهدُّ به الجنود وتهدم (٢)
بئس المآب لعصبة تأبى الهدى بيضًا معالمه ، ونعم المقدم
ياتارك الطغيان يعبس جده أقبل ، فجدك مقبل يتبسَّم
من حق ذى النورين أن يدَع الدجى خزيان ، يُلطم وجهه المتجهم
أإليك مد ذوو العمى أظفارهم ؟ فانظر إلى الأظفار كيف تُقلَّم

* * *

هى بيعة الرضوان لم تترك لهم ليلا ينام ، ولا صباحًا ينعم (٣)
سهد يشق على العيون مبرح وأسى يَعضُّ على القلوب مسمَّم

---

(١) هم عثمان بن عفان وأصحابه رضى الله عنهم .

(٢) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش إلى النبى ﷺ فى جمع ، فتقدم إليه ﷺ وقال : يا محمد إن الذى كان من حبس أصحابك وما كان من قتال من قاتلك لم يكن من رأى ذوى رأينا ، بل كنا كارهين له . حين بلغنا ، ولم نعلم به ،وكان من سفهائنا ، فابعث إلينا بأصحابنا الذين أسرت أولا وثانيًا . قال رسول الله: « **إنى غير مرسلهم حتى ترسلوا أصحابى** » فقالوا : نفعل ، وقضى الأمر على هذا .

(٣) كان النبى ﷺ جالسًا تحت شجرة من السمر فدعا أصحابه «**أيها الناس البيعة البيعة ، نزل روح القدس ، فاخرجوا على اسم الله** » فقبلوا فبايعوه على الصبر والثبات وأن لا يفروا، فإما الفتح ،وإما الشهادة ، وقد خوطبوا بقوله : « **أنتم خير أهل الأرض** » ، وقد أحب الناس هذه الشجرة فاتخذوا لهم مسجدًا عندها يصلون فيه ، وعلم عمر بن الخطاب بأمرهم فتوعدهم وأمر بقطعها لئلا يفتنوا بها .

فكأنما في كل عين مبرد وكأنما في كل قلب أرقم (١)
المسلمون يبايعون نبيهم يستمسكون بعروة ما تُفصم
لا يحسبون دم المجاهد مَغرمًا هو عندهم إن لم يُرِقه المغرم
إن ضمَّهم عند الشهادة موردٌ لَذَّ المذاق لهم ، وطاب المطعم
الله مولاهم ، ونصر رسوله حقٌّ عليهم في الكتاب محتَّم
نهضوا خِفافًا ، لو رأيت جموعهم لعلمت أي الناس إيمانًا هُمُ
ما منهمُ إلا على يَدِه يَدٌ لله ، ينظر نورها المتوسم
لُثِمَتْ بإيمان القلوب ، وإنها لَتُرَى على مَرِّ الزَّمان فتُلثم
نعم العطاء لمعشر ما بينهم نكِد يُردُّ ، ولا شَقِيٌّ يُحرم
ما جلَّ مُدَّخر فخيم شأنه إلا الذي ادخروا أجلُّ وأفخم

* * *

هذا سهيل جاء يحمل سؤلهم ويعيب ما صنع الرماة ويندم (٢)
ويقول : دعها يا محمد خطة يُرمى بها الشرف الرفيع فيُثلم
إنا نخافُ العارَ ، فَلْيَكُ بيننا صلح ندين به ، وعهد مبرم
الحرب تُوضَع بيننا أوزارها وتعود إن جمع الحجيجَ الموسمُ

---

(١) الأرقم : أخبث الحيات وأطلبها للناس أو ما فيه سواد وبياض أو ذكر الحيات .

(٢) سهيل بن عمرو ، بعثته قريش لعرض الصلح على النبي ﷺ ، فرضيه حقنًا للدماء ، وإيثارًا لما هو أحق وأولى ، فبدا التذمر من بعض المسلمين ، وذهب عمر غاضبًا حتى أتى أبا بكر فقال له : أليس هو برسول الله ؟ قال : بلى ، قال : أو لسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى : قال أو ليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى - قال . فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ فقال له أبو بكر : يا عمر الزم غرزه فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ، ثم أقبل عمر على النبي ﷺ فقال له مثل ما قال لأبي بكر فقال له : «أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن أخاف أن يضيعني » .

لكَ من سلاحك ما تَقلَّدَ مُنجد ... يبغى السلامة ، أو تزوَّدُ متهم (١)
واجعل سيوفك فى الغمود ولا تضق ... بالشر يُدرأ ، والمضرة تحسم
حدُّ المقام ثلاثة ، فإذا انقضت ... فدعوا منازلنا ويثربَ يمِّموا
من جاء منكم لا يُردُّ ومن يجىء ... منا ، فمردود إلينا مسْلم
هذا الذى نرضى ، فهل من كاتب ... يشفى الصدور بما يخطُّ ويرقم ؟

* * *

رضِىَ النبىُّ يريد رحمة ربه ... هو عبده ، وهو الأبرُّ الأرحم
صاح الرجال ، وراح فاروق الهدى ... يهتاج فى برديه فحل مُقرِم (٢)
ويقول للصدِّيق من هو يا أبا ... بكر ؟ وأية ملة نترسم ؟؟
أهو الرسول ونحن نتبع دينه ؟ ... فلمَ الهوان ؟ وما لنا نستسلم ؟
اللين من خلق الضعيف ودأبه ... ومن العجائب أن يلين الضيغم
مهلا هداك الله ، والزم غرزه ... إن كنت تطلبُ خير غرزٍ يُلزم(٣)
اهنأ أبا بكرٍ قضيت بحُجَّةٍ ... صدع اليقينُ بها ، وأنت مترجم
وأبو عبيدة إذ يعوذ بربه ... يخشى بوادرَ صدعُها لا يُلأم (٤)
يرقى من الفاروق نفسًا صعبة ... تأبى عوارمها إذا ما تُعجَّم
قال النبىُّ كفاك يا عمر اتَّئد ... فالحق فى سلطانه لا يهزم
أرضى وتأبى أنت ؟؟ إن وراءنا ... لو كنت تعلم ، ما نحبُّ ونرأم (٥)

(١) أنجد الرجل أتى نجدًا أو خرج إليها أو دخل فى بلادها ، وأتهم أتى تهامة أو كان كذلك .
(٢) المقرم : البعير المكرم ، لا يركب ولا يذلل .
(٣) الغرز : ركاب الرحل من الجلد .
(٤) أبو عبيدة بن الجراح قال لعمر وهو يراجع النبى ﷺ فى الأمر : ألا تسمع يا ابن الخطاب رسول الله يقول ما يقول ؟ نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وجعل يكررها
والصدع: الشق ويلأم : يلتئم .
(٥) قال الرسول الكريم ﷺ لعمر : « **يا عمر إنى رضيت وتأبى** » .

إنى رسول الله ليس بخاذلى والله يُقدِّر ما يشاء ويقسم
الأمر غيب ، ما لمثلك مطمع فى علمه ، والغيب باب مبهم [١]

* * *

اكتب علىٌّ فلن ترى من جامح إلا يُزمُّ على الزمان ويُخطم [٢]
وأبى سهيل أن يكون كتابه سمحًا ، عليه من النبوة روشم [٣]
قال : امح باسم الله وامح رسوله أتريدها صابا بسمٍّ تؤدم ؟ [٤]
الدين مختلف ، وليس لنا سوى ما كان أورثنا الزمان الأقدم
فأبى علىٌّ ما أراد ، وهاجه حرد الأبىِّ ، فغيظه ما يكظم [٥]
قال النبى افعلْ ، وسوف بمثلها تسقى ،فتغضى الطرف ، وهى العلقم

* * *

---

(١) مبهم : مغلق .

(٢) قال النبى : لعلى بن أبى طالب : « اكتب باسم الله الرحمن الرحيم » ، فقال سهل : بل يكتب باسمك اللهم على عادة قريش ـ قالوا :وأول من كتبها أمية بن الصلت ـ وقال لعلى بعد أن كتبها ،« **اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو** » ، قال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ولم أصدك عن البيت . فليكتب باسمك واسم أبيك . فقال النبى ﷺ لعلى: « **امح رسول الله واكتب محمد بن عبد الله** » . فشق عليه الأمر وقال . ما أنا بفاعل ، فمحا النبى ﷺ الكلمة بيده الشريفة وقال لعلى: « **اكتب فإن لك مثلها تعطيها وأنت مضطهد** » يشير إلى ما وقع بين على ومعاوية فى حرب صفين ، فقد كتب الذى تولى عقد الصلح بينهما :هذا ما صلح عليه أمير المؤمنون على ابن أبى طالب كرم الله وجهه معاوية بن أبى سفيان فقال عمرو ابن العاص(أحد الحكمين) : اكتب اسمه واسم أبيه ، وقال معاوية : لو كنت أعلم أنه أمير المؤمنين ، فمحيت كلمة أمير المؤمنين وكتب مكانها (على بن أبى طالب)
ويزم : يقاد بالزمام وهو الحبل يخطم بوضع الخطام وهو الحبل فى عنقه أو عليه وعلى أنفه .

(٣) الروشم : الطابع .

(٤) تؤدم بمعنى تخلط .

(٥) الحرد : الغضب ، وكظم غيظه كتمه .

نظر ابن عمرو نظرة ، فرأى ابنه ... يبغى الخطى عجلى ، ويأبى الأدهم [1]
قال: أرجعوه فذاك أول عهدكم ... فلئن أبيتم لَهوَ عهد أجذم
وانقضَّ يضربه ، فيالك مسلمًا ... فى الله يُضرب من أبيه ويلطم
رقَّتْ قلوب المسلمين لخطبه ... فجوانحٌ تهفو ، ودمع يسجم
أخذ النبىُّ بثوبه فأعاده ... يبنى لأمته البناء ويدعم
قال : انقلب ، وكفى بربك حافظا ... إنَّ التوكُّل للسلامة توأم
فمضى يقول : ألا ذمامٌ لامرئ ... يبغى الفرار بدينه يستعصم ؟
عُد فى قيودك واصطبر ، إن الأذى ... لأضرُّ ما انتجع الرجال وأوخم
كم للألى اتّبعوا الهدى من مغنم ... فى حرمة تُلغَى وحقٍّ يهضم
خير على خير يضمُّ ركامه ... شرٌّ على شرٍّ يضم ويركم
يترنَّم الباكى وإن بلغ الأسى ... منه ، ويبكى الناعم المترنم
أخذوا الصحيفة فَهىَ فى أوهامهم ... كالكنز يأخذه الفقير المعدم
طاروا بها فرحًا ، وبين سطورها ... دهياءُ بارزةُ النَّواجِذِ صَيْلَم
نصر مضى لمظفَّرين أعزَّة ... لم يمض منهم مخذم أو لهذم
ليس التصرف للقواضب ، إنها ... بالرأى تحكم فى الرقاب وتُحكم
للبغى حينٌ ، ثم يقصم صلبه ... والعدلُ صلبٌ قائمٌ ما يُقصم

---

(١) هو أبو جندل بن سهيل بن عمرو . كان يعذب بمكة لإسلامه فأفلت من المشركين وجاء يرسف فى الحديد ثم رمى نفسه بين أظهر المسلمين فجعلوا يرحبون به ويهنئونه ، وقام إليه أبوه فصار يضربه على وجهه . فرقوا عليه وبكوا ، وقال أبوه : يا محمد هذا أول ما أقاضيك عليه . فقال : « صدقت » . وأخذ ببرده يرده إلى قريش فجعل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونى عن دينى ، ألا ترون ما لقيته ؟ قال النبى ﷺ : « **يا أبا جندل أصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجًا وخرجًا ، إنا عقدنا بيننا وبين القوم صلحًا وأعطيناهم على ذلك وأعطونا عهد الله أن لا نغدر بهم** » .

ولقد يُقامُ العرسُ من سفه الألى   فرحوا ، وأولى أن يُقام المأتم
مِنْ مكرمات الحق أن وليَّه   بأشدِّ ما يرمى يُعانُ ويخدم
وأحق من حمل اللواء مجاهد   ماض على هول الخطوب مصمِّم
وَفِّ المطالب حقها ، واصبر تَفزْ   ما خاب إلا من يملُّ ويسأم
هذا نظام للشعوب ، ومنهج   حق يراه فصيحها والأعجم
نزل الكتاب به ، فأيقن مهتد   وارتاب ضلّيل ، ولجَّ مرجِّم
طبُّ الهدى الشافى ، وأعجب ما أرى   طبٌّ تصحّ به النفوس وتسقم

* * *

خزاعة وبنو بكر

في هذه الغزوة المباركة دخلت خزاعة في عهد النبي ﷺ ، ودخل بنو بكر في عهد قريش ، فساء ذلك كثيرًا من رجالهم ، ومنهم حويطب بن عبد العزى ، فقال لسهيل بن عمرو : باد أنا أخوالك بالعداوة وكانوا يستترون منا ، قال سهيل : ما هم إلا كغيرهم ، هؤلاء أقاربنا ولحمتنا قد دخلوا مع محمد إنهم قوم اختاروا لأنفسهم أمرًا ، فما نصنع بهم ؟ .

قال حويطب : ننصر عليهم حلفاءنا بني بكر ، قال سهيل : إياك أن يسمع هذا منك بنو بكر ، فإنهم أهل شؤم . فيسبوا خزاعة ، فيغضب محمد لحلفائه ، وينقض العهد الذي بيننا وبينه .

خزاعة أبشري بالعهد سمحا ... وزيدي دولة الإسلام فتحا

كفى بذمام أوفى الناس عهدًا ... لكلٍّ معاهد غنما وربحا

ألح على بني بكرٍ شقاءٌ ... تَزِلُّ له العقولُ إذا ألحا

هُمُ اتَّبعوا الألى انقلبوا بقَرح ... فزادوهم بما اقترفوه قَرحا [1]

حُوَيْطِبُ ما يُغيظك من رجال ... هموا ضربوا عن الغاوين صفحا ؟

أتيح لِقَدْحِهم فوزٌ مبينٌ ... وخُيِّب من أحبَّ ذويك قِدحا [2]

* * *

رويدك ، إن أخوال ابن عمرو ... لأرفع قبَّة وأعزُّ صرحا

ولولا ما برأيك من ضلال ... لجانبت الملام ، وقلت : مرحى [3]

---

(١) القرح : الجرح .

(٢) القدح : السهم .

(٣) مرحى : كلمة تقال للرامي إذا أصاب تعجبًا .

أمن عرف الرشاد فطاب نفسًا وأقبل يبتغيه كمن تنحى ؟
تحاول أن تثير الحرب حتى تراها تلفح الأبطال لفحا
لقد مضت المقالة من لبيب يقول الحق ، لا يألوك نصحا
أتقدح يا حويطب زندَ سوءٍ دع الرأى الرشيد ، وزده قدحا
لعلَّك إن رأيت له لهيبًا تكون أشدَّ من يصلاه برحا

* * *

وراءك يا حويطب كلُّ عضب يسحُّ الموت من حدَّيه سحّا [1]
يجرده لنصر الله قَرم يصول فيمسح الأعناق مسحا [2]
سخِيُّ النفس ، والهيجاء تغلى فتملأ أنفس الشجعان شحّا

* * *

بنى بكر أما أبتم حزانى كما آبت خزاعة وهى فرحى ؟
هو الجَدُّ الشقىُّ علاه جَدٌّ تلقَّى نعمة ، وأصاب نجحا

* * *

(١) العضب من السيوف القاطع .
(٢) القرم : الفحل الكريم ،وبه يشبه السيد العظيم .

أمُّ كلثوم رضي الله عنها (١)

هى بنت عقبة بن أبى مُعَيْط ، وأخت عثمان بن عفان رضي الله عنه ، أسلمت وبايعت النبى ﷺ قبل هجرته إلى المدينة ، وخرجت من مكة بعد رجوعه من الحديبية مهاجرة لله ولرسوله وهى أول من هاجر من النساء ، وخرجت من مكّة وحدها ، وصاحبت رجلا من خزاعة حتى قدمت المدينة فى هدنة الحديبية . فلما بلغت المدينة ذهبت إلى دار أم سلمة رضي الله عنها وهى من أمهات المؤمنين ، فرحب بها الرسول الكريم ، وخرج أخواها عمارة والوليد فى طلبها ، يريدان ردها بالحق الذى فى العهد ، فقالت : يا رسول الله أنا امرأة ضعيفة لا تردنى إلى الكفار ، إنى أخافهم على دينى ، فنزل قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ ﴾ الآية[الممتحنة: ١٠] ، والامتحان أن تستحلف المهاجرة أنها إنما هاجرت لله ورسوله، وبهذه الآية خرجت المؤمنات المهاجرات من حكم الرد الذى وضع في ذلك العهد ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ للوليد وعمارة : قد نقض الله العهد فى النساء بما قد علمتاه فانصرفا . فبقيت السيدة أم كلثوم ، ولم يكن لها زوج بمكة فتزوجها زيد ابن حارثة رضي الله عنه . فولدت له ، وقتل عنها يوم مؤته ، فتزوجها الزبير بن العوام ، فولدت له زينب . ثم طُلِّقت فتزوجها عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له ابراهيم وحميدا ، ثم مات عنها فتزوجت عمرو بن العاص فماتت عنده (٢) .

أجيبى أم كلثوم أجيبى ... ترامت دعوة الداعى المهيب
لَمَكةُ إذ يضام الدين فيها ... أحقُّ بكل أفّاكٍ ، مريب

(١) هى أم كلثوم بنت عُقبة بن أبى مُعيط بن أبى عمرو بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف ابن قُصى ، وأمها : أروى بنت كُريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف بن قُصى .

(٢) الإصابة : ٨/ ٢٩١ ، الطبقات : ١٠/ ٢١٨ .

خذى قصد السبيل إلى ديار ... محببة المسالك والدروب
حمى الإسلام يمنع كل عاد ... وغيل الحق يدفع كل ذيب
رعاك الله ، فانطلقى وسيرى ... ولا تهنى على طول الدؤوب
أردت الدين معمور النواحى ... فخوضى البيد مقفرة وجوبى [1]
تطيلين التلفُّت من حذار ... وقلبك لا يقر من الوجيب
رويدك ، إن عين الله ترعى ... خطاك ، فلن يسوءك أن تؤوبى
أرى أخويك فى أمر مريج ... وهمٌّ من مصابهما مذيب [2]
يلف حشاهما حزنٌ عجيبٌ ... لِرَوْعَةِ ذلك الحدث العجيب
لكلٍّ منهما فى الحىِّ عينٌ ... تدور كأنها عين الحريب [3]
وقلب دائم الخفقان هاف ... طويل الوجد ، متَّصل اللهيب
هنا كانت ، فأين مضت ؟ وأنَّى ... تعاود خدرها بعد المغيب ؟
أما عند ابن عفَّانٍ شفاء ... فيكشف كربة العانى الكئيب ؟
أتذهب أختنا ، لا نحن ندرى ... ولا هو عنده علم اللبيب ؟
كفى يا بنت عقبةَ ما لقينا ... من الأحداث بعدك والخطوب

* * *

قفى يا أمَّ كلثومٍ فهذا ... محطُّ الرحل للنائى الغريب
حللت بفضل ربك خير دار ... بطيبة فانعمى نفسًا وطيبى
تلقَّاك النبى فأىَّ بشر ... رعتْ عيناك فى الكرم الخصيب ؟
يرحِّب ما يرحِّب ، ثم يُضفى ... عليك حنان ذى النسب القريب

---

(١) من جاب قطع .

(٢) أمر مريج : مختلط أو متلبس .

(٣) الحريب : الذى سلب ماله .

ومـا نسب بأقرب من سبيل ... يؤلف بين أشتات القلوب
سبيل الله ، ليس إذا ما ... بلوتِ السبل أجمع من ضريب
هُدَى السارى ، يسدده فيمضى ... بمخترق السباسب والسهوب (١)
يمرُّ بآخرين ، لهم عواء ... يُشيَّع بالتوجع والنحيب
يرى سبل النجاة ، وكيف ضلُّوا ... فيعجب للمصارع والجنوب
ويحمد فالق الإصباح حمداً ... يهزُّ جوانح الوادى الطروب
تعالى الله ينزل كل بَرٍّ ... بِعال من منازله رحيب

* * *

عمارة والوليد ولا خفاء ... على فرط التجهم والشحوب
هما عرفا السبيل ، فلا مقام ... وكيف مقام مختبل سليب ؟
أهابا بالرسول أعِدْ إلينا ... وديعتنا ، فما بك من نكوب (٢)
هو العهد الذى أخذت قريش ... ومالك غير نفسك من حسيب
سجيُّتك الوفاء ، وما علمنا ... عليك الدهر من خلق معيب
برأيك فاقض ، وارددها علينا ... فإنك أنت ذو الرأى المصيب

* * *

عناها أن تُردَّ ولا ظهير ... يقيها ما تخاف من الكروب
فصاحت : إننى امرأة ومالى ... على المكروه من عزم صليب
بربِّك يا محمد لا تدعنى ... فريسة كل جبَّار رهيب
يعذِّبنى لأترك دين ربى ... إلى دين المآثم والذنوب
أأرجع يا حمى الضعفاء ولهى ... ومالى فى ظلالك من نصيب ؟

(١) السباسب : جمع سبسب ، وهو المفازة أو الأرض المستوية البعيدة ، والسهوب بمعناها جمع سهب .
(٢) النكوب : الميل والعدول .

أتى التنزيل يصدع كل شكٍّ ويجلو ما استكنَّ من الغيوب(١)
ويحكم حكمه عدلا وبرا فيُلقى بالدواء إلى الطبيب
إذا جاء النساء مهاجرات يردن الله ديَّان الشعوب
بقين مع النبيِّ وإن تمادت لجاجةُ كل عريض شغوب

* * *

ليهنك أم كلثوم مقام كريم عند مرجوٍّ مثيبِ
وزوجٌ ذو محافظة نجيب يفيء إلى ذرى النسب النجيب
يفيء إلى ذرى الإسلام منه فتى للسلم يُرجَى والحروب
وما زيد بن حارثة بِنكْس إذا التقت الكماة ولا هيوب (٢)
أخو المختار من عليا قريش ومولاه الحبيب أبو الحبيب (٣)

* * *

---

(١) إشارة إلى أية الممتحنة رقم : ١٠ والتى نقضت أحد بنود عهد الحديبية.

(٢) النكس : الضعيف الدنىء الذى لا خير فيه . والكماة :جمع كمى ، وهو الشجاع أو لابس السلاح ، لأنه كمى نفسه ، أى سترها بالدرع والبيضة .

(٣) فى البيت إشارة إلى قول النبى ﷺ لزيد بن حارثة رضى الله عنه : « **أنت أخونا ومولانا**» ،وأنه كان حبه كما كان ولده أسامة بن زيد يدعى الحب ابن الحب .

أبو بَصير وأصحابه رضي الله عنهم

جاء أبو بصير [١] رضي الله عنه إلى النبى ﷺ ، وكان من المحتبسين بمكة ، [فبعث أزهر ابن عوف أسلم بعد ذلك ـ يطلب رده من النبى ﷺ فى كتاب يحمله رجل من بنى عامر اسمه خنيس وجاء معه آخر يهديه الطريق [٢]] .

وقال النبى ﷺ لأبى بصير : « **انطلق إلى قومك فليس الغدر من ديننا وسيجعل الله لك فرجًا** » ، فرجع معهما ، واحتال على أخذ السيف من أحدهما فقتله به ، وحمل على الثانى ففر راجعًا إلى المدينة وهو يعدو فى أثره ، وقال الرجل للنبى ﷺ : قتل صاحبكم صاحبى وأفلت منه ولم أكد . ثم استغاث به ، وقال أبو بصير للنبى ﷺ : لقد وفيت بذمتك ، فقال له : « **اذهب حيث شئت** » فذهب إلى محل من طريق الشام تمر به تجارة قريش ، وطار الخبر ، فقدم إليه أبو جندل فى سبعين فرسًا ، ولحق به آخرون من المسلمين ، فكانوا ثلاثمائة مقاتل ، ما رأوا عيرا لقريش إلا أخذوها ، ولا رجلا إلا قتلوه ، فبعثوا يسألون النبى ﷺ بالأرحام إلا آوى هذه القوة إليه ، وقال بعضهم : إنا أسقطنا شرط رد اللاجئين من العهد ، فمن جاءك منهم فأمسكه ولا حرج عليك ، فكتب إلى أبى بصير وأبى جندل يستقدمهما إليه ، ويأمر أن يذهب من معهما إلى بلادهم وأهليهم غير متعرضين بأذى لقريش ، فأخذ أبو بصير الكتاب وهو يحتضر فمات وهو فى يده يقرؤه ، فدفنه أبو جندل وعاد مع ناس من أصحابه إلى النبى ﷺ .

---

(١) هو عُتبة بن أَسِد بن جارية بن أسيد بن عبد الله بن أبى سلمة بن عبد العُزّى بن غِيَرة بن عوف ابن ثقيف . وكان حليفا لبنى زهرة . وأمه سالمة بنت عبد يزيد بن هاشم بن عبد المطلب ابن عبد مناف بن قصى .

(٢) صحة هذه العبارة كالآتى : كتب « الأخنس بن شريق الثقفى » حليف بنى زهرة ، و« أزهر بن عوف الزهرى » إلى رسول الله ﷺ فيه كتابا ، وبعثا إليه رجلا من بنى عامر ابن لؤى ، وهو : « خُنيس بن جابر » استأجره بِبكرٍ ، ابن ليون . وسألا رسول الله ـ ﷺ ـ أن يَرُدّ أبا بصير إليهما على ما اصطلحوا عليه يوم الحديبية ، فخرج خنيس بن جابر ومعه مولى له يقال له « كوثر » يهديه الطريق . فقدما على النبى بالكتاب .

رحمة يا أبا بصير ونعمى أذن الله أن تُحلَّ وتُحمى
جاءك الغوث ، فانطلقت حثيثًا سر طليقًا ، كفاك حبسًا وهما
أنت أفلتَّ من حبائل قوم ذقت منهم أذى كثيرًا وظلما
جعلوا الحق خصمهم من غباء وغبيٌّ من يجعل الحق خصما
جئت دار النبى فادخل وسلم وارع حق المقام روحًا وجسما
كم تمنيت أن ترى لك حصنًا فتأمل حصون ربك شما
وارض حكم الرسول إنك مردُ ود ، ومَنْ مثله قضاء وحكما ؟
ذا خنيس وذا كتاب ابن عوف فالزم الصبر ، أصبح الأمر حتما
سألا العهد عند أكرم مسئو ل فأعطاهما وفاء وحلما
انقلبْ يا أبا بصير فليس الد ين دين الهداة غدرًا وإثما
حسبك الله إنه لك عون وسيكفيك كل خطب ألمَّا
هو مولى المستضعفين ينجِّيـ ـهم إذا ما طغى البلاء وطمَّا

* * *

عاد يُخفى لصاحبيه من الشنـ ـآن ما يملأ الجوانح سُما (١)
وشفاها بذى الحُلَيْفة نفسًا أوشكت أن تزول هَمًّا وغما (٢)
نظر السيف فى يدى أحد الخصمـ ـين يبدى من المنية وَسْما
وهو يطريه فى غرور ويسقيـ ـه نفوس الكماة ظنًا وزعما
قال : بل أعطنيه أنظره ، إنى بسجايا السيوف أكثر علما
ثم غشَّاه ضربة علمت كيف يخشى الهزبر من كان شهما
جاء يصطاده غرورًا فأردا ه ، وكان الغرور شرًا وشؤما

---

(١) الشنآن البغض .
(٢) المكان الذى قتل الرجل فيه .

صدَّ عنه رفيقه وتولى ... يتوقى قضاءه أن يحمّا
طار يهفو كالسهم ، يمضى بعيدا ... وهو أنأى مدى ، وأبعد مرمى
طلب السيف نفسه وهى ولهى ... لو تذوق الردى لما مرَّ طمعا

* * *

كذب الوهم ، ما الحياة سوى الأمـ ... ـن ، وشرُّ الأمور ما كان وهما
وقع الطائر المُسِفُّ على النسـ ... ـر الذى يملأ السماوات عزما
الرسول الذى تدين له الأر ... ض ، وتهفو إليه حربًا وسلما
قال : إنى لهالك ، فأجرنى ... لا تدعنى لبعض صحبك غنما
ردَّ عنى أبا بصير فحسبى ... ما جناه علىَّ صدعًا وكلما (١)
جرّع الحتف صاحبى وانبرى يطلـ ... ـب قتلى ليتبع الجرم جرما
إنه جاء راكضًا يحمل السيف ... فهب لى دمى ، لك الشكر جما
عفّ عنه ، وقال : ما ثم شىء ... يا نبى الهدى أرى الأمر تما
صدق العهد ، وانقضى الرد فانظر ... ما ترى فاقضه سدادًا وحزما
قال : فاذهب فقد برئت ، وظلم ... آن يلام البرىء أو أن يذما
لك ما شئت أن تحل من الأر ... ض سوى أرض يثرب أو تؤما
فتولَّى إلى مكان يزيد الـ ... ـكفر والكافرين خسفًا ورغما (٢)
كل مال تقلُّ عير قريش ... بين عينيه ظاهر ليس يكمى (٣)
إنه الأرقم الأصمّ تداعت ... فارتمت حوله الأراقم صما
مؤمن حل فى العراء محلا ... جمع المؤمنين فيه وضمّا

---

(١) الكلم : الجرح .
(٢) الرغم : الكره والقسر .
(٣) كمى الشىء ستره وغطاه .

أقبلوا ينسلون من كل أوب يطلبون المصال قرمًا فقرما (١)

لمَّ ذو العرش شملهم بعد صدع وخليق بشملهم أن يُلما

[أبو جندل]

يا أبا جندل (٢) عليك سلام جئت بالخيل ترجم الأرض رجما

اغتفر ما جنى أبوك سهيل يوم يطغى عليك ضربًا ولطما

إنما الصابرون أوفى نصيبًا يا أبا جندل وأوفر قسما

أعملوا القتل والنهاب ، وردُّوا كل غنم أصابه القوم غرما

غارة بعد غارة تأكل الما ل ، وتطوى الرجال خضما وقضما (٣)

زُلزلوا من أبى بصير بخطب بالغ صدعه أبى أن يرمّا

مخذم قاطع ، ومسعر حرب جربته البيض القواطع قدما (٤)

ضاقت السبل والفجاج عليهم واستحال الفضاء سدًا وردما

عاد رتقًا كأنه سد يأجو ج ومأجوج ما ترى فيه ثلما (٥)

جأروا يشتكون ، وادّكروا الأر حام يستشفعون جبنا ولؤما

---

(١) ينسلون : يسرعون ، وأوب : مكان ، والقرم : الشجاع .

(٢) هو « أبو جندل بن سهيل بن عمروس بن عبد شمس » أسلم ، فحبسه أبوه « سهيل بن عمرو » وأوثقه فى الحديد ، ومنعه الهجرة . فلما نزل رسول الله ﷺ الحديبية ، وأتاه «سهيل بن عمرو » فقاضاه على ما قاضاه عليه ، أقبل عليه « أبو جندل » يرسف فى قيده إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فلما رآه أبوه قال : يا محمد ، هذا أول ما أقاضيك عليه، فردّه رسول الله ـ ﷺ ـ على أبيه؛ لأن الصلح كان قد تمّ بينهم (صلح الحديبية) . وقد أفلت « أبو جندل » بعد ذلك ، فخرج إلى « أبى بصير » وهو فى « العيص » ، وقد تجمع إليه ناس من المسلمين فكانوا كلما مرّت عير لقريش اعترضوها .

(٣) الخضم : الأكل بجميع الفم ، والقضم : الأكل بأطراف الأسنان .

(٤) جاء فى السيرة أن النبى ﷺ أطلق على أبى بصير هذا الوصف (مسعر حرب) .

(٥) الرتق : المسدود المغلق .

واستمدوا الحنان من أعظم النا ... س حنانًا ، وأقرب الرسل رحما
قال ذو أمرهم : أغثنا ولا تعـ ... ـنف علينا ، إن القلوب لتعمى
أفسَدَ العهدُ أمرنا فعرفنا ... ه ، وماذا لنا إذا الأمر غُمّا ؟
قد تركنا لك الرجال فأمسِكْ ... كل من شئت منهمُ أن تُذِما (١)
حَسبُنا السلم يا محمد إن تَبْـ ... ـسُطْ علينا ظلاله ، فنعما
بدَّد الضر والأذى بكتاب ... نظم البر والمروءة نظما
لم يدعه أبو بصير ورامى الـ ... ـموت يلقى عليه سهمًا فسهما
جاد بالنفس وهو فى يده يتلـ ... ـوه ، ما أعظم المقام وأسمى
آخر الزاد إن أردنا له اسمًا ... وأراه أجل من أن يسمى
قال : أقبل وفرق الناس وليعـ ... ـفوا ، فحسب الطغاة قمعًا ووقما (٢)
رجع القوم راشدين ، ومن أر ... شَدُ ممَّنْ رمى الضلال فأصمى ؟
وأبو جندل يؤمّ رسول الله ... فى رُفْقَةٍ إلى الله تنمى
كوكب الحق والهدى يتلقى ... من ذويه الهداة نجمًا فنجما
طلعوا والزمان أسوَدُ داج ... فجلوا من ظلامه ما أدلهمّا
ورَموا بالشعاع مقتل دين ... ردّ وجه الحياة أغبر جهما
اعرف الحق ، لا ترعك الدعاوى ... فالمروءات والمناقب ثَمّا
أىٌّ مجد فى الأرض ، أو أى فضل ... لم يكونوا له أساسًا وجذما ؟ (٣)

* * *

إن فى حكمة الرسول لذكرى ... للبيب أصاب عقلا وفهما

---

(١) أذم فلانًا أجاره .

(٢) وقمه : قهره وأذله .

(٢) الجذم : الأصل .

هـدم الله مـا بـنـى الـعـهـد مـن آ   مـال قـوم يـبـغـون لـلـدين هـدمـا
كـم رأوا من مـشـاهـد الوهـم فـيـه   مـشـهـداً رائـع التـهـاويـل فـخـمـا
لا يـغـرنَّـهـم مـن الـغـيـث وكـفٌ   إنـه الـسـيـل موشـك أن يـعـمَّـا
هـمـة مـن هُدَى الـرسـول ولـود   تـورث الشـرك والـضـلالـة عـقـمـا
لم تـزل تضـرب الـطـواغـيـت حـتى   جـرَّعـتـهـا الـرزأين ثـكلا ويـتـمـا
إن لـلـحـق بـعـد لـين وضـعـف   قـوة تحـسـم الأباطـيـل حـسـمـا

* * *

غَزوة خيبَر

كانت هذه الغزوة فى المحرم من السنة السابعة [١] واستخلف على المدينة نميلة ابن عبد الله الليثى ، فلما أشرف النبى ﷺ فى جيشه على مدينة خيبر [٢] عند الصبح، وكان اليهود قد أصبحوا يحملون الفؤوس والمساحى ليعملوا فى مزارعهم، فأخذهم الرعب وعادوا إلى حصونهم ، فبقوا محصرين فيها ، ثم خرج رؤساؤهم يبارزون المسلمين فيأخذهم الله بسيوفهم ،ثم دارت رحى القتال بعد ذلك ، وكان على بن أبى طالب كرم الله وجهه قد تخلف بالمدينة لرمد أصابه، فبعث إليه النبى ﷺ سلمة بن الأكوع ، فجاء به يقوده وهو معصوب العينين ، وعقد له النبى ﷺ اللواء فباشر القتال ، وفتح الله على المسلمين [٣] ، وقد طلب اليهود الصلح على أن تحقن دماؤهم . وتترك لهم النساء والذرارى ، ثم ينقشعون عن خيبر لا يحمل الواحد منهم سوى ثوب واحد، فقبل النبى ﷺ، وأراد الله له أن يقرهم على أرضهم عمالا ، فساقهم على النخل وزارعهم على الأرض ، وبقى أمرهم كذلك إلى أن كانت خلافة عمر بن الخطاب ﷺ ، فحدث أن ابنه عبد الله ذهب إليهم فأصابوه بسوء بليغ ، فأجلاهم عن أرضهم وديارهم ، وذهب بعضهم إلى تيماء وبعضهم إلى أريحاء .

---

(١) فى الطبقات (٢/ ١٠٠) انها فى جمادى الأولى من السنة السابعة ، وقال ابن اسحاق « وأقام رسول الله ﷺ بعد رجوعه من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وخرج فى بقية منه غازيًا إلى خيبر . [عيون الأثر : ٢/١٦٨]

(٢) هى على ثمانية بُرد من المدينة .

(٣) عن ابى هريرة قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ « لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله عليه » قال عمر : فما أحببت الإمارة إلا يومئذ. فدعا عليا فبعثه ثم قال : اذهب فقاتل حتى يفتح الله عليك، ولا تلتفت » قال علىٌ : على ما أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فإذا فعلوا ذلك فقد منعوا دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله » . [مسلم : ح : ٢٤٠، ٢٤٠٥ ، البخارى : ٢٤٠٩و٢٤١٠ ، البيهقى فى الدلائل : ٤/٢٠٦ .

أعدَّى النمل خيبر والذبابا أعدت يثرب الأسد الغضابا
ومدى من حصونك كل عال ليرفع فى السماوات القبابا
سينزع بأسهم حصنًا فحصنًا ويفتح عزمهم بابًا فبابا
أتاك الفاتح المقدام يزجى مع الجيش الدعاء المستجابا (١)
أتوك مكبرين فلا تلوذى بغير الذعر واضطربى اضطرابا
أما والذاكرين الله فرداً لقد هزوا المخارم والشعابا (٢)
أجيبى : أين جندك ؟ واسأليه لمن جمع السلاح ؟ وكيف غابا ؟
تواروا فى الحصون وخادعتهم ظنون كنَّ حلمًا أو سرابًا (٣)
ولو جعلوا السحاب لهم محلا لطار الجيش يقتحم السحابا
جنود محمد كالموت يمضى على قدر صعودًا وانصبابا
وليسوا فى الحروب إذا تلظَّت كمن جهل الأمور أو استرابا
وفى حصن النطاة لسان صدق يُعلِّم كل من جهل الحبابا (٤)

---

(١) لما أشرف الرسول الكريم ﷺ على خيبر قال لأصحابه «قفوا» ، ثم قال لهم: « **قولوا: اللهم رب السماوات وما أظللن ،ورب الأرضين وما أقللن ،ورب الشياطين وما أضللن. ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها ،وخير ما فيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها** » ، فلما قالوها قال: «**أقدموا باسم الله الرحمن الرحيم** » [البيهقى فى الدلائل: ٤/ ٢٠٣ و ٢٠٤ ، البداية والنهاية: ٤/ ٥٤٢] .

(٢) المخارم : جمع مخرم ،وهو منقطع الأكمة وأنف الجبل والطريق فى الأرض الغليظة .

(٣) لما بلغهم أن النبى ﷺ سيغزوهم جعلوا يخرجون ويقفون صفوفا ثم يقولون : محمد يغزونا، هيهات ، وذكر أن عبد الله بن أبى ابن سلول أرسل إليهم : أن خذوا حذركم، وأدخلوا أموالكم حصونكم ،واخرجوا لقتاله ، ولا تخافوا منه ، إن عددكم كثير (كانوا عشرة آلاف) وقوم محمد شرذمة قليلون ـ عزل لا سلاح معهم إلا قليل .

(٤) وضع اليهود أموالهم وعيالهم فى بعض حصونهم ،وعسكروا في حصن النطاة ، فتزل المسلمون قريبًا من هذا الحصن . فتقدم الحباب بن المنذر إلى النبى ﷺ وقال له: يا رسول الله إنك نزلت منزلك هذا ، فإن كان عن أمر أمرت به فلا نتكلم ، وإن كان الرأى =

رأى الرأى الذى ذاقت يهود ... مرارته ، فكان لهم عذابا
أصابتهم حميا اليأس لما ... تنحى الجيش يلتمس الصوابا [(١)]
سل البطل المجرب لو أجابا ... أيعلم أىَّ داهية أصابا ؟ [(٢)]
رماه بعامر قدر إذا ما ... رمى المهجات غادرها خرابا
ولكن المنية أخرته ... ليبلغ فى غوايته الكتابا [(٣)]
وخان السيف صاحبه ، فأودى ... شهيدًا ، برَّ مصرعه وطابا
هنيئًا عامرٌ رضوان رب ... حباك الأجر جمًّا والثوابا
بسيفك مِتَّ موت فتى كريم ... يحاذر أن يعيَّر أو يعابا
برزت لمرحب بطلا مهيبًا ... أبى أن يُتَّقى أو أن يهابا
ولولا نَبوْة للسيف طاشت ... بمضربه لأورده التبابا [(٤)]

* * *

= تكلمنا ، قال : «هو الرأي » ، فقال الحباب : إنهم قوم يجيدون الرمى ،وهم مرتفعون عنا ، ولا نأمن من بياتهم يدخلون فى حمزة النخل ، تحول يا رسول الله . ففعل .

(١) حميا الشيء شدته .

(٢) هو مرحب ملك اليهود خرج يرتجز:

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح ، بطل مجرب
إذا الحروب أقبلت تلهب

فبرز له عامر بن الأكوع فضربه مرحب بسيفه ، فوقعت الضربة فى ترس عامر فأراد أن يضرب مرحبا من الأسفل فعاد إليه سيفه فأصابه فمات . فبرز له وهو يقول :

أنا الذى سمتنى أمى حيدرة ... كليث غابات كريه المنظره
أو فيهم بالصاع كيل السندرة ... فضرب مرحبا ، فغلق رأسه

فقتله ، وكان الفتح [مسلم : ح ١٨٠٧ ، البيهقى فى الدلائل : ٤/٢٠٧ ـ ٢٠٩] .

(*) وهناك خلاف فيمن قتل مرحبا .

(٣) الكتابا : أى : الأجل المكتوب له .

(٤) التباب: الهلاك .

توالى الزحف ، واستعرت نفوس مضت تنساب فى الله انسيابا
لئن خاضت غمار الموت ظمأى لقد عرفت مشاربه العِذابا
سهامُ بواسلٍ لاقت سهاما يكاد جبانها يخشى الترابا [(١)]
تُحدِّثُ عن مخاوف باعثيها حديثًا يبعث العجب العجابا
دعتهم للوغى بيض المواضى وصيَّرت السهام لهم خطابا
ولو ملكت مسامعهم فلبوا لما ملكوا الجماجم والرقابا
لو أن الحصن أوتىَ ما تمنى أبى إلا هويًّا وانقلابا
رماه محمد فألحَّ حتى لأوشك أن يقول : كفى عقابا [(٢)]
يظلُّ الظرْب يحمل منه طودًا طوى الأطواد ، وانتظم الهضابا
وأمسك هذه الدنيا ، فأمست وما تخشى الزوال ، ولا الذهابا
لواء الفتح فى يده رهين بصاحبه الذى فاق الصحابا [(٣)]
يشير إليه محتجبًا بوصف يكاد سناه يخترق الحجابا

---

(١) اشتد الترامى بالنبل بين المسلمين واليهود ، حتى لقد أصابت سهام هؤلاء ثياب النبيﷺ وعلقت به .

(٢) ألح الرسول الكريم ﷺ بالرمى على حصن ناعم إلحاحًا شديدًا ويهود تقاتل ،وهو على فرسه الظرب وعليه درعان ومغفر وبيضة ،وفى يده قناة وترس .

(٣) لما اشتد الأمر واستعصت الحصون قال النبى ﷺ لمحمد بن مسلمة رضي الله عنه : «**لأعطين الراية إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبانه ، لا يولى الدبر ، يفتح الله عز وجل على يده**»، فلم يكن من الصحابة أحد له منزلة عنده إلا رجا أن يكون هو المعنى بذلك. وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال :ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم ، وبعث النبى ﷺ إلى على بن أبى طالب وهو أرمد ، فدفع إليه الراية وكان اسمها العقاب ثم أعطاه سيفه رضي الله عنه ذا العقار . قال على كرم الله وجهه : يا رسول الله إنى أرمد كما ترى ، لا أبصر موضع قدمى ، فتفل فى عينيه بعد أن وضع رأسه فى حجره ـ وقيل: إنه تفل فى كفه الشريف ثم فتح عينيه ودلكهما ـ فبرئ .

ويذكره وبالفاروق حرص … على أن ليس يعدوه انتخابا
على للعقاب ، وما على … سوى البطل الذى يحمى العقابا
شهاب الحرب ، لا عجب ولكن … عجبت لفرقد قاد الشهابا
رسول جاء بالفرج المرجَّى … وبالنور الذى كشف الضبابا
تقدَّمْ يا على رعاك رب … كفى عينيك داءك والعصابا
بطبٍّ محمد أدركت ما لو … أراد الطبُّ أعجزه طلابا
شفى الرمد الذى آذاك حينًا … وكان لعزمك الماضى قرابا
خذ السيف الذى أعطاك ، واصدع … ببأسك هذه الصمَّ الصلابا
حُصُون كلما زيدتْ دعاء … إلى البيضاء ، زادتها اجتنابا
تُحِبُّ الكبر ، لا ترضى سواه … على آفاته خلقًا ودابا

* * *

تقدّمْ ، ما لصيدك من قرار … إذا لم تؤته ظفرًا ونابا
خذ الذئب اللعين ولا تدعه … صدود الليث ، يحتقر الذئابا (١)
كفى بالحارث المغرور علمًا … لمن رزق الغباء ومن تغابى
أرقتَ حياته ، فأرقْتَ منها … صريح الكفر يأبى أن يشابا
ورُعت به أديم الأرض لما … جعلت عليه من دمه خضابا

* * *

تَخَيَّلَ مرحب ما ليس حقا … ومنَّته الظنون مُنًى كذابا
مشى يختال مرتجزًا فلاقى … قضاء الله ينسرب انسرابا

---

(١) ذهب على إلى الحصن فركز الراية تحته وكان أول من خرج إليه الحارث أخو مرحب ، وكان معروفًا بالشجاعة ، فثبت له وتضاربا فقتله ،وانهزم اليهود إلى الحصن ، ثم برز له مرحب فقتله .

سقاه الموت أبيض مَشْرَفيٌّ ... يذيب الموت يجعله شرابا
لك الويلاتُ من ملك غويٍّ ... أحيط بملكه ، فهوى وذابا
أعدَّته اليهود لكل خطب ... فضلَّ رجاؤهم فيه وخابا
أما نظروه مأخوذًا ببأس ... يهدُّ البأس أخذًا واستلابا ؟
وكل مغالب ، فله عليٌّ ... غداة الكرِّ يأخذه غلابا
توثَّب يا سِر ، فتلقَّفتْهُ ... مخالب فاتك ألف الوثابا (١)
أما سمَعته خيبر حين يهذى ... فَصَدَّتْ عنه توجعه عتابا ؟
ولو تَسْتطِيعُ لاتخذت حياء ... من البيض الرقاق لها نقابا
غُرَابُ الشؤم يُفزعها نعيبًا ... فيالكِ بومةً ولدت غرابا
فتى شاكى السلاح ، ولا سلاح ... لمن يبغى من الموت اقترابا
ألا إنّ الزبير لذو بلاء ... وإن خَشِيَتْ صَفِيَّةُ أن يصابا
حواريُّ الرسول يكون منه ... بحيث يريد صبرًا واحتسابا

* * *

تجلَّتْ غرة الفتح المرجَّى ... وأمسى النسر قد طرد الذبابا

---

(١) قال ابن اسحاق : لما قتل مرحب خرج أخوه ياسر وكان من مشاهير فرسان اليهود وشجعانهم وهو يرتجز .

قد علمت خيبر أنى ياسر ... شاكى السلاح بطل مغاور

ويقول : هل من مبارز؟ فخرج إليه الزبير بن العوام فقتله ، وكانت أمه صفية بنت عبد المطلب بن هاشم . قالت : عند خروجه : يا رسول الله أنه يقتل ابنى ، فقال لها : «بل ابنك يقتله إن شاء الله » .

فالتقيا ، فقتله الزبير . قال : فكان الزبير إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ صارما، يقول: والله ما كان بصارم، ولكنى أكرهته [ابن اسحاق فى السيرة : ٣/ ٢١٥].

وأعولت النّطاةُ لفقد حصن ... يُعمٌّ يهود شجواً وانتحابا [1]

هو البأس المدمَّر يا علىٌّ ... فدع آطامها العليا يبابا

وحصن الصعب أذعن بعد كبر ... وأعلن بعد غلظته المتابا [2]

وأدَّى ما أعدَّ القوم فيه ... فأمسى بين أعينهم نهابا

وراح المسلمون بخير حال ... ولولا الله ما برحوا سغابا

أتاح لهم على الضرَّاء رزقًا ... فأمسى اليسر بعد العسر ثابا

مغانم من عتاد القوم شتى ... تجاوز حين تحصيها الحسابا

كفى بالصبر للأقوام عونًا ... إذا حدَثٌ من الأحداث نابا

وما أمر اليهود إلى صلاح ... إذا الداعى إلى الهيجا أهابا

مشى لهم الحباب يجرّف جيشًا ... شديد البأس ، يلتهب التهابا [3]

فزلزل حصنهم ، حتى لودوا ... لو أن له إلى الطير انتسابا

ولو ملك الجناح لطار يطوى ... طباق الجوِّ ذعرًا وارتعابا

تنادَوا للقتال ، فبادرتهم ... سيوف الله شيِّقة طِرابا

وليس لقوم يوشع من بقاء ... إذا طعموا الطعان أو الضرابا [4]

عباب الموت يملك جانبيهم ... فنعم القوم إذ ملكوا العبابا

* * *

تتابعت الفتوح محجَّلات ... تزيد يهود حزنًا واكتئابا

---

(١) هو حصن ناعم ، فتحه الله على يد على بن أبى طالب كرم اله وجهه ، فانتقل الذين بقوا فيه من اليهود إلى حصن الصعب .

(٢) كان اليهود قد وضعوا فى حصن الصعب شعيرهم وتمرهم ، وسمنهم وزيتهم وشحمهم وماشيتهم ومتاعهم ، فغنم المسلمون كل ذلك ، وكانوا في حاجة إليه شديدة.

(٣) الحباب: بن المنذر ، دفع النبى ﷺ اللواء إليه ووجهه إلى حصن الصعب ففتح على يده .

(٤) يوشع هذا رجل من اليهود خرج من هذا الحصن قبل فتحه مبرزًا ، فقتله الحباب رضى الله عنه .

أصيبوا بالقوارع راجفات ... تهدُّ الشيب منهم والشبابا
فتلك حصونهم أمست خلاءً ... كأن لم يعمروا منها جنابا (١)
تساقَوْا بالعراء الذل مرًّا ... يود طغاتهم لو كان صابا
وألقَوا بالسلاح وما أصابوا ... من الأموال جمعًا واكتسابا
وضاقوا بالجلاءِ فأدركتهم ... عواطف محسن تسع الرحابا
أصابوا من رسول الله مولى ... يتوب على المسيء إذا أنابا
قضى لهم القضاءَ ، فلا انتزاحًا ... لقوا بعد المقام ، ولا اغترابا
ثووْا فى الأرض عمَّالا عليها ... يؤدُّون الإتاوة والنصابا
ولُاة الزرع للإسلام منهم ... شريكٌ ليس يظلم أو يحابى
هداة الناس أرشدهم سبيلا ... وأحسنهم إذا انقلبوا مآبا

* * *

(١) الجناب الفناء أو ما قرب من محلة القوم .

كنز بنى النضير

هو حليهم الذى كان سلام بن أبى الحقيق حمله فى جلد بعير ـ وقيل : فى جلد ثور ـ يوم إجلاء بنى النضير وهو يقول : إنا أعددنا هذا لرفع الأرض وخفضها ـ لما فتحت خيبر سأل النبى ﷺ عنه فقالوا : أذهبته الحروب والنفقات ، فدفع رجلا منهم اسمه سعية بن عمرو عم حيى بن أخطب إلى الزبير بن العوام فمسه بعذاب ، فدل على مكانه ، وكان حيى قد دفنه فى ذلك المكان .

منايا القوم فى جلد البعير ... فأين يضيع كنز بنى النضير ؟
مردُّ الأمر فى رفع وخفض ... لهذى الأرض فى الحدث الكبير
كذلك قال أكذبهم مقالا ... وأجهلهم بأعقاب الأمور
هم اتخذوا الخداع لهم سبيلا ... وكانوا أهل بهتان وزور
فما صدقوا النبىَّ ولا استحبُّوا ... سوى الطمع المخيَّب والغرور
وما الكنز الذى دفنوه إلا ... نذير الويل أجمع والثبور
يقول غواتهم : لم يبق شىء ... مقال ذوى السفاهة والفجور
فلما مسَّ صاحبهم عذاب ... بدا الشرُّ المغيَّب فى الصدور
وجىء بكنزهم إرثًا عتيدًا ... لِوُرّاث الممالك والدهور
ولو جحدوه أقبلت المنايا ... تؤذّن فى الرقاب وفى النحور
فبادوا فى مصارعهم وعادوا ... كطسم أو كعاد فى الدثور
وما برحت عوادى الدهر تجرى ... على أهل المآثم والشرور
لهم فى ذمة الفاروق يوم ... يطالعهم بشرٍّ مستطير (١)
فصبرًا ، إنه لابد آت ... فما ليهود خيبر من مجير

---

(١) إشارة إلى إجلائهم فى خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

المخلفون

جاء الذين تخلفوا عن غزوة الحديبية إلى النبى ﷺ ليخرجوا معه طلبًا للغنيمة فقال لهم : « **لا تخرجوا معى إلا راغبين فى الجهاد ، فأما الغنيمة فلا** » ، ثم أمر مناديًا ينادى بذلك .

هو الدين ، ما فى الدين غُنمٌ ولا غُرمُ ... هو المغنم الوافى ، هو المقتنى الضخم
أتى القوم يبغون القتال لمأرب ... وعند رسول الله من أمرهم علم
فقال : ارجعوا لا تجعلوا المال همكم ... ولا تجهلوا ، إن الجهاد هو الهمّ
فمن جاءنا يبغى مغانم خيبر ... فليس له فيها نصيب ولا سهم
هو الدين دين الله يا قوم خالصًا ... فإن تلحدوا فيه ، فذلكم الظلم
ألم أدعكم من قبل ، فانصرفتْ بكم ... عن الله دنيا الناس وانتقض العزم ؟
عمِيتم عن المثلى ، وأقبل معشر ... مناجيد ، لا عُمى القلوب ولا صُمُّ
رمَوا فى صدور المبطلين وجاهدوا ... لنصرة رب حقه واجب حتم
أولئك أهل الرأى ، لا النفر الألى ... تولوا ، فلا رأى لديهم ، ولا حزم
أولئك أوفى الناس قسمًا وخيرهم ... جزاء ، فعودوا ، لا جزاء ولا قسم
هو الدم والحق المحتَّم فاعلموا ... ولله ما يقضى ، له الأمر والحكم

* * *

عبد الله بن أبىّ ابن سلول

عقرب السوء تمادى فى الأذى ... والأذى بعض سجايا العقرب
ويك عبد الله ماذا تبتغى ؟ ... تعب الشر ولمّا تتعب
اتّئب يا ابن أبىٍّ واجتنب ... خطل الرأى وسوءَ المذهب [1]
أنت أضللت الألى طمعتهم ... من وصاياك ببرق خلب [2]
ليس فيما نابهم من عجب ... خائب طاح بقوم خيَّب
قومك الأبطال : ماذا صنعوا ... بالحصون الشمِّ ؟ قل ، لا تكذب
أتراها فى صياصيها العلى ... دافعت عن ياسر أو مرحب ؟ [3]
امتلئ يا ابن أبىٍّ غضبًا ... ليس يرضى الحق إن لم تغضب
أفما يرضيك فى الدنيا سوى ... موقف الجانى ومثوى المذنب ؟
لو صدقتَ الله فى دين الهدى ... فزت منه بالذمام الأقرب
خطة المؤمن يمن ماله ... دونها من خطة أو مركب
لك فى الإسلام من أعدائه ... خلق الذئب ، وطبع الثعلب
هكذا قدّر ربى وقضى ... ما الخبيث النفس مثل الطيب

* * *

(١) اتئب بمعنى استح ، خطل الرأى : فساده .
(٢) البرق الخلب : الخادع الذى لا مطر فيه .
(٣) الصياصى : الحصون .

صفيّة أم المؤمنين رضي الله عنها

هى بنت حيى بن أخطب سيد بنى النضير ، وهو من سبط هارون بن عمران أخى موسى عليهما السلام ، سبيت من حصن الوطيح وكان اسمها زينب . فلما هداها الله إلى الإسلام سميت صفية ، وكانت زوجًا لكنانة بن الربيع بن أبى الحقيق، تزوجها بعد أن طلقها سلام بن مشكم الذى روى أنه لم يدخل بها - خيرها النبى ﷺ بين أن يعتقها فترجع إلى من بقى من أهلها ، أو تسلم فيتخذها لنفسه، فقالت : أختار الله ورسوله . وأسلمت ، فأعتقها وتزوجها ، وجعل عتقها مهرها .

إن جلَّ غنم المسلمين بخيبر ... فلَمَا غنمت أجل منه وأكبر

الله أكبر يا عروس محمد ... هذا هو الشرف الأعم الأوفر

هذا مكانك عاليًا ما مثله ... فى السؤدد العالى مكان يؤثر

يا درة صينت لتاج جلالة ... الدر من لمحاته والجوهر

الشأن شأنك ، أنت خير صفية ... والتاج أنت به أحق وأجدر

أدركت بالإسلام فى حرم الهدى ... جهد المنى مما يتاح ويقدر

أدركت دنيا الصالحين ودينهم ... فظفرت بالحسنى ، ومثلك يظفر

ولقد غنيت ودون ما تجدينه ... دنيا مذمَّمة ، ودين منكر

ذعر الوطيح فأسلمتك حماته ... وحللت بالحصن الذى لا يذعر

ما مثل رؤياك التى كانت أذى ... رؤيا تفسر للنيام وتعبر (١)

(١) رأى النبى ﷺ أثر خضرة قريبا من إحدى عينيها فسألها ما خبرها فقالت : إنها نامت فى حجر زوجها كنانة بن الربيع وهى عروس . فرأت قمرا أقبل من يثرب حتى وقع فى حجرها ، وأخبرته بذلك فلطمها وقال : تحبين أن تكونى تحت هذا الملك الذى يأتى من المدينة .

أفَكنت ناسية ، فجدَّد ذكرها ... ثر بعينك يا صفية أخضر ؟
ياويلتا لابن الربيع يغيظه ... هذا المقام الصعب كيف ييَسَّر
لطمتكِ من سفه وسوء خليقة ... يده ، وتلك جناية ما تغفر
ماذا رأيت من الذى أغضته ... ونقمت ما يرضى وما يتخير ؟ (١)
أردى أباك وهدَّ زوجك بأسه ... وأصاب قومك منه موت أحمر
ماذا رأيت ؟ أما عذرت سيوفه ... وعلمت أن عدوَّه لا يُعذَر ؟
ولقد بلوتِ خلاله فوجدته ... نعم الخليل إذا يسوء المعشر
أحببته الحب الكثير على القِلى ... ولحبُّ ربك ذى الجلالة أكثر
ذهب الرعاة ، فما يسرك صاحب ... ورعاك صاحبك الأبرُّ الأطهر
آثرتهِ ، ورضيتِ ربك إنها ... لله عندك نعمة لا تكفر
أعلى محلك فانعمى وتقدمى ... بأجلِّ ما يثنى عليه ويشكر
ولأنت إن عظُمتْ فوائد خيبر ... أسنى وأعظم ما أفادت خيبر

* * *

يا قبة المختار دونك ما بنى ... فى ملكه كِسْرى وشيَّد قيصر (٢)

---

(١) قالت : انتهيت إلى رسول الله ﷺ وما من الناس أحد أكره إلى منه ، قتل أبى وزوجى وقومى ، فما قمت مس مقعدى ومن الناس أحد أحب إلى منه .

(٢) لما صار لرسول الله - ﷺ - إلى منزل يقال له : « تِبَار » على ستة أميال من خيبر ، مال يريد أن يُعْرس بها ، فأبت عليه فوجد النبى - ﷺ - فى نفسه من ذلك . فلما كان بالصبهاء - وهى على بريد من خيبر - قال رسول الله - ﷺ - لأم سليم : عليكن صاحبتكن فامشطنها . وأراد رسول الله - ﷺ - أن يُعْرس بها هناك . قالت أم سليم : وليس معنا فسطاط ، ولا سرادقات ، فأخذت كساءين أو عباءتين فسترت بينهما إلى شجرة ، فمشطتها وعطرتها . وأعْرس بها رسول الله - ﷺ - وقال لها : ما حملك على الذى صنعت حين أردت أن أنزل المنزل الأول فأدخل بك ؟ قالت : خشيت عليك قرب يهود . فزادها ذلك عند الرسول . [الطبقات : ١٠/١١٨] .

مثوى يهول الناظرين ومنظر عجب يروع مقامه والمظهر
فيه الجلال الضخم ، ترتدُّ المنى من دونه مذعورة تتعثر
فيه السلام لكل جيل يبتغى فيه النظام لكل عصر يذخر
فيه الحياة تُسلُّ من أكفانها هلكى الشعوب ، إذا تموت وتقبر
إيه أبا أيوبَ ما بك ريبة إن المحبَّ على الحبيب ليسهر (١)
تأبى الكرى وتطوف حول محمد والسيف يقظان المضارب ينظر
ماذا تخاف على حبيبك من أذى والله كاف ما تخاف وتحذر ؟؟
اهنأ بدعوته ، فتلك وقاية من كل ذى جبريَّة يتنمر
تلك الولائم فى رحاب محمد شتَّى ، تُسرُّ بها النفوس وتحبر
الصحب من فرح عليها عكَّفٌ والرسل أجمع والملائك حضر
عرس النبى وأى عرس مثله ؟ هيهات ، تلك فضيلة لا تنكر

* * *

---

(١) بات أبو أيوب الأنصارى ليلة العرس متوشحًا سيفه يحرس النبى ﷺ ويطوف حول قبته فلما أصبح ورأى مكانه سأله : «ما جعلك يفعل ذلك» ، فقال : خفت عليك من هذه المرأة. قتلت أباها وزوجها وقومها وهى حديثة عهد بكفر فبت أحفظك ، قال: « **اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظنى** » ، فلما دفن ببلاد الروم أرادوا به شرًا فحفظه الله . [البلاذرى ـ أنساب الأشراف : ١/ ٤٤٣] .

رجوع المهاجرين من الحبشة

كانت هجرة المستضعفين من المسلمين من مكة إلى الحبشة مرتين ، الأولى فى شهر رجب من السنة الخامسة للنبوة ،والثانية بعد رجوع أكثرهم فى شهر رمضان ـ وقيل : شوال ـ عندما بلغهم أن مشركى مكة أسلموا ثم ظهر غير ذلك ، وسبب هذه الهجرة أن النبى ﷺ قال للمسلمين لما أصابهم الأذى : « **تفرقوا فى الأرض**»، قالوا : وأين نذهب ؟؟ فأشار إلى جهة أرض الحبشة وقال : « **إن بها ملكًا لا يظلم عنده أحد** » ، وكان عدد المهاجرين فى المرتين ثلاثة وثمانين رجلا ، وثمانى عشرة امرأة ، وبعثت قريش فى أثرهم عمرو بن العاص وعمارة بن الوليد بهدية إلى النجاشى وعظماء رجاله ليرد هؤلاء المهاجرين إليهم ، وقال عمرو وصاحبه : إنهم لا يسجدون لك كما يسجد الناس ، ويقولون فى عيسى ابن مريم عليه السلام ما لا يرضيك ، فبعث النجاشى إلى الأساقفة فجاؤوا بمصاحفهم ، وتولى جعفر بن أبى طالب الكلام عن المهاجرين الذين كان يسميهم (حزب الله) فقال : إنا لا نسجد إلا لله عز وجل ولا نقول في عيسى عليه السلام إلا ما يقول إنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم . . . قال النجاشى : يا معشر القساوسة هذا ما عندكم فى المصاحف ، أشهد أنه رسول الله الذى بشر به عيسى فى الإنجيل ، ثم قال للمسلمين : انزلوا حيث شئتم من أرضى آمنين ، وأمر لهم بما يصلحهم من الرزق ، وقال : من نظر إلى هؤلاء الرهط نظرة تؤذيهم فقد عصانى ، ردوا هذه الهدايا فلا حاجة لى بها ، وكان عودة هؤلاء المهاجرين فى غزوة خيبر فأمر لهم النبى ﷺ بأخذ أنصبتهم من الغنائم .

مرحبًا بالأحبَّة المقبلينا ... أطفئوا شوقكم ، وقضُّوا الحنينا

أذن الله باللقاء ، وكانت ... لوعة للفراق دامت سنينا

إن هذى دياركم فادخلوها ... طيِّبات لمعشر طيبينا

ادخلوها بنعمة وسلام ... واعمروها بأهلكم والبنينا
أقبلوا أقبلوا ، وحيُّوا رسـ ... ـول الله مستبشرًا يمد اليمينا
صافحوه محبَّب الوجه سمحًا ... والزموه مباركًا ميمونا
وانظروا حوله الجنود ألوفا ... بعد أن لم تكن تداني المئينا
واذكروا خطبكم وكيف ذهبتم ... خيفة الضيم في البلاد عزينا [1]
تركبون العباب يأخذه الكبـ ... ـر ، فيأبى عنانه أن يلينا
يضرب الموج في جوانبه المو ... ج ، وتزجي السفين فيه السفينا
اتَّخذتم أرض النجاشيِّ دارًا ... وتركتم دياركم والقطينا
ملك عادل أقام عليكم ... من كريم الجوار حصنًا حصينا
ورعاكم رعْي الحفيِّ يؤدِّي ... حق أضيافه وفيًّا أمينا
وجد العار في هدية عمرو ... فأباها وردّ عمرًا حزينا
قال : يا ويلتا ، أأهدم مجدي ... وأعادي أبوَّتي الأولينا ؟
أأبيع الضيوف يا عمرو دعها ... خطة تجعل العزيز مهينا
إنها سبة على الدهر يأبى ... كل حرٍّ مهذب أن تكونا
راعه جعفر بقول مبين ... فرأى الحق واضحًا واليقينا
ودرى أنما السجود لغير ... الله إثم يحيق بالساجدينا
واهتدى قلبه فآثر دين الـ ... ـحق في مجمع القساوس دينا
دلف القوم بالمصاحف لا يد ... رون ماذا يريد أن يستبينا
قال : ما عندكم ؟ أما قال عيسى ... سوف يأتي من بعده من يلينا ؟
بَطلَ الشرك ، وانتهى الإفك هذا ... خاتم الأنبياء والمرسلينا

---

(١) عزين : بمعنى متفرقين .

كيف نأبى محمداً وهو حق ؟؟ أيقول الهداة إنا عمينا
رب إنى آمنت فاغفر ذنوبى واهدنى فى عبادك المؤمنينا
هكذا فاز بالكرامة حزب الله طوبى لحزبه المفلحينا
ادن يا جعفر لك الرتب العلـ ـيا ، وكنت امرأ بهنَّ قمينا
وخذ القبلة التى هى أقصى ما ترجّيه أنفس المتقينا [1]
ادن يا أشبه الرجال بأعلى الـ ـناس قدراً وخيرهم أجمعينا [2]
ولك العذر إن رقصت فهذى نشوة الحب تأخذ المخلصينا [3]
ناد يا شاعر العروبة واهتف مرحباً بالأماجد الأكرمينا
هذه خيبر العصية دالت لسيوف البواسل الفاتحينا
نصر الله جنده وحباه فى لواء النبى فتحاً مبينا
فخذوا حقكم هنيئاً مريئاً واشكروا الله أكرم المنعمينا [4]

(١) لما رجع رسول الله من خيبر تلقاه جعفر بن أبى طالب، فالتزمه رسول الله ـ ﷺ ـ وقبّل ما بين عينيه وقال : مـ أدرى بأيهما أنا أفرح ؛ بقدوم جعفر أو بفتح خيبر [سير أعلام النبلاء : ١/ ٢١٣ ، الصبقات : ٤/ ٣٢] .

(٢) عن اسامة بن زيد أنّه سمع النبى ـ ﷺ ـ يقول لجعفر بن أبى طالب : أشْبه خَلْقُكَ خَلْقى وأشبه خُلقُك خُـلُقى . فأنـت منى، ومن شجـرتى [سيـر أعلام النـبلاء [١/ ٢١٣ ، الطبقات : ٤/ ٣٣] .

(٣) عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : إن ابنه حمزة لتطوف بين الرجال ، وإذ أخذ علىّ بيدها ، فألقاها إلى فاطمة فى هودجها ، قال : فاختصم فيها : « على وجعفر وزيد بن حارثة » حتى ارتفعت أصواتهم ، فأيقظوا النبى ـ ﷺ ـ من نومه ، قال : هلموا أقض بينكم فيها ، وفى غيرها ، فقال على : ابنة عمى وأنا أخرجتها ، وأنا أحق بها ، وقال جعفر : ابنة عمى وخالتها عندى . وقال زيد : أبنة أخى ، فقال فى كل واحد قولا يرضيه فقضى بها لجعفر ، وقال : الخالة والدة . فحجل جعفر حول النبى ـ دار حوله ـ فقال النبى : ما هذا ؟ قال شئ رأيت الحبشة يصنعونه بملوكهم [سير أعلام النبلاء : ١/ ٢١٣] . خالتها أسماء بنت عميس ، وإمها سلمى بنت عميس .

(٤) إشارة إلى أخذ أنصبتهم من الغنائم .

أم حبيبة رضي الله عنها

هى بنت أبى سفيان (١) ، هاجرت إلى الحبشة مع زوجها عبيد الله بن جحش، فارتد عن الإسلام هناك ومات نصرانيًا ـ أرسل النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى رضي الله عنه فى المحرم سنة سبع إلى النجاشى ليزوجها منه ، ففعل ودفع الصداق من ماله أربعمائة دينار. أو أربعمائة مثقال ذهب ثم أولم للناس بعد ذلك، وكانت إحدى جواريه قد أخذت منها بعض الهدايا والأموال لما بشرتها بخطبة الرسول الكريم ﷺ فأمرها برد ما أخذت ، وأمر نساءه أن يقدمن إليها العطر الطيب، ثم أرسلها إلى النبى ﷺ مع شرحبيل بن حسنة .

بشراك أم حبيبة بمحمد ... تمت لك النعمة ففوزى واسعدى

هذا بشير الخير أىُّ طلاقة ... تحكى طلاقة وجهه الغضِّ الند ؟ (٢)

حمل الرسالة مشرعًا من رحمة ... فيه الشفاء لغلَّة القلب الصد (٣)

بشراك أم المؤمنين فهذه ... رؤياك عند أوانها والموعد (٤)

بعث النجاشىُّ الوليدة فاسمعى ... أشهى الحديث إلى الكرائم واشهدى

هذا عطاؤك لو يكون مكانه ... أغلى الكنوز خشيت أن لا تحمدى (٥)

---

(١) هى رملة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية ، وأمها صفية بنت أبى العاص بن أمية ، عَمَّة عثمان بن عفّان . تزوجها عبد الله بن جحش بن رباب ، فولدت له حبيبة ، وتزوج حبيبة داود بن عُروة بن مسعود الثقفى .

(٢) عمرو بن أمية الغمرى .

(٣) المشرع المورد .

(٤) رأت فى المنام كأن قائلا يقول لها : يا أم المؤمنين ، ففزعت وأولتها بأن النبى ﷺ يتزوجها ، قالت : فما شعرت إلا وقد دخلت على جارية النجاشى فقالت لى: إن الملك يقول لك : إن رسول الله ﷺ كتب إليه أن يزوجك منى . فقلت : بشره الله بالخير ، ووكلت عنى خالد بن سعيد بن العاص .

(٥) أعطت الجارية سوارين وخلخالين وخواتم فضة سروراً بما بشرت به . وهذه الجارية يقال=

نعم العطاء بذلته مرضيّة ... في الله راضية ويالك من يد
قلّدتِ أمرك خالدًا فمضى به ... شرفًا على شرف أشمّ مخلد
هتف الرسول : أجب وكيل محمد ... فمشى إلى الملك الأعز الأصيَد (١)
يلقاه في تاج الهدى وسريره ... بين الأرائك والجموع الحشَّد
في مشهد زانته غرة جعفر ... زين الندِيِّ ونور عين المنتدى (٢)
جمع الأحبة والرفاق ، فأقبلوا ... من كل عال في الرجال ممجَّد
أدّى النجاشي الصداق مباركًا ... ملء اليدين يسوقه من عسجد
وأقام لله الولائم كلما ... زادت وفود القوم قال لها ازددى

* * *

مضت الوليدة بالصداق فصادفت ... كرمًا يجاوز مطمع المسترفد (٣)
نالت ولم تسأل ولم تمدد يدًا ... خمسين ديناراً عطاء كالدد (٤)
فضلٌ لأم المؤمنين تفجرت عنه ... فراح يفيض غير مصرَّد (٥)

* * *

تلك الوليدة قال سيدها : ارجعي ... أنسيت حقَّ الضيف عند السيِّد ؟ (٦)

= لها « أبرهة » ،هي الى كانت تقوم على ثياب النجاشي ودُهْنِيه .

(١) الرسول هو : عمرو بن أمية .

(٢) أمر النجاشي أن يحضر جعفر بن أبي طالب ومن معه من المسلمين حفل عقد الزواج .

(٣) خطب النجاشي يقول : الحمد لله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار ، أشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً عبده ورسوله ، وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم ، أما بعد ـ فإن رسول الله كتب إلىّ أنّ أزوجه « أم حبيبة بنت أبي سفيان ، فأجبت إلى ما دعا إليه رسول الله ، وقد أصدقتها أربعمائة دينار ، ثم سكب الدنانير بين يدى القوم .

(٤) الدد : اللعب .

(٥) المصرد : المقلل .

(٦) قالت أم حبيبة : فلما وصل إلى المال أرسلت إلى « أبرهة » التي بشرتني ، فقلت لها :=

رُدِّى العطيّة والهديّة واذكرى آلاء ربِّك ذى الجلال الأوحد
لا ترزئى زوج النبى بأرضنا شيئًا ، فبئس الزاد للمتزود

* * *

قالت : إليك المال والحلْىَ الذى أعطيتنيه ، فليس أمرى فى يدى
أمر المليك فلا مَردَّ لأمره ولك الكرامة فى الفريق الأرشد
إنى فى ذمامك حاجة منشودة لولا الهدى وسبيله لم تُنشد
هل تحملين إلى الرسول تحية منى إذا انطلقتْ ركابكِ فى غد ؟
حيِّيه مُنْعمة وقولى : إننى أحببته حبَّ التقىّ المهتدى
ورضيتُ ملّته لنفسى ، إنه لعلى طريق للسداد معبّد

* * *

رضِىَ المليك وراح يحمد ربه حمد امرئٍ للصالحات مُسدد
ودعا إلى الصنع الجميل نساءه فالطيب ذو عبق يروح ويغتدى
تمشى الولائد خلفه يحملنه فى ملتقى بهج وحسنِ تودُّد
يأتين أمَّ المؤمنين يزدنَها ويقلن : مهلا كلما قالت : قدى

* * *

سيرى هداك الله شطر نبيه فى موكب من نوره المتقِّد
إلاّ يكنْ من هاشم وفد فكم لله حولك من رسول موفَد
جبريل يمشى فى ركابك خاشعًا بين الملائك . فاشهدى وتفقَّدى
الله بوّأك الكرامة منزلا وأعزَّ جدَّكِ بالنبى محمد

= إنى كنت اعطيتك ما أعطيتك يومئذ ولا مال بيدى ، فهذه خمسون مثقالا فخذيها فاستعينى بها . فأبت ، وأخرجت حُقًا فيه كل ما كنت أعطيتها . فردّته على . وقالت : عزم على الملك أن لا أرزأك شيئًا . وقد أمر الملك نساءه أن يبعثن إليك بكل ما عتدهن من العطر . . . » [ابن حجر فى الإصابة ٧/ ٦٥١ و ٦٥٢ ، الطبقات : ١٠/ ٩٦] .

أهل فدك

هم قوم من اليهود بعث إليهم النبى ﷺ محيصة بن مسعود رضي الله عنه وهو على مقربة من خيبر يدعوهم إلى الإسلام ، وينذرهم عاقبة أمرهم إذ عصوا فقالوا : إن فى خيبر عشرة آلاف مقاتل فيهم عامر وياسر والحارث ومرحب ، فلن يغلبهم المسلمون ، على أننا سنبعث معك بعد يومين رجالا للصلح ، وذلك من مكرهم ليروا لمن يكون النصر ، فلما جاءهم الذين هربوا من حصن ناعم بعد فتحه ، أرسلوا يوشع بن نون وهو رجل من رؤسائهم فى جماعة منهم إلى النبى ﷺ يطلبون الصلح فأجاب سؤلهم ؛ أن يحقن دماءهم ، ويجليهم . وأطعم رسول الله - ﷺ - محيصة بن مسعود بخيبر ثلاثين وسقا ؛ لأنه كان من السفراء .

محيصة بلّغْ ما أُمرت فإنما ... هو الدين دين المسلمين ، أو القتل
إلى فدك فاحمل بلاغ محمد ... وأنذر بها قومًا أضلَّهم الجهل
أبوا أن يُجيبوا داعى الله وابتغوا ... سبيل الألى أعماهم الحقد والغلُّ
يقولون : لن يستطيع جيش محمد ... بخيبر نصرًا ، إنها مطلب بَسْلُ
يدافع عنها من صناديد أهلها ... رجال إذا خاضوا الوغى بطَلَ الهزل
لها عامر عند البلاء وياسر ... لها مرحب والحارث البطل الفحل
وإنَّ بها من كل رام وضارب ... ألوفًا ، هم السم الذعاف لمن يبلو
على أننا نكره السلم ، فانتظر ... محيصةُ واصبر إنها خطة فصل

* * *

كذلك قالوا ، يمكرون كدأبهما ... وماذا يفيد المكر أو ينفع الختل ؟
أطالوا المدى حتى يروا جَدَّ قومهم ... وجَدّ رسول الله أيهما يعلو
فلمَّا رُموا بالحق من حصن ناعم ... وقيل لهم : ضاقت بقومكم السبل

مشت رسلهم للصلح ، تهوى أمامها قلوب هى الكتب الخثيثة والرسل
يظَلُّ عميد القوم نون بن يوشع يقول : هلمُّوا ، ذلك المركب السهل(١)
ولاذوا بأكناف النبى فصادفوا كريمًا يُرجى عنده العفو والفضل
أحلَّ لهم صلحًا ، وإن دماءهم وأموالهم ، إن ردهم خيبا حلُّ
لئن خُلقوا للؤم أهلا فإنه لكل الذى يسمو الكرام به أهل
له النصف من تلك الحقول يُعدُّه لكل فقير عضه البؤس والأزْل (٢)
كذلك مولى القوم ، يرجون ظلَّه وما خير مولى لا يكون له ظل ؟

* * *

(١) جاء عميدهم يوشع بن نون مع رجال منهم يطلبون من النبى ﷺ أن يصالحهم على أن تحقن دماؤهم ، ويخلى بينهم وبين الأموال ، فوقع الصلح على أن يكون له نصف الأرض ولهم نصفها ، فكان ﷺ يعود من هذا النصف على صغير بنى هاشم وفقيرهم، ويزوج منه أيمهم، وجرى الخلفاء الصالحون من بعده على ذلك ، فجعلوا ما يخرج منه صدقة للمسلمين .

(٢) الأزل : الضيق والشدة .

بنو غطفان وسَيّدهم عُيَينة بن حصن

لما علم أهل خيبر أن المسلمين قادمون لغزوهم ، بعثوا إلى حليفهم عيينة بن حصن سيد بنى غطفان يستعدونه وقومه عليهم ، ولهم فى ذلك نصف ثمار خيبر، وقيل : إن النبى ﷺ بعث إليهم ينهاهم عن مظاهرة اليهود ، فأبوا وقالوا: حلفاؤنا وجيراننا ، ثم خرجوا لنصرتهم فسمعوا من ورائهم صوتًا فى ديارهم وقع فى نفوسهم أنه صوت الغزاة من المسلمين ، فأخذهم الرعب ، وارتدوا على أعقابهم مسرعين .

أما تدع العماية يا ابن حصين … وتسلكها معَّبدة سويَّه ؟
أضلتك اليهود فرحت تبغى … ثمار النخل ، يالك من بليَّه
لبئس الأجر أجرك من أناس … يرون الحق منزلة دنيَّه
أترضى أن تكون لهم حليفًا ؟ … لعمرك إنهم شرُّ البريَّه
رَمَوْكم برسلهم ، يرجون نصرًا … فما وجدوك من أهل الرويَّه
أهبت بقومك : انطلِقوا ورائى … فتلك سريّه تتلو سريّه
تريد محمدًا وبنى أبيه … أولى النجَدات ولهم العليّه
حماة الحق ، ليس له سواهم … إذا غلت الحفيظة والحميّه
نهاك محمد فأبيت رشدًا … لنفسك ، إنها نفس غويّه
وقلت : أنترك الحلفاء نهبًا … ونحن أولو السيوف المشرفيَّه ؟

* * *

رويدك يا عيينة أىّ خطب … أصابك ؟ ما الحديث ؟ وما القضيَّه ؟
وما الصوت المردَّد يا ابن حصن … وراءك فى منازلك القصيّه ؟

وراءك يا عيينة لا تَدعْها | فما هى عن دفاعك بالغنيَّه
رجعت بجندك المهزوم رعبًا | فمرحى ما الهزيمة كالمنيَّه
لو أنك جئت خيبر وهى ظمأى | سقتك من الردى كأسًا رويَّه
نويت غياثها فشغلت عنها | وأمر الله يغلب كل نيَّه
بربِّك يا فتى غطفان آمِنْ | فإن له لآياتٍ جليَّه

* * *

رجعت إلى النبىّ تقول ما لا | يقول المرء ذو النفس الحييَّه [(١)]
ألستُ لمن ظفرتَ بهم حليفًا ؟ | فهب لى من مغانمهم عطيّه
وإنى قد أبيت فلم أعنهم | عليك ، وما تركتك عن تقيّه
فقال : كذبت ، ما لك من خلاق | وما تخفى على الله الطويّه
عليك بذى الرقيبة إن فيه | لَمَا أحببت من صلة سنيّه
تأمل : هل ملكت علىَّ أمرى ؟ | وهل صدقَتْك رؤياك الغبيّه ؟
لكلٍّ من دعاة الشرك حرب | مظفّرة الوقائع خيبريّه
سجايا المرهفات البيض أولى | بمن جعلوا النفاق لهم سجيّه

* * *

---

(١) جاء عيينة إلى النبى ﷺ عبد فتح خيبر فى رجال من قومه فقال : أعطنى مما غنمت من حلفائى ، فإنى امتنعت عن قتالك ، فقال له : «**كذبت ، ولكن الصياح الذى سمعت أنقذك إلى أهلك ، لك ذو الرقيبة** » ، قال عيينة . وما ذو الرقيبة ؟ قال : « **الجبل الذى رأيت فى منامك أنك أخذته** » ، وكان عيينة قد رأى ذلك فلما انتبه من نومه قال لقومه أبشروا فإنى رأيت أنى أعطيت ذا الرقيبة لقد والله أخذت برقبة محمد ، ذو الرقيبة من جبال خيبر .

حجاج بن علاط السلمي رضي الله عنه [١]

قدم على النبي ﷺ بخيبر فأسلم ، وكان له مال كثير متفرق في تجارة مكة . فاستأذنه في أن يذهب إليها ليجمعه قبل أن يعلم إسلامه وأن يقول للقوم ما يرضيهم ليعينوه على ذلك فأذن له ، وذهب فرأى عند البيت جماعة منهم يتلمسون أخبار خيبر ، فأقبلوا عليه يقولون : إيه يا حجاج ، فقال : هزم محمد وأصحابه هزيمة لم يسمع بمثلها ، وهو أسير في أيدي اليهود ، لا يريدون أن يقتل في غير مكة ، ففرحوا وأعانوه ، وشاع الخبر فحزن المسلمون . وكان أشدهم حزنًا العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه ، فبعث غلامه إلى حجاج يسأله . فعاد يبشره بكذب ما أذيع من هذه الأنباء ، فأعتقه سرورًا بذلك ، وجاءه حجاج فصدقه الحديث ، وسأله أن يكتم الخبر ثلاثة أيام حتى ينجو بنفسه وماله ففعل وخرج العباس بعدها على المشركين في زينة فأنبأهم بما غاظهم وأوجع قلوبهم [٢].

تقدَّم ، فهذا مطلع الحق والهدى ... ألست ترى النور الذى جاوز المدى ؟

أتيتَ رسول الله تتبع دينه ... وتؤثر خير الزاد فيمن تزوَّدا

لك الله يا حجَّاج أمسيت مشركًا ... وأصبحت تدعوه تقيًّا مُوَحدا

سيغفر ما أسلفت من جاهليّة ... لياليَ تأبى أن يُطاع ويعبدا

سألت رسول الله ما لو سألته ... سواه لأعطاك الحسام المهندا

تقول له : دعنى أزوِّرْ مقالة ... تسوءُك ، إنى أحذر المعشر العدى

بمكة لى مال كثير موزَّع ... أخاف عليه أن يضيع ويفقدا

---

(١) ـ هو : الحجاج بن علاط بن خالد بن ثويرة بن جبير بن هلال بن عيد بن ظفر بن سعد ابن عمرو بن بَهْز بن امرئ القيس بن بُهْثة بن سليم [الإصابة : ٢/٣٣ ، ابن حزم : ٢٦٢ ، ابن الاثير : ١/٤٥٦] .

(٢) انظر القصة فى الطبقات : ٩/١٥٨ و ١٥٩ .

سأكتم إسلامي وأوذيك ، إنهم ... هم القوم ، لا يؤذون إلا من اهتدى
ورحت تحابيهم وتشفي صدورهم ... بخرقاء تستهوي الغبيَّ المبلّدا
تقول : لقد فاز اليهود وأدركوا ... على الفاتحين الغرِّ نصرًا مؤيدا
أغاروا ، فردوهم ، وأمسى محمد ... أسيرًا لدى ساداتهم ليس يُفتدى
أبَوْا أن يذوق القتل إلا بمكة ... وإن له عمّا قريب لموعدا
فطاروا سرورًا واستمر غواتهم ... يذيعونه زورًا وإفكًا مُردَّدا
وطاشت عقول المسلمين فأصبحوا ... حيارى يرون العيش أغبر أنكدا
وأرضى الألى ضلُّوا السبيل بشيرهم ... لدنْ جمعوا من ماله ما تبدّدا
تزَّود همًّا كل من كان مسلمًا ... وأعيا على العباس أن يتجلدا
فأرسل : ما هذا الذي أنت قائل ؟ ... قل الحق يا حجاج وانقع به الصدى
تبارك ربي ، إنه جل شأنه ... لحق عليه أن يُعزَّ محمدا
فقال نعم عد يا غلام وقل له ... أبا الفضل أبشر وانتظر مقدمي غدا
فأعتق من فرط السرور غلامه ... وراجعه من أمره ما تعوَّدا
ووافاه حجاجٌ بأنباء خيبر ... فأمسى الذي أخفى من الأمر قد بدا
وناشده أن لا يذيع حديثه ... ثلاثة أيام حذارًا من الردى
فلما انقضت راع الرجال بطلعة ... تشقُّ على الأعداء مرأى ومشهدا (١)
تدفق بشرًا وجهه ، وجرى السنا ... على صفحتيه ساطعًا فتوقدا
يقولون ، لا تحزن فيالألى عموا ... ويالك من حزن أقام وأقعدا

---

(١) عمد إلى حلة فلبسها ، ثم تخلق بخلوق . وأخذ بيده قضيبا ، ثم أقبل يخطر حتى أتى مجالس قريش وهم يقولون إذا مر بهم : لا يصيبك إلا خير يا أبا الفضل . هذا والله التجلد لحر المصيبة ، قال :كلا والله الذي حلفتم به ، لا يصيبني إلا خير ، وذكر الفتح وغنائم المسلمين فحزنوا وقالوا : انفلت عدو الله ـ يعنون حجاجًا ـ أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن.

رماهم بأخبار الفتوح فغاظهم ... وردّ ذليلا كل عاتٍ تمرَّدا

يضجِّون : أين ابن العلاط ؟ أمالنا ... إليه سبيل ؟؟ إنه كان مفسداً

لقد غرَّنا كيما يفوز بماله ... فحاق بنا من إثمه ما تعمَّدا

فواهًا له من ماكر لو نصيبه ... إذن لجزيناه الجزاء المشدّدا

جزاهم إله الناس ، ما ذنب مسلم ... كريم السجايا ، ما أساء ولا اعتدى ؟

رأى شرهم فاحتال يحفظ ماله ... عليه ، ويأبى أن يغادره سدى

* * *

الشاة المسمُومَة

عمدت زينب بنت الحارث أخى مرحب ـ وهى امرأة سلام بن مشكم ـ إلى عنز لها فذبحتها ، وجاءت بسم قاتل لساعته فأشاعته فيها ، وعلمت أن النبى ﷺ يحب الذراعين فأكثرت فيهما من ذلك السم ، ثم جاءت فوضعتها بين يديه ومعه طائفة من أصحابه فيهم بشر بن البراء بن معرور ؓ ، فلما ذاقها النبى ﷺ أنبأه الله بأمرها ، فقال لأصحابه : « **ارفعوا أيديكم** » ، وكان بشر قد أصاب منها ففعل فيه السم ومات بعد سنة ، فأمر النبى ﷺ بقتل تلك اليهودية الخبيثة .

أكانوا كلهم داء عياء ؟ فما يجد الأساةُ لهم دواء ؟

ألا إن النطاسىّ المرجَّى أتى يَلقى الألى انتظروا اللقاء

أتى بالحكمة الكبرى رسولا فكلن لعلّة الدنيا شفاء

أتطمع زينبٌ بذراع شاة يُسمَّم أن يُضرَّ وأن يُساء ؟

أبى الملك المهيمن ما أرادت فخيَّبها ، وكان له وقاء

أتت تمشى بها ، وتقول : هذا طعامك ، فارضه . وانعم مساء

فقال لصحبه : رزقٌ أتانا فباسم الله ، لا نُحصى ثناء

فلما ذاقها قال اتركوها فإن الله قد كشف الغطاء

طعام السوء مسموم ، وهذا أخى جبريل بالأنباء جاء

فكفُّوا غير بادرة لبشر مضتْ قدَرًا لربك أو قضاء

فيالك طعنةً لم تُبق منه لحاجة نفسه إلا ذماء [1]

إذا رام التحول أمسكته ولو قدرت مفاصله لناء

---

(١) ذماء : بقية .

قضاها حِجَّة من ذق فيها مرارة عيشه كره البقاء
وحُمَّ قضاؤه ، فمضى رضيًّا يبوّأ جنّة المأوى جزاء
وقال محمد يا آل بشر كفى بدم التى قُتلتْ عزاء
فلاقت زينبٌ قتلا بقتل وما كانت لصاحبهم كِفاء
أمن حمل الخمار من الغوانى كمن حمل العمامة واللواء ؟
كذلك حكم ربك فى كتاب أقام السبْل بيِّنة وِضاء
هو القسطاس أُنزل مستقيما لمن يزن النفوس أو الدماء
أتى يحمى الحقوق ويقتضيها فلا جنفًا يريد ولا عداء
بناء العدل ، ليس به خفاءٌ فسبحان الذى رفع البناء
ألا خسر اليهود ولا أصابوا طوال الدهر خيرًا أو نماء
كأن الغدر عند القوم دين فما يدع الرجال ولا النساء

* * *

المؤمنات في جيش الرسول ﷺ

خرج فى هذه الغزوة مع جيش الرسول الأعظم ﷺ عشرون امرأة من نساء المسلمين فيهن عمته السيدة صفية رضي الله عنها وعنهن ، وقد أعطين نصيبًا من الغنائم .

أتين بهنّ من شوق غليلُ — وعدن لهنَّ منقلب جليل
خرجن من الخدور مهاجراتٍ — فلا دعة ، ولا ظلٌّ ظليل
يسرْنَ مع النبيِّ على سواءٍ — ولا هادٍ سواه ولا دليل
يردن الله ، لا يبغين دنيا — كثيرٌ متاعِها نزرٌ قليل
عقائل فى حمى الإسلام يسمو — بهنَّ من العلى فَرْعٌ طويل
يفئن إلى صفيَّة حيث كانت — وكان سبيلها ، نعم السبيل
عليها من رسول الله وسم — مبين العتق ، وضّاح جميل
عشيرة سُؤْدُدٍ ، وقبيل مجد — فبوركتِ العشيرة والقبيل
يُجَرِّدْنَ النُّفُوس مجاهدات — بحيث يُجرَّد العضب الصقيل [1]
فلا ضعف يعوق ولا لغوب — ولا ولد يشوق ولا حليل
نساء الصدق ، ما فيهنَّ عيب — وليس لهن فى الدنيا مثيل
أخذن عطاءهُنَّ على حياء — يزيد جماله الْخُلُقُ النبيل
لئن قلَّ الذى أوتين منه — فأجر الله موفور جزيل

* * *

(١) العضب الصقيل : السيف القاطع المصقول .

غزوة وادِى القرَى

كانـت بعد خـيبـر ، وأهل هذا الـوادى من اليـهود دعـاهم النبـى ﷺ إلى الإسلام، فأبـوا إلا القتال ، وحمـل ثلاثة منهم فى الطـليعة واحداً بـعد واحد ، وحمل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وأبو دجانة فقتلوهم . ثم نشب القتال بين الجـيشين فكان الـنصر للمـسلمين ، وطـلب اليهـود الصلح فتـركت الأرض والنخيل والبساتين والحدائق فى أيديهم يعملون فيها أجراء كإخوانهم يهود خيبر .

خـوضوا الوغـى يا أهل وادى القـرى ... واسـتـقـبلـوا الموت وأسْـد الـشـرى

أنـكـرتم الإسـلام ديـن الـهـدى ... واللهُ والـسـيـفُ لمـن أنـكـرا

إن تطـلبـوا الـبرهـان فـاستـخـبروا ... جـيـرانكـم ، أو فـاسـألوا خـيـبرا

اقـتـل عـلـىٌّ إنـهـم مـعـشـر ... مـا مثـلهـم أعمـى الهـوى معـشـرا

ويـا حـوارىّ الـرسـول اقـتـنـص ... كـلَّ غـوِىٍّ جـاء مـسـتـهـتـرا

وأنـت فـاضـرب فـى الطُّـلـى يا أبـا ... دجـانـة اضـرب مُـقـبـلا مُـدبـرا

كُـرُّوا جـنـود الله فـى نـصـره ... لـيـس لـغـيـر الله أن يُـنـصـرا

لا تتـركوا جـيش الألـى استـمسـكوا ... بـالكـفـر حـتى يـرجع الـقـهـقـرى

يـا صـولـةً هـدّتْ فـراعـيـنـهـم ... مـا أشـجـع القـوم ومـا أصـبـرا

أبـطـال حـرب لم يـزل بـأسـهـم ... يـلتـهـم العـسكـر فـالـعـسكـرا

وادى الـقـرى الـتفَّ عـلـى روعـة ... يـا ويح لـلـمـرتـاع ، مـاذا يـرى ؟

مَـنْ مـثّـل الأغـوال تـهـفـو بـه ... أهوالـهـا العـظمـى ؟ ومن صـوَّرا ؟

بـأس رسـول الله فـى صـحـبـه ... مـا أعـظم الـبـأس ومـا أكـبـرا

ذلّـت يـهـودٌ بـعـد أن لـم تـكـن ... تـظـنُّ أن تُـغـلـب أو تـقـهـرا

اسـتـعْـمَـرَ الـفـاتح زرّاعـهـم ... فى الأرض ، لولا الرفق ما استعمرا
فلْيشكروها منه أكرومة ... من حقها الواجب أن تُشكرا
ولْيرقبوا العقبى وزلزالها ... إن أظهر الحدثانُ ما أضمرا
لا حولَ للقوم ولا حيلة ... فيما قضى الله وما قدّرا
لن يصحب الإسلامَ فى داره ... أصحابُ دينٍ غيرِه مُفترى
بشارةُ الله أتانا بها ... أصدق من بشّرً أو أنذرا (١)

* * *

(١) عن أبى هريرة . . . « فلما نزلنا بوادى القرى انتهينا إلى يهود ، وقدم إليها ناس من العرب فبينا « مدعم » ـ عبد اسود لرسول الله ـ ﷺ ـ يحط رحل رسول الله ـ ﷺ ـ وقد استقبلنا يهود بالرحى حين نزلنا ، ولم نكن على تعبية، وهم يصيحون فى آطامهم، فيقبل سهم عاثر فأصاب مدعما فقتله . . قال الواقدى . . فعبى رسول الله ـ ﷺ ـ المسلمين للقتال ، ودفع لواءه إلى سعد بن عبادة ، وراية إلى الحباب بن المنذر ، وراية إلى سهل بن حنيف ، وراية إلى عباد بن بشر . ثم دعاهم إلى الإسلام ، وأخبرهم إن أسلموا أحرزوا أموالهم ، حقنوا دمائهم ، وحسابهم على الله . قال : فبرز رجل منهم، فبرز إليه الزبير بن العوام فقتله، ثم برز آخر . فقتله على ، حتى قتل منهم أحد عشر رجلا . . . وقاتلهم حتى أمسى وغدا عليهم فلن ترتفع الشمس قيد رمح حتى أعطوا بأيديهم ، وفتحها عنوة ، وغنمهم الله أموالهم . وأقام المسلمون بها أربعة أيام .

أهل تيماء

رأى أهل تيماء انتصارات المسلمين فى خيبر ، وفدك ، ووادى لقرى ، فأرسلوا إلى النبى ﷺ يسألونه الصلح على أن يؤدوا إليه الجزية فقبل وأقرهم على حالهم.

هو النصر يا تيماء يتبعه النصر ... فإن كنتِ فى ريب فقد وضح الأمر

دعى الرسل تمضى ما عليك ملامة ... وكيف يعاف الأمن من غاله الذعر ؟

فإن تخفضى منك الجناح لتنعمى ... بأفياء عيش ساكن ، فلك العُذر

وهل يرفع العصفور يومًا جناحه ... إذا حلَّق البازى ، أو انطلق النسر ؟

إذا أمسك الصبر البلاد وأهلها ... فليس على هذا قرار ولا صبر

ألم يك أهل الأرض موتى ، فجاءهم ... رسول حياة دينه البعث والنشر ؟

أبى أن يظلوا آخر الدهر فوقها ... يسيرون فى الأكفان وهى لهم قبر

حياة الدنى فى سيفه وكتابه ... وما منهما إلا لها عنده سرُّ

* * *

لكِ الأمن يا تيماء لا الدم دافق ... ولا النقع مسوَدٌّ ، ولا الجو مغبرُّ

ولا أنتِ ثكلى ، ما تُغبُّك لوعة ... مؤجَّجة كالجمر ، أو دونها الجمر

أعانكِ رأى أبصر القصد فانتحى ... بأهلك مالا ينتحى الجاهل الغِرُّ

ولو آثروا الإسلام دينًا لأفلحوا ... ولكنه الشرك المذمَّم والكفر

أبوا وتولوا يشترون نفوسهم ... بأموالهم ، هذا هو الغَبْن والخُسر

يؤدُّونها من خيفة القتل جزية ... على الهون ، مما يرزق الحَبُّ والتمر

أقاموا يريدون الحياة بأرضهم ... وكيف حياة القوم إن فسد الأمر ؟

رويد الألى اختاروا الضلالة خطَّة ... فتلك ـ وإن لم يعلموا ـ خطة نكر

يَضِلُّون والفجر المنوَّر طالع ولا عذر للضّلال إن طلع الفجر
لكل أناس مدّة ثم تنجلي عمايتهم ، فلْيصبروا إنه الدهر

* * *

عُمْرة القضاء

ويقال لها : عمرة القضية ، والصلح والقصاص [١] ، وهى التى أجازها عهد الحديبية للرسول الكريم ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم، وكانت فى شهر ذى القعدة من السنة السابعة وهو الشهر الذى صده المشركون فيه عن البيت سنة ست، ويقال لهذه العمرة : غزوة الأمن ، ولهذا أُلحقت بالغزوات لأن النبى ﷺ خرج إليها بالخيل والسلاح مخافة أن يغدر المشركون فيقاتلهم ، وخرج معه من أصحابه ألفا رجل أكثرهم ممن شهد الحديبية واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الدئلى ، فلما رأى احترام القوم للعهد أمر بوضع السلاح فى مكان قريب من الحرم يقال له : بطن ناجح ، ثم دخل مكة هو وأصحابه آمنين وقضوا مناسكهم من صلاة وطواف ونحر وخرجوا بعد ثلاثة أيام وفاء بالعهد .

مضى العام ، وانبعث المنتظر ... وخُلِّيت السبل للمعتمر

لقد يسّر الله تلك الصعاب ... فما من عصىٍّ ولا من عسر

بدارِ بدار جنودَ النبىِّ ... فإن الغنيمة للمبتدر

إلى البيت سيروا سراع الخطى ... فما ثَم من خيفة أو حذر

وسوقوا الهدايا إلى ربكم ... فما خاب من ساقها أو نحر

دعوها لناجية إنه ... لنعم الفتى أن تمطّى السفر [٢]

---

(١) عمرة القضاء ؛ أى قضاء عما كان أحصر عام الحديبية وعمرة القضية : من المقاضاة التى كان قاضاهم عليها على أن يرجع عنهم عامه هذا ، ثم يأتى فى العام القابل ولا يدخل مكة إلا فى جلبان السلاح ، وأن لا يقيم أكثر من ثلاثة أيام .

(*) وعمرة القصاص : من قوله تعالى: ﴿ والحرمات قصاص﴾ لأنهم صدّوا رسول الله ـ ﷺ ـ فى ذى القعدة من الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله ـ ﷺ منهم ، فدخل مكة فى ذى القعدة فى الشهر الحرام الذى صده فيه من سنة سبع .

(٢) ناجية بن جندب الأسلمى جعله النبى ﷺ على هديه يسير بالهدى أمامه يطلب الرعى فى الشجر معه أربعة فتيان من أسلم . وقد ساق الرسول ـ ﷺ ـ فى عمرة القضية ستين =

دليلكم الصدق فيما مضى ... يشقُّ الصعاب ، ويهدى الزُّمَر
وللخيل قائدها المجتبى (١) ... وفارسها الشمّرىُّ (٢) الأغر
رأوها مطهَّمة فى السلاح ... فطاروا يقولون : أمر قدر (٣)
أيا قومنا إنهم أقبلوا ... على الجرد فى المرهفات البُتُر
خذوا حِذْركم ، واجمعوا أمركم ... ألا إننا لا نرى غير شرّ
وجاء ابن حصن رسولا يقول ... محمد ما شأنكم ؟ ما الخبر ؟ (٤)
أتنقض عهدك تبغى القتال ... وما كنت ممن بغى أو غدر ؟
قريشٌ على العهد ما بدّلوا ... ولا كان منهم أذى ولا ضرر
على من السلاح ؟ وماذا تريد ؟ ... أتأبى لأنفسنا أن تقرّ ؟
فقال النبى : اهدأوا إننى ... لأولى الورى بوفاء وبرّ
سيبقى السلاح بعيد المكان ... ليأمن من قومنا من ذُعِر
لِمكةَ حرمتها والذمام ... ولله سبحانه ما أمر
وأقبل فى صحبه الأكرمين ... يؤمُّ البنيَّة ذات الستر

= بدنة ، وفى البيت وما بعده إشارة إلى ما كان من أمره فى الحديبية وهو مذكور فى مكانه.

(١) هو محمد بن مسلمة ، أقيم على الخيل .

(٢) الشمّرىُّ : الماضى فى الأمور المجرب .

(٣) المطهم : التام من كل شيء ،وهؤلاء نفر كانوا بمر الظهران فلما بلغته الخيل ورأوا السلاح طاروا إلى مكة فأذاعوا الخبر . وفزع القوم وقالوا : إنا على عهدنا فما لمحمد يغزونا .

(٤) بعثت قريش « مكرز بن حفص بن الأحنف » فى نفر من قريش حتى لقوه ببطن يأجج ، ورسول الله ـ ﷺ ـ فى أصحابه والهدى والسلاح قد تلاحقوا . فقالوا : يا محمد ما عرفت صغيرا ولا كبيرا بالغدر ،تدخل بالسلاح فى الحرم على قومك ،وقد شرفت لهم أن لا تدخل إلا بالسلاح المسافر ، السيوف فى القرب ، فقال النبى ـ ﷺ ـ : إنى « لا أدخل عليهم السلاح » . فقال مكرز : هذا الذى تعرف به : البر والوفاء . فلما أن جاء مكرز بخبر النبى إلى قريش خرجت من مكة إلى رؤوس الجبال .

فيا ابن رواحة خذ بالزمام ... وقل فى النبىِّ وفى من كفر [١]
جلا القوم يأبون لقيا النبى ... وأصحابه الطاهرين الغرر [٢]
فطافوا وصلوا وخفَّوا معًا ... إلى الركن يغشَونه والحجر
وقضُّوا المناسك مستبشرين ... فلم يبقَ من مأرب أو وطر
وجاء حويطب [٣] يلقى النبى ... وصاحبُه [٤] امرتجَى للغير
يقولان : إنّا على موعد ... فمالك عن أرضنا لم تسر ؟
قضيت الثلاثة فاذهب إلى ... منازل يثربَ ما من مفر
فأرعد سعد وجاشت به ... حميَّة مستوفز كالنمر [٥]
وألقى بصاعقة تستطير ... على جانبيها بروق الشرر
فقال النبى : رويدًا رويدًا ... أطفأ من غيضه المستعر
وحُمَّ الرحيل ، فنعم السبيل ... سبيل القبيل الجليل الخطر
همو صبروا ، فانثنوا ظافرين ... وما الصبر إلا بشير الظفر
فشكرًا لربٍّ يحبُّ التقىَّ ... ويضفى العطاء على من شكر

* * *

(١) عبد الله بن رواحة أخذ بزمام ناقة النبى ﷺ وهو مقبل على البيت وصار يرتجز : خلوا بنى الكفار عن سبيله إلى آخر ما قال .
(٢) خرجوا من مكة حتى لا يدخلها عليهم النبى ﷺ إلى أن يمضى الموعد ،وهكذا كتب فى العهد .
(٣) حويطب بن عبد العزى .
(٤) سهيل بن عمرو الذى تولى إبرام عهد الحديبية مع النبى ﷺ .
(٥) سعد بن عبادة ، غضب وأغلظ القول للرجلين ، فهدأ الرسول الكريم ﷺ نفسه .

أم المؤمنين ميمونة

بنت الحارث الهلاليَّة رضي الله عنها

اختارها الله زوجًا لرسوله الكريم ﷺ فى هذه العمرة ، وكان اسمها قبل ذلك(برة) ، فسماها (ميمونة) وهى أخت أم الفضل زوج العباس بن عبد المطلب ، وأخت أسماء بنت عميس زوج حمزة لأمها [(١)] .

سم سما لفظه وازدان معناه	حلاَّك ربك بالحسنى وحلاه
ميمونةٌ أنت : هذا ما تخيّره	لك الذى اختاره من خلقه الله
أوفى بحمزة والعباس مجدهما	يا أخت زوجيهما والناسُ أشباه
لأنت أكرم عند الله منزلة	يا زوج أحمد إذ أعطاك إياه
لم تعلمى : أمطايا الله حاملة	منك الجلال المحلَّى ، أم مطاياه ؟
إلى المدينة سيرى فى كلاءته	يا طيب مثواك إن شارفت مثواه
قرِّى ببعلك عينًا ، إنه شرف	ما مثله شرف عال ولا جاه
أطريتُ فيك وفى المختار مؤمنة	عزت بأبلج ما تُحصى مزاياه
عزٌ يوطد للإسلام جانبها	مِن جانب الله مولاها ومولاه

(١) كان الذى زوّجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وجعلت أمرها إلى أختها « أم الفضل »، فجعلت « أم الفضل » أمرها إلى زوجها « العباس » فزوجها رسول الله ـ ﷺ ـ وأصدقها عنه أربعمائة درهم [ابن اسحاق فى السيرة لابن هشام : ٤/ ٥و٦ ، والبخارى فى النكاح ح : ٥١١٤] . وعن ابن عباس أن رسول الله ـ ﷺ ـ تزوّج ميمونة وهو محرم ، وبنى بها وهو حلال وماتت بـ « سرف » وهو اسم مكان [البخارى ؛ ح : ٤٢٥٨] .
وذكر السهيلى أنه لما انتهيت إليها خطبة رسول الله ـ ﷺ ـ ولها وهى راكبة بعيرا ، قالت: الجمل وما عليه لرسول الله . قال : وفيها نزلت الآية :﴿ وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

مـا انفـكَّ يتـخـذ الأصـهار يـجـعلـهم لـديـنـه الـهـادم الـبـانـى ودنـيـاه
سياسـة مـا رمى الـطَّبُّ اللـبـيب بهـا إلا أصـاب بـإذن الله مـرمـاه
وقـوة لـرسـول الله شـائعـة بـين الـقـبـائل يـرعـاهـا وتـرعـاه
وسـنـة لبـنـى الإسـلام يـشـرعـهـا والخـيـر أجـمع شـرع مـن سـجـايـاه
هـمْ أسـرة فـى ظـلال الله واحـدة تمضـى علـى الحق ، ترجـوه وتخـشـاه
لا تـعـرف الـرشـدَ إلا فـى شـرائـعـه ولا تـرى الخـيـر إلا فـى وصـايـاه
ديـن الألـى يـؤثـرون الـعـزَّ مـنـزلـة مـا كـان أهـون دنـيـا الـنـاس لـولاه
لـكـل شـعـبٍ بنـاء لـيـس يمـسـكـه شـىء إذا نـام عـنـه مـن تـولاه
لـولا الأواصـر والأرحـام مـا التـأمـت منـه الصـدوع ، ولا انضـمَّـت شظـايـاه

* * *

إسلام خالد بن الوليد
وعثمان بن أبى طلحة
وعمرو بن العاص رضي الله عنهم

قال خالد : رضي الله عنه : لما جاء النبى ﷺ لعمرة القضية : تغيبت ولم أشهد دخوله ، وكان أخى الوليد دخل مكة معه ، فطلبنى فلم يجدنى فكتب إلى:

بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد فإنى لم أر أعجب من ذهاب رأيك عن الإسلام ، وقلة عقلك . ومثل الإسلام هل يجهله أحد ؟؟ سألنى عنك رسول الله ﷺ فقال : « **أين خالد ؟؟** » قلت . يأتى به الله ، قال : « **ما مثله يجهل الإسلام، ولو كان يجعل نكايته مع المسلمين على المشركين لكان خيراً له ، ولقدمناه على غيره** » ، فاستدرك يا أخى ما فاتك ، فقد فاتك مواطن صالحة .

قال خالد : فلما جاءنى كتابه نشطت للخروج ، وزادنى رغبة فى الإسلام،وسرتنى مقالة رسول الله ﷺ ، ورأيت فى المنام كأنى فى بلاد ضيقة جدبة ، فخرجت إلى بلاد خضراء واسعة .

ثم خرج إلى المدينة ، فلقى صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وعثمان بن أبى طلحة ، فعرض عليهم الإسلام . فما قبله إلا عثمان ، ولقى خالد وصاحبه عمرو بن العاص فوافقهما ، وقدموا على النبى ﷺ فأسلموا ، رضي الله عنهم .

قم ودع الأوثان والأصناما	أفما ترى برهان ربك قاما ؟
ياخالد اعمد للتى هى عصمة	لذوى البصائر ، وانبذ الأوهاما
الله رب العالمين ودينه	دين السلام لمن أراد سلاما
اقرأ كتاب أخيك ، مالك مصرف	عما يريد ، ولن ترى الإحجاما
أقبل رعاك الله ، إنك لن ترى	كسبيل ربك مطلبا ومراما

سأل النبى بأىِّ حال خالد | أفما يزال يجانب الإسلام ؟
إنى رأيت لخال من عقله | فيما يمارس مُرشدًا وإماما
ما مثله يرتاب فى دين الهدى | فيرى الضياء المستفيض ظلاما
إنا لنعرفه رشيدًا حازمًا | ونراه شهمًا فى الرجال هماما
لو أنه جعل المضرّة والأذى | للمشركين لما استحقَّ ملاما
ولكان عندى يا وليد مقدَّمًا | يلقى لدىَّ البر والإكراما

* * *

أقبل أخى وتلاف أمرك ، ولا تكن | ممن إذا وضح السبيل تعامى
كم موطن جلل لو أنك لم تغب | عنه ، لكنت إذًا أجلَّ مقاما
يكفيك ما ضيَّعت ، ليس بحازم | من لا يزال يضيِّع الأياما

* * *

نشط الهمام ، وراح يدرك نفسه | يبغى لها عند النبىِّ ذماما
ألقى إلى الوادى الخصيب برحله | فأصاب فيه مرتعًا ومساما [1]
أيقيم بالوادى الجديب فلا يرى | إلا سرابًا كاذبًا وجهاما [2]
لاقى بعكرمة وبابن أميَّة | شرًا يعبُّ عبابه وعُراما
قال : ائتيا نبغى النجاة فأعرضا | وتنازعا قولا يشبّ ضراما [3]

---

(١) المسام المرعى .

(٢) الجهام السحاب لا ماء فيه .

(٣) قال خالد : لقيت صفوان بن أمية فقلت : يا أبا وهب أما ترى أن محمدًا ﷺ ظهر على العرب والعجم . فلو قدمنا عليه فاتبعناه فإن شرفه شرف لنا ، قال: لو لم يبق غيرى ما اتبعته أبدًا قلت : هذا رجل قتل أبوه وأخوه ببدر ، فلقيت عكرمة بن أبى جهل فقلت له مثل ما قلت لصفوان ، قال مثل الذى قال صفوان ثم لقيت عثمان بن طلحة . فقلت: هذا لى صديق ، فأردت أن أذكر له ما عندى . ثم ذكرت من قتل من آبائه وإخوته=

وأجابها عثمان دعوة ناصح يأبى الهوى ويُجانب الآثاما
مضيا على سنن الطريق فصادفا عمرًا فقالا ما لنا ؟ وإلى ما ؟ (١)
يا عمرو دين الله ، لسنا كالألى جعلوا الحلال من الأمور حراما
قال : اهتديت ، ولن أكون كمن يُرى طول الحياة لنفسه ظلاما
ومشَوْا ، فما بلغ الرسول حديثهم حتى بدا متهلّلا بساما
سرَّته مكة إذ رمت أفلاذها كبدًا تكنُّ الحب والإعظاما (٢)
بعثت إليه من الجبال ثلاثة رضوى يصاحب يذبلا وشماما (٣)
خفّ الوليد يقول : لا تتمهلوا إن الحديث إلى النبى ترامى (٤)
حُثُّوا المطىَّ ، فإنه مترقب وأرى جوانحكم ترفُّ أواما

= فكرهت ثم قلت : وما على ؟ فقلت له : إنما نحن بمنزلة ثعلب فى جحر لو صب عليه ذنوب من ماء لخرج . ثم قلت له ما قلت لصفوان وعكرمة فأسرع الإجابة (الذين قتلوا هم أبوه طلحة وعمه عثمان، وإخوته مسافع والجلاس والحارث وكلاب) قتلوا جميعًا يوم أحد .

(١) قال خالد : لقينا عمرو بن العاص فقال : مرحبًا بالقوم ، أين مسيركم ؟؟ قلنا : الدخول فى الإسلام ، قال :هذا الذى أقدمنى : وفى رواية أنه قال لخالد :يا أبا سليمان أين تريد ؟ قال :والله لقد استقام الميسم ، وظهر الأمر ، وإن هذا الرجل لنبى . فاذهب فأسلم ، فحتى متى ؟؟ قال عمرو : أنا ما جئت إلا لأسلم .

(٢) لما بلغ النبى ﷺ خبر قدومهم قال لأصحابه: « **رمتكم مكة بأفلاذ كبدها** » .

(٣) رضوى ويذبل وشمام أسماء جبال .

(٤) قال خالد : لقينى أخي فقال : أسرع فإن رسول الله ﷺ قد سر بقدومكم وهو ينتظركم فأسرعنا المشى ، فاطلعت عليه ، فما زال يبتسم لى حتى وقفت عليه ، فسلمت عليه بالنبوة فرد على السلام بوجه طلق . فقلت: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، قال: «**الحمد لله الذى هداك قد كنت أرى لك عقلا رجوت أن لا يسلمك إلا إلى خير**»، قلت: يارسول الله ادع الله أن يغفر لى تلك المواطن التى كنت أشهدها عليك. قال: «**الإسلام يجب ما كان قبله**» ،وتقدم عثمان وعمرو فأسلما ،رضى الله عنهما وعنه.

وفدوا كرامًا يؤمنون بربهم ... ورسوله بيض الوجوه وساما
نفضوا الهوان عن الجباه فأصبحوا ... شمَّ المعاطس يرفعون الهاما
أفيعبدون مع الغواة حجارة ؟ ... أم يعبدون الواحد العلاّما ؟
كُشِف اللثام عن اليقين ، ولن ترى ... كالجهل سترًا ، والغرور لثاما
لو طاوع الناس الطبيب لما اشتكى ... من يحمل الأدواء والآلاما
اعرف لربك حقَّه ، فلحكمة ... خلق العقول وأنشأ الأحلاما
أرأيت كالإسلام دينًا قيّمًا ... ساس الأمور ، ودبر الأحكاما ؟
الله أحكم أمره وأقامه ... للعالمين شريعة ونظاما
نادى النبى به فأفزع صوته ... أممًا بآفاق البلاد نياما
ودعا إليه ، وسيفه بيمينه ... يمضى حياة مَرَّة وحِماما
تمضى أباطيل الحياة ، ولن ترى ... لسوى الحقائق فى الزمان دواما

* * *

صَعقت نفوس المشركين وهالهم ... همٌّ إذا انجلت الهموم أقاما
قالوا : فقدناهم ثلاثة قادة ... ما مثلهم بأسًا ولا إقداما
ما أعظم البلوى ويا لكِ نكبةً ... ملكت علينا النقض والإبراما
نزل البلاء بنا فكان مضاعفًا ... وجرى العذاب معًا ، فكان غراما

* * *

إنى إخال البيت يشرق جوُّه ... وإخال مكة ترفع الأعلاما
يا ابن الوليد لك الأعنَّة كلها ... فالقَ المقانب ، وادفع الأقواما (١)
سترى المشاهد ترجف الدنيا لها ... وترى الحصون تميد والآطاما
بشّر حماة الشرك منك بوقعة ... توهى القوى وتزلزل الأقداما

* * *

(١) مازال خالد على أعنة الخيل منذ أسلم ، والمقانب : جمع مقنب والمقنب الجماعة من الخيل من الثلاثين إلى الأربعين أو زهاء الثلاثمائة .

غزوة مؤتة [١]

كانت فى جمادى الأولى سنة ثمان ، ومؤتة موضع معروف عند الكرك بالشام ، وسببها أن النبى ﷺ بعث الحارث بن عمير الأزدى إلى هرقل ملك الروم بالشام بكتاب منه ، فلما بلغ مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغسانى من عمال قيصر ثم ربطه وقتله [٢] .

فسير النبى لمقاتلة ملك الروم ثلاثة آلاف رجل من أصحابه بقيادة زيد بن حارثة [٣] .

وعقد له لواء أبيض دفعه إليه ، وأوصاهم أن يأتوا مؤتة فيدعوا من بها إلى الإسلام فإن أبوا قاتلوهم ، فلما أتوا معان بلغهم أن هرقل فى مائة ألف من قومه، ومثلهم من العرب المستنصرة [٤] .

ومعهم من الخيل والسلاح ما ليس مع المسلمين ، ولقيتهم الجموع فاقتتلوا ، وهزم الروم والذين معهم من العرب هزيمة منكرة بعد مقتلة كبيرة على يد خالد بن الوليد رضي الله عنه ، وقد لقبه النبى ﷺ بسيف الله من يومئذ .

ودَعْ ذويك وسر فى شأنك الجلل   لله يا ابن عُمَير أنت من رجل

سر بالكتاب رسولا حسبه شرفًا   أن راح يحمله من أشرف الرسل

---

(١) سبق هذه القزدة : سرية شجاع بن وهب إلى نفر من هوازن ، وسرية كعب بن عمير إلى بنى قضاعة فى الشام .

(٢) لم يقتل للنبى ﷺ رسول غيره .

(٣) قال النبى ﷺ: « **إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب فعبد الله ابن رواحة على الناس** » ، وقد أصيب الثلاثة رضي الله عنهم [ابن اسحاق فى سيرة ابن هشام : ٦/٤ ، ورواه البخارى بنحوه فى المغازى ؛ ح : ٤٢٦١] وبقية الحديث : « فإن قتل عبد الله بن رواحة فليرتض المسلمون بينهم رجلا فليجعلوه عليهم» .

(٤) هم بنو بكر ولخم وجذام وفى البداية والنهاية : لخم وجذام ،والقين وبهراء وبلى [٦٠٧/٤] .

يا حامل الجبل المرقوم دونكه ... من ذا سواك رعاك الله للجبل
إلى هرقلَ تأنَّى دون سدته ... صيد الملوك ، وتلقاة على مهل
ترتدُّ عن تاجه الأبصار خاشعة ... فما تلاحظه إلا على وجل
إليه يا ابن عمير لست واجده ... إلا أمرًا هملا فى معشر همل
لأنت أعظم منه فى جلالته ... وما جلالة غاوى الرأى مختبل ؟
لا يعرف الدين إلا فتنة وهوى ... أعمى المقاصد والآفاق والسبل
هذا كتاب رسول الله ينذره ... فاذهب إليه وخذه غير محتفل

* * *

مهلا شرحبيل لا حيِّيت من رجل ... إن هم بالشر لم يحفل ولم يُبلِ
بادى الشراسة عادٍ ما يلائمه ... فى موضع الذم إلا أسوأ المثل
هاجته من نزوات الجهل ثائرة ... لم تُبق من كلَب يهتاج أو ثول [1]
فطاح بابن عمير باسلا بطلا ... يفلٌّ فى الروع بأس الباسل البطل
يا للربيط ، يسل السيف مهجته ... فى غير معترك حام ومقتتل
كذلك الغدر ، لا ظلم بمجتنب ... فى الغادرين ، ولا لؤم بمعتزَل
ما كان ذنب امرئ فى الله مرتحل ... يرجوه فى كل محتلٍّ ومرتحل ؟

* * *

سر يا ابن حارثة بالجيش ، تقدمه ... هذا لواؤك فابعثه على عجْل
ادع الألى اتخذوا العمياء وارتكسوا ... فيها إلى أرشد الأديان والملل
فإن أبَوا فسيوف الله تأخذهم ... من كل متقد الحدين مشتعل
أمْرُ النبى فسر يا زيد ممتثلا ... والجند جندك ما تأمره يمتثل
فإن أصبت ، فمن سمَّى على قدر ... وليس للنفس إلا غاية الأجل

---

(١) الثول : عارض من جنون .

إتبعْ وصاياه فيما لا يحل لكم ... ولا يليق بكم من سيىء العمل (١)

دعوا الصوامع واستبقوا النساء ولا ... تؤذوا صغيرًا ، ولا تودوا بمكتهل

لا تقطعوا شجرًا ، ولا تهدموا جدرًا ... لا تقربوا ما استطعتم موطن الزلل

* * *

هذا هرقل يسوق الجيش مرتكمًا ... كالعارض الجون يرمى الأرض بالوهل(٢)

يزجى الكتائب من روم ومن عرب ... فى المرهفات المواضى والقنا الذبل

والصافنات تهادى لا عداد لها ... من كل منذلق فى الكرِّ منجفل (٣)

إن الذين أداروا الرأى وانتظروا ... لم يبرح النصر مولاهم ولم يزل (٤)

الغالبون وإن قلوا وظن بهم ... ما يكره الله أهلُ الزور والخطل

لم يلبث القوم حتى قال قائلهم ... فيم الحوار ؟ وهل فى الأمر من جدل؟(٥)

إنا خرجنا نريد الله ، فاستبقوا ... من كل منتهب للخير مهتبل (٦)

---

(١) قال لهم الرسول الكريم ﷺ وهو يودعهم: **«أوصيكم بتقوى الله وبمن معكم من المسلمين خيرًا اغزوا باسم الله فقاتلوا عدو الله فى الشام ، وستجدون فيها رجالا فى الصوامع معتزلين فلا تتعرضوا لهم،ولا تقتلوا امرأة ولا صغيراً ،ولا بصيراً فانيا ولا تقطعوا شجرا، ولا تهدموا بناء »** .

(٢) العارض السحاب المعترض فى الأفق والجون الأسود الوهل الضعف والفزع.

(٣) الصافنات : الخيل ، ومنجفل : مسرع .

(٤، ٥) بلغهم أن هرقل نزل بمآب فى مائة ألف من الروم ومائة ألف من المستعربة . فأقام المسلمو فى « معان » ليلتين ينظرون أمرهم . وقالوا : نكتب إلى رسول الله ـ ﷺ ـ نخبره بعدد عدونا ؛ فإما أنْ يمدنا بالرجال ،وإما أن يأمرنا بأمر فنحض له ، قال ابن إسحاق : فشجع الناس عبد الله بن رواحة .وقال : يا قوم والله إن التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون الشهادة . وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به . فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين ؛ وإمّا ظهور وإمّا شهادة فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة .

(٦) اهتبل الأمر اغتنمه .

لو زالت الأرض أو حالت جوانبها ... بمن عليها من الأقوام لم نحلُ
هما سبيلان ، إما النصر ندركه ... أو جنّة الخلد فيها أطيب النزل
لسنا نقاتل بالآلاف نحشدها ... ألفًا لألف من الأبطال مكتمل
إنّا نقاتل بالدين الذى ضمنت ... أعلامه النصر فى أيَّامنا الأول
لولا مقالة عبد الله ما انكشفت ... تلك الغواشى ، ولولا الله لم يقل

* * *

تقلدوا العزم للهيجاء وادَّرعوا ... من صادق البأس ما يغنى عن الحيل
وأقبلوا لو تميل الشمُّ من فزع ... لم يضطرب جمعهم خوفًا ولم يمل
يا مؤتة احتملى الأهوال صابرة ... هيهات ـ ذلك شىء غير محتمل
جنٌّ الكريهة يستشرى الصيال بهم ... في موطن لو رأته الجن لم تصُل
ما زال قائدهم يُلقى بمهجته ... يرمى المنية فى أنيابها العصُل (١)
يغشى موارد من أهوالها لججًا ... تلك الموارد ، ليس الغَمْر كالوشل (٢)
ما مَن يخوض الوغى تطغى زواخرها ... كمن يجانبها خوفًا من البلل
يا زيد أدّيت حق الله فامض على ... نهج الألى انتقلوا من قبل وانتقل
آبوا إلى خير دار ، ما لنازلها ... من أوبة تبعث الأشجان أو قفَل
يسلو أخو العقل عن دار الهموم بها ... ويجتوى منزل الأدواء والعلل (٣)
جاهدت فى الله ترضيه وتنصره ... لم تلق من سأم يومًا ولا ملل
هذا الذى نبَّأ الله الرسول به ... فاغنم ثوابك ، والق الصحب فى جذل
وأنت يا جعفر المأمول مشهده ... خذ اللواء وجاوز غاية الأمل

---

(١) العصلُ : المعوجة .
(٢) الغمر : الماء الكثير ، والوشل : القليل منه .
(٣) اجتوى المنزل والشىء كرهه .

هذا جوادك ما حالت سجيّته ... ولا ارتضى بوفاء الحرٍّ من بدل
عقرْته ، وركبت الأرض ، تمنعه ... مواطن السوء من ضنٍّ ومن بُخل
أكرمته ، وحرمت القوم نجدته ... فصُنت نفسك عن لوم وعن عذل
دلفت تمشى على الأشلاء مقتحمًا ... والقوم منجدل فى إثر منجدل
فقدت يمناك ، فانصات اللواء على ... يسراك ، ما فيه من أمتٍ ولا خلل [(١)]
حتى هوت فجعلت الصدر موضعه يضمُّه ... كأنه منه بضع غير منفصل [(٢)]
يضمَّه صادى النفس ، يولعه ... بمن أطال صداه لذّةُ القُبَل
يا قائد الجيش ، ضجَّ الجيش من ألم ... وأنت عن دمك المسفوك فى شغل
تقضى الذمام ، ، وتمضى غير مكترث ... كأنما الأمر لم يفدح ولم يهُل
لقيت حتفك فى شعواء عاصفة ... حرَّى الجوانح ظمأى البيض والأسل [(٣)]
أعطيتها منك نفسًا غير واهنة ... أعطتك سَورة مجد غير منتحل [(٤)]
لك المناقب لم تُقْدر غرائبها ... ملء المشاهد ، لم تعهد ولم تُخَل
من يؤثر الحق يبذل فيه مهجته ... ومن يكن همُّه أقصى المدى يصل
لا شئ يُعجِز آمال النفوس إذا ... خلت من الضعف واستعصت على الكسل
انهض بعبئك عبد الله مضطلعًا ... بكل ما تحمل الأطواد من ثقل
هذا مجالك ، فاركض غير متئد ... وإن رأيت المنايا جوّلا فجل
كم جئت بالعربىِّ السمح مرتجلا ... واليوم يوم منايا الروم فارتجل
للعبقرية فيه مظهر أنق ... يا حسنه مظهرًا لو كان يقدر لى
قنعتُ بالشعر أغزو المشركين به ... فلم أصب فيه آمالى ولم أنل

---

(١) انصات بمعنى انتصب ، والآمت : الاعوجاج .

(٢) بضع : البضع من الشىء القطعة منه .

(٣) صفات للحرب ، والبيض : السيوف ، والأسل : الرماح .

(٤) سورة المجد : أثره وعلامته .

لَقطرة من دمى فى الله أبذلها ... أبقى وأنفع لى من هذه الطول (١)
تقلّد القوم ملء الدهر من شرف ... وليس لى من غواليها سوى العطل
إن شاء ربى حبانى من ذخائرها ... أغلى الحلى ، وكسانى أشرف الحلل
الحمد لله ، أجرى النور من قلمى ... هدى لقومى ، وعافانى من الخبل
أوتيت ما جاوز الآمال من أدب ... عالى الجلال ، مصونٍ غير مبتذل
يا شاعر الصدق ما خاب الرجاء ولا ... مثل العطاء الذى أدركت والنفَل (٢)
خذ عند ربك دار الخلد تسكنها ... قدسية الجوّ والأرواح والظلل
آثرته ، واصطفيت الحق تكاؤه ... مما يحاول أهل الغىّ والضلَّل (٣)
ليس العرانين كالأذناب منزلة ... ولا الغطارفة الأمجاد كالسفل

* * *

يا عقبة اصدع بها بيضاء ناصعة ... تنفى الوساوس ، أو تشفى من الغُلَل(٤)
القتل أجدر بالأحرار يأخذهم ... مستبسلين ، وينهاهم عن الفشل
ويا ابن أرقم نعم المرء أنت إذا ... تنوزع الأمر عند الحادث الجلل (٥)

---

(١) الطول : القصائد الطوال .

(٢) إشارة إلى قوله عند خروجه إلى هذه الغزوة .

لكننى أسأل الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فرغ نقذفُ الزبدا
أو طعنة بيدى حرّان مجهزة ... بحربه تنفذُ الأحشاء والكبدا
حتى يُقال إذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غاز وقد رشدا

(٣) الضلل : اسم من الضلال .

(٤) هو عقبة بن عامر ، لما قتل عبد الله بن رواحة اختلط المسلمون مع المشركين ، وأراد بعض الأولين التنحى عن القتال فقال يا قوم لأن يقتل الإنسان مقبلا خير له من أن يقتل مدبراً فثبتوا وقويت أنفسهم .

(٤) ثابت بن أرقم . أخذ اللواء بعد مقتل عبد الله بن رواحة وقال للمسلمين :من تختارون له ؟؟ قالوا: أنت ، فتقدم به إلى خالد بن الوليد وأعطاه إياه . فأبى خالد أن يقبله لأول مرة إيثاراً لثابت ، فألح عليه فقبله .

قالوا : لك الأمر فاخترت الكفَّى له ... وأنت صاحبه المرجوُّ للعُضَل (١)

لكنها نفس حرٍّ ذى محافظة ... صافى السريرة ، بالإيمان مشتمل

صنت اللواء وآثرت الأحق به ... إثار أغلبَ لا واهٍ ولا وكل

أبى عليه حياءٌ زاده عظما ... ما مثله من حياء كان أو خجل

قلت : اضطلع خالد بالأمر فاستعرت ... منه حمية لا آبٍ ولا زحل (٢)

وراح يبدع من كيد الوغى نمطًا ... طاشت مرائيه بالألباب والمقل (٣)

رمى العدى حولّ شتى مكائده ... جمٌّ الأحابيل ، يعيى كل محتبل

ظنوا الجنود تنحت عن مواقفها ... لغيرها من عمى بالقوم أو حَوَل

جيش من الرعب يمشى فى جوانحهم ... لم تعتصم مهجة منه ولم تئل

من خلفه الجيش يمشى ابن الوليد به ... فى مسبل من مثار النقع منسدل

ضاقوا بمفترس ، فى الهول منغمس ... لنفسه فى غمار الموت مبتسل (٤)

أذاقهم من ذعاف الموت ما كرهوا ... ما كفَّ عن عَلَل منه ولا نهل

ما للمسيئين إلا كل معتزم ... فى الروع ، يحسن ضرب الهام والطُّلل (٥)

رمت بهم هبوات البأس فانكشفوا ... يندسُّ هاربهم فى كل مدَّخل

بئس الجنود أضلّتهم عمايتهم ... فما لهم بجنود الله من قِبل

ظنوا الأمور لغير الله يملكها ... إذا جرت بين معوجٍّ ومعتدل

---

(١) العضل : الدواهى ، جمع عضلة .

(٢) الزحل : المتنحى المتباعد .

(٣) غير خالد نظام الجيش فجعل مقدمته ساقة وساقه مقدمة ، ووضع الميمنة مكان الميسرة والميسرة فى موضع الميمنة ، فظن القوم أن مددًا لحق به ، فأصابهم الرعب ، ووهنت قواهم فانهزموا .

(٤) ابتسل نفسه للموت بمعنى وطئها له .

(٥) الطلل : الأعناق جمع طلة .

وحاربوا الحق من جهل ومن سفه   والحق فوق منال المعشر العثلُ (١)
ما ينقم الناس من دين يراد به   فك العقول من الأغلال والعُقُل (٢)
فليصبر القوم : إن الله مظهره   على الممالك والأديان والنحل
لدولةُ الله أبقى فى خليقته   فلا يغرَّنك ما استعظمت من دول
أدعوك يارب للإسلام مبتهلا   وأنت تسمع دعوى كل مبتهل
نام المحامون عنه ، فهو مضطهد   يشكو الأذى فى شعوب خُضّع ذلل
صرح من العزّ والسلطان ما برحت   تهوى صياصيه حتَّى عاد كالطلل (٣)

* * *

---

(١) العثل : جمع عثول وهو الأحمق.
(٢) العُقُل : جمع عقال ، وهو الحبل يعقل به البعير فى وسط ذراعه .
(٣) الصياصى : الحصون . والطلل : ما ظل باقيا من البناء المنهدم .

الفتح الأعظم ـ فتح مكة

كان خروج النبى ﷺ إلى مكة مع جنوده المظفرين فى شهر رمضان من السنة الثامنة على أصح الروايات ، وكان عدد الجيش عشرة آلاف مقاتل ـ أو اثنى عشر ألفًا ـ وسبب ذلك أن رجالا من بنى بكر الذين دخلوا فى عهد قريش عهد الحديبية عدوا على رجال من خزاعة فقتلوهم ، وكانت خزاعة قد دخلت فى عهد النبى ﷺ ، فانتقض العهد بذلك (١) .

وحل القتال ، وإنما دخلت خزاعة فى عهده ﷺ لحلف كان بينها وبين جده عبد المطلب بن هاشم حين أخذ عمه نوفل ما كان بيده من أمر السقاية ، فحالف عبد المطلب خزاعة ، وحالف نوفل بنى أخيه عبد شمس ، وقد جاء رجال خزاعة يوم الحديبية إلى النبى بكتاب جده عبد المطلب فى ذلك الحلف ، فقرأه عليه أبى ابن كعب رضي الله عنه ، وكان يعرفه قبل ذلك فقال : ما أعرفنى بحلفكم ، وأنتم على ما أسلمتم عليه من الحلف .وكل حلف كان فى الجاهلية فلا يزيده الإسلام إلا شدة (٢) ، ولا حلف فى الإسلام (٣) .

---

(١) كان فى صلح الحديبية أنّه من شاء أن يدخل فى عقد محمد وعهده دخل ، ومن شاء أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم . فتواثبت خزاعة وقالوا : نحن ندخل فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر وقالوا نحن ندخل فى عقد قريش وعهدهم ، فمكثوا فى تلك الهدنة نحو السبعة أو الثمانية عشر شهرًا . ثم أن بنى بكر وثبوا على خُزاعة ليلا بماء يقال له « الوتير » وهو قريب من مكة ، وقالت قريش ما يعلم بنا محمد ، وهذا الليل ، ومايرانا أحد ، فأعانوهم عليهم بالكراع والسلاح ،وقاتلوهم معهم للضغن على رسول الله ـ ﷺ ـ وأن عمر بن سالم ركب عندما كان من أمر خزاعة وبنى بكر بالوتير حتى قدم على رسول الله ـ ﷺ ـ يخبره بذلك . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ نصرت يا عمرو ابن سالم » فما برح حتى مرّت عنانة فى السماء ، فقال : « إن هذه السحابة لتنهل بنصر بنى كعب ، وأمر الناس بالجهاز ، وكتمهم مخرجه ، وسأل الله أن يعمى على قريش خبره حتى يبغتهم فى بلادهم [ابن هشام : ٤/ ١٧ وما بعدها ـ البيهقى فى الدلائل : ٥/ ٥ وما بعدها ، البداية والنهاية : ٤/ ٦٤٦] .

(٢) الحلف الذى يراد به دفع الظلم .

(٣) أى على الشر والفساد .

حلف عبد المطلب

باسمك اللهم ، هذا حلف عبد المطلب بن هاشم لخزاعة ، إذ قدم عليه سرواتهم وأهل الرأى منهم يقر بما قاضى عليه شاهدهم ، أن بيننا وبينكم عهود الله وعقوده ، وما لا ينسى أبدًا ، اليد واحدة ، والنصر واحد ، ما أشرف ثبير ، وثبت حراء ، وما بل بحر صوفة ، ولا يزداد فيما بيننا وبينكم إلا تجددًا ، أبد الدهر سرمدًا وفى رواية ـ حلفًا جامعًا غير مفرق الأشياخ على الأشياخ ، والأصاغر على الأصاغر ، والشاهد على الغائب .

وتعاهدوا وتعاقدوا أوكد عهد وأوثق عقد ، لا ينقض ولا ينكث ما أشرقت شمس على ثبير ، وحن بفلاة بعير وما أقام الأخشبان ، واعتمر بمكة إنسان حلف أبد ، لطول أمد، يزيده طلوع الشمس شدًا ، وظلام الليل مدًا ، وإن عبد المطلب ومن معه ورجال خزاعة متكافئون متضافرون ، متعاونون . . . على عبد المطلب النصرة لهم بمن تابعه على كل طالب ، وعلى خزاعة النصر لعبد المطلب وولده ومن معهم على جميع العرب فى شرق أو غرب أو حزن أو سهل ، وجعلوا الله على ذلك كفيلا ، وكفى به حميلا.

بنو بكر وخزاعة (*)

إسلام أبى سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء .

بنى بكر وما يغنى الملام تلظَّى البأس ، وانتفض الحسام
ذمام صادق ، ودم حرام وعزٌّ من خزاعة لا يُرام
يقوم عليه حام لا ينام (١)
أعانكم الألى نبذوا الوفاء وراح القوم يمشون الضَّراء (٢)
وما تخفَى جريرة من أساء سيوف محمد جُعلتْ جزاء
فما البغى الذميم وما العرام ؟
قتلتم من خزاعة بالوتير (٣) رجالا ما أتاهم من نذير
لبئس الغدر من خلق نكير ويا للناس للحدث الكبير
أكان محمد ممن يضام ؟

(*) قصة بين أبى بكر وخزاعة : إن رجلا من بنى الحضرمى يقال له « مالك بن عبّاد » خرج تاجرا ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، فعدت خزاعة على بنى الأسود؛ وهم : سلمى وكلثوم وذؤيب ، فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم . هذا كله قبل المبعث. فلما بعث رسول الله ـ ﷺ ـ وجاء الإسلام . حجز بينهم . وتشاغل الناس بشأنه . فلما كان صلح الحديبية ، وقع الشرط ، فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله ـ ﷺ ـ وعهده . فلما استمرت الهدنة اغتنمها بنو بكر من خزاعة وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأرهم القديم .

(١) النبى ﷺ .

(٢) قاتل مع بنى بكر قوم من قريش خفية ،منهم صفوان بن أمية ،وحويطب بن عبد العزى، وعكرمة بن أبى جهل ،وشيبة بن عثمان ، وسهيل بن عمرو (أسلموا بعد ذلك).

(٣) الوتير ماء كان لخزاعة بأسفل مكة .

أتوه ، ينشدون الحلف وفدا تهدّ شكاته الأحرار هدّاً (١)
فقال لهم : نُصِرتم واستعداً وراح يسوقه للحرب جندا (٢)

تظلله الملائكة الكرام

أبا سفيان ذلك ما تراه هو البأس المصمّم لا سواه (٣)
أليس الحلف قد وهنت عراه فكيف تشد بعدئذ قواه ؟

أبا سفيان ليس لكم ذمام

كتمت الحق ، تطمع في المحال فما بال الثقات من الرجال ؟ (٤)

---

(١) أقبل عمرو بن سالم ومن معه من خزاعة على النبى ﷺ فدخلوا عليه المسجد ، وأنشده عمرو أبياتًا منها

يارب إنى ناشد محمدا حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولْدًا وكنا والد ثمت أسلمنا ولم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصرا أبدا وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجرّدا أبيض مثل البدر يسمو صعدا
إن سيم سخفا وجهه تربدا فى فليق كالبحر يجرى مزبدا
إن قريش أخلفوك الموعدا ونقضوا ميثاقك المؤكدا
وجعلوا لى فى كداء رصدا وزعموا أن لست تدعوا أحدا
وهم أذل وأقل عددا هم بيتونا بالوتير هجرا

وقتلونا ركعا سجدا

(٢) قال الرسول الكريم ﷺ: « **نصرت ياعمرو بن سالم ، ارجعوا وتفرقوا فى الأودية**» يريد إخفاء مجيئهم إليه .

(٣) قال أبو سفيان حين طلب إليه أن يصلح الأمر : ليغزونا محمد إن صدق ظنى وهو صادقى .

(٤) كان بديل بن ورقاء الخزاعى قد قدم على النبى ﷺ ومعه نفر من قومه بعد رجوع عمرو ابن سالم ومن معه فأخبره بما كان من أمر الواقعة . فجاء أبو سفيان إلى المدينة وهو يظن أن الخبر لم ينقل إلى النبى ﷺ ودخل عليه ، وسأله أن يجدد العهد ويزيد فى المدة فأبى عليه وسأله : « **هل تم من حدث ؟** » فقال : معاذ الله نحن على عهدنا وصلحنا لا نغير ولا نبدل، ثم أعاد الكلام عليه فسكت عنه .

فتحتم بالأذى باب القتال   فما دون اللقاء سوى ليال

ويفتح مكة الجيش اللهام

دع الأرحام ليس لكم شفيع   لقد حاولتَ ما لا تستطيع [١]

رويدك ، إنه الرأى الجميع   وإن الله ليس له قريع

تعالى جدُّه وسما المقام

رجعت وأزعجتك الحادثات   فسرت تقول : هل قدم الغزاة ؟

نعم ، قدم الميامين الهداة   وتلك جيادهم والمرهفات

فدع دين الغواة ، وقل : سلام

أبا سفيان هل أبصرت نارًا   كنار القوم إذ باتوا سهارى

أبتْ وأبوا ، فما تألو استعارا   ولا تُحصَى وإن عُدِّت مرارا

هو الفزع المؤجج لا الضرام [٢]

لقد أنذرت قومك فاستطاروا   وراحوا ما يقرُّ لهم قرار [٣]

نبتْ بهم المنازل والديار   وضاق سبيلهم فيها فحاروا

وقال سراتهم : خطب جسام

فدعهم يا ابن حرب تلْقَ رشدا   وبالحق اعتصم فالحق أجدى

سبيل محمد فاسلكه أهدى   وخذه يا ابن حرب منه عهدا

لبيتك فيه من شرف دعام [٤]

---

(١) ذهب أبو سفيان إلى أبى بكر وعمر بن الخطاب وعلى بن أبى طالب وغيرهم يناشدهم الأرحام ويسألهم أن يكلموا النبى ﷺ فيما جاء له . فصدفوا عنه ، ولم يقبلوا له قولا .

(٢) كانت عشرة آلاف نار أمر النبى ﷺ بإيقادها لما بلغ الجيش مر الظهران ليراها المشركون فيرعبوا .

(٣) لما رجع إلى قريش قالوا : ما وراءك ؟ هل جئت بكتاب من محمد أو عهد ؟ قال : لا والله . لقد أبى على ، وقد تتبعت أصحابه فما رأيت قومًا لملك أطوع منهم له .

(٤) جعل له النبى ﷺ حق الجوار فقال : من دخل دار أبى سفيان فهو آمن .

مع العباس سرت إلى الرسول ... لأعظم مطلب وأجل سول (١)

لدين الله ، دين ذوى العقول ... من النفر المساميح العدول

صدقْتك ، ليس كالنور الظلام

لقيت محمدًا حرًا رشيدا ... فعدت بيمنه خلقًا جديدا

هديت وكنت جبَّارًا عنيدًا ... هنيئا فاصحب لْجَدَّ السعيدا

بما أولاك صاحبك الهمام

أصبت الخير أجمع والرشادا ... على يده ونلت به المرادا

أفادك يا ابن حرب ما أفادا ... فبارك فيك ربك ثم زادا

وعند الله يلتمس التمام

نظرت فهل رأيت أشدَّ صبرًا ... وأحسن منظرًا وأجلَّ قدرا ؟ (٢)

كتائب من جنود الله تترى ... تمرُّ عليك واحدة فأخرى

لها من دينها العالى نظام

تُكبّرُ ربها وتراه حقا ... وتبذل فيه أنفسها فتبقى

لكَ البشرى ، نعمتَ وكنت تشقى ... فماذا من أيادى الله تلقى ؟

لقد جلَّتْ فليس لها انصرام

لنعم الصاحبان الناجيان ... على طول التردُّد والتوانى

حكيم وابن ورقاء اللذان ... أراد الله فيما يبغيان

---

(١) حمله العباس بن عبد امطلب على بغلته وقدم به على النبى ﷺ فأسلم .

(٢) أمر به النبى ﷺ فحبس على الطريق فى رجوعه إلى مكة ليرى جيوش المسلمين ، وأمر أن تكون كل قبيلة عند راية قائدها . فجعلت تمر به كتيبة كتيبة . وهو ينظر إليها ويسأل عنها ، فلما مرت الكتيبة الأولى وكانت من بنى سليم وعددها ألف رجل أو تسعمائة معهم لواءان يحملها العباس بن مرداس ، وخفاف بن ندبة كبرت ثلاثًا فقال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء ؟ قال : خالد بن الوليد معه بنو سليم ، قال : ما=

فليس بغير سنته اعتصام

كلا الرجلين غطريف كريم   له في قومه حسب قديم

زعيم جاء يصحبه زعيم   كذلك يظهر الدين العظيم

فتعرفه الغطارفة العظام

= لى ولبنى سليم ، ثم مرت الثانية فكبرت ثلاثًا . قال :من هؤلاء ؟ قال العباس : الزبير ابن العوام في خمسمائة من المهاجرين وأفتاء العرب ، قال : الزبير ابن أختك ؟؟ قال نعم، ثم مرت كتيبة بنى غفار فى ثلاثمائة يحمل رايتهم أبو ذر . فلما : حاذوه كبروا ثلاثًا فقال : من هؤلاء ؟ قال : غفار ، قال : ما لي ولغفار ، ثم مرت أسلم فى أربعمائة لها لواءان يحملهما بريدة بن الحصيب . وناجية بن الأعجم . فلما حاذوه كبروا ثلاثًا . فقال : من هؤلاء ؟ قال : أسلم ، قال : ما لي ولأسلم ، ثم مرت بنو كعب ابن عمرو، وهم خزاعة فى خمسمائة يحمل رايتهم بشر بن سفيان، فلما : حاذوه كبروا ثلاثًا فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو كعب إخوة أسلم ، قال :هؤلاء حلفاء محمد؟ قال: نعم ، ثم مرت مزينة فيها مائة فارس وثلاثة ألوية يحملها النعمان ، وعبد بن عمرو بن عوف ، وبلال بن الحارث . فلما حاذوه كبروا ثلاثًا فقال : من هؤلاء ؟ قال: مزينة ، قال : ما لى ومزينة . قد جاءتنى تقعقع من شواهقها ، ثم مرت جهينة فى ثلاثمائة فيها أربع ألوية يحملها معبد بن خالد ، وسويد بن صخر ورافع بن مكيث وعبد الله بن بدر ، فلما حاذوه كبروا ثلاثا ، فقال : من هؤلاء ؟ قال العباس : جهينة ، قال: ما لي وجهينة . والله : ما كان بينهم وبينى حرب قط ، ثم مرت كنانة ـ بنو ليث وضمرة ، وسعد بن بكر ـ فى مائتين يحمل لواءهم أبو واقد الليثى ، فلما حاذوه كبروا ثلاثًا فقال : من هؤلاء ؟ قال : بنو بكر قال :نعم أهل شؤم والله ، هؤلاء الذين غزانا محمد بسببهم ، ثم مرت أشجع وهم ثلاثمائة معهم لواءان يحملها معقل بن سنان ونعيم بن مسعود الأشجعى فكبروا ثلاثًا فقال : من هؤلاء قال : أشجع : قال: هؤلاء كانوا أشد العرب على محمد ، قال العباس . دخل الإسلام فى قلوبهم وهذا من فضل الله . ومرت بنو تميم ، وبنو فزارة ، وسعد بن هذيم . وهم من قضاعة ففعلوا مثل ذلك . ثم جاءت كتيبة خضراء فيها ألفا دارع ومنهم رسول الله ﷺ وأصحابه المهاجرون والأنصار وفيها الرايات والألوية ، مع كل بطن من بطون الأنصار لواء وراية وهم فى الحديد ، لا يرى منهم إلا الحدق ، وكانت راية الأنصار مع سعد بن عبادة فلما رآهم أبو سفيان قال : سبحان الله يا عباس ، من هؤلاء ؟ قال :هذا رسول الله فى الأنصار ، فقال أبو سفيان : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة .

مضى لك يا حكيم ولابن حرب قضاء زاد حبا كُلَّ قلب [(١)]
ومن أولى من الهادى بحب ؟ وأجدر من عشيرته بقرب ؟

قريش قومه ، وهو الإمام

إذا جعلت قلوب الناس تهفو فمن بيتيكما حرز وكهف
وعندكما ظلال الأمن تضفو وورد العيش للورّاد يصفو

هما البيتان كلّهما حرام

وفى حرم اللواء لكل نفس تلوذ به كفاية كل بأس [(٢)]
يراه سراة مكة فوق رأس لميمون النقيبة غير نكس

من النفر الألى صلوا وصاموا

لواء أبى رويحة ما أعزا لواء قام للإيمان رمزا
يهزُّ قلوب أهل الشرك هزا ويترك بأسهم ضعفًا وعجزا

فمن للقوم إن وقع الصدام ؟

* * *

---

(١) حكيم بن حزام، وبديل بن ورقاء ، قدما على النبى ﷺ فأسلما (حكيم بن حزام بن خويلد أخى السيدة خديجة أم المؤمنين ، فهي عمته ، كان عمره حين أسلم ستين سنة ، وعاش بعد ستين سنة ؛ وكان من أشرف قريش فى جاهليته وإسلامه ، أعتق في عهده الأول مائة رقبة،وحج فى الإسلام فلما كان بعرفة أعتق مائة وصيف فى أعناقهم أطواق الفضة منقوش عليها : عتقاء الله عن حكيم بن حزام ، وفى هذه الحجة جعل النبى ﷺ لحكيم ما جعل لأبى سفيان من الإجارة .

(٢) كذلك قال الرسول الكريم ﷺ : « **من دخل فى لواء أبي رويحة فهو آمن** » .

وقعة الفتح الأعظم

جعل النبى ﷺ لواء المهاجرين مع الزبير بن العوام ، وأمره أن يدخل مكة من كداء ، وأن يركز رايته بالحجون ، ثم يمكث عندها لا يبرح حتى يأتيه ، وبعث خالد بن الوليد فى كتائب من قضاعة وسلم وأسلم وغفار ومزينة وجهينة وغيرهم، وأمره أن يدخل من أسفل مكة ، وقد تجمع بها ناس من بنى بكر وبنى الحارث بن عبد مناف . وناس من هذيل ، فقاتلوا خالدًا ومنعوه الدخول ، وشهروا السلاح ورموه بالنبل ، وقالوا : لا تدخلها عنوة ، فقاتلهم وانهزموا (١) واشتد الأمر بمكة. فصاح حكيم بن حزام ، وأبو سفيان : يا معشر قريش على من تقتلون أنفسكم ؟؟ من دخل المسجد فهو آمن ، ومن دخل داره فهو آمن . ومن وضع السلاح فهو آمن ،فجعلوا يقتحمون الدور ويغلقون أبوابها ، ويطرحون السلاح فى الطرق فيأخذه المسلمون ،وقد أيد الله رسوله وأدخله مكة فائزاً منصوراً.

ديار مكة هذا خالد دلفا ... فما احتيالك فى الطود الذى رجفا ؟

طود من الشرك خانته جوانبه ... لما مشى نحوه الطود الذى زحفا

إن الجبال التى فى الأرض لو كفرت ... لدكها جبل الإسلام أو نسفا

لما دعاه بسيف الله سيده ... زاد السيوف به فى عزها شرفا

ديار مكة أمّا من يسالمه ... فلا أذى يتقى منه ولا جنفا

---

(١) كان من هؤلاء صفوان بن أمية ، وعكرمة بن أبى جهل ، وسهيل بن عمرو ، تجمعوا بمكان يقال له : الخندم ليقاتلوا المسلمين . فقتل من هؤلاء مسلمة بن الميلاء ، وقتل من المشركين اثنا أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا وخالد من ورائهم ، وقد استشهد من أصحابه رجلان آخران هما حبيش بن الأشعر الخزاعى أخو أم معبد التى مر بها النبى ﷺ فى هجرته إلى المدينة وكرز بن جابر الفهرى الذى أسلم بعد غزوة بدر ، وكان قبل ذلك من رؤساء المشركين ، وهو الذى أغار على سرح النبى ﷺ .

تلك الوصية ما يرضى بها بدلا ولا يرى دونها معدى ومنصرفا [١]

لا تجزعى ، إنه العهد الذى انبعثت أنواره تصدع العهد الذى سلفا

ليل الأباطيل ما التفَّتْ غياهبه على الحقائق إلا انجاب وانكشفا

هنَّ المنايا ، فياللقوم من بطل رُمُوا به حية من حية خلفا

ضاقوا بسعد فقالوا : قائد حنق لو جاوز الحد بعد الحد ما وقفا [٢]

واستصرخوا من رسول الله ذا حدب إذا استغاث به مستصرخ عطفا

(١) أمره النبى ﷺ أن يغرز رايته عند أدنى البيوت من مكة ، وألا يقاتل إلا من يقاتله .

(٢) لما حاذى سعد بن عبادة أبا سفيان وهو في كتيبة النبى ﷺ قال له : يا أبا سفيان ، اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة ، أى بقتل من يهدر دمه ولو تعلق بأستارها ، فلما حاذاه النبى قال له : أمرت بقتل قومك ؟ قال : «لا» ، فذكر له ما قال سعد وناشده الرحم . فقال : « **يا أبا سفيان اليوم يوم المرحمة** »، ثم تعرضت امرأة للنبى ﷺ فأنشدته :

يا رسول الهدى إليك لجاحـ ـى قريش ولات حين لجاء

حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله لسماء

والتقت حلقنا البطان على القو م ، ونودوا بالصيلم الصعلاء

إن سعداً يريد قاصمة الظهـ ـر بـ أهل الحجون والبطحاء

خزرجى لو يستطيع من الغيـ ـظ رمانا بالنسر والعواء

وغر الصدر لا يهم بشىء غير سفك الدما وسبى لنساء

قد تلظى على البطاح وجاءت عنه هند بالسوأة السوآء

إذ ينادى بذل حى قريش وابن حرب بذا من الشهداء

ولئن أقحم اللواء ونادى يا حماة الأدبار أهل لثواء

ثم ثابت إليه من بهم الخز رج والأوس أنجم الهيجاء

لتكونن بالبطاح قريش فقعة القاع فى أكف الإماء

فانهينه فإنه أسد الأسد لدى الغاب والغ فى الدماء

إنه مطرق يريد بنا الأمـ ـر سكونا كالحية الصماء

فأمر النبى ﷺ بأخذ الراية منه ودفعها إلى ولده قيس ، ثم خشى سعد أن يقع من ابنه شىء ينكره النبى ﷺ فسأله أن يأمر بأخذها منه ففعل ، وبقى سعد فى مقدمة كتيبة الرسول الكريم ﷺ ولا راية معه وهو بذلك راض رضى الله عنه .

هبَّتْ إلى الشر من جهالهم فئة ... لم تأل من جهلها بغيًا ولا صلفا
واستنفرت من قريش كل ذى نزق ... إذا يشار إليه بالبنان هفا
فخاضها خالد شعواء كالحة ... إذا جرى الهول فى أرجائها عصفا
رمى بها مهج الكفار فاستبقت ... تلقى البوار ، وتشكو الحين والتلفا
وقال قائلهم : أسرفت من بطل ... ما كان أحسنه لو جانب السرفا
وهاج هم أبى سفيان ما وجدوا ... فراح يشفع فيهم جازعًا أسفا (١)
فلان قلب رسول الله مرحمة ... ورق من شدة البطش الذى وصفا
وقال : سر يا رسولي ، فأنْهَ صَاحبنا ... عن القتال ، فحسى ما جنى وكفى

* * *

مضى الرسول يقول : اقتل فهيجها ... مشبوبة ، هتفت بالويل إذ هتفا
وعاد والدم فى آثاره سرب ... والقوم من خلفه يدعون : والهفا
قال النبى ألم تذكر مقالتنا ... لخالد ؟ أعَصَيْت الأمر أم صدفا ؟
فقال : بوركت ، إن الله حرفها ... وما تغيَّر لى رأى ولا انحرفا
سبحانه إنَّ أمر الناس فى يده ... لا يعرف المرء من خافيه ما عرفا

* * *

لا يجزع القوم إن السيف مرتدع ... عما قليل ، وإن النصر قد أزفا
لم يرفعوا الصوت حتى لاح بارقه ... تحت العجاجة ، يجلو ضوءه السدفا (٢)
هذا الزبير ترامى فى كتائبه ... كالسيل ، لا تمسك الأسداد ما جرفا

---

(١) جاء أبو سفيان فقال : يا رسول الله ، أبيحت خضراء قريش ، لا قريش بعد اليوم ، فقال لرجل : « **إذهب إلى خالد وقل له لا تقتل** » ، فذهب الرجل وأجرى الله على لسانه أنه نبى الله يقول لك اقتل من قدرت عليه . فقتل سبعين رجلا . فلما رجع إلى النبى ﷺ وكان قد علم بأمر القتلى قال له « **ألم آمرك بأن تدعو خالداً إلى الكف عن القتل** » ، فذكر له ما كان وقال : أردت أمرًا وأراد الله غيره ، فكان أمر الله فوق أمرك . وما استطعت إلا الذى كان .

(٢) السدف : الظلم .

يلقى كداء به والخيل راكضة ... ما قال حسان من قبلي وما ازدهفا [(١)]

الله أكبر، جاء الفتح وابتهجت ... للمؤمنين نفوس سرها وشفى

مشى النبي يحفُّ النصر موكبه ... مشيعًا بجلال الله مكتنفا

أضحى أسامة من بين الصحاب له ... ردفًا . فكان أعزَّ الناس مرتدفا

لم يبق إذ سطعت أنوار غرته ... مغنى بمكة إلا اهتزَّ أو وجفا

تحرك البيت حتى لو تطاوعه ... أركانه خف يلقى ركبه شغفا

وافاه في صحبه من كل مزدلف ... فلم يدع فيه للكفار مزدلفا [(٢)]

العاكفون على الأصنام أضحكهم ... إن الهوان على أصنامهم عكفا [(٣)]

كانوا يظنون أن لا يستباح لها ... حمى ، فلا شممًا أبدت ولا أنفا

نامت شياطينها عنها مذممة ... وبات ما ردها بالخزى ملتحفا

---

(١) لما دخل النبي ﷺ مكة رأى النساء يلطمن وجوه الخيل بالخمر ، فتبسم وقال لأبى بكر : ماذا قال حسان ، فأنشده :

عدمت بنيتى إن لم تروها ... تثير النقع ، موعدها كداء

ينازعن الأعنة مسرجات ... يلطمهن بالخمر النساء

فقال النبي ﷺ: **«ادخلوها من حيث قال»**. وازدهف: بمعنى انحرف أو تزيد فى الكلام.

(٢) انتهى النبي ﷺ إلى الكعبة ومعه المسلمون . فاستلم الركن بمحجنه ، وكبر فكبروا مرجعين حتى ارتجت مكة . وكان يشير إليهم أن اسكتوا ، وكان محمد بن مسلمة يأخذ بزمام ناقته فى طوافه . ازدلف : تقدم وتقرب .

(٣) قال ابن عباس : كان على الكعبة يوم الفتح ثلاثمائة وستون صنما ، لكل حى من أحياء العرب صنم قد شدوا أقدامها بالرصاص ، فجعل النبي ﷺ يهوى بقضيب كان معه إلى كل صنم فيها فيهوى ، وإنه كان يقول : « **جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقًا**»، وكان هبل من أعظم هذه الأصنام فجاءه النبي ﷺ ومعه قوس جعل يطعن بها فى عينيه وهو يقول : ﴿جاء الحق﴾ الآية ، ثم أمر به فكسر ، وبقى من هذه الأصنام على الكعبة صنم كبير من نحاس ـ وقيل من صفر ـ لخزاعة جعلوا له أوتادًا من الحديد مثبتة فى الأرض ، فأمر النبي ﷺ على بن أبى طالب أن يرميه فرمى به وكسره .

هوت تفاريق ، وانقضَّت محطمة | كأنها لم تكن إذ أصبحت كسفا (١)
ريعت شيوخ قريش من قذائفها | وريع منها الخزاعىّ الذى قذفا
رآته ينحطُّ من عليائه فزعا | من بعد ما أفزع الأجيال مشترفا (٢)
وما درى هبل والطعن يأخذه | هل غوّر الدمع في عينيه أم ذرفا ؟
لو كان للدم يجرى حوله دفعًا | طول المدى مثعب فى جوفه نزفا (٣)
رمى به الله ، يحمى البيت من عبث | يعاف باطله من عاف أو عزفا (٤)
لم يبق بالبيت أصنام ولا صور | زال العمى ، واستحال الأمر فاختلفا (٥)
للجاهلية رسم كان يعجبها | فيدهرها ، فعفت أيامها وعفا
لا كنت يا زمن الأوهام من زمن | أرخى على الناس من ظلمائه سجفا
إن الشريد الذى قد كان يظلمه | ذوو قرابته قد عاد فانتصفا (٦)
ردَّ الظلامة فى رفق وإن سفوا | ولو يشاء إذن لاشتدَّ أو عنفا
إن الرسول لسمح ذو مياسرة | إذا تملَّك أعناق الجناة عفا
شكرًا محمد إن الله أسبغها | عليك نعمى ترامى ظلها وضفا
وعد وَفَى لإمام المرسلين به | والله إن وعد الرسل الكرام وفى
خذ المحصَّب إن وافيته نزلا | واذكر به ذلك الميثاق والحلفا (٧)

---

(١) الكسف: القطع .

(٢) المشترف: المنتصب .

(٣) المثعب: مسيل الماء من الحوض .

(٤) عزف عن الأمر زهد فيه وانصرف عنه .

(٥) أبى النبى ﷺ أن يدخل البيت وفيه ما فيه من التماثيل التى اتخذها القوم على صور شتى، فأمر بها فأخرجت ثم نادى مناديه : من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يدع فى بيته صنمًا إلا كسره ، فكسروا الأصنام التي كانت فى بيوتهم ، وعمدت هند بنت عتبة زوج أبى سفيان إلى صنم كان عندها فجعلت تضربه وتقول :كنا منك في غرور ، ثم بعث النبى ﷺ السرايا لكسر الأصنام التى كانت حول مكة .

(٦) النبى ﷺ .

(٧) قال النبى ﷺ: «**إذا فتح الله لنا مكة نزلنا الخيف**»ـ خيف بنى كنانة يعنى المحصب ـ وهو=

قد عاد يكلف بالإسلام من رشد ... من كان بالكفر من غيٍّ الهوى كلفا
ثم استقام على البيضاء يسلكها ... من كان يضرب فى العمياءِ معتسفا
مشى طليقًا إلى غاياته مرحًا ... وكان فى القيد إن رام الخطى رسفا
يغشى موارد للإيمان صافية ... ما امتاح من مثلها يومًا ولا اغترفا [١]
عادوا طهارى ، فلم يعلق بهم وضرٌ ... مما جنى الكفر قبل الفتح واقترفا
تتابع القوم أفواجًا ، فآمنهم ... دين السلام وأمسى الأمر مؤتلفا
كذلك الحق يعلو في مصاعده ... حتى ينال الذرى أو يبلغ الشعفا [٢]
مرمى العقول إذا ما غرها هدف ... فلن تريد سواه إن رمت هدفا
وما على الحق من بأس ولا حرج ... إن هوّم العقل عنه مرة فغفا
إن الذى جعل الإسلام معقله ... أعلى لأمته الأركان والسقفا
إن لم يرض ما نال من مجد فأورثه ... مجدًا طريفًا ، وعزًا منه مؤتنفا [٣]
شتان ما بين صرح ثبت رُفِعتْ ... منه القباب وصرح واهن خسفا

* * *

لِتُنصت الأرض ، ولْتسمع ممالكها ... ماذا يقول لها الرعد الذى قصفا [٤]

= الذى تحالفت في قريش وكنانة على مقاطعة بنى هاشم وبنى عبد المطلب حتى يسلموه إليهم ، وقد فتحت مكة وفعل ذلك .

(١) امتاح الماء : غرفه .

(٢) الشعف : رؤوس الجبال جمع شعفة .

(٣) ائتنف الشيء بمعنى استأنفه ؛ أى : ابتداه .

(٤) دعا النبى ﷺ عثمان بن طلحة فقتح له الكعبة فدخلها معه ومع بلال وأسامة بن زيد وصلى فيها ركعتين ثم خرج فوقف على بابها ، وقال :

«لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده» ثم خطب خطبة طويلة منها : « **يا معشر قريش ، إن الله أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء ، والناس من آدم ، وآدم من تراب** » ، وتلا قوله تعالى : ﴿**يا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّا خلقناكُم مِّن ذكرٍ وأُنثىٰ وجعلناكُمْ شُعُوبًا وقبائل لتعارفُوا إنَّ أكْرمكُمْ عندَ اللَّه أتقاكُمْ إنَّ اللَّه عليمٌ خبيرٌ**﴾ [الحجرات: ١٣] ثم قال : « **يا معشر قريش ماذا تظنون أنى فاعل بكم ؟** » ، قالوا : =

شرائع الخير يلقيها محببة ... شيخ النبيين يبغى البر واللطفا
الناس من آدمٍ والبغى مهلكة ... فليتق الله منهم من قسا وجفا
قل للألى خطبوا الأفوام أو كتبوا ... دعوا المنابر والأقلام والصحفا

* * *

= خيرا ، أخ كريم وابن أخ كريم ، وقد قدرت ، وأول من قال ذلك سهيل بن عمرو، فقال الرسول الكريم « **أقول كما قال أخي يوسف** ﴿ **قَالَ لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ** ﴾ [يوسف: ٩٢] . **اذهبوا فأنتم الطلقاء** » ، فخرجوا وكأنما نشروا من القبور ثم أسلموا .

وذكر فى هذه الخطبة بعض الأحكام ، ومنها : لا يقتل مسلم بكافر ، ولا يتوارث أهل ملتين مختلفتين ، ولا يجمع المرء بين المرأة وعمتها ولا بينها وبين خالتها ، والبينة على من ادعي واليمين على من أنكر . ولا تسافر المرأة مسيرة ثلاثة أيام إلا مع محرم . ولا صلاة بعد العصر وبعد الصبح ،ولا يصام يوم الأضحى ويوم الفطر، ، ثم قال « **أيها الناس إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض** »، إلى آخر ما قال صلوات الله وسلامه عليه .

العبّاسُ بْنُ عَبدِ المطلِبِ رضي الله عنه

خرج العباس بأهله وعياله مهاجراً إلى المدينة ، فلقى النبى ﷺ بالجحفة ، وكان قد أمره بالإقامة بمكة ليكتب إليه أخبار قريش ، واستأذنه فى الهجرة فكتب إليه : « **يا عم أقم مكانك الذى أنت فيه ، فإن الله يختم بك الهجرة كما ختم بى النبوة** »، وكان ينفع المستضعفين من المسلمين ، وقد أعلن إسلامه يوم الفتح وكان يكتمه قبل ذلك ، وكان أجود قريش كفًا ، وأوصلها رحمًا ، ومن مناقبه أن عمر ابن الخطاب كان يستسقى به فى خلافته إذا قحط الناس فيسقون ، وفى ذلك يقول عقيل بن أبى طالب :

بعمى سقى الله البلاد فأهلها ... عشية يستسقى بشيبته عمر
توجه بالعباس فى الجدب داعيًا ... فما حاد حتى جاد بالديمة المطر

أبا الفضل أقبل وارفع الصوت شاكراً ... فذلك فضل الله ، أسداه وافرا
أقمت تراعى الركب حرّان شيّقًا ... هنيئًا ، فهذا الركب وافاك زائرا
هنيئًا ، فقد أوتيت سؤلك كله ... ولقيت عن قرب من السعد طائرا
إذا ما التمست الركب : أين مكانه ... فحيث ترى نور النبوة باهرا
أبا الفضل أقبل ، واقضها من لبانة ... لنفسك ، تشفى منك داء مخامرا
حبيب نأى يطوى السنين ، وذو هوى ... يعالج وجدًا بين جنبيه ثائرا
ويلقى الأذى بعد الأذى فى سبيله ... فيرضى ، ويغطى الجفن فى الله صابرا
لك الله يا عباس هذا محمد ... فسلم ، وطب ما شئت نفسًا وخاطرا
أتى بعد ما جرّ السنين مهاجراً ... يجرُّ السرايا خلفه والعساكرا
رآك فقرّت عينه ، وترافدت ... تحياته تلقاك زُهراً نواضرا
لها عبق من رحمة الله ، لم يزل ... مكانكما منه إلى اليوم عاطرا

أقمت على المستضعفين بمكة ... تردُّ الأذى عنهم ، وترعى الأواصرا
إذا فزعوا للظلم كنت لهم حمى ... وإن أعوز الأنصار ألفوك ناصرا
يظنك أهل الكفر منهم ، وإنما ... أردت بهم أمرًا ، وما كنت كافرا
شددت قوى الإسلام بين ربوعهم ... وخادعتهم عنه ، فأصبح ظاهرا
وكنت له عينًا تظاهرها يد ... تذيع خفاياهم ، وتبدى السرائرا
تمدُّ رسول الله بالكتب حفَّلا ... بأنبائهم ، تطوى الفجاج سوائرا
بريد ، إذا كف البريد من الونى ... مضى دائبًا فى شأنه متواترا
وكنت إذا استأذنت ، تبغي جواره ... أبى ، وهواه أن يراك مجاورا
وقال : انتظر يا عم ، إنك مرجأ ... إلى موعد يأتى به الله آخرا
فبى ختم الله النبيِّين كلهم ... وتَّم هاتيك العلى والمآثرا
وإنى لأرجو أن تكون بيثرب ... بقية من يأتى إلينا مهاجرا

* * *

هو الله فانظر يا أبا الفضل ما قضى ... من اليسر بعد العسر ، بوركت ناظرا
تجلت دياجير الهموم دميمة ... وأضحت وجوه العيش بيضًا سوافرا
ألا رب يوم ذقت من سود ما جنى ... ذوو الشرك فيه ما يشقّ المرائرا
وليل كما اهتاج الجبان مفزع ... طويت دجاه كاسف البال ساهرا
كدأبك إذ قالوا أصيب محمد ... وقد جاءهم بالزور من كان ساخرا (١)
فلما عرفت الحق أوفيت ناهضًا ... تقبِّل مَن وافاك يُزجى البشائرا
وترسله حرًا طليقًا ، وإنه ... لفى عزة تُعيى النفوس الحرائرا
نهضت خفيف الجانبين ، ولم تكن ... على مثلها من قبل ذلك قادرا
يسرُّك ما سرَّ الرسول وما يكن ... به من أذى ألفيته لك ضائرا
هَديتَ أبا سفيان ترحم نفسه ... وتكره أن يبقى مدى الدهر حائرا
وجئت به ، والجند بالليل راصد ... يقلِّب للحرب الرقاق البواترا

---

(١) إشارة إلى قصة حجاج بن علاط السلمى رضي الله عنه ، وقد تقدمت .

فأسلم يُرضى الله من بعد نفرة ... ولولاك لم يبرح عن الحق نافرا
وفى ابن حزم وابن ورقاء شاهد ... بمالك من فضل لمن كان ذاكرا
ثلاثة أقطاب صرفت قلوبهم ... إلى الله تُحييهم ، وترجو المصائرا
ولو أعرضوا لم يردع الحرب رادع ... ولم ينتزع أنيابها والأظافرا
حقنْتَ دماءً ، لو يُحلَّى سبيلها ... جرت تحت أعلام الغزاة موائرا
فأمست قريش ما لها من بقية ... وأمسى الذى اعتادت من العز دائرا
بيُمْنك يا عم الرسول تتابعت ... أياد يراها المسلمون ذخائرا
وكنت امرأ من قبل ذلك محسنًا ... يقيم بجدواه الجدود العواثرا
عظيمًا ترجِّيه قريش لما بها ... إذا فزعت للأمر تخشى الدوائرا
وإنك إذ تسقى الحجيج لسيد ... يعلِّم سادات الرجال المفاخرا
لعثمان ما يرضى ، ومالك غيرها ... ولاية من يعطى ويبذل كابرا (١)
وليس التى يأتى الخميلة غارسًا ... كمثل الذى يأتى الخميلة هاصرا
حُرِمت الرضى إن عبت عثمان إنه ... على سُنَّة غلباء تُعيى المكاثرا
له من عطاء الله كنز مبارك ... يقيم لدين الله فيه الشعائرا
يضنُّ بمفتاح البنيّة جهده ... ويعرفه مجدًا على الدهر غابرا
أمانة رب البيت لم تعط خائنًا ... يريد بها دنيا ، ولم تؤت فاجرا
أبا الفضل هذا ما أحب محمد ... ظفرت به ، لا زال سهمك ظافراً
إذا أظمأ الله البلاد وأهلها ... فباسمك يسقيها الغيوث المواطرا

---

(١) كان مفتاح الكعبة مع عثمان بن طلحة بن أبى طلحة من ولد عبد الدار بن قصى بن كلاب، فلما جاء وفتحها للرسول الكريم ﷺ سأله عمه العباس أن يعطيه إياه ليجمع بين السقاية والسدانة فأبى وقال ما معناه: إنما أعطيكم يعنى آل بيته ، ما تبذلون فيه أموالكم للناس ، لا ما تأخذون فيه من الناس أموالهم ـ ثم رد المفتاح إلى عثمان وقال : «**خذوها (يعنى السدانة) خالدة تالدة لا ينزعها منكم إلا ظالم ، يا عثمان إن الله استأمنكم على بيته فكلوا مما يصل إليكم من هذا البيت بالمعروف**» . وفى هذه الواقعة نزل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا ﴾ [النساء:٥٨] الآية .

لعمرى لقد غادرت غير منازَع مناقب ذكراها تهزُّ المنابرا

صدقتُك ، إنى لو تناسيت حقها على ما عنانى ، لم أجد لىَ عاذرا

أعِنِّى بروح منك يارب واهدِنى سبيلك ، إن أضللت فى الناس شاعرا

دعوتك للإسلام أُمْسِكُ مجده وأدرك منه ما طوى الدهر ناشرا

* * *

إسلام هِنْد بنت عتبة زوْج أبي سفيان

لما فرغ النبي ﷺ من مبايعة الرجال تقدم إليه النساء يبايعنه ، وفيهن هند بنت عتبة زوج أبي سفيان ، وكان قد أهدر دمها لأنها مثلت بعمه حمزة ﷺ يوم أحد، ولاكت كبده ولم تقدر على ابتلاعها فلفظتها ، واتخذت القلائد من جلده! لأنه قتل أباها يوم بدر ـ تقدمت إلى الرسول الكريم ﷺ متنقبة خوفًا منه فعرفها، وقالت له : أعف عما سلف ، عفا الله عنك ، يا نبي الله ، ثم بايعته. ومما يؤثر عنها أنه لما قال : «ولا تزنين» قالت : أوتزني الحرة يا رسول الله ؟؟

يا هند حسبك مغنما وكفاك ... إن الذي يهدى النفوس هداك

أقبلت ، تُرخين القناع حييَّة ... تخفين نفسك والنبي يراك

أوَ لستِ هندًا ؟ قلت في خجل : بلى ... لا تخجلي ، فالله قد عافاك

داويت بالإسلام قلبك فاشتفَى ... وغسلت من تلك الجريمة فاك

لا تذكري الكبد التي مارستها ... فأبت عليك ، لعلها تنساك

ودعي قلائد يوم بدر والبسي ... في بهجة الفتح المبين حلاك

أخذ الهدى بك في سبيل محمد ... فخذي عن الشيخ الجليل أذاك [١]

ما كان بالمفتون حين شتمته ... وبلغت في سوءِ الصنيع مداك

قلت : اقتلوه ، ولو أطاعك جمعهم ... لجرى الدم المسفوك من جرّاك

يا هند إن الحق أعظم صولة ... من أن يهابك أو يهاب أباك

ما مثله إن رُمْتِ في الدنيا أبًا ... يا بنت عتبةَ من أب يرعاك

مَنْ قدَّم الدنيا ، فليس ببالغ ... ما قدَّمَتْ عند الرسول يداك

---

(١) لما رجع أبو سفيان إلى قريش من عند النبي ﷺ فقال لهم :هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به ، أسلموا تسلموا ، قامت هند فأخذت بشاربه وقالت : اقتلوا الحميت (الزق الضخم) الدسم الأحمس ، قبحت من طليعة قوم ـ وفي رواية أنها أخذت بلحيته ونادت : اقتلوا الشيخ الأحمق ، هلا قاتلتم ودافعتم عن أنفسكم وبلادكم ؟

فيم اعتذارك ، والهدية سمحة   وهواك فى تقوى الإلهِ هواك [١]

بايعتِ أهدى العالمين طريقة   ورضيت منه مهذَّبًا يرضاك

ينسى الإساءة ، وهى جرح بالغ   ويعوذ بالخُلُق الكريم الزاكى

مهما تنَلْه المحفظات من الألى   جهلوا ، فليس بعاتب أو شاك

أعَجِبْت إذ ذكر الفواحش هاديًا   فنهى اللواتى جئنه ونهاك ؟

إن تعجبى للعرض يُبذل هيِّنًا   وهو الحياة بأسرها فكذاك

عِرض الحرائر ما علمت وإنما   يرضى سواهن الزنا وسواك

يحفظْنَه ، ويذدن عن ممنوعه   شهوات كل مخادع فتاك

تأبى التى منهن يقتلها الطوى   أن يُشتَرى بذخائر الأملاك [٢]

وتَصدُّ معرضة تضنُّ بنفسها   ولو أن مضجعها ذرى الأفلاك

عار الزنا يُخزى الوجوه وشره   يرمى البلاد وأهلها بهلاك

يا هند إن الله أمضى حكمه   فكفاكِ سوء عذابه ووقاك

أوتيت زادكِ من تقى وهداية   فتزوّدى سبحان من نجّاك

* * *

---

(١) أهدت إلى النبى ﷺ مع جارية لها جديين مشويين وقديداً ، وأوصتها أن تعتذر إليه على لسانها وتقول : إن غنمنا قليلة الوالدة .

(٢) الطوى : الجوع .

إسلام عثمان أبى قحافة (١)
والد أبى بكر الصديق رضي الله عنهما

لما خرج رسول الله ﷺ من الكعبة وجلس فى المسجد والناس حوله ، ذهب أبو بكر رضي الله عنه وجاء بأبيه عثمان ـ ويكنى بأبى قحافة ـ يقوده وقد كف بصره ، فلما رآه قال لأبى بكر : «**هلا تركت الشيخ فى بيته حتى أكون أنا آتيه ؟**» قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشى إليك من أن تمشى أنت إليه ، ثم جلس بين يديه الشريفتين فمسح صدره وقال : « **أسلم تسلم** » ففعل ، وهنأ النبى ﷺ أبا بكر بإسلامه وقال : والذى بعثك بالحق لإسلام أبى طالب كان أقر لعينى من إسلامه .

شيخ يقلد إلى النبى على يد ... هى للنبى إذا رمى أعلى يد
هذا أبو بكر يقدِّم شيخه ... يهديه ، إن الألمعىَّ ليهتدى
قال النبى ألا رثيت لضعفه ... وتركته فى داره لم يجهد ؟
لو لم يجئ لمشيت أشهد أمره ... وأُجُلُّه شيخًا كريم المشهد
يا والد الصدِّيق خذها نعمة ... سيقت إليك من النبى محمد
ما كنت بالمصروف عن دين الألى ... كفروا بآلهة كأنْ لم تُعبد
العاكفين على شرائع ربهم ... من ركَّع بيض الجباه وسجَّد
الظامئين إلى الجهاد ، فإن دُعُوا ... وردوا حياض الموت عذب المورد
يتهافتون على جوانبها إذا ... نادى رسول الله أيُّكم الصدى ؟؟
من كان يسعد فى الرجال بوالد ... فبِمَنْ ولدت أبا قحافة فاسعد

(١) هو عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مُره بن كعب بن لؤى . وأمه قَيْله بنت أذاه بن رباح بن عبد الله بن قرط بن رِزاح بن عدى بن كعب بن لؤى . ويكنى « أبو قحافة » ومات فى المحرم سنة أربع عشرة من الهجرة فى خلافة عمر بن الخطاب . وكان ابن سبع وتسعين سنة [الطبقات ٧٨/٦ و ١٢/٨] .

من سؤدد الصديق أن زمانه لو لم يلده لكان خصم السؤدد
الحاضن الإسلام يجعل صدره كهفًا يقيه أذى العدوّ المفسد
يعطيه مهجته وصفوة ماله ويكون للحدث الجليل بمرصد
قال النبيُّ اهنأ ، فقال وددتها كانت لعمك ذى الفعال الأمجد
هذا هو الإيثار ، فاعجب واعتبر وأعد على الدهر الحديث وردِّد

* * *

كعبُ بْنُ زهيْر

وأخوه بُجَيْر رضى اللهُ عنهُمَا

هو كعب بن زهير بن أبى سلمى المزنى أحد أصحاب المعلقات ، كان يرعى غنمًا له مع أخيه بجير ، وكان يهجو النبى ﷺ ، قال له بجير : اثبت أنت فى غنمنا ، ودعنى أذهب إلى محمد فأسمع كلامه وأعرف ما عنده ، وجاءه بالمدينة فهداه الله للإسلام ، وبعث إلى كعب يخبره بذلك ، ويدعوه لمثل ما فعل [1] فأجابه كعب على رسالته لائمًا ، وكان الرسول الكريم ﷺ قد أهدر دم كعب لما قال فيه ، فأقام يغالب نفسه ثم قدم فأسلم ، وقال قصيدته المشهورة بانت سعاد .

بجير كيف يخطئك السداد ... ويجنح ضلّةً منك القياد ؟

ألا إن اللبيب لذو صلاح ... إذا ما الرأى خالطه الفساد

تركت أخاك تنشده مرادًا ... لنفسك صالحًا ، نعم المراد

تقول له : أنبقى فى ظنون ... تذود البيّنات ، ولا تذاد ؟

فدعنى وانتظر يا كعب إنى ... لأخشى أن يطيح بنا العناد

أجئْ محمدًا فأرى : أغىٌّ ... يراد بمن يليه أم رشاد ؟

---

(١) بعث بجير إلى كعب يقول : إن رسول الله قتل رجالا ممن كانوا يهجونه ويؤذونه ، فإن كانت لك فى نفسك حاجة فطر إليه مسرعًا فإنه لا يقتل من جاءه تائبًا ، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجاتك من الأرض ثم كتب إليه :

فمن مبلغ كعبًا ، فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم؟

إلى الله ـ لا العزى ولا اللات ـ وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شىء دينه ... ودين أبى سلمى على محرم

أتى ، فرأى اليقين ، له جلاء ... فطابت نفسه ، وصفا الفؤاد
وأسلم ، لا يرى لله نِدًّا ... تدين له الخلائق والعباد
وأنفذه إلى كعب كتابًا ... كأن سطوره البيض الحداد
دعاه إليه يكره أن يراه ... كمن صدفوا عن المثلى وحادوا
وقال : لئن أبيت فلا تلمنى ... إذا أخذتك داهية نآد
رميت محمدًا فَلا أنت صيد ... له يا كعب والرامى يصاد
إذا لم تأتنا فاذهب بعيدًا ... عسى منجًى يُغيثك أو مصاد

* * *

أتاه نذيره فعناه هَمٌّ ... وطال الليل وامتنع الرقاد
إذا التمس القرار أبى عليه ... وغال قواه ذعر وارتعاد
يظن الأرض ترجف أو تَنَزَّى ... فما ترسو الجبال ولا الوهاد
وأرسل : يا بجير صبأت لمّا ... سقاك بكأسه السمح الجواد (١)
أدينَ أبيك تترك يا بجير ... ولا دين سواه ولا اعتقاد ؟

* * *

وساوس ذاهل يغشاه رعب ... فيورثه جنونًا أو يكاد
فلما ضاقت الدنيا عليه ... وهدَّتْ ركنه الكرب الشداد
أتى يبغى الأمان لدى كريم ... يرجَّى الخير منه و يستفاد
تدارك نفسه منه بعفو ... فعادت حين لا يُرجَى معاد
ولاذ بمعقل الإسلام كعب ... فلا ركن يميل ولا عماد

---

(١) لما جاءت رسالة بجير أخاه كعبًا كتب إليه :

ألا أبلغا عنى بجيرًا رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا؟
فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أن شيء غير ذلك دلكا؟
على خُلُق لم تلف أمًا ولا أبًا ... عليه . ولا تلفى عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت لعالكا
سقاك بها المأمون كأسا روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

صبأ الرجل : خرج من دين إلى دين .

هلمَّ فلاقه يا كعب رزقًا | من الرضوان ليس له نفاد
لنعم الزرع زرعك حين تبغى | جناه ، وحين يُدركه الحصاد
لقيت كرامة ، وسعدت جدًّا | فغنِّ إذًا ، وقل بانت سعاد
وخذها بردة للشعر فيها | طريف العزِّ والمجد التلاد

* * *

(*) ذكرت رواية أخرى لردّ كعب ، وهى:

من يبلغ عنى بجيرا رسالة ؟ | فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا ؟
شربت مع المأمون كأسا رَوِّيةَ | أنهلك المأمون منها وعلكا
وخالفت أسباب الهدى واتبعته | على أى شئ وَيْب غيرك دلكا
على خلق لم تلف أما ولا أبا | ولم تدرك عليه أخا لكا
فإن أنت لم تفعل فلست بآسف | ولا قائل إما عثرت لعالكا

قال ابن اسحاق : وبعث بها إلى بجير ، فأنشدها إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فقال رسول الله لما سمع « سقاك بها المأمون » : صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون . ولما سمع « على خلق لم تلف أما ولا أبا » قال : أجل لم يلف عليه أباه ولا أمه » قال : ثم كتب بجير إلى كعب الأبيات المذكورة سابقا فى هامش (١)

قال : فلما بلغ كعب الكتاب ضاقت به الأرض ، واشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه ، وقالوا هو مقتول ، فلما لم يجد من شئ يدا ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله ـ ﷺ ـ وقدم المدينة فنزل على صديق له من جهينة ، فغدا به إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فى صلاة الصبح فصلى مع رسول الله ـ ﷺ ـ ثم أشار له إلى الرسول ـ ﷺ ـ فقال هذا رسول الله فقم إليه فاستأمنه . فذكر لى أنّه قام إلى رسول الله ـ ﷺ ـ فجلس إليه ، ووضع يده فى يده ، وكان رسول الله ـ ﷺ ـ لا يعرفه . فقال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما ، فهل أنت قابل منه إن جئتك به ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ نعم . فقال : إذا أنا يا رسول الله كعب بن زهير . فوثب عليه رجل من الأنصار ، وقال : يا رسول الله : دعنى وعدو الله أضرب عنقه . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ : « **دعه عنك فإنه جاء تائبا نازعا** » .

(*) وقال قصيدته التى أولها . . .

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول | متيمٌ عندها لم يفدَ مكبول

غَزوة حُنَين

لما فتحت مكة اجتمع أشراف هوازن وثقيف يقولون : قد فرغ لنا محمد ، فالرأى أن نغزوه قبل أن يغزونا ، وجعلو أمرهم إلى مالك بن عوف ـ أسلم بعد ذلك ـ على أن يرجع فيما يريد إلى دريد بن الصمة لسنه وتجربته ، وكان عدد جيشهم ثلاثين ألفًا ـ خرجوا بالنساء والأولاد والمواشى ـ وكان خروج النبى ﷺ من مكة إلى هذه الغزوة يوم السبت سادس شوال من السنة الثامنة [1] فى اثنى عشر ألفًا ، وبعد أن رتب الجيش أعطى الرايات إلى على بن أبى طالب ، وسعد بن أبى وقاص ، وعمر بن الخطاب ، والحباب بن المنذر ، وأسيد بن حضير . وقد اشتد القتال فى هذه الغزوة [2] ، فتراجع المسلمون ثم نصرهم الله .

لمن الجموع كثيرة تتألب ؟ ... مهلا هوازن أين أين المذهب ؟
مهلا ثقيف ركبت من غىِّ الهوى ... وعماية الأوهام ما لا يُركب
مهلا بغاة السوء ما لمحمد ... كفء ، ولا منه لباغ مهرب
قلتم : قضى حاجاته ، وخلا لنا ... فبدار ، إنَّا معشر لا نغلب
وبعثتموها ظالمين ، تهزُّكم ... نشواتها ، فرِدوا الموارد واشربوا

(١) فى رواية أن الفتح كان لعشر بقين من رمضان قبل خروجه إليهم خمس عشرة ليلة ، وهكذا روى عن « ابن مسعود » ، وبه قال « عروة بن الزبير »، واختاره « أحمد » ، «وابن جرير » فى تاريخه ، وقال الواقدى : الخروج إلى هوازن لست خلون من شوال ، فانتهى إلى حنين فى عاشره .

(٢) اشترك فى هذه الغزوة أيضا : نصر وجشم كلها وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، ولم يحضرها من هوازن : كعب وكلاب . ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جشم : « دريد بن الصمة » وهو شيخ كبير ليس فيه شئ إلا التيمن برأيه ، وفى ثقيف سيدان لهم ، وفى الأحلاف : قارب بن الأسود بن مسعود بن معتق ، وفى بنى مالك ذو الخمار : سبيع بن الحارث ، وأخوه أحمد بن الحارث . وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى .

حمل ابن عوف فى الكريهة أمركم ... فانهار كاهله ، وخرّ المنكب
ولقد دهاكم من دريد أنه ... شيخ تساس به الأمور مجرّب
فسألتموه الرأى يعصم مالكًا ... ويريه ما يأتى وما يتجنّب
هيهات ، كلُّ الرأى - إن غضب الألى ... لا يرتضون سوى الجهاد - مُخيَّب
سوقوا النساء ، وجنّدوا أنعامكم ... ودعوا البنين بكل أرض تدأب (١)
وإذا الحديث الحق جاء كبيركم ... فالزور أولى ، والحماقة أوجب (٢)
شتم الألى صدقوه ألا يدَّعوا ... ما لم يروا شططًا ، وألا يكذبوا
ورمى بهم فى الحبس خوف حديثهم ... فالأمر فوضى ، والصواب مغيّب

* * *

اغضب دريد أو ارض ، لست كمالك ... فى القوم إذ يرضى وإذ يتغضّب
ملك القياد فلا مردَّ لأمره ... ولسوف يهلك من يقود ويجنُب
أكذاك زعمك يا ابن عوف ؟ إنها ... لكبيرة ، بل أنت ريحك تلعب (٣)

(١) أمرهم مالك بن عوف أن يسوقوا معهم مو شيهم وأموالهم ونساءهم وأبناءهم ليمنعهم من الفرار ، فلما نزلوا بأوطاس (مكان الواقعة) قال دريد بن الصمة :ما لى أسمع رغاء الإبل ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ، وخوار البقرة ؟؟ قالوا : هكذا أراد مالك ، فدعاه إليه ،وسفه رأيه ، وكان مما قاله : إنك رويعى ضأن ، فمالك وللحرب، هل يريد المنهزم شيء ؟ هى إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه، وإن كانت عليك فضحت فى نفسك ومالك ، ثم أشار عليه بأمور لم يقبلها وقال: والله لا أطيعك ، إنك قد كبرت وضعف رأيك فقال دريد لهوازن : أنا راجع إلى أهلى إذن، فمنعوه ، فقال مالك لهم : والله لتطيعنى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى ، فقالوا : أطعناك ، وقال دريد.

يا ليتنى فيها جذع ، أخب فيها وأضع ... أقود وطفاء الزمع . كأنها شاة صدع

(٢) أرسل مالك بن عوف ثلاثة من رجاله يستطلعون أخبار المسلمين ، فرجعوا إليه مذعورين، فقال :ويلكم ما شأنكم ؟ قالوا :رأينا رجالا بيضًا على خيل بلق ، فأصابنا ما ترى ، ولئن أطعتنا لترجعن بقومك ، فقال : أف لكم ، بل أنتم أجبن القوم ، ثم حبسهم كيلا يشيع الخبر .

(٣) بعث النبى ﷺ عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ليأتيه بأخبار القوم ، فلما انتهى إلى =

أزعمْتَ أن محمدًا لم يلقه ... من قبل قومك من يُخاف ويُرهب ؟
وظننت أنك إن لقيت جنوده ... لم تُغن عنه كتيبة أو مقنب
إن الذى حدَّثت قومك جاءه ... فلئن عجبت لَما أصابك أعجب

* * *

هو ملتقى الجيشين ، فانظر هل ترى ... قومًا تظن عيونهم تتلهّب ؟
ولِع الرماة بهم ، فتلك سهامهم ... ملء القسىّ إلى النحور تصوَّب [(١)]
غفلتْ مواقعها عن الدم إذ جرى ... فكأنها بدم الرماة تُخضَّب
كرهوا السيوف ، وللوغى أبطالها ... تُدعَى ،فتستلُّ السيوف وتضرب

* * *

حيدوا جنود الله ثم تقدَّموا ... فالحرب فى أطوارها تتقلب [(٢)]
آنا تردُّ عن الفريسة نابها ... تبغى مقاتلها ، وآنا تنشب
تُزجى رواعدها البروق ،فصادق ... ينهلُّ صيِّبه ، وآخر خلَّب
غَرَّارة ، يشقى الغبىُّ بكيدها ... إن بان من غيب الأمور محجب
تُبدى من الحاجات ما لا تبتغى ... حذرًا ، وتكتم ما تريد وتطلب
علمٌ توارثه الثقات ، وزاده ... شيخ الوغى وأبو الثقات المنجب

* * *

حمِىَ الوطيس أجلْ تبارك ربنا ... فافزع إليه ، هو الغياث الأقرب [(٣)]

= مالك بن عوف وعنده رؤساء هوازن سمعه يقول لهم : إن محمدًا لم يقاتل قبلنا أحدًا من أبطاله الحروب إنما كان يلقى قومًا أغمارًا فيظهر عليهم وإنا لغالبوه ،وعاد عبد الله فقص الحديث على النبى ﷺ .

(١) كانت هوازن رماة لا يكاد يخطىء لهم سهم ، فألحوا على المسلمين بالنبل.

(٢) هكذا حدث حين اشتد القتال ، وثبت النبى ﷺ فى مكانه مع طائفة من أصحابه ، منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى والعباس وابنه الفضل ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب (ابن عمه) وأسامة بن زيد ، وربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان يدفع بغلته إلى الأمام ويقول : « **أنا النبى لا كذب ، أنا ابن عبد المطلب** » .

(٣) قال النبى ﷺ حين استحر القتال: « الآن حمى الوطيس » ، وقد رفع يديه فى هذا =

هذى كتائبه عليك تنزلت ... ومضت إلى أعدائه تتوثب [1]
بصروا بها ، فتزايلت أوصالهم ... رعبًا ، وضاق سبيلهم والمذهب
هم فى حنين يا محمد مثلهم ... فى يوم بدر صدعهم ما يرأب
مدد السماء أعدَّه لك منجد ... لا جنده يفنى ، ولا هو يتعب
سبحانه ، ما من إله غيره ... لو يستقيم الجاهل المتنكب

* * *

يا مولعًا بالحرب ، يستقصى المدى ... فى وصفها منه ابيان المسهب
سل بغلة حملتْ رسول الله هل ... حمدت فوارسها العتاقُ الشُّزَّب ؟ [2]
طاروا عليها مدبرين ، ولم يطر ... ومضَوا فلولا ، وهو راس يرقب
يطل يرى موجَ المنايا حوله ... فعزيمة تطفو ، وقلب يرسُب
تجرى ظنون القوم فى حركاته ... فيفوت غاية من يظنّ ويحسب
كل امرئ يأتى الأمور عظيمة ... فإليه فى الدنيا العريضة يُنسب
ما العبقرية فى مراتبها العلى ؟ ... هو فى سماء العبقرية كوكب
متألّق ، من لم يسِرْ فى نوره ... أودى الظلام به وطاح الغَيْهَب [3]
أين الألى ملأ الفضاء سوادهم ... وأضلَّهم ساداتهم فتحزبوا ؟
غنموا الفرار ، فما يرى من بعدهم ... إلا المغانم ، تستباح وتنهب [4]
خير أتيح ونعمة مشكورة ... سيقت على قدر ، ورزق طيِّب

= الموطن وقال : « **اللهم أنشدك ما وعدتنى ، اللهم لا ينبغى أن يظهروا علينا ، اللهم كنت وتكون ، وأنت حى قيوم ، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم . اللهم لك الحمد ، وإليك المشتكى ، وأنت المستعان** ».

(١) أنزل الله الملائكة فى هذه الغزوة ، وقد اختلف فى عدتهم فقيل : خمسة آلاف ، وقيل: ثمانية آلاف ، وقيل : ستة عشر ألفًا .

(٢) الشزب : جمع شازب وهو الضامر .

(٣) أودى : أهلك والغيهب : الظلمة .

(٣) غنم المسلمون من الإبل أربعة وعشرين ألفًا . ومن الغنم أكثر من أربعين ألف شاة . ومن الفضة أربعة آلاف أوقية ، وعددًا قليلا من البقر .

راحت بأيدى المسلمين ، وإنهم لأحقُّ من يُعطَى الجزيل ويوهب
تُقضَى الديون بها ، فلا ابن أميّة يشكو المطال ولا حويطب يعتب (١)
ويقام دين الله فى القوم الألى فتنوا بأصنام تقام وتنصب

* * *

قتلى هوازنَ هل تفجَّع مالك ومضى لمصرعكم ينوح ويندب ؟ (٢)
قم يا دريد فقل لقومك خطبة تجلو الهموم ،فقد عهدتك تخطب (٣)
انظر إلى الأسرى وسلهم : ما لهم نكبوا ، وكان الظن ألا ينكبوا
ويح النساء ومن ولدن ألا فتى يحمى الذمار ؟ ألا كمىٌّ محرَب (٤)
اسمع دريد فقد أهاب محمد يحنو على النشء الضعيف ويحدب (٥)
لا تقتلوا الأولاد ، ما فيهم لنا خصم ، ولا منهم أثيم مذنب
أسَخرت بالبطل الصغير فهل نجا منه بمهجته الكبير الأشيب (٦)
أعطاك سؤلك ، ما تردَّد سيفه ولأنتَ سؤلُ غراره والمأرب
إن ضاق صدرك حين تذكر أمُّه فلصدرها لو كنت تعلم أرحب

(١) استقرض النبى ﷺ قبل خروجه من مكة إلى هذه الغزوة خمسين ألف درهم من صفوان ابن أمية ،وأربعين ألفًا من عبد الله بن ربيعة ومثلها من حويطب بن عبد العزى فرقها فى أصحابه من أهل الضعف ، ثم ردها مما غنم فى حنين .

(٢) قتل من المشركين فى هذه الوقعة أكثر من سبعين رجلا قبل الهزيمة وثلاثمائة بعدها ولم يقتل من المسلمين غير أربعة .

(٣) كان دريد بن الصمة من فحول الشعراء ، وهو صاحب القصيدة التى يقول فيها .

أمرتهم ، أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد
وهل أنا إلا من غزية أن غوت غويت ، وإن ترشد غزية أرشد

(٤) المحرب : الشجاع الشديد الحرب .

(٥) نهى النبى ﷺ عن قتل الأولاد رحمة بهم.

(٦) هو ربيعة بن رفيع السلمى . أخذ بخطام جمل دريد فقال له : ما تريد ؟ قال : أريد أن أقتلك ثم ضربه بالسيف فلم يصب منه شيئًا ، فقال دريد يسخر به : وبئس ما سلحتك أمك خذ سيفى فاضربنى به ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة فقتله ، فلما أخبر أمه قالت :هلا تكرمت عن قتله ؟ إن له لفضلا.

قالت: أتقتله ، ربيعة ؟ إنه شيخ له فضل يُعدُّ ومنصب (١)

* * *

ما بال سيف الله ؟ أين مكانه ؟ أيغيب عن نظر النبى ويعزب ؟ (٢)
سأل النبى فقيل : عند جراحه لو يستطيع أتى يهشُّ ويطرب
فمشى إليه يعوده فى موكب لله فيه من الملائك موكب
بوركت خالد ما رأتْ عين دمًا كدمٍ جرى من خالد يتصبب
قم فى جراحك ، إنها لك قوة تدعُ القواضب وهى حيرى هُيَّب
قم للشدائد ، ما تلين صلابها فلأنت صاحبها الأشدُّ الأصلب
لك همّة ما تستطاع ونجدة مذخورة للأمر ساعة يحزب (٣)
من يجهل الرئبال . يَنفُذ نابُه فى كل مقتنص ، ويمضى المخلب ؟

* * *

اشهد حنين بما رأيت ولا تخف خصمًا ينازع ، أو عدوًا يشغب
حدَّثْتُ عنك ، وقلت : يا أرض اسمعى فاهتزَّ مشرقها وماج المغرب
ماذا أقول ؟؟ أنا العيىُّ وإن جرى قلمى بأبلغ ما يقال ويكتب

* * *

---

(١) المنصب : المنبت والمحتد.

(٢) أثقلت خالدا الجراحات فبقى فى مكانه . وقال النبى ﷺ : « **من يدلنى على خالد** »، فدلوه عليه فمشى إليه وتفل على جراحه.

(٣) حزب : الأمر اشتد.

الأنصار يبكون

جاء النبى ﷺ بعد فتح مكة إلى الصفا [1] ، وجعل ينظر إلى البيت ، ثم رفع يديه يدعو الله بما أراد والأنصار حوله ، فقال بعضهم لبعض : إنه يحن إلى قريته وعشيرته ،وظنوا أنه سيقيم بمكة ، فجزعوا لذلك وبكوا ، وعلم الرسول الكريم بأمرهم فقال لهم : «**هاجرت إلى الله وإليكم ،فالمحيا محياكم ، والممات مماتكم**»، ففرحوا بذلك وطابت نفوسهم .

ما للدموع على التظنن تذرف ؟ ... الجار وافٍ ، والهوى متألِّف

لا تنكروا حبَّ النبى لإلهه ... ودياره الأولى ، ولا تتأسفوا

أحسبتموه يريد عنكم مصرفًا ؟ ... مهلا ،فليس عن الأحبّة مصرف

لمَّا فزعتم قال : يا قوم اسكنوا ... هى يثرب ما دونها مُتخلَّف

دار الحياة ومنزل الموت الذى ... ما لى سواه ، فإن جهلتم فاعرفوا

* * *

فرحوا ، وأشرقت الوجوه فما ترى ... عينًا تفيض ، ولا فؤادًا يرجف

صدقوا نبيَّهم الهوى فقلوبهم ... من حوله شغفًا ترفُّ وتعطف

أنصاره فى الحادثات إذا طغت ... وجنوده فى الحرب ساعة تعصف

هم أنصفوه مشرَّدًا يجد الأذى ... من كل ذى جبريَّة لا يُنصف

وتكنَّفوه يعظِّمون مكانه ... وذوو قرابته تصدُّ وتصدف

ما عز منزلُ قادمٍ أو زائرٍ ... إلا ومنزله أعزُّ وأشرف

شَدُّوا عرى الإسلام حتى استحكمت ... ولوى السواعد حبله المستحصف

كانوا أساس بنائه وعمادَه ... والأرض تُخسَف والشوامخ تُنسف

---

(١) عن ابن عباس قال : أقمنا مع رسول الله ـ ﷺ ـ [يقصد بمكة بعد الفتح] فى سفر تسع عشرة ليلة نقصر الصلاة . قال ابن عباس . فنحن نقصد ما بقينا بين تسع عشرة فإذا ازددنا أتممنا [البخارى ، ح : ٤٢٩٩] .

انظر بناء الله حول رسوله وصفِ الذرى إن كنَّ مما يوصف
في كل سور منه جند يرتمى يغزو الألى كفروا ، وموت يزحف
صَبُّوا على المستضعفين نكالهم وجرى القضاء ، فهم أذلُّ وأضعف (١)

* * *

يا معشر الأنصار ما من صالح إلا لكم فيه يد أو موقف
لكم المواقف ما يذاع حديثها إلاّ يُهلُّ بها الزمان ويهتف
لا الشعر مُتَّهمٌ إذا بلغ المدى يُطرى مناقبكم ، ولا أنا مسرف
أوَ ما كفاكم ما يقول إلهكم في مدحكم، ويضمُّ منه المصحف ؟

* * *

---

(١) النكال : العذاب .

هَدم العُزّى وَسُواع وَمَناة

كانت هذه الأصنام الثلاثة أعظم أصنام قريش بموضع يقال له : « نخلة » على ليلة من مكة ، وكان عمرو بن لحى قال لهم : إن الرب يشتى عند اللات ويصيف عند العزى فعظموها وبنوا لها بيتًا يهدون إليها كما يهدون إلى الكعبة ، ويطوفون وينحرون عنده .

بعث النبى ﷺ بعد الفتح وهو ما يزال بمكة خالد بن الوليد مع بعض أصحابه لهدم العزى (١) ، وعمرو بن العاص ومعه طائفة أخرى لهدم سواع ، وسعد ابن زيد الأشهلى لهدم مناة ، فهدموها ، وعادوا مأجورين . وكان ذلك فى شهر رمضان من السنة الثامنة هجرية .

إلى العزّى فقد بلغت مداها ... وإنّ على يديك لمنتهاها
أزِلْها خالدٌ واهدم بناء ... أقيم على جوانبها سفاها
بناه الجاهلون لها ، ودانوا ... بها من دون خالقهم إلهها
مذمَّمة تساق لها الهدايا ... تظلُّ دماؤها تسقى ثراها
رماها ابن الوليد فأىّ شرٍّ ... أزال ؟ وأىّ داهية رماها
وأين غرور سادتها ؟ وماذا ... أفاد دعاؤه لما دعاها ؟ (٢)

(١) كان هدمها لخمس بقين من رمضان عام الفتح . وكان سننها من بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم .

(٢) لما علم سادنها بمقدم خالد علّق سيفه عليها ثم اشتدًّ فى الجبل الذى هى فيه ، وجعل يقول :

أيا عز شدى شدة لا سوى لها ... على خالد ألقى القناع وشمرى
أيا عز إن لم تقتلى المرء خالدًا ... فبوئى بإثم عاجل أو تنصرى

لما انتهى خالد من هدمها رجع فأخبر الرسول ﷺ فقال له : ما رأيت ؟ قال : لم أر شيئا . فأمر بالرجوع فرجع خالد فلما نظرت إليه السدنة وهم حجابها امعنوا هربا فى الجبل وهم يقولون : يا عزى خبليه ، يا عزى عوريه وإلا فموتى برغم . قال البيهقى : فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ماشرة شعرها تحثو التراب على رأسها ووجهها ، فعممها بالسيف حتى=

أجلْ يا ابن الوليد لقد دهاها من الهونِ المبرِّح ما دهاها [(١)]

ويا عمرو اتخذ لسواع بأسًا يذلّ من الطواغيت الجباها [(٢)]

وينتزع الغواية من نفوس ألحَّ ضلالها ، وطغى هواها

هديت ضلالة شابت عليها هذيل بعد ما قضَّتْ صِباها

تطاولت القرون وما تناهت فقل لسواعَ دهرك قد تناهى

رآه وليُّه كذبًا فولَّى يسائل نفسه : ماذا عراها ؟ [(٣)]

وقال : شهدت أن الله حق وأنَّ النفس ينفعها هداها

جعلت محمدًا سببي فإني أرى أسبابه شُدّتْ عراها

* * *

مناة ، مناة .. مالك من بقاء وأيُّ شقيَّة بلغت مناها ؟ [(٤)]

رماكِ الله من زيد بن سعد بمن ترمي الجبال له ذراها

أما نفضْتكِ من خوف وذعر عرانين المشلَّل إذ لواها ؟

تبارك هادم الأصنام ، إني أرى الأصنام تهدم من بناها

تُضِلُّ العالمين ، وقد أتاهم كتاب الله ينذرهم أذاها

وما للنفس تؤثر أن تُحلَّى سوى الإيمان يُلبسها حلاها

= قتلها . ثم رجع إلى النبى ـ ﷺ ـ فأخبره . فقال: تلك العُزى ، ولا تعبد أبدا. [البيهقى فى الدلائل : ٥/٧٧و١١٧] .

(١) إشارة إلى قول خالد لما هدمها :

يا عز كفرانك لا سبحانك إني رأيت الله قد أهانك

(٢) كان سواع هذا لهذيل ، قال ابن جرير: لما مات سواع بنت شيث بن آدم صورت صورته وعظمت لموضعه من الدين ، ولما عهدوا في دعائه من الإجابة ، وهو أبو يغوث ويعوق ونسر، وكذلك صوروا هؤلاء بعد موتهم ، فظن الذين جاؤوا بعدهم أن لهذه الصور عملا في النفع والضر فاتخذوه آلهة ثم عبدوها .

(٣) هو سادنه ، قال لعمرو : ما تريد ؟ قال : أريد أن أهدمه ، قال : لا تقدر على ذلك . فلما هدمه قال السادن : أسلمت لله رب العالمين .

(٤) كانت مناة للأوس والخزرج وغسّان وغيرهم من العرب على جبل اسمه (المُشَلَّل) يقع=

أمّ سليم زوج أبى طلحة (١)

زيد بن سهل الأنصارى رضي الله عنهما

كانت رضي الله عنها حازمة وسطها ببرد لها ، وفى حزامها خنجر ، وكانت حاملا بابنها عبد الله بن أبى طلحة ، فقال لها زوجها : ما هذا الخنجر الذى معك؟ قالت : إن دنا منى أحد من المشركين بعجته به ، فقال أبو طلحة : ألا تسمع يا رسول الله ما تقول أم سليم ؟ وأعاد عليه القول ، فجعل عليه الصلاة والسلام يضحك ، قالت له : بأبى أنت وأمى ، أقتل هؤلاء الذين انهزموا عنك فإنهم لذلك أهل ؟ (٢) فقال صلوات الله وسلامه عليك: « **إن الله قد كفى وأحسن** ».

لأمّ سليم يا أبا طلحة العذر ... وهل يأمن الإسلام أن يغدر الكفر ؟

سألت فقالت : خنجرى أتّقى به ... أذى كل عاد من خلائقه الغدر

أشق به فى حومة الحرب بطنه ... إذا رامنى بالسوء واستوعر الأمر

أتعجب منها : كيف تحمى ذمارها ... وتدرأ عنها الشر إن هاجها الشر ؟

= على ساحل البحر ، يهبط منه إلى قديد .

(*) خرج سعد فى عشرين فارسا حتى انتهى إليها وعليها سادن . فقال السادن : ما تريد ؟ قال هدم مناة ، قال : أنت وذاك . فأقبل سعد يمشى إليها وتخرج إليه امرأة عريانة سوداء ثائرة الرأس تدعو بالويل ، وتضرب صدرها . فقال السادن : مناة دونك بعض غضباتك ويضربها سعد وفيقتلها ، ويهدم الصنم . ولم يجد فى خزانتها شيئا .

(١) هى بنت مِلْحان بن خالد بن زيد بن حرام بن عامر بن غَنْم بن عدىّ بن النجار ، وهى «الغُميصاء » ويقال « الرُّميصاء » ، « وسهلة » ورميلة وأنيفة ورُميثة » تزوجها مالك بن النضر فولدت له أنس بن مالك ،ثم خلف عليها أبو طلحة « زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد » فولدت له عبد الله وأبا عمير . وشهدت يوم حنين وهى حامل بعبد الله . وشهدت قبل ذلك يوم أحد تسقى العطش وتداوى الجرحى . وكان معها خنجر قد حزمته على وسطها [الطبقات ؛ ١٠ / ٣٩٥] .

(٢) تقصد « الطلقاء » وكان ذلك يوم فتح مكّة [سير أعلام النبلاء : ٢/ ٣٠٤] .

وتدعو رسول الله هل أنت سامع ؟ — فيفرح من رجع الحديث ويفترُ
نعم ، أنت تحميها ولكنّ نفسها — لها نخوة من ذاتها وبها كبر
ألم تر إذ قالت : أأقتل معشرًا — تولوا ، فلا بأس شديد ولا صبر ؟
وماذا عليها حين تكفيك أمرها — وترمى بك الأبطال والنقع مغبرُّ ؟
أرادتك للأمر الجليل ، ولن ترى — كأم سليم حرة حازها حر
ألم تنتظم بالسيف عشرين فارسًا — مغانمهم شتى ، وأسلابهم كثر ؟ (١)
إذا طار منهم مدبر يتّقى الردى — تلقتك منه فى مطار الردى الصدر
تخوض الدم المسفوك ، لا جسر دونه — ومالك كالإيمان فى مثله جسر
أبا طلحة اسمع ما يقول ابن حرة — إليه سرى من صفحتَىْ جاره البشر (٢)
يقول : اطْعَنِى أماه من شئت وانصرى — ببأسك دينًا من كتائبه النصر
فحييّتَ عبد الله ما أنت كالذى — يرى السيف مقروبًا فيأخذه الذعر (٣)
كلا أبويك استن سنة ماجد — فطبت وطابا ، لا خفاء ولا نكر
إذا التمس الإسلام فى كل حادث — يضيق به ذخرًا ، فأنت له ذخر

* * *

(١) قتل أبو طلحة فى غزوة حنين عشرين رجلا من المشركين فأعطاه النبى ﷺ أسلابهم وأسلحتهم .

(٢) ابنه عبد الله ، وجاره المذكور فى البيت هو الخنجر .

(٣) مَقْروبا :أى فى قرابه .

قدوم هوازن وردّ سبيها عليها

تربص النبى ﷺ بضع عشرة ليلة ينتظر قدوم هوازن فقدموا مسلمين ، وكان قد قسم أموالهم وسباياهم على أصحابه فلما سألوه إياها أخبرهم بما فعل ، وخيرهم بين الأموال والسبى ، فاختاروا الثانى ، وكلم النبى ﷺ المسلمين فى ذلك فردوا ما كان معهم من هذا السبى ثم إنه ﷺ سأل هوازن عن رئيسهم مالك ابن عوف النضرى : أين هو ؟ قالوا : مع ثقيف بالطائف ، فقال : « **لو جاءنى مسلمًا لرددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل** » ، فأخبروه ، فجاء وأسلم ، ووفى له الرسول بما وعد .

هوازن أقبلى ، ماذا التوانى ؟ أدين العز ، أم دين الهوان ؟
خذى السبى الموزَّع واشكريها يدًا لمهذَّب جمٍّ الحنان
دعا أصحابه بلسان صدق إلى الحسنى ، فيالك من لسان
أجابوا منعمين ولم يضنُّوا بما ملكوا من البيض الحسان
وقال محمد أين ابن عوف ؟ سيحمد منتواه إذا أتانى
له إن آثر الإسلام دينًا عطاء لا تجاوزه الأمانى
يعود بأهله ، ويزداد مالا على مالى من الإبل الهجان [(١)]
فأقبل مسلمًا ، ومضى بخير جميل الذكر ، محمود المكان

* * *

حليمة أنت والشيماء أمٌّ وأخت ، فانظرا: ما تصنعان ؟ [(٢)]
أما لكما الكرامة عند مولى كريم العهد مُوفٍ بالضمان ؟

---

(١) الهجان من الإبل : البيض الكرام .

(٢) كانت حليمة مرضعة النبى الكريم ﷺ فى السبى وابنتها الشيماء (أخته من الرضاع) فلما تقدمتا إليه بسط لهما رداءه ، ثم أعطاهما نعمًا وشاء وغلامًا وجارية ، وقيل : إنه وهب السبى للثانية .

وهل بعد الرداء يُمدُّ بِرٌّ وتكرمة لذى خطر وشان ؟
أجلَّكما ، وأجزل من عطاء يُعين على تصاريف الزمان
رسول الله كيف وجدتماه ؟ وماذا بعد ذلك تبغيان ؟
عليه صلاة ربكما جميعًا وبورك فى الرضاع وفى اللبان

* * *

أبا صُرَد لنعم العمُّ يرجو غياث الناس من قاص ودان (١)
ظفرت ، وفاز بالنعمى زهير وهل لكما سوى ما ترجوان ؟
ولم أر حين تلتمس الأيادى كمثل القول يحس والبيان
وما مُلِكَ الشآم ومن يليه كمن وافيتما تستعطفان
لقد نالت هوازن ما تمنت وآبت بالسلامة والأمان

* * *

(١) كان أبو صرد ويكنى بأبى برقان عم النبى ﷺ من الرضاع تقدم إليه مع ابنه زهير فشفعا للسبى، وقال زهير : لو أرضعنا للحارث بن شمر ملك الشام . و للنعمان بن المنذر ملك العراق ثم نزل بنا مثل ما رأيت لرجونا عطفه .

عجوز عيينة بن حصن

أبى عيينة بن حصن أن يرد عجوزاً كانت عنده من سبى هوازن وقال : هذه أم الحى فلعلهم يفدونها بمال كثير . وكانت هذه العجوز أم زهير بن صرد ، فجاء زهير وعرض عليه أن يأخذها بمائة من الإبل ، فأبى طمعًا فى الزيادة ، فتركه وذهب ، ثم غاب عنه ، ومر عليه معرضًا ،فقال له عيينة : خذها بالمائة ، فقال: لا أدفع إلا خمسين فأبى ، ثم غاب عنه ومر معرضًا ، فقال : خذها بالخمسين،فقال زهير : لا أدفع إلا خمسة وعشرين فأبى . وما زال ذلك دأبهما حتى قال زهير : لا آخذها إلا بست نياق ، والله ما ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد،ولا فوها ببارد ، ولا صاحبها عند فوتها بواجد ولا درها بناكد ؛ أى : غزير فرضى عيينة وقال : خذها ، لا بارك الله لك فيها [١] .

عُيينة أمسكت العجوز تريدها	عتادًا يفيد اليسر من كان معسرًا
ضننت بأم الحيِّ تغلى فداءها	فيالك رأيًا غيره كان أجدر
تسوم زهيرًا [٢] أن يزيدك ضلة	على مائة ، لو كان غِرًّا لأكثرا
رماك به مكرًا خفيًّا فلم يزل	يضيق عليك الأمر حتى تعذرا
لقد كان فيما قال أول مرة	غنًى لك ، لو كنت امرأ متبصرا
يظلُّ يريك الزهد فى شيخة له	يراها من الدنيا أجلَّ وأكبرا
فتدعوه : أقبل ، لستُ فيها براغب	إذا بلغ الأمر الفداء الميسَّرا
فداها بست لو أبيت لسقتَها	إليه بلا شيء وحسبك ما ترى
أليستْ كما قال ابنها ما لمثلها	على الضنِّ إلا أن تموت فتقبرا ؟
أما والذي لو شاء لم تعص أمره	لقد جئت أمرًا يا عيينة منكرا [٣]

(١) الخبر بطوله أورده الواقدى فى المغازى صـ ٩٥٢ ـ ٩٥٤ ، وبعضه عند ابن هشام : ٤/ ٤٩٠ ، والصالحى فى سبل الهدى : ٥/ ٥٧٤ .

(٢) هو زهير بن صرد ابنها .

(٣) النبى ﷺ ، فقد عصى أمره فى إمساك هذه العجوز .

فنفسك فاحملها على البر إنه لأربح مما تحمل لأرض متجرا
وما طمَعُ الإنسان فيما يفوته إذا ما دعا الداعى ، فولى وأدبرا ؟

* * *

قِسمَة الغَنَائِم

بدأ النبى ﷺ بالذين أسلموا يوم الفتح تألفًا لهم ، وتثبيتًا للإيمان فى قلوبهم، فأعطاهم من هذه الغنائم ما أرضاهم ـ وهم المؤلفة قلوبهم ، ومنهم أبو سفيان أعطاه فأجزل ، وسأله أن يعطيه لابنيه يزيد ومعاوية ففعل ، ومنهم حكيم بن حزام أعطاه مائة من الإبل ،ثم سأله فزاده مائة ، ثم سأله ثلاثة فكذلك ، وقال له: « **يا حكيم إن هذا المال خضر حلو ، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه ، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه ، وكان كالذى يأكل ولا يشبع ، واليد العليا خير من اليد السفلى** » ، فأخذ حكيم المائة الأولى وترك ما عداها ، وقال : يا رسول الله والذى بعثك بالحق لا أرزأ أحداً بعدك شيئًا حتى أفارق الدنيا ، فكان أبو بكر يدعوه فى خلافته ليأخذ من الفىء فيأبى . وكذلك كان فى خلافة عمر رضى الله عنهما ، ولم يأخذ الأنصار وكبار المهاجرين شيئًا من هذه الغنائم ، فقال رجل من المنافقين : هذه قسمة ما عدل فيها ، وما أريد بها وجه الله تعالى ، وأخبر النبى فغضب وقال : « **إذا لم أعدل فمن يعدل ؟ رحم الله أخى موسى لقد أوذى بأكثر من هذا فصبر** » ،واستأذن خالد بن الوليد وعمر بن الخطاب أن يضربا عنق هذا المنافق فقال: « **لا تفعلا ، فإنه سيكون له شيعة يتعمقون فى الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية،لا يتحدث الناس أنى أقتل أصحابى** » .

أرأيت حكمة سيد الكرماء ؟ ... وعرفت شيخ السادة الحكماء ؟

تلك السياسة حزمها ودهاؤها ... ناهيك من حزم وفرط دهاء

مر يا محمد واقضِ ،ما لك عائب ... فى كل أمر ترتضى وقضاء

ولربما خفِى الصواب ، فأسفرت ... عنه وجوه الرأى بعد خفاء

* * *

بدأ النبيُّ بغير من كانوا له ... خير الصحابة عند كل بلاء

يرجو مودتهم ، ويبنى منهم ... للدين صرح أمانة ووفاء

أعطى أبا سفيان وابنيه فما　　أندى سجايا الواهب المعطاء
وحبا حكيمًا ما أراد ثلاثة　　ونهى هواه ، فكان خير حباء
وأصابها مائة له من نفعها　　ما جلّ عن عدٍّ وعن إحصاء
قال : ارعويت فلست أرزأ بعدها　　أحدًا ، وآلى حلفه الأمناء
يُدعَى ليأخذ من أبي بكر ومن　　عمر فما يزداد غير إباء

* * *

يا ويح للعباس يغلب حلمه　　أن كان دون مراتب الرؤساء [1]
أبدى الشكاة ،فكان صنع محمد　　صنع الطبيب ، يريد حسم الداء
قال : اقطعوا هذا اللسان بنفحة　　عنى ، وتلك سجيَّة العظماء

* * *

صفوان أسلَمَ فانجلت غمراته　　وأفاق بعد غواية وغباء [2]
لما رأى الإسلام يسطع نوره　　كره الضلال ، وضاق بالظلماء
ومشى على الأثر الكريم يزينه　　خلق الهداة ، ومَظهر الحنفاء
صفوان سر فى نور ربك ، إنه　　يهديك فى سير وفى إسراء

* * *

يا زيد قم بالأمر ، واكتب واجتنب　　خطأ الغواة ، وكبوة الجهلاء [3]

---

(١) العباس بن مرداس ، أعطى النبى ﷺ الأقرع بن حابس مائة من الإبل ، وعيينة بن حصن مثلها ، ثم أعطى العباس دون ذلك. وكان مثلهما رئيسًا على قومه فغضب وقال :

أتجعل نهبى ونهب العبيد　　بين عيينة والأقرع ؟
فما كان حصن ولا حابس　　يفوقان مرداس فى مجمع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرؤ　　فلم أعط شيئًا ولم أمنع
وما كنت دون امرئ منهما　　ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال النبى ﷺ : «**اقطعوا عن لسانه وأعطوه مثل صاحبيه**» ـ العبيد اسم فرسه .

(٢) صفوان بن أمية .

(٣) زيد بن ثابت أمره النبى ﷺ وكان من أعظم كتابه أن يحصى الذين بقوا بعد المؤلفة قلوبهم ويوزع عليهم ما بقى من الغنائم.

أحص الرجال ، وآت كلاًّ حقه ... مما أفاء الله ذو الآلاء

* * *

ما أكرم الأنصار والصحب الألى ... حرموا ، فمن صبر ومن إغضاء
نزلوا على حكم النبىّ وسرّهم ... ما كان من ثقة وحسن رجاء
قوم رسا الإيمان ملء قلوبهم ... وسما عن الشهوات والأهواء
لا تملك الدنيا عليهم أمرهم ... فى شدة من دهرهم ورخاء
ما ضرّ من يسخو بمهجة نفسه ... أن لا يفوز من امرئ بسخاء ؟
نالوا بفضل الله عند رسوله ... ما لم ينل أحد من النعماء
إن الثناء إلى الرجال يسوقه ... لأجلُّ من إبل تساق وشاء

* * *

خسر الذى آذى النبىّ بقوله ... ظلَم الرجالَ ، ولجّ فى الإيذاء
أثِم المنافق ، إنها لكبيرة ... وكذاك يأثم ناطق العوراء
صبراً رسول الله لست بأول ... ما حيلة الحكماء فى السفهاء ؟
موسى أخوك أصيب من أعدائه ... بأشدّ ما تَرمى قُوى الأعداء
إن أنت لم تعدل فمن ذا يُرتجى ... للعدل تحت القبة الزرقاء ؟
نفر الحفاظ بخالد ورفيقه ... والموت مُصغ ، والمهنّد راء
لولاك إذ جاوزتَ أبعد غاية ... فى الحلم ، جاوز غاية الأحياء
قلت : اسكنا لا تقتلاه فإنه ... سيكون رأس الشيعة النكراء
يُغلون فى دين الإله ، فيخرجوا ... منه خروج السهم يوم رِماء
لا يذكر الأقوام أن محمداً ... يجزى الألى صحبوه شرّ جزاء

* * *

تلك النبوة يا محمد فاضطلع ... منها بأعباء على أعباء
أدِّبْ وعلِّم ، تلك مدرسة الهدى ... فُتِحتْ ، وأنت مؤدِّب العلماء

غزوة الطائف

خرج النبى ﷺ من حنين إلى الطائف فى ألف من أصحابه فى شوال سنة ثمان ، وبعث أولا : الطفيل بن عمرو إلى « ذى الكفين » ـ صنم عمرو ابن حممة الدوسى يهدمه ، وأمره أن يستمد قومه ، ويوافيه بالطائف . فخرج سريعا إلى قومه فهدم ذا الكفين ، وجعل يحث النار فى وجهه ويحرقه ، ويقول :

يا ذا الكفين لست من عبادكا   ميلادنا أقدم من ميلادكا

إنى حثوت النار فى فؤادكا

وانحدر معه من قومه أربعمائة سراعا ، فوافوا النبى ـ ﷺ ـ بالطائف بعد مقدمه بأربعة أيام، وقدم بدبابة ومنجنيق . ، جعل خالد بن الوليد فى مقدمتهم ، وكانت ثقيف دخلت حصنها ، فنزل الجيش قريبًا من هذا الحصن ، واقترب خالد ينادى : هل من مبارز ؟ فلم يخرج إليه أحد وناداه رجل مهم يقال له : عبد ياليل ، إن لدينا طعامًا يكفينا سنين فهل أنت منتظر حتى ينفد فنخرج إليك بسيوفنا مقاتلين ؟ ثم أعملت ثقيف السهام فقتلت من المسلمين رجالا منهم عبد الله بن أمية المخزومى أخو أم سلمة رضى الله عنها ، وجرحت آخرين، وأشار سلمان الفارسى بصنع دبابتين من الجلد دخل فيهما جماعة من المسلمين ومضوا إلى الحصن لينقبوا سوره ، ففطنت ثقيف لذلك ، وأرسلت عليهما قطعًا من الحديد المحمى بالنار فخرج من كان فيهما ، وصبت عليهم السهام فقتل منهم من قتل ، وأشار سلمان كذلك بصنع المنجنيق ورمى الحصن به ، وقيل : إنه هو الذى صنعه بيده يومئذ ، وبقى الحصن محاصراً ثمانية عشر يومًا ، ولم يرد الله أن تستأصل ثقيف ، فأخرجهم حتى جاؤوا طائعين مسلمين مع غيرهم من الوفود، وكان جملة من قتل فى هذه الغزوة من المسلمين اثنى عشر رجلا .

ثقيف انظرى : أين قصد الطريق ؟   وكيف يلقى النجاة الغريقْ ؟

مشى البأس فى هوله المستطير   له لهب ساطع كالحريقْ

مشى ترجف الأرض من حوله   فأين الفرار وهل من مطيق ؟

ثقيف ادخلى الحصن لا تهلكى ... ويا عبد ليل لماذا النعيق ؟
دعا خالد يستفزُّ الرجال ... فكان فريقك شر الفريق
وكنت عليهم شهيداً بما ... يعاب العدوُّ به والصديق
يضيق على العاجزين الفضاء ... ويَرْحب بالقادرين المضيق
وليس الخليق بحرّ الجلاد ... غداة التنادى كغير الخليق
رموا بالسهام ، ولو أنصفوا ... رمَوا بالطلى كل عضب ذليق [(١)]
حراص على الأنفس الهالكات ... وذلك منهم خبال ومُوقْ [(٢)]
ضعاف القلوب ، قعود جمود ... يخافون كل سفوح دفوق
وما يستوى الهبرزىُّ الجسور ... غداة الوغى ، والهيوب الفروق [(٣)]

* * *

رأوا عجبًا من عتاد الحروب ... تذوق الحصون به ما تذوق
رماهم فتاها بدبّابتين ... فيالك من فارسىٍّ لبيق
رميت الألى حبس الفاتحون ... بموتٍ حبيس وبأس طليق
وزدت ، فقلت : اضربوا الكافرين ... وعلمتهم صنعة المنجنيق
تظل الحجارة مقذوفة ... يشيّعها من مكان سحيق

* * *

ونُودوا : إلينا فمن جاءنا ... مننا عليه بعهد وثيق [(٤)]
فأقبل منهم بغاة الأمان ... فكلٌّ مخلًّى ، وكل عتيق
لهم منزل الضيف فى المسلمين ... رعاة العهود ، حماة الحقوق

* * *

---

(١) الطلى : الأعناق .

(٢) الموق : الحمق فى غباوة .

(٣) الهبرزى : الأسد ، الفروق : الشديد الفزع .

(٤) نادى منادى الرسول الكريم ﷺ : أيما رجل خرج إلينا من الحصن فهو حر . فخرج منهم رجال فأعتقهم ، ودفع كل واحد منهم إلى رجل من المسلمين يمونه .

عيينة ما قلت للمشركين ؟ وهل يقتنى الحمدَ إلا الصدوق ؟
كذبت النبىَّ فقلت المحال وجئت من الأمر ما لا يليق
وأزلفتها توبة تبتغى بها الخير ، والخير نعم الرفيق
تبيَّنْ عيينة عقبى الأمور لعلَّك تعقل أو تستفيق [1]
سيأتى بهم ربهم مسلمين فما من ضلال ، ولا من فسوق
ولو شاء لاجتثَّهم أجمعين فبادت أصول ، وجفت عروق

* * *

يقول الفوارس : كيف الرحيل وما شرقت بالدماء الحلوق ؟ [2]
رويدًا رويدًا جنود النبى فقد ينفع الناس ما لا يروق
ولله ما شاء فيما يسوق من الحادثات ، وفيما يعوق

* * *

---

(١) عيينة بن حصن ، استأذن النبى ﷺ أن يأتيهم فى حصنهم ليدعوهم إلى الإسلام فأذن له ، وذهب فأوصاهم بالصبر والثبات ، ثم عاده فسأله النبى ﷺ: «**ماذا قلت ؟**» قال: دعوتهم إلى الإسلام وأمرتهم به ، وحذرتهم النار ودللتهم على الجنة . قال : «**كذبت، إنما قلت كذا وكذا**» قال : صدقت يا رسول الله ، وإنى أتوب إليك .

(٢) لم يؤذن لرسول الله ـ ﷺ ـ فى فتح الطائف ، واستشار نوفل بن معاوية الديلى ، فقال: ما ترى ؟ فقال ثعلب فى جحر ، إن أقمت عليه أخذته ، وإن تركته لم يضرك . فأمر رسول الله ـ ﷺ ـ عمر بن الخطاب . فأذن فى الناس بالرحيل . فضج الناس من ذلك وقالوا : نرحل ولم يفتح علينا الطائف ؟ فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «**فاغدوا على القتال**» فغدوا ، فأصابت المسلمين جراحات ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ «**إنا قافلون غدا إن شاء الله**» فسروا بذلك وأذعنوا ، وجعلوا يرحلون ، ورسول الله ـ ﷺ ـ يضحك . فلما ارتحلوا ، واستقلوا ، قال : آيبون ، تائبون ، عابدون لربنا حامدون . وقيل يا رسول الله ادع الله على ثقيف . فقال اللهم اهد ثقيفا وائت بهم ثم خرج رسول الله ـ ﷺ ـ إلى الجعرانة ثم دخل محرما بعمرة فقضى عمرته ثم رجع إلى المدينة .

عين أبي سفيان

أصيبت عين أبي سفيان ﷺ بسهم في هذه الغزوة ، فأتى النبي ﷺ وعينه في يده ، وقال : يا رسول الله هذه عيني أصيبت في سبيل الله ، فقال : **«إن شئت دعوت فردت عليك ، وإن شئت فعين في الجنة»** ، قال : في الجنة ورمى بها من يده ، وأصيبت عينه الثانية يوم اليرموك في قتال الروم .

هنيئًا أبا سفيان لا الذخر هيِّن ... ولا الزجر ممنون ولا أنت مغبونُ (١)
هو الغنم لم يقدر لغير موفق ... له مشهد في حومة الحرب ميمون
حملت أبا سفيان عينك في يد ... بها الخير في كل المواطن مقرون
وجئت رسول الله لا الوجه شاحب ... ولا العِطف مزورٌّ ، ولا القلب محزون
تقول له .. عيني التي أنت ناظر ... مضت في سبيل ، والحافز الدين
فقال : إذا أحببت فالردُّ ممكن ... بقدرة رب أمره الكاف والنون
وإلاَّ فأخرَى عنده إن لقيته ... وذلك وعد عند ربك مضمون
فآثرت هذى ، ثم ألقيت بالتى ... حملت ، وما في الحق أن يؤثر الدون
ستتبعها في وقعة الروم أختها ... إذا حان منها بعد ذلكم الحين
فخير على خير ، ونعمى تزيدها ... من الله نعمى ، سرها عنك مكنون
هنيئًا أبا سفيان لا الرمح آسف ... ولا السيف مكروب ، ولا العزم موهون
عطاؤك في الهيجاء لم يعط مثله ... من الناس إلا صادق البأس مأمون

* * *

---

(١) الممنون : المقطوع .

سراقة بن مالك

عند انحدار النبى ﷺ إلـى الجعرانة لقيه سراقة بن مـالك وهو واضع الكتاب الذى كتب لـه عند الهجرة بين أصـبعيه ، ورافـع صوته بقوله : أنا سـراقة وهذا كتابى ، فقـال الرسول لكريم : « **هذا يوم وفـاء ومودة ، أدنـوه منى** » ، ففـعلوا وأسلم رضى الله عنه .

ارفـع كـتـابـك يـا سـرا ... قـة إنـه عـلـم الـنـجـاةِ
هـو جـنَّـة لـك مـن سـيـو ... ف الـضـاربـين ظُـلـى الـكـمـاة
عـهـد الـنـبـى فـأى ذخـ ... ـر مـثـلـه لـلـحـادثـات [1]
أسـدى الجـمـيـل ومَـن يـأ ... خـذ نـفـسـه بـالمـكـرمـات
ويـقـيـم أعـلام الـهـدى ... لـلـتـابـعـين مـن الـهـداة
لـو شـاء قـتـلـك يـا سـرا ... قـة لـم تـذق طـعـم الحـيـاة
إذ جـئـت تـطـلـب قـتـلـه ... وتـطـيـع فـيـه هـوى الـغـواة
أرأيـت حـلـم مـحـمـد ... وعـرفـتـه جـم الأنـاة ؟
أدرِكْ بـديـن الله نـفـ ... ـسك ، واسـتـقم قـبـل الفـوات
ديـن المـفـاخـر والمـآ ... ثـر والخـلال الـصـالحـات
ديـن الـغـطـارفـة الأمـا ... جـد ، والجـهـابـذة الـثـقـات
ديـن الـرشـاد بـأسـره ... والخـيـر مـن مـاض وآت
الله ربُّ الـعـالمـ ... ـين ، فـمـا اتـبـاع الـتَّـرهـات ؟

---

(١) هذا هو العهد الذى أعطاه الرسول الكريم ﷺ إلى سراقة بن مالك لما اعتذر إليه من إرادة قتله ، وقال له : يا محمد إنى لأعلم أنه سيظهر أمرك فى العالم وتملك رقاب الناس ، فعاهدنى على أن تكـرمنى إذا جئتك يوم ملكك ، وهو الذى أشار إليـه الشاعر فى الجزء الأول من هذا الكتاب بقوله :

فزت (بالعبد) فاغتنمه وأبشر ... بسوارى كسرى فديت البشيرا

إن كنت ذا عقل فحسـ ـبك نظرة فى الكائنات

تلك المعالم واضحا ت والشواهد بيّنات

دع ما مضى لك يا سرا قة من جنايات العصاة

أيام تضرب فى الغوا ية بالعشىّ وبالغداة

أنت اتقيت الله ربـ ـك ، فاغتنم عقبى التقاة [١]

* * *

(١) التقاة : اسم من التقوى .

غَزوة تبوك

كانت فى شهر رجب من السنة التسعة ، بلغ النبى ﷺ أن الروم جمعوا جموعًا كثيرة بالشام (١) ، وأن طلائعهم بلغت البلقاء فاستنفر المسلمين للقائهم، وأوصى بالتعاون على تيسير أسباب هذه الغزوة البعيدة الشقة (٢) وسد حاجاتها ، فجهز عثمان بن عفان عشرة آلاف رجل ، أنفق عليهم عشرة آلاف من الدنانير . غير الإبل والخيل والزاد ، وجاء إلى النبى ﷺ بألف دينار صبها فى حجره ، وجاء أبو بكر بجميع ماله ، وهو أربعة آلاف درهم ، فقال له النبى ﷺ : « **هل أبقيت لأهلك شيئًا ؟** » قال : أبقيت لهم الله ورسوله ، وجاء عمر بنصف ماله ، وعبد الرحمن بن عوف بمائة أوقية ، والعباس وطلحة بمال كثير ، وعاصم بن عدى بسبعين وسقًا من التمر . وعلمت النساء فقدمت إلى النبى ﷺ ما استطاعت تقديمه من الحلى فى إيمان قوى ، وحماسة بالغة ، واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة ، وتخلف المنافقون ومعهم عبد الله بن أبى ابن سلول فلم يخرجوا مع الجيش(٣)، وكان عدده ثلاثين ألف رجل ـ وقيل أكثر (٤) ـ وعقد النبى ﷺ الألوية

(١) جهزت الروم معها : لخم وجذام وعاملة وغسّان .

(٢) جاء فى السيرة أن المسافة بين المدينة وتبوك أربع عشرة مرحلة .

(٣) وجاء البكاؤون وهم سبعة يستحملون رسول الله ـ ﷺ ـ فقالا : لا أجد ما أحملكم عليه ، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنا أن لا يجدوا ماينفقون وهم : سالم بن عمير ، وعلْبة بن زيد وأبو ليلى المازنى ، وعمرو بن عتمة ، وسلمة بن صخر ، والعرباض بن سارية . وفى رواية : عبد الله بن مغفل ، ومعقل بن يسار .وفى رواية: البكاؤون بنو مُقْرن السبعة ، وهم من مزينة . وابن إسحاق يعد فيهم : عمرو بن الحمام ابن الجموح .

(٤) خلف فى المدينة « على بن أبى طالب » على أهله ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا : ما خلفه إلا استثقالا وتخففا منه . فأخذ سلاحه ، ولحق بالرسول ـ ﷺ ـ وأبلغه ما قيل . فقال له : «كذبوا ، ولكنى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك، أفلا ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنّه لا بنى بعدى » [البخارى ـ المغازى ـ غزوة تبوك ؛ ح : ٣٧٠٦ و ٤٤١٦ ، ومسلم ؛ ح : ٢٤٠٢] .

والرايات . فدفع لواءه الأعظم إلى أبى بكر ، ورايته العظمى إلى الزبير ، وجعل راية الأوس لأسيد بن حضير ، وراية الخزرج للحباب بن المنذر ، وبلغ الجيش تبوك فعسكر فيها انتظاراً للقاء العدو ، فلم تبد له بادية ، وبعد بضع عشرة ليلة استشار النبى ﷺ عمر بن الخطاب هل يمضى بالجيش لمهاجمة جموع الروم ؟ أم يدعهم إلى ميقاتهم فأشار عمر بهذه ، وكانت غزوة تبوك آخر غزواته ، صلوات الله عليه . وأقام بها عشرين ليلة يصلى بها ركعتين .

لمن تجمع الروم أبطالها ؟ ... وتحمل للحرب أثقالها ؟
أللجاعلين نفوس العباد ... ودائع يقضون آجالها ؟
إذا استعجلوها ببيض الظبى ... فلن يملك القوم إمهالها
جنود تُقدِّم أرواحها ... وتبذل فى الله أموالها
لئن جاوزت غاية العاملين ، ... لقد بارك الله أعمالها
ومن مثل عثمان يرعى النفوس ... إذا آدها الأمر أو عالها ؟ [1]
كثير النوال ، رحيب المجال ... إذا رام منزلة نالها
أبا بكر اخترت أبقى الثراء ... وجنَّبت نفسك بلبالها
تمنيتها نعمة سمحة ... فألبسك الله سربالها
وإن لصحبك فى الباذلين ... مناقب ندمن إجلالها [2]

* * *

ألحَّ النساء على حليهن ... وأقبلن فى ضجة يالها
نبى الهدى أتُلمُّ الحقوق ... فنأبى ، ونؤثر إهمالها ؟
وتذهب منا ذوات الحجال ... تجرجر فى الحى أذيالها ؟
لقد طاف طائفها بالفتاة ... فأرَّقها ما عنا آلها
فما أمسك البخل دملوجها ... ولا ملك الحرص خلخالها

(١) آده الأمر : بلغ منه المجهود . وعاله : غلبه وثقل عليه .
(٢) أدمن الرجل الشىء أدامه .

مشى الجحفل الضخم فى جحفل | يحبُّ الحروب وأهوالها
وخاف من الحر أهل النفاق | فقالوا : البيوت وأظلالها [١]
وأهلكهم شيخ أشياخهم | بشنعاء يأثم من قالها [٢]

* * *

بنى الأصفر استبقوا للوغى | وخلوا النفوس وآمالها [٣]
وقفتم من الرعب ، ما تُقدمون | وما هاجت الحرب أغوالها
فكيف بكم بين أنيابها | إذا جمع الله آكالها ؟
رأى عمر رأيه فى الرحيل | فلا تكثر الروم أوجالها
لهم دون مهلكهم مدة | من الدهر ، يقضون أحوالها
تبوك اشهدى نزوات الذئاب | وحىِّ الأسود وأشبالها
أما ينبغى لك أن تعرفى | شيوخ الحروب وأطفالها ؟

* * *

هى الملة الحق ، لن تستكين | ولن يدع السيف أقتالها [٤]
رأت ملة الكفر تغزو النفوس | فجاءت تمزق أوصالها
لها من ذويها حماة شداد | يبيدون من رام إذلالها
فلن يعرف الناس أمثالهم | ولن يشهد الدهر أمثالها
ولن تستبين سبيل الهدى | إذا اتَّبع الناس ضلاّلها

---

(١) قال بعضهم لبعض : لا تنفروا فى الحر وكان الحر شديدًا عند الخروج إلى هذه الغزوة فنزلت الآية الكريمة ﴿وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ [التوبة: ٨١] أى نؤثر أو نلزم البيوت وأظلالها على حذف الفعل

(٢) هو عبد الله بن أبى ابن سلول قال : يعزو محمد بنى الأصفر على جهد الحال ، والحر والبلد البعيد إلى ما لا طاقة له به ، يحسب أن قتالهم معه اللعب والله لكأنى أنظر إلى أصحابه مقرنين فى الحبال .

(٣) قيل للروم : بنى الأصفر ! لأنهم ولد روم بن العيص بن إسحاق نبى الله عليه السلام، وكان يسمى الأصفر لصفرة به .

(٤) أقتالها : جمع قتل ، وهو العدو والمقاتل .

فمن كان يحزنه أن تبيد قوى الشرك ، فليبك أطلالها
لأهل المفصَّل من آيه موارد يُسقون سلسالها
تردُّ القلوب إلى ربها وتفتح للنور أقفالها

* * *

فى دار سُويلم اليَهُودى

اجتمع قوم من المنافقين [١] فى دار سويلم اليهودى يقولون كما قال عبد الله بن أبى ابن سلول ، وعلم النبى ﷺ بأمرهم فأرسل إليهم عمار بن ياسر وقال : «أدرك القوم فقد احترقوا » فجاءهم فأنكروا ، وجاؤوا إليه ﷺ فأخبرهم بما قالوا، فجعلوا يعتذرون ويقولون : كنا نخوض ونلعب ، فأنزل الله تعالى ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ الآية [التوبة:٦٥] .

سويلم ما قولٌ ببيتك يُفتَرى ... بألسنة تبغى الفساد فتكذب ؟
ألا ابن أبىٍّ رأيه ، ما وراءه ... لذى نهية رأى ، ولا عنه مذهب [٢] ؟
حقود رمى بالشؤم كل منافق ... فيالك من شرٍّ على الناس يُجلب
أحس رسول الله ما كان منهم ... وجاء بريد الله بالحق يدأب
فقال لعمَّار أرى القوم أوقدوا ... لأنفسهم نارًا بعينى تَلهَّب
ألا قم فأدركهم ولمَّا يصيبهم ... عذاب غليظ ما لهم منه مهرب
فلما أتاهم أنكروا ، ثم أقبلوا ... بأقوالِ فُجَّار عن الحق ترغب

(١) منهم : وديعة بن ثابت أخو بنى عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبنى سلمه يقال له : مخشى بن حمير . قال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بن الأصفر كقتال العرب بعضهم بعض ؟ والله لكأنا بكم غدا مقرنين فى الجبال ، إرجافا وترهيبا للمؤمنين فقال مخشى بن عمير : والله لوددت أنى أقاضى على أن يضرب كل منا مائة جلدة . وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه . وقال رسول الله - ﷺ - لعمار بن ياسر : « أدرك القوم . فإنهم قد أحترقوا . فسلهم عما قالوا . فإن أنكروا ، فقل بل قلتم كذا وكذا » . فانطلق إليهم عمّار . فقال لهم ذلك . فأتوا رسول الله يعتذرون فقال « وديعة بن ثابت » كنا نخوض ونلعب . فأنزل الله فيهم الآية ٦٥ من سورة التوبة قال مخشى بن حمير : يا رسول الله ؟! اقعد بى أسمى واسم أبى ، فكان الذى عفى عنه فى هذه الآية ، وتسمى عبد الرحمن . وسأل الله أن يقتل شهيدا ، لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

(٢) النهية : العقل .

فــقــال رســـول الله بـل قـلتـم الـذى علـمت ، ومـا يـخـفى عـلى المـغـيَّب
فـقالـوا على غـيظ الـنفوس وحـقـدها ألا إنمـا كـــنَّـا نـخــــوض ونـلــعـب
وعـــادوا خـــزَايــا نــادمـين ، وإنــهــم إلـى الـشـــرِّ إلا أن يـتـــوبـوا لأقـــرب

* * *

الجَدّ بن قيس

ندبه الرسول الكريم للخروج فى هذه الغزوة فاستأذنه فى التخلف وقال له : لا تفتنى [١] فوالله لقد عرف قومى أنه ما من رجل أشد عجبًا بالنساء منى ، وإنى لأخشى أن لا أصبر إذا رأيت نساء بنى الأصفر ،فأعرض عنه النبى ﷺ ، فأقبل عليه ابنه يقول له : والله ما أخرك سوى النفاق .

خَفِ الله يا جدّ بن قيس ولا تُطع ... هواك ودعها خطة هى ما هيه
كذبت رسول الله تضمر غير ما ... تقول : وما تخفى على الله خافيه
تقول له : ائذن لى ولا تبغ فتنتى ... فإنى امرءٌ أُعطى النساء عنانيه
وإن نساء الروم يغلبننى على ... عفافى ، فدعنى ، ما لهن وماليه
فأعرض عنه غير راض وساءه ... فُجور امرئٍ يبدى الفجور علانيه
وجاء ابنه يُصليه نار الملامة ... فيالكِ من نار على المرء حاميه

* * *

لك الويل يا جدّ بن قيس فإن تتب ... وقيت ، وإن تفسق فمالك واقيه

---

(١) ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلا تَفْتِنِّي أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا ﴾ [التوبة : ٤٩] .

البكاؤون

هم سبعة من الفقهاء جاؤوا إلى النبى ﷺ يسألونه أن يحملهم إلى تبوك فقال لهم : « **لا أجد ما أحملكم عليه** » ،فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا . . ورق لهم قوم من كرام الصحابة فحملوهم [١] .

أبوا أن يقعدوا والجيش يُزجَى ... فيوشك أن يكون له انطلاق
وليس لهم سوى القرآن يُتلَى ... فلا خيل ولا إبل تساق
فلاذوا بالنبىِّ وناشدوه ... ليحملهم ، فضاق بهم وضاقوا
تولَّوا تستهلُّ على لحاهم ... دموع ملء أعينهم تراق
أتعوزهم لدى الزحف المطايا ... ويسبقهم إلى الله الرفاق ؟
فرقَّ لهم من الغازين قوم ... رموا منهم بخطب لا يطاق
وجاؤوا بالرواحل فاستراحوا ... من الهمِّ المبرِّح واستفاقوا
أمن يهديه إيمان وتقوى ... كمن يرديه غش أو نفاق ؟

* * *

(١) هم [سالم بن عمير ـ علبة بن زيد ـ أبو ليلى المازنى ـ عمرو بن عتمة ـ سلمة بن صخر ـ العرباض بن سارية] .

(*) وفى رواية : [عبدالله بن مغفل ـ معقل بن يسار] .

(*) وفى رواية : البكاؤون : بنو مقرن السبعة وهم من « مزينة » .

(*) وابن اسحاق يعد فيهم : عمرو بن الحمام بن الجموح .

أبو خيثمة

كان ممن تخلف عن النبى ﷺ فدخل يومًا على زوجتيه فوجدهما قد رشتا العريش بالماء ، وهيأتا طعامًا وماء باردًا ، وكان يومًا شديد الحر ، فقال : أيكون رسول الله ﷺ فى الحر وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وماء مهيأ ، وامرأتين ناعمتين؟؟ والله لا كان هذا ،ثم أخذ سيفه ورمحه ولحق بالنبى ﷺ فى تبوك[1] .

لك الله أقبل أبا خيثمة ... فلله صنعك ما أكرمه
قعدت ، فلما كرهت القعود ... نفرت حثيثًا إلى الملحمه
دخلت العريش على نعجتيك ... فسبحان ربك ما أعظمه
نعيم يروق ، وظل يشوق ... وعيش يسرك أن تغنمه
فذكّرك الله حرّ الجهاد ... وألهم قلبك ما ألهمه
فقلت : أيمضى الرسول الكريم ... يكابد فى الله ما جشّمه
وأبقى هنا فى هوى نعجتىّ ... وحب العريش كذى الملأمه ؟
وسرت فأدركته فى تبوك ... وللجيش من حوله همهمه
يقولون : من ذا ؟ وما خطبه ... ألا إنه أبو خيثمه
ألم يك فى المعشر القاعدين ؟ ... فماذا عراه ؟ وما أقدمه ؟
هو الله يهدى نفوس الرجال ... ويرزقها البرّ والمرحمه

(١) خرج أبو خيثمة فى طلب الرسول ـ ﷺ ـ حتى أدركه حين نزل تبوك وقد كان أدرك أبا خثيمة : عمير بن وهب الجمحى فى الطريق يطلب الرسول ـ ﷺ ـ فترافقا حتى إذا دنوا من تبوك ، قال أبو خثيمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا ، فلا عليك أن تتخلف عنى حتى آتى رسول الله ـ ﷺ ـ ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ـ ﷺ ـ وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ كن أبا خثيمة . قالوا : يا رسول الله هو أبو خثيمة . فلما أناخ أقبل فسلّم على رسول الله ـ ﷺ ـ فقال له : « أولى لك يا أبا خثيمة » فأخبر رسول الله خبره ، فقال له : خيرا ودعا له .
[مسلم ؛ ح: ٢٧٦٩ من حديث كعب بن مالك ، وابن قيم الجوزيه ـ فقه السيرة صـ ٣٧١] .

أبو ذرّ الغفاري رضي الله عنه

تخلف به بعيره عن الجيش لما أصابه من الإعياء ، فأخذ متاعه وحمله على ظهره ، ثم سار حتى أدرك النبى ﷺ ، ورآه بعض الصحابة مقبلا فقالوا : يا رسول الله، هذا أبو ذر قد جاء ، فقال : « **رحم الله أبا ذر ، يمشى وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده** » ، فكان كما قال ، فقد مات رضي الله عنه بالربذة حين أخرجه عثمان بن عفان فى خلافته إليها بعد أن كان فى الشام لشكاية من معاوية، ولم يكن معه فيها إلا امرأته وغلامه ، فقال لهما عند موته: غسلانى وكفنانى ، ثم اجعلانى على قارعة الطريق ، وقولا لأول من يمر بى: هذا أبو ذر صاحب رسول الله ﷺ فأعينونا على دفنه ، ففعلا ذلك ،وأقبل عبد الله بن مسعود فى رهط من أهل العراق ، فوجدوا الجنازة على الطريق قد كادت الإبل تطؤها ، فقام إليهم الغلام وقال لهم ما أراد أبو ذر أن يقول ، فبكى ابن مسعود ونزل هو وأصحابه فواروه ،ومن قول الرسول الكريم ﷺ فيه:« **ما أظلت الخضراء ، ولا أقلت الغبراء من ذى لهجة أصدق من أبى ذر** » وكان من الأقدمين فى الإسلام.

أبا ذرٍّ رحلت على بعير ... لو أن الذرَّ يلمسه لهدَّه (١)

براه السير حالا بعد حال ... فأوهن عظمه ، وأذاب جلده

عمدت إلى متاعك ، لم تدعه ... عليه ، ولم يدعك الضعف عنده

شددت قواك إذ وهنَتْ قواه ... ورضت الأمر إذ أبصرت جدَّه

وسرت ، فكنت أصلب منه عزمًا ... وأصدق همة ، وأشدَّ نجده

مشيت تريد وجه الله حتى ... بلغت رسوله ولقيت جنده

رأوك تؤمُّهم فردًا ، فقالوا ... أخ فى الله ، يخشى الله جهده

وقال : أتى أبو ذر فأهلا ... بصاحبنا الذى ما خان عهده

ألا إن الذى يسعى إلينا ... ليمشى وحده ، ويموت وحده

ويبعث وحده من بعد هذا ... وسبحان الذى يختار عبده

---

(١) الذر : النمل .

طلحة بن عُبَيد الله

كان طلحة بن عبيد الله ﷺ فى هذه الغزوة مع المسلمين ،فنحر لهم جزوراً وأطعمهم منها ، وكانوا فى حالة شديدة من الجوع ، فقال له النبى : « **أنت طلحة الفياض** » وسماه يوم أحد « طلحة الخير » ، ويوم حنين « طلحة الجود »، وذلك لكثرة إنفاقه على العسكر .

طلحة الخير ، طلحة الجود ، أبشر   صرت تدعى بطلحة الفيّاض
نفحة بعد نفحة ، وانتهاض   فى مجال السخاء بعد انتهاض
فى حُنين يد ،وفى أحد أخـ   ـرى ، وهذى تبوك ملأى الوفاض
من جزور نحرتها تطعم الجيـ   ـش ، وتشفيه من أذى وارتماض
ذاق من شدة الطوى ما كفاه   وهو مستحصد العزيمة راض
حزبته الأمور فى طاعة الله   فما همَّ مرة باعتراض
عالم أن أفضل المقادير ما شا   ء ، وخير الأمور ما هو قاض
لك فى المسلمين يا ابن عبيد الله   برق مبارك الإيماض
تستهلُّ الصنائعُ الغرُّ إن لا   ح ، وتجرى الصلات ملء الحياض
هكذا المؤمن الموفَّق يغنى   فى مروءته غناء المواضى
يدفع الحادث الجليل ، ويقضى الـ   ـحق سمح اليدين قبل التقاضى

* * *

قدوم يحنة بن رؤبة صاحب أيلة
ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا

قدم على النبى ﷺ يحنة بن رؤبة صاحب أيلة ومعه أهل أذرح وجرباء ومقنا من قرى الشام فعرض عليهم الإسلام فأبوا ، وصالحوه على الجزية . فكتب لهم العهود بذلك ، وكان مع يحنة بغلة بيضاء أهداها إليه صلوات الله وسلامه عليه ، فكساه بردًا من ثيابه الشريفة .

يحنة إن تؤمن فخير ، وإن تُرد ... سوى الحق ، فاعلم أن رأيك عازب
أتى بك من أكناف أيلة ما أتى ... وليس لمن يمَّمت فى الناس غالب
دُعيتَ إلى الإسلام ، فاخترت جزية ... تنال بها الأمن الذى أنت طالب
ولو كنت ممن يبتغى جانب الهدى ... هُديتَ ، ولكنَّ المضلَّل خائب
وما رغب المأمون فيها هدية ... كساك بها البرد الذى أنت ساحب
أتيت بقوم لو رأوا منك ناصحًا ... لما عاب منهم خطة الجد لاعب
أتأبون دين الحق يا آل أذرح ... وجرباء حتى يجلب الخيل جالب ؟
ألا فاشهدوا يا آل مقنا وأيقنوا ... بأن سوف تنهَى الجاهلين العواقب
خذوا من عهود الذل ما الله ضارب ... عليكم ، وما الداعى إلى الله كاتب
وأدُّوا إليه المال ، لا تبخلوا به ... ولا تغدروا ، فالبأس يقظان دائب
وسيروا بأهليكم على الخطة التى ... رضيتم لهم ، إن الطريق للاحب

* * *

أخا البغلة البيضاء ليتك كنتها ... لعلك تدرى كيف تعلو المراتب
أتُعطى من العز البهيمة رزقها ... ويحرم منه المرء ؟ تلك العجائب
يُحنَّة هذا ما قضى الله فاعتبر ... وكيف اعتبار المرء ، والعقل ذاهب ؟

* * *

خالد بن الوليد والأكيدر

أرسل النبى ﷺ خالد بن الوليد من تبوك إلى دومة الجندل لغزو الأكيدر بن عبد الملك الكندى ، فقتل أخاه واستنزله هو من حصنه ، ثم جاء به إلى النبى ﷺ فأسلم ، وكتب له ولأهل دومة الجندل كتاب دعوا فيه إلى الإسلام فمن أبى فعليه ما على المشركين ، ولما قبض الرسول الكريم ﷺ ارتد الأكيدر فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد فقتله .

أخالد إنك ذو نجدة ... فهيًّا إلى دومة الجندلِ

إلى معشر كفروا بالكتاب ... وحادوا عن المذهب الأمثل

دعاك الرسول فأنت الرسول ... وليس له عنك من معدل

أمامك حصن طويل الذرى ... فخذه بصمصامك الأطول

ومر بالأكيدر يقذفْ به ... إليك على كبره من عل

قتلت أخاه وألقى إليك ... جناح الذليل فلم يُقتل

وجئت به سيد الفاتحين ... فأوغل فى قلبه المقفَل

هداه إلى الله بعد الضلال ... وبعد العمى ، لم يكد ينجلى

وأعطاه من عهده موئلا ... يقيه ، فيالك من موئل

فصبرًا أكيدر إن الزمان ... سيكشف عن غدك المقبل

ستنقض عهدك دأب الشقىِّ ... وتجمح فى غيك الأول

فيرميك ربك يا بن الوليد ... ويشفيك من دائك المعضل

بصاعقة من يذقها يقل ... كأن الصواعق لم ترسل

أتفعل ويحك ما لو عقلت ... لأعرضت عنه ولم تفعل ؟

أكيدر ليس لنفسٍ وقاء ... إذا ما ابتلى الله من يبتلى

* * *

خطبة رسول الله ﷺ (١)
عِندَ منصَرَفه من تبوك

خطب الرسول فكل سمع منصت في الخافقين ، وكل قلب خاشع
قل يا محمد كل شىء مطرق يرجو المزيد ، وكل شىء سامع
قل ما يعلّمك الذى هو عالم أن النفوس إلى الفساد نوازع

(١) الخطبة : حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أما بعد : فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ،وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الأمور عوازمها ، وشر الأمور محدثاتها ، وأشرف الموت قتل الشهداء ،وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الأعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب . واليد العليا خير من اليد السفلى . وما قلّ وكفى خير مما كثر وألهى . وشعر المعذرة حين يحضر الموت . وشر الندامة يوم القيامة ومن الناس من لا يأتى الجمعة إلا دبرا ، ومنهم من لا يذكر الله إلا هجرا .ومن أعظم الخطايا اللسان الكذّاب . وخير الغنى غنى النفس . وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله ـ عزّ وجل ـ وخير ما وقر فى القلوب اليقين ، والإرتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من جثا جهنم . والسكر كى من النار ، والشعر من إبليس . والخمر جماع الإثم . وشر المأكل مال اليتيم . والسعيد من وعظ بغيره ، والشقى من شقى فى بطن أمه ، وإنما يصير أحدكم إلى موضع أربعة أذرع . والأمر إلى الآخرة .وملاك العمل خواتمه ، وشر الروايا روايا الكذب . وكل ماهو آت قريب .وسباب المؤمن فسوق . وقتاله كفر ، وأكل لحمه من معصية الله . وحرمة ماله كحرمة دمه، ومن يتأل على الله يكذبه . ومن يغفر يغفر له . ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرذية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به . ومن يتصبر بضعف الله له ، ومن يعصى الله يعذبه الله . ثم استغفر ثلاثا .

[أخرجه البيهقى فى دلائل النبوة : ٥/ ٢٤١. وقال ابن كثير : هذا حديث غريب وفيه نكارة وفى إسناده ضعف] .

أدِّبْ بدين الله قومك إنه ... دين لأشتات الفضائل جامع
هذا تراث العالمين بأسرهم ... يجرى عليهم نفعه المتتابع
فلكل عصر منه ورِد سائغ ... ولكل جيل منه كنز رائع
قل للذى ترك السبيل ، ألا استقم ... وعن العماية فلْيَزَعك الوازع
فإذا غويت فكل شىء ضائر ... وإذا اهتديت فكل شىء نافع
الله أنزل فى المفصَّل حكمه ... والحق يعرفه التقىُّ الطائع

* * *

فى العقبة بين تبوك والمدينة

خلا جماعة من المنافقين بأنفسهم وعدتهم اثنا عشر رجلا لما آذن النبى ﷺ بالرجوع من تبوك فقالوا : إذا عدل محمد عن بطن الوادى إلى العقبة وأبى إلا أن يسلكها وحده تبعناه فزحمناه فيها ، ودفعنا به عن راحلته ـ يريدون إيذاءه ـ فنبأه الله بذلك ، فلما بلغ العقبة أشار على المسلمين بسلوك بطن الوادى[١] ، وسلكها هو بعد أن جعل زمام ناقته فى يد عمار بن ياسر وأمر حذيفة بن اليمان أن يسير خلفها ، فتسلل المنافقون خلفه ملثمين تحت جنح الظلام لإمضاء ما أجمعوا عليه[٢].

يقول دعاة الشرِّ ليت محمداً ... إذا نحن عدنا يسلك الجانب الوعرا

إذن لدفعناه إلى الجانب الذي ... تنكَّب ، نؤذيه ونُرهقه عسرا

ونبأه مولاه فازداد قوة ... على قوة ، واختار ما يقمع الشرا

فلما دنا من يثرب قال قائل ... أطيعوا رسول الله وامتثلوا الأمرا

على السهل فامضوا ، واتركوا الحزن إنه ... سيسلكه فردًا يريد بكم يسرا

وقال : تقدَّمْ ناقتى يا ابن ياسر ... وسر خلفها يا ابن اليمان فما أحرى

وسار فجاء القومُ يعدون خلفه ... وقد نشر الإظلام من حولهم سترا

ونكَّر كل وجهه بلثامه ... وما نكَّروا إلا الخيانة والغدرا

رمَوْا ناقة الهادى بأشخاصٍ جنَّة ... تخوض إليها الليل فانتفضت ذعرا

---

(١) قال لهم : « من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادى ، فإنه أوسع لكم . وأخذ رسول الله ـ ﷺ ـ العقبة . وأخذ الناس ببطن الوادى إلا النفر الذين هموا بالمكر برسول الله .

(٢) بينما هم يسيرون إذا سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه . فغضب رسول الله ـ ﷺ ـ وأمر حذيفة أن يردهم . وأبصر حذيفة غضب رسول الله ـ ﷺ ـ فرجع ومعه محجن، واستقبل وجوه رواحلهم ؛ فضربها ضربا بالمحجن . وأبصر القوم وهم متلثمون ولا يشعر إلا أنّ ذلك فعل المسافر . فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة . وظنوا أنّ مكرهم قد ظهر عليه ، فأسرعوا حتى خالطوا الناس .

وأمسى رسول الله يهوى متاعه على الأرض ، إلا ما تماسك فاستذرى [١]
وقال : انطلق يا ابن اليمان فردهم ويا صاحبى لا تبتئس والزم الصبرا [٢]
فكرَّ عليهم كرة الليث ضاربًا وجوه مطاياهم ، ولم يألهم زأرا
إليكم إليكم شيعة الكفر إنكم لأعداء رب الناس ، أعظم به كفرا
تولَّوا سراعًا ،لم يصيبوا شفاءهم ولم يطفئوا من حقدهم ذلك الجمرا
وجاء أُسَيدٌ لا يرى غير قتلهم فقال رسول الله لا تبغها نكرا [٣]
أأقتل قومًا ظاهرونى وحاربوا معى ؟ حسبهم أن يحملوا الإثم والوزرا
وجاؤوا على خوف يقولون ، ما بنا سوى الظن فاغفر ، إنها الفتنة الكبرى
وضجُّوا بأيمان هى النار أوقدت بألسنة ظلت أكاذيبها تترى [٤]
كفاهم عقاب الله ، والدعوة التى يظَلُّ لظاها ينفذ الظهر والصدرا [٥]

* * *

(١) استذرى : بمعنى التجأ أو اعتصم . فقد سقط بعض المتاع وبقى بعضه .

(٢) عمار بن ياسر .

(٣) أسيد بن حضير ، لما أصبح رسول الله ﷺ جاءه فقال له: يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة ؟ فقال : « **أتدرى ما أراد المنافقون** » وذكر له القصة ، فقال : يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى هم بهذا ، فإن أحببت بين أسماءهم ، والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤوسهم ، قال الرسول الكريم : « **إنى أكره أن يقول الناس : إن محمداً قاتل بقوم ، حتى إذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم يقتلهم** » ، فقال : يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب قال : أليس يظهرون الشهادة ؟

(٤) جمعهم النبى ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا أرادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى: ﴿ **يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا** ﴾ الآية [التوبة : ٧٤] .

(٥) دعا عليهم الرسول ﷺ فقال: « **اللهم ارمهم بالدبيلة ـ وهى سراج من نار يظهر بين الأكتاف حتى ينجم من الصدور ـ وفى لفظ ـ شهاب من نار يقع على نياط قلب الرجل فيهلكه** » .

فى المدينة

النبىّ ﷺ يُعرض عن المنافقين ويأمر بمقاطعتهم

لما رجع النبى الى المدينة استقبله المنافقون الذين لم يخرجوا معه إلى تبوك بغير عذر ، فأعرض عنهم وقال لأصحابه : « **لا تكلموا أحداً منهم ولا تجالسوهم حتى آذن لكم** » ،فجعل الرجل يعرض عن أبيه وأخيه ، فاشتد الأمر عليهم ، وأخذهم من الهم والغم ما أخذهم .

خفُّوا يلاقون النبى بيثرب ... من بعدما كرهوا الخروج فأحجموا
فنأى وأعرض ، لا يريد لقاهم ... وتكشفوا ، فمُبَغَّض ومذمم
وتقطعت أسبابهم فكأنهم ... سرح يبدد ، أو بناء يهدم (١)
سود الوجوه ، ترى العيون قتامها ... فتظل تطْعن باللحاظ وترجم (٢)
يتلفتون إذا مشوا ، وإخالهم ... لو يقدرون من الحياء تلثموا
يتقلَّب الآباء فى حسراتهم ... وكأنما الأبناء ليسوا منهم
هجر وإعراض وطول قطيعة ... فالعيش سمٌّ ناقع أو علقم
هم أجرموا فهو الجزاء ، وهكذا ... يجفَى ويجتنَب المسيء المجرم
ويح الثلاثة إنهم مما لقوا ... لأشد خطبًا فى الرجال وأعظم (٣)

---

(١) السرح : المال السائم ، وتبدد : تفرق .

(٢) القتام : الغبار .

(٣) هم كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ﷺ ، لم يكونوا من المنافقين ، وإنما تخلفوا لأمر بدا لهم وقلوبهم مع الجيش وقد أرجأهم الرسول الكريم ﷺ ينتظر أمر الله فيهم ، وهم الذين نزل فى شأنهم قوله تعالى :﴿وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة:١٠٦] قال كعب . تغير علينا الناس حتى أنكرت فى نفسى الأرض ، فما هى بالأرض التى أعرف . فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ،وأما أنا فكنت أشد القوم وأجلدهم . فكنت أخرج فأشهد الصلاة وأطوف فى الأسواق فلا يكلمنى أحد إلى آخر ما قال ، =

ودوا لو أن الأرض زالت فانطوت ... ثم انطووا ، فكأنهم لم يأثموا
ضاقت جوانبها ، فلا متأخر ... فيها لأنفسهم ولا متقدم

* * *

كل له فى العالمين جزؤه ... ومن الجماعة حاكم لا يظلم
يقضون إن عقلوا قضاء صالحا ... هو للنفوس مهذب ومقوم
فإذا هموا جهلوا ، فليس لدائهم ... طب ، وليس لمثلهم أن يحكموا
سبحان ربك ذى الجلالة إنه ... لم يوجب الشورى لمن لا يفهم
الرأى رأى ذوى المعارف والنهى ... ومن الرجال بهائم لا تعلم

* * *

= وقد عفا الله عنهم وتاب عليهم فأنزل قوله تعالى : ﴿ لَقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ (١١٧) وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لاَّ مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلاَّ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴾ [التوبة : ١١٧] .

مسجد الضرار

لما اقترب النبى ﷺ إلى المدينة علم أن بنى غنم بن عوف إخوة بني عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء بنوا مسجداً ينافسون به إخوتهم ، ويصرفون الناس إليه، وأن أبا عامر الراهب الملقب بالفاسق هو الذى زين لهم ذلك . فقال لجماعة من المسلمين منهم وحشى قاتل حمزة : « **انطلقوا إلى هذا المسجد الظالم أهله فاحرقوه واهدموه** » . ففعلوا ما أمرهم به .

يا بنى غنم بن عوف ما لكم ... تجعلون الدين كيداً وضرارا ؟
أغضبتم إذ بنى إخوتكم ... فى قباء مسجداً يهدى الحيارى ؟
فاتخذتم غيره تبغونه ... فتنة للناس جهلا واغترارا ؟ [1]
وجمعتم فيه من أشياعكم ... كل غاو يجعل السوآى شعارا
مفترٍ يهذى بقول الزور فى ... سيد الرسل ويؤذيه جهارا [2]
يا بنى غنم بن عوف إنها ... شيم الحمقى ، وأخلاق السكارى
استفيقوا ، إنه قد جاءكم ... من جنود الله أقوام غيارى
قال مولاهم هلموا فاهدموا ... مسجد السوء جداراً فجدارا
وابعثوا النار عليه جهرة ... إنما المؤمن من يُصليه نارا

* * *

صدعوا بالأمر ، وازداد الألى ... طاوعوا الفاسق ذلا وصغارا [3]
زيَّن الفاحشة الكبرى لهم ... فأتوها ، لا يخافون البوارا [4]

---

(١) ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِن قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَىٰ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠٧﴾ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾ [التوبة: ١٠٧] الآية .

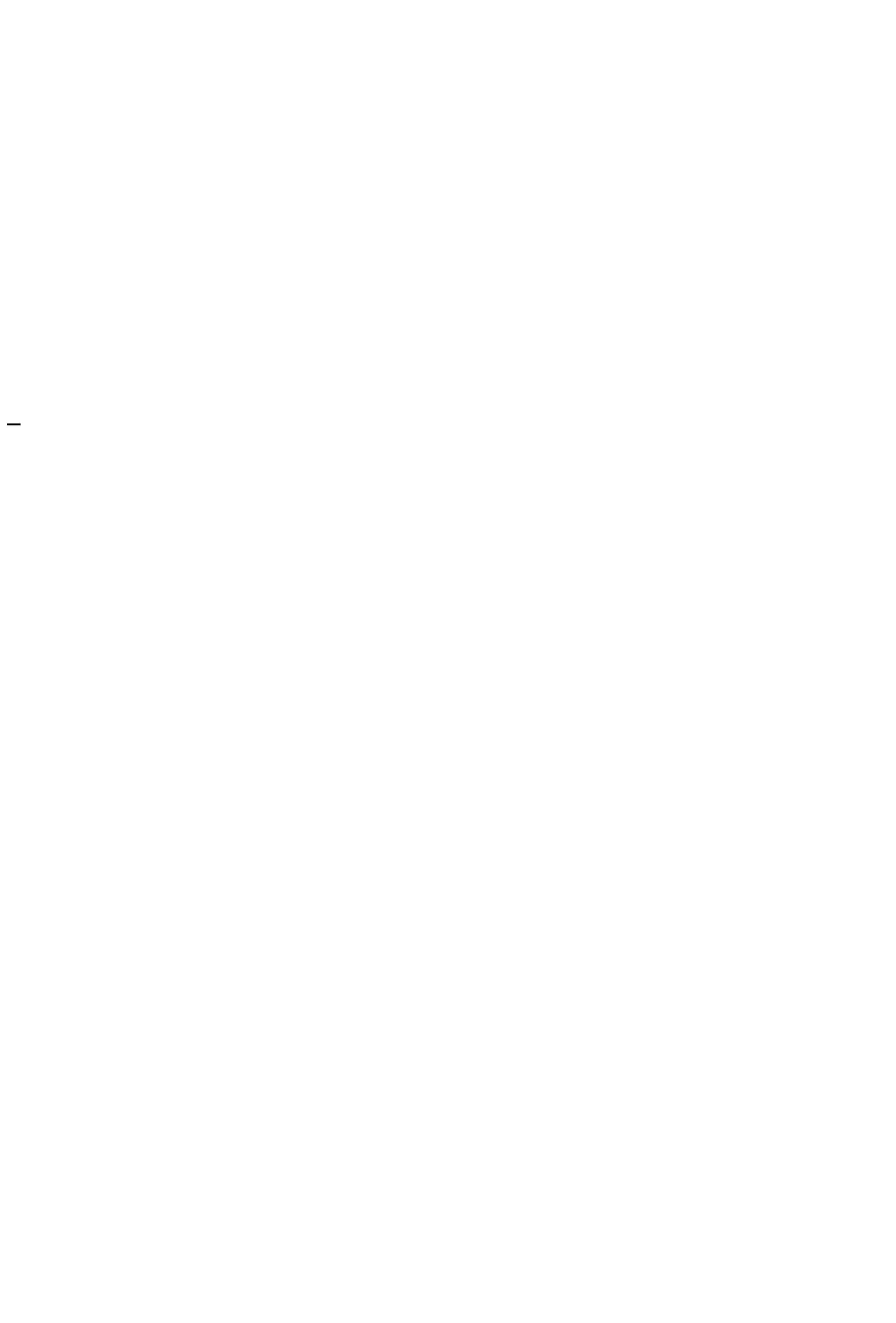
(٢) كانوا يجتمعون فى مسجد الضرار ويعيبون النبى ﷺ ويستهزئون به .

(٣) قال لهم أبو عامر الراهب الذى لقبه الرسول الكريم ﷺ بالفاسق : ابنوا لى مسجداً وأعدوا ما استطعتم من قوة وسلاح فإنى ذاهب إلى قيصر ملك الروم فآتى بجند من عنده لإخراج محمد وأصحابه من المدينة ، ولما فرغوا من بنائه دعوا النبى للصلاة فيه كما صلى فى مسجد قباء فنزلت الآية الكريمة مانعة له .

(٤) البوار : الهلاك .



عـــام الـــوفـــود



وفد نصارى نجران

كانوا ستين رجلا وفدوا على النبى ﷺ [(١)] ، عليهم أردية الحرير وخواتم الذهب، ومعهم هدية بسط فيها تماثيل ، ومسوح ، فرد البسط وأخذ المسوح ، ولما رأى فقراء المسلمين ما عليهم من الزينة تشوفوا إلى الدنيا فنزلت ﴿ **قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ** ﴾ [آل عمران:١٥] الآيات.

أبوا الإسلام وصالحوه على ألف حلة فى صفر ، ومثلها فى رجب ، ومع كل حلة أوقية من الفضة ، وقالوا له : أرسل معنا أمينًا ، فأرسل أبا عبيدة عامر ابن الجراح ، وقال لهم : « **هذا أمين الأمة** » .

وفد نجران إن أردت الرشادا ... فاتّقِ الله واتّبِع ما أرادا
وتأمل ، فتلك حجته البيـ ... ـضاء لم تبق ظلمة أو سوادا
وضح الحق ، وانجلى الشك فانظر ... إنه النور قد أضاء البلادا
إنه الدين قيِّمًا يصلح الأمر ... وينفى الأذى معا والفسادا
جئت في زينة ، وبسطة حال ... تزدهيك الجياد إذ تتهادى
وهداياك من مسوح وبسط ... زيد فيها الفن البديع وزادا
صدقتْ صنعة التصاوير فيها ... وهى إفك ، سبيله أن يعادى

* * *

ردها الصادق الأمين تقاة ... وقضى الأمر حكمة وسدادا
ودعاهم إلى التى هى أهدى ... فأبى الظالمون إلاَّ عنادا
زعموا أنهم على الحق ، ماحا ... دوا ؛ ولكنه عن الحق حادا

---

(١) دخلوا المسجد بعد صلاة العصر . فحانت صلاتهم ، فقاموا يصلون فأراد الناس منعهم . فقال رسول الله ـ ﷺ ـ دعوهم .

أيظن المسيح عبدًا وقد كا ن إلها أتى يدين العبادا (١)
قال : لا تكذبوا عليه ، وتوبوا واتبعوا الحق ملة واعتقادا
إن عيسى صلّى الإله عليه كان للحق قوة وعتادا
هو من روح ربه مستفاد وسبيل المخلوق أن يستفاد
كان فى قومه رسولا رضيًّا يتقى ربه ويرجو المعادا
لا أبٌ كالذي زعمتم ، ولا ابن فدعوا الشرك وانبذوا الإلحادا
وحِّدوا الله ، مالكم منه واق واحذروا الخيل والسيوف الحدادا
ضلَّ من يدَّعِى لمن هو فرد فى علاه الأبناء والأندادا
فتنتهم أعماله ، وهى من قدرة الله ، وشر الضلال أن يتمادى
رُميتْ يثربٌ بوفدٍ جماد هل رأى العالمون وفدًا جمادا ؟
عدم العقل ، فهو يُمعن فى الجهل ويأبى فما يريد اتئادا
أنزل الله آية ، لو وعاها راح بعد اللجاج يلقى القيادا (٢)
لم يكن دون أن يبيد محيص ليته باهل النبىَّ فبادا
منعتهم آجالهم ، فتفادوا ما يودُّ الحريص أن يتفادى
وأتوا مذعنين ، يبغون صلحا يدفع الويل والخطوب الشدادا
سيد الرسل أمّلوه ففازوا إنما أمَّلوا الكريم الجوادا
اشتروا منه أنفسًا نَجِسات زادها البيع والشراء كسادا

---

(١) قالوا للنبى ﷺ :ما شأنك تذكر صاحبنا عيسى عليه السلام وتقول : إنه عبد الله ، فهل رأيت مثله أو أنبئت به ؟ وقال أحدهم : إنه ابن الله ، لأنه لا أب له ،وقال آخر : هو الله ؛ لأنه أحيا الموتى ،وأخبر عن الغيوب ، وأبرأ من الأدواء كلها وخلق من الطين طيرا ، قال : « **إنه عبد الله وكلمته ألقاها إلى مريم** » ، فغضبوا .

(٢) لما لجوا فى عنادهم أنزل الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧] وقوله : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ ﴾ [آل عمران:٥٩] الآية ، وقوله : ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾ [آل عمران:٦١] ، دعاهم إلى المباهلة فأبوا خوفا من الهلاك وصالحوه على الجزية .

حُلل لا تكون إن هي عُدَّت ... دون ألف ، ولا تجيء فرادا
يبعث القوم مثلها من لجين ... يعجب الناظرين والنقادا
سر حثيثا أبا عبيدة واملأ ... أرض نجران همة واجتهادا
أنت أنت الأمين عزَّ بك الصنـ ... ـع الذى يرفع الرجال وسادا
خلصتْ للنبى منك خلال ... أفعمت نفسه هوى ودادا

* * *

أخذوا العهد رحمة وسلاما ... بعد أن ضلَّ سعيهم أو كادا
يبلغ الحق مبتغاه وتزدا ... د قواه تماديًا واطّرادا
وأضلُّ الرجال من لا يُلبى ... داعى الله طائعًا إذ يُنادى

* * *

أيها المؤمنون توبوا إلى الله ... وكونوا لدينه أوتادا
أرغبتم إذا أقبل الوفد فى الدنيـ ... ـا ، وكنتم من قبله زهَّادا ؟
إن خيرًا من ذلكم جنّة الله ... فلا تعدلوا بتقواه زادا
ما للنفس من غبطة أو سرور ... بمتاع تخشى عليه النفادا

* * *

وَفد الأشعريّين

قدموا من اليمن مع جعفر بن أبى طالب ﷺ فى قدومه من الحبشة على النبى ﷺ فى خيبر ، ومعهم أبو موسى الأشعرى قال لما رآهم : « **أتاكم أهل اليمن ، أرق أفئدة وألين قلوبًا ، الإيمان يمان والحكمة يمانية يريد أقوام أن يضعوهم ويأبى الله إلا أن يرفعهم** » :

قدوم من أبى موسى الهمام ... ووفد الأشعريِّين الكرام

وعَودٌ من غريب الدار ناء ... رمى برحاله للبين رام

يفرُّ بدينه ، ويريد ربًّا ... أقام رسوله دين السلام

أبا موسى لك البشرى وأهلا ... بركبك فى حمى خير الأنام

لقيت من الأحبَّة كل سمح ... وفَّى العهد مأمون الذمام

ونلت بدارهم ما رمت منهم ... فهل لك بعد ذلك من مرام

إذا رقَّتْ قلوب القوم كانت ... بعافية من الداء العقام

تجول حقائق الأشياء فيها ... فمن غَلَق يفُضُّ ومن ختام

وتوقظها إذا الأكوان نامت ... فما تلهو بأحلام النيام

إلى الإيمان والحِكَم الغوالى ... سما نسب بكم عالى المقام

شهادة أصدق الشهداء طراً ... وأنطقهم بمأثور الكلام

أبا موسى نهضت إلى محلٍّ ... يشقُّ على ذوى الهمم العظام

وفزت بها حياة ، ما لنفس ... تجانبها سوى الموت الزؤام

نظام الدين والدنيا جميعًا ... وهل شىء يكون بلا نظام

* * *

وَفد ثقيف

كان فى رمضان سنة تسع بعد غزوة تبوك ،وكان من خبرهم أنه لما عاد النبى ﷺ من محاصرتهم تبعه عروة بن مسعود فأسلم ، وسأله أن يرجع ليدعو قومه إلى الإسلام ،فقال له : « **إنهم قاتلوك** » ، قال : أنا أحب إليهم من أبكارهم وأبصارهم ، وذهب إليهم فقتلوه بعد أن أسمعوه كثيراً من الأذى ، فسمعه أحدهم يتشهد وقت السحر عند الفجر على غرفة فى داره فرماه بسهم فمات ، وهو يقول : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها إلى ، فليس فى إلا ما فى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ ، قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ففعلوا ، وقال الرسول الكريم فى حقه : « **إن مثله فى قومه كمثل يس** » يريد المذكور فى سورة يس إنه قال لقومه اتبعوا المرسلين ، فقتلوه .

أقامت ثقيف بعد مقتل عروة أشهراً ثم استولى عليها الذعر ، فأجمعوا أن يوفدوا رجالا منهم إلى النبى ﷺ ، فجاؤوا وفيهم شرحبيل بن غيلان وعثمان بن أبى العاص ، وهو أصغرهم سنًا ،فأسلموا . وسألوه أن يؤمر عليهم رجلا فكان عثمان ، ورجعوا إلى قومهم ، وهم يكتمون إسلامهم كما أمرهم سيدهم كنانة ابن عبد ياليل ، وأخذوا يخوفونهم فأسلموا .

أقبلوا راشدين فالأمر جدٌّ	أىُّ نهج للحق لم يبد بعد ؟
أقبلوا راشدين ، ما لثقيف	وسواها مما قضى الله بدّ
يا ابن غيلان مرحبًا جئت فى الركـ	ـب وحادى الهدى يسوق ويحدو
أين من قومك الألى ركبوا الغىَّ	فلم يثنهم عن الإثم رشد ؟
قتلوا عروة الشهيد على أن	آثر الله ، فهو للشرك ضد
جاء إثر النبى يشهد أن الله	حق عالى الجلالة فرد
وأتى قومه يظن بهم خيـ	ـرا ، فمالوا عن السبيل وصدُّوا

هكذا أخبر النبى ولكن ... ليس للأمر حين يُقدر ردُّ
قال : دعهم لمالك الملك واعلم ... أنهم قاتلوك ، فالقوم لُدُّ
غره رأيه ، فلم يك حب ... غير حب الأذى ، ولم يك ودُّ
بورك الوفد إذ أتى الكوكب الدُّ ... رِّىُّ فى نوره يروح ويغدو
يتلقَّى السنا تبين به السبل ... وضاء بعد الخفاء وتبدو
ورد الدين صافيًا ما يضاهيه ... لمن يبتغى السلامة وِرْدُ
وقضى أمره ، فغادر منه ... حيلة أُحكِمتْ ، ورأى أسدُّ
راح يخفى إيمانه ، ويهدُّ القـ ... ـوم رعبًا ، وكل واه يُهدُّ
ليس للشرك قوة تَعصم النفـ ... ـس ، ولا فيه منعة تستمد
قال : يا قوم إنه يتلظى ... فى إباء ما ينقضى منه وقد
سلمنا خطة تشقُّ علينا ... وهو عال فى قومه مستبدُّ [1]
نهدم اللات صاغرين ونُلغى ... ما درجنا عليه ، فالعيش رغد
هاجهم جهلهم ، فقالوا : رويدًا ... ما لنا بالذى تقولون عهد
قيل : فالحرب لا هوادة فيها ... فاجمعوا أمركم إذن واستعدوا
هفا الذعر بالنفوس فلانوا ... بعد حين ، وللجهالة حدّ
أقبلوا يرغبون فى ملة الله ... فلم يغنهم إباء وزهد
عجبوا للألى رموهم بمكر ... هو أقوى من مكرهم وأشد
سألوهم أن يسلموا فأذاعوا ... ما أسرُّوا وطاح بالهزل جِدُّ
رضى الله عنهم ورعاهم ... هم جميعًا لملة الحق جند

---

(١) سألوا الرسول الكريم ﷺ أن يترك لهم الصلاة ، فقال : «لا خير فى دين لا صلاة فيه»، وفى لفظ «لا ركوع فيه » وأن يترك لهم ازنا والربا وشرب الخمر فأبى ذلك،وسألوه أن يترك لهم الطاغية . . اللات » وهى صنمهم لا يهدمها إلا بعد ثلاث سنين ، وكانوا يقولون لها الرتبة ، فأتى فسألوه أن يتركها سنة فأبى ثم سألوه أن يتركها شهرا واحدا فأبى،سألوا ذلك ليدخل الإسلام فى قومهم ، فلما عادوا إليهم أخبروهم بذلك ، وخوفوهم ، فأخذهم الرعب ثم أسلموا بعد أن قالوا لهم :استعدوا للحرب إن أبيتم .

وفد بنى عامر بن صعصعة

جاء وفيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس « أخو لبيد الشاعر » وجبار بن سلمى وكان عامر قال لأربد : إذا قدمنا على الرجل « النبى » ﷺ فإنى شاغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدموا جعل عامر يكلم الرسول الكريم ﷺ وينتظر أن يمضى أربد أمره وقد يبست يده على السيف فلم يستطع سله وقال عامر للنبى : مالى إن أسلمت ؟ قال : « **لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم** » . قال أتجعل لى الأمر بعدك ؟ قال : « **ليس ذلك لك ولا لقومك ، إنما الأمر لله يجعله حيث يشاء** » فقال عامر : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، قال : « **يمنعك الله عز وجل** » . ومكث أيامًا يقول : « **اللهم اكفنى عامر بن الطفيل بما شئت ، وابعث به داء يقتله** » فاستجاب الله له ، وأسلم جبار بن أبى سلمى رضى الله عنه فيمن أسلم :

بنى عامر ردوا عن الشر « عامراً » ... ولن يجد الباغى على البغى ناصرا
أصاب هوى من نفس « أربد » فابتغى ... من الأمر ما يُعيى الكمىّ المقامرا
وجاء بمكر لا محالة خائب ... وأخيب أهل السوء من كان ماكرا
أناشدكم : هل صاحبَ الوفدُ منهما ... « بنى عامر » إلا أثيمًا وفاجرا ؟
هما أزمعا أن يأخذا الليث خادراً ... على غرة والجهل يعمى البصائرا
دنا الأحمق المخبول ، منه وهذه ... يد السوء منه تحمل السيف باترا
يشير إليه : ابن الطفيل ، أن اقتحم ... وماذا يردُّ السيف لو كان قادرا ؟
أبى الله إلا أن يُعز « رسوله » ... ويرجع من يبغى به السوء صاغرا
أطاع هواه جاهلاً ، وخلا به ... يخادعه كيما يرى الدم مائرا
أتسأله يا ابن الطفيل خلافة ... وتطمع أن تدعى الشريك المشاطرا ؟
لك الويل ما هذا الذى أنت قائل ؟ ... أكنت امرءًا من نفسه راح ساخرا ؟

« جُبَار » استقم واشهد فربُّك واحد | وخذ حظك الأوفى من الخير شاكرا
وبشر رعاك الله صحبك أنهم | أصابوه غنما من هدى الله وافرا
ودع « عامراً » يهوى به الداء خاسئًا | و « أربد » يلقى الحتف خزيان خاسرا [(١)]
رماه الذى يرمى القوى فيهدها | فهدَّ قواه ، إنه كان كافرا [(٢)]
بصاعقة مما رمى الله إذ رمى | « ثمودًا » و « عادًا » والقرون الغوابرا
رماه بها ناريَّة لو تنزلت | على جبل لاندكَّ فى الأرض غائرا
أبى « عامر » من شيمة جاهلية | لقاء الردى عند التى جاء زائرا
يقول : أطاعونا وموتًا بمنزل | يضيق بأمثالى ؟ إذن لست « عامرا »
جوادى جوادى ليس غير متنه | ألاقى عليه عادىَ الموت كابرا
وجاؤوا به يزجيه « عزريل » فاستوى على سرجه وانساب حران ثائرا
يجول عليه يحمل الرمح ما يرى | سوى حتفه المقدور قرنًا مغاورا
فما هو إلا أن هوى غير معقب | سوى الخزى من ذكر لمن كان ذاكرا
مضى الأمر لم يسمع عكاظ نداءه | ولم تشهد الأقوام تلك المفاخرا [(٣)]
إذا المرء لم يؤمن ولم يخش ربه | فليس إلى شىء سوى الخسر صائرا
الحتْف عليه دعوة من محمد | رمته بداء يترك الطب حائرا
رسول الهدى والخير من يرْعَ حقه | فليس يرى شيئًا على الدهر ضائرا
لقد كان فيما قال أربد زاجر | عن الشر لو يخشى مرؤ السوء زاجرا[(٤)]
رأى آية تغتال همة نفسه | وتذهل منه اللب لو كان ناظرا
كلاءة رب ، كلُّ أصيد غالب | يبيد ، ويبقى غالب البأس قاهرا

---

(١) أصيب عامر بالطاعون وهو راجع إلى بلاده ، فلجأ إلى بيت امرأة من سلول ، وجعل يقول لأصحابه : يا بنى عامر ، أغدة كغدة البعير ،وموتا فى بيت امرأة ، ائتونى بفرس ثم ركبه وأخذ رمحه ،وصار يجول عليه حتى سقط ميتا ،وخرج أربد من داره بعد رجوعة ومعه بعير له ، فأرسل الله عليهما صاعقة فأحرقتهما .

(٢) الضمير راجع إلى أربد .

(٣) كان لعامر مناد بسوق عكاظ ينادى :هل من راجل فنحمله ، أو جائع فنطعمه ، أو خائف فنؤمنه .

(٤) قال عامر لأربد بعد خروجهما من عند النبى ﷺ : ويلك يا أربد ، أين ما كنت أمرتك به ! قال :والله ما هممت بالذى أمرتنى به إلا دخلت بينى وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفأضربك بالسيف .

ضمام بن ثعلبة رضي الله عنه

بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافدًا إلى رسول الله [١] ﷺ فسأله عن الإسلام فأكثر ، وهداه الله فأسلم ، ثم رجع إلى قومه فقال لهم : إن الله تعالى قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتابًا استنقذكم به مما كنتم فيه ، وقيل : إنه أول ما تكلم سب اللات والعزى ، فقال له قومه : مه يا ضمام ، اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، فقال لهم : ويلكم ، والله إنهما لا يضران ولا ينفعان، ثم وصل ذلك بما تقدم من القول ، ونطق الشهادتين ، فأسلموا جميعًا .

أنخِ البعير فقد بلغت المسجدا	واخشع ضمام ، فأنت فى حرم الهدى[٢]
أضللت حين سألت : أين محمد ؟	أفما رأيت الكوكب المتوقدا ؟
إن كنت تعرف مطلع النور الذى	صدع الظلام ، فقد عرفت محمدا
هو ذاك فاصدع يا ضمام بنوره	ليل العمى ، وحذار أن تترددا
اسأله ، واسمع ما يقول ، ووالِه	واتبع شريعته إمامًا مرشدا
اجمع قواك فقد بلغت المنتهى	وانقع صداك ، فقد أصبت الموردا

(١) قال محمد بن عمر : وكانت وفاته سنة خمس .

(٢) جاء على جمل فأناخه على باب المسجد ثم عقله، وكان النبى ﷺ مع بعض أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب أو أيكم محمد ؟ ، قالوا : هذا ، الأبيض المشرب بحمرة المتكئ على مرفقه ، فدنا منه وقال : إنى سائلك فمشدد عليك ، وجعل يسأله قال : أنشُدك الله إلهك وإله من كان قبلك. وإله من هو كائن بعدك الله بعثك إلينا رسولا ؟ قال اللهم نعم . قال . . . الله يأمرك أن نعبده وحده ولا نشرك به شيئا وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم . قال. . آلله أمرك أن تأمرنا أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال: اللهم نعم . قال ابن عباس : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام ينشده فى كل فريضة كما ينشده فى التى قبلها حتى إذا فرغ أعلن إسلامه . ثم إنصرف قال النبى ـ ﷺ ـ حين ولّى : إن يصدق ذو العقيقين ـ الضفيرتان من الشعر ـ يدخل الجنة [سيرة ابن هشام : ٤/٥٧٣ ، ابن الأثير فى أسد الغابة : ٣/٥٧ ، الطبقات: ٥/١٨٣] .

قل ما تشاء ، فلن يضيق بسائل ... يرجو الصواب وإن ألحّ وشددا
كل الذى قال النبى وقلته ... حق ، وحسبك مغنمًا أن تشهدا
ولقد سعدت بها شهادة مؤمن ... ما كنت لو كبرتْ عليك لتسعدا
حمد النبى وصحبه لك شيمة ... ما كنت تطمع قبلها أن تُحمدا
ولربما ازدان الفتى بسجيَّة ... كانت له شرفًا أشم وسؤددا

* * *

رضِىَ الهدى دينًا وعاد بنعمة ... يدعو إلى الله النفوس الشُرَّدا
وضح السبيل لقومه فتدفقوا ... زمرًا يريدون النجاة من الردى
خلصوا على يده فيالك من يد ... فتحت لدين الله بابًا موصدا
أبشر ضمام فأنت جاوزت المدى ... وبلغت فى الحسنى المكان الأبعدا

* * *

وفد بنى عبد القيس من بلاد هجر بالبحرين

جاؤوا إلى النبى ﷺ قبل فتح مكة ، وفيهم الجارود ، وكان نصرانيًا ، وقال له : إن كنت نبيًا فأخبرنا بما أضمرنا ، فأخبرهم ، فأسلموا ، كان رئيسهم عبد الله بن عوف الأشج ، وكان أصغرهم سنًا ، وفيه دمامة ، ولحظ هذا المعنى فى نفس النبى ﷺ ، فقال : يا رسول الله ، إنه لا يستقى فى مسوك - جلود - الرجال وإنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه .

قال لهم صلوات الله وسلامه عليه : « **مرحبًا بالقوم الذين جاؤوا غير خزايا ولا ندامى** » ، ثم أمرهم بإقامة الدين ، ونهاهم عن الخمر ، فألحوا ليأذن لهم فأبى ، وذكر لهم صفة بلادهم فتعجبوا ، وكان فيهم شيخ مجنون فمسح على ظهره ودعا له فبرئ ، وكسى شبابًا وجمالا .

مرحبًا بالوفد وافى من هجر ... يبتغى الدين ، ويأبى من كفر
لا خزايا ، لا ندامى ، إنهم ... زمرة ما مثلها بين الزمر
ظفروا إذ قبَّلوا خير يد ... وخيار الناس أولى بالظفر (١)
نزل الحق على شاعرهم ... ساطع الحجة وضّاح الأثر (٢)
صدق الجارود إن الله قد ... أرسل القوم إلى هادى البشر
جاء فى إنجيل عيسى ذكره ... فأتى ينظر مصداق الخبر
لم يزل يسأله حتى بدا ... من يقين الأمر ما كان استتر
زادهم من علمه ما زادهم ... ولديه من مزيد مُدَّخر

---

(١) تبادر القوم يقبلون يد الرسول الكريم ﷺ ورجله .

(٢) الجارود وكان قد قرأ الكتب فعرف فيها صفة النبى ﷺ فقال فيه أبياتا فيها :

يا نبى الهدى أتاك رجال ... قطعت فدفدا وآلا فآلا
تتقى وقع شر يوم عبوس ... أوجل القلب ذكره ثم هالا

كشف الله له عما انطوى ... فى زوايا الغيب عنه فظهر

هذه الأرض وهذا نخلها ... تترآى فيه أنواع الثمر

آثروا الإسلام دينًا وانقضى ... ما أضلَّ القوم من دين نُكر

أُمِروا بالخير طرًا ما لهم ... منه بد ، ونُهوا عن كل شر

لهجوا بالخمر ، ثم ازدجروا ... وعن الخمر غنى للمزدجر

وفد عبد القيس لا تعدِلْ بكم ... ظلمة الرأى عن النهج الأغر

ليس فى الخمر شفاء لامرئ ... من سقام أو وقاء من ضرر

احذروها إنها المكر الذى ... مكر الشيطان فى ماضى العصر

هى للأقوام شرٌّ وأذى ... وهى للبغضاء نار تستعر

ليس من برَّ فأرضى ربه ... مثل من أرضى هواه وفجر

حسبكم ما كان منها وكفى ... ما رأيتم أو سمعتم من عبر

فى رسول الله إذ نبأكم ... ببلايا الخمر آيات كُبَر (١)

انتهُوا عن كل ما عنه نهى ... وافعلوا من كل أمر ما أمر

* * *

اسألوا هذا الفتى عن شيخكم ... واسألونى عن أعاجيب القدر (٢)

صورة زالت وأخرى برزت ... من تصاوير المليك المقتدر

اسألوا الحاضر عمَّنْ غاب ، أو ... فاسألوا الغائب عمن قد حضر

ذهب المجنون مهدود القوى ... وأتى العاقل مشدود المرر (٣)

قدرة الله تجلَّتْ فى يد ... لعظيم الجاه ميمون الأثر

---

(١) نهاهم عن شرب الخمر ، فقال له الأشج : يا رسول الله إن أرضنا ثقيلة وخمة ، وإنا إذا لم نشرب هذه الأشربة عظمت بطوننا ، فرخص لنا فأبى ،وقال : « **إذا ثمل أحدكم من شرابه قام إلى ابن عمه فضرب ساقه بالسيف** » ، وكان فى القوم رجل وقع له ذلك ، وهو جهم بن قثم فعجبوا .

(٢) هو الشيخ نفسه بعد أن صلح أمره ببركة الرسول الكريم صلوات الله وسلامه عليه .

(٣) المرر : جمع مرة وهى قوة الخلق ـ بفتح الخاء ـ وشدته .

وَفد بنى حَنيفة

جاؤوا ومعهم مسيلمة الكذاب يسترونه بالثياب ، سأل النبى ﷺ أن يشركه فى الأمر « النبوة » وكان فى يده عسيب فقال : لو سألتنى هذا ما أعطيتكه . ولما عاد إلى اليمامة ادعى أنه أشركه معه ، وصار يهذى بما يضاهى به القرآن الكريم كقوله : لقد أنعم الله على الحبلى فأخرج منها نسخة تسعى ، من بين شغاف وحشا ، وقوله : والطاحنات طحنًا والعاجنات عجنًا ،والخابزات خبزًا ، والشاردات ثردًا، اللاقمات لقمًا ، ووضع عنهم الصلاة ، وأحل لهم الخمر والزنا،وعمل أعمالا للبركة فكانت شؤمًا ، وكتب إلى النبى ﷺ يقول له: أما بعد فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأمر ولقريش نصف الأمر، وليس قريش قومًا يعدلون ، فكتب إليه ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلمة الكذاب سلام على من اتبع الهدى ،أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين ، وكان ذلك فى آخر سنة عشر[1] .

بنى حنيفة ما أشقى مسيلمةً ... وما أضلَّ الألى أمْسَوا له تبعا
جئتم به فى ثياب ملؤها دنس ... تكاد تلفظه من هول ما صنعا
ترمى به الأرض شيطانًا وتقذفه ... رجسا مغطّى وشرًا جاء مبتدعا
يا ويله إذ تريه النجمَ فى يده ... نفس مضلّلة هاجت له طمعا
رام النبوة ، شطرٌ للذى اجتمعت ... فيه ، وشطر له ، يا سوء ما اخترعا
قال النبى له لو جئت تسألنى ... هذا العسيب الذى عاينت لامتنعا
أنا النبى ، وما أمرى بمشترك ... فاعص الهوى وارتدع إن كنت مرتدعا
أضلَّه غيهب للجهل مرتكم ... أحاط بالقوم حينًا ثمَّت انقشعا
خفُّوا إلى الحق يرتادون منبته ... وليس كالحق مرتادًا ومنتجعا

---

(١) عن نعيم بن مسعود عن أبيه قال : سمعت رسول الله ـ ﷺ ـ حين جاءه رسولا مسيلمة الكذاب بكتابة يقول لهما : « وأنتما تقولان بمثل ما يقول ؟ قالا : نعم . فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما .

وجــاء فى فــتـنة عــمـيــاء زيَّـنهــا ... لــه الغــرور وســوء لــرأى فـانـخـدعـا

إن الفــســاد جـمـيـعًـا والضــلال معًـا ... إلى الـيـمـامـة فى أجـلاده رجـعـا [1]

تـلقـفَ الـناسَ يـغـويـهم ويـكـذبهـم ... فـهـل رأوا مـثـله مـن كـاذب بـرعـا ؟

يـقــول : إن رســول الله أشــركــه ... فى الأمـر يحمـل شطرًا منه فـاضطـلعا

وراح يـدعــو إلـى ديـن يُـزيِّـنــه ... أشـقى الدعـاة جـمـيـعًـا من إلـيه دعـا

ألغـى الصـلاة وأعطى الـناس بـغـيتـهم ... مـن الزنـا ومن الـسـمِّ الذعــاف مـعـا

ديـن الـفـجــور ومـكروه الأمــور ألا ... لا بـارك الله فى الـديـن الذى شـرعـا

لـو راح صـاحـبـه يـرمى بـه جـبـلا ... يعـلو الجـبـال من الأخـلاق لانصـدعـا

مــا الـطـاحـنـات وتـاءات يـرددهـا ؟ ... لا كـان مـن فـاجـر لا يعْـرف الـورعـا

صــبــرًا حـنـيــفــة إن الله قــاتـلـه ... ولا مــردّ لأمــر الله إن وقــعــا [2]

* * *

(١) أجلاد الإنسان وتجاليده جماعة شخصه .

(٢) عن أبى هريرة ، قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « بينا أنا نائم إذ أتيت بخزائن الأرض فوضع فى يدى سوار من ذهب . فكبرا على وأهمانى . فأوحى إلى أن أنفخهما . فنفختهما فذهبا ، فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما ، صاحب صنعاء ، وصاحب اليمامة . [البخارى ـ المغازى باب وقد بنى حنيفة : ٥/٢١٥ ، ومسلم ـ كتاب الرؤيا ؛ ح : ٢٢٧٣] فقه السيرة صـ ٤٢٤ .

عدىّ بن حاتم

كان عدى بن حاتم شريفًا فى قومه يأخذ المرباع ـ ربع الغنائم ـ على عادة سادات العرب ، فلما سمع بقدوم جيش المسلمين إلى بلاده لحق بالشام ليبقى على دين النصرانية مع أهله وترك أخته سفانة ومعناها الدرة ، فلم يأخذها معه . وجىء بها إلى النبى ﷺ ، سبية مع السرية التى أرسلها لهدم « الفلس » صنم طى والإغارة عليها فقامت إليه تذكر أباها ، وما كان له من أعمال مشكورة ، وتسأله أن يمن عليها ففعل ، فأسلمت وكساها ثم حملها وأعطاها مالا ، فذهبت إلى أخيها، وأشارت عليه بالدخول فى دين الله ، فجاء وأسلم .

إلى الله فارغب يا عدىّ بن حاتم ... ودع دين من يبغى العمى غير نادم

إلى الله فارغب واتبع دينه الذى ... يدين به المبعوث من آل هاشم

خرجت حذار القتال من آل طىّء ... وما أنت من بلوى القتيل بسالم

كفى النفس قتلا أن تضلّ حياتها ... وتذهب حيرى فى مدبٍّ الأراقم

أما ضقت ذرعًا إذ علمت من العمى ... مكانك ، أم أنت امرؤ غير عالم

عدىّ استمع أنباء أختك واستعن ... برأى يُجَلّى ظلمة الشك حازم

صغا قلبه فاختارها خطةً هدى ... تجنَّب من يختارها كل لائم (١)

وسارت مطاياه تؤم محمدًا ... وِضاء الحوايا والخطى والمناسم (٢)

فأنزله فى داره وأحلّه ... محلاً تمنّى مثله كل قادم (٣)

---

(١) صغا قلبه مال ، والمعنى أنه مال إلى الإسلام .

(٢) الحوايا جمع حوية وهوكساء يحشى بهشيم النبات ثم يوضع حول سنام البعير ، ومناسم الإبل أخفافها .

(٣) انطلق النبى ﷺ بعدى إلى بيته ، ثم ناوله بيده الشريفة وسادة من أدم محشوة ليفا فأجلسه عليها ، وجلس هو على الأرض ، وقال له : «أسلم تسلم» ثلاث مرت ، قال عدى : إنى على دين فقال : «**أنا أعلم بدينك منك** » ثم ذكر له المرباع وأنه محرم فى =

وقال له : إنى لأعلم بالذى تدين به ، فاشهد تكن غير آثم
ألم تأخذ المرباع ، وهو مُحرَّم كدأب الألى سنوه من كل ظالم
فقال : بلى إنى إلى الله تائب وإنى رأيت الحق ضربة لازم
لأنت رسول الله ما فيك مِرْيَة لمن يمترى والحق بادى المعالم
تداركتُ بالإسلام نفسى فأصبحتْ بعافية من دائها المتفاقم
هو العصمة الكبرى ، إذا لم تفز بها نفوس البرايا ، خانها كل عاصم

* * *

تأمَّل عديٌّ ما يقول محمد ونبِّهْ من القوم العدى كل نائم
سيبسط دين الله فى الأرض ظله ويحكم من ساداتها كل حاكم
وسوف يفيض المال فى كل موطن وأرض ، فما من آخذ أو مُزاحم
وتخرج ذات الخدر ما إن تروعها إساءة جانٍ ، أو مضرَّة جارم
فتُقبِلُ من بصرى إلى البيت ما لها على الضعف وال من حماة المحارم
هو الله ، فاعرف يا عديُّ سبيله ودعْ خطرات الوهم من كل واهم

* * *

= دين النصرانية ، وقال له : « لعلك يا عدى إنما يمنعك من الدخول فى هذا الدين ما ترى ، تقول إنما اتبعه ضعفة الناس ومن لا قوة له ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عددهم ، أتعرف الحيرة ؟ » قال عدى : لم أرها ، وإنما سمعت بها ، قال : « فوالله » ، وفى رواية : « والذى نفسى بيده ليتمن هذا الأمر حتى تخرج الظعينة من الحيرة تطوف بالبيت من غير جوار أحد » إلى آخر ما قل صلوات الله وسلامه عليه .

عُروة بن مسيك المرادى
وَاسْمُه فروَة فى بَعض الرّوايات

ترك ملوك كندة وراء ظهره ، ووفد على النبى ﷺ ، وكان بين قومه مراد وبين همدان قبيل الإسلام وقعة أصابت فيها الثانية من الأولى ما أرادت فى يوم يقال له الروم ، فقال له النبى ﷺ : « **هل ساءك ما أصاب قومك يوم الروم ؟** » قال : يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه ما أصاب قومى يوم الروم ، ولا يسوءه؟ فقال له : « **أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً** » ، وقد استعمله على مراد وزبيد ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ .

تترك الملوك ملوك كندا وانتحى ... من يترك التيجان واهية العرى
حسيب عروة ، إنه لم لك مقْدم ... يمن ، وحسبك ما تشاهد أو ترى
عطف النبِيُّ عليك وانبسطت له ... نفس تريك مكانه والمظهرا
ما كان يوم الروم من أوطاره ... بل هزَّ نفسك واعظًا ومذكرا
ما أورث الإسلامُ قومَك ، زادهم ... خيرًا ، وكان لهم أجلَّ وأكبرا
الجاهلية قد عفَتْ آثارها ... فيهم ، وأصبح عهدها قد أدبرا
كانت لهم موتًا ، فتلك حياتهم ... فى دولة الإسلام عالية الذرى
هذا رفيقك ما لقومك غيره ... نعم الرفيق إذا اللبيب تخيّرا
إنى جعلت لخالد صدقاتهم ... تُجبى إلىَّ ، فما أحق وأجدرا
ولقد أقمتك عاملا ، فكن امرءا ... للخير فى كل الأمور ميسَّرا
سيرا على بركات ربكما ولا ... تنيا إذا أحدٌ ونى أو قصرا

* * *

وفد بنى زبيد

جاؤوا ومعهم عمرو بن معد يكرب الزبيدى ، وقد كان قال لابن أخيه قيس المرادى : إنك سيد قومك ، فانطلق بنا إلى محمد لنبلو أمره ، فإن كان نبيا كما يقول فلن يخفى عليك ، فأبى عليه قيس وسفه رأيه ، وجاء عمرو فأسلم ، فلما علم قيس قال : خالفنى وترك أمرى ورأيى ، وتوعد عمرا فقال عمرو من أبيات:

فمن ذا عاذرى من ذى سفاه ... أريد بنفسه شد المزاد
يريد حياته ، ويريد قتلى ... عذيرك من خليلك من مراد

وفد الفارس الذى تفرق الأبطـ ... ال منه وتفزع الفرسانُ
جاء عمرو وأىُّ قوم كعمرو ... حين تدعى القروم والشجعان
ماله فى الرجال كفؤ إذا ما ... حمى الضرب واستحرَّ الطعان
راع صمصامه وشاع له فى الأر ... ض ذكر مجلجل رنان
قال : يا قيس أنت سيد قوم ... ليس فيهم لغيرك اليوم شان
أيُّما خطة أردت فلا تعـ ... ـدل عنها . وحيثما كنت كانوا
سرْ معى تنظر الذى راح ينهى ... أن تقام الأصنام والأوثان
إنه إن يكن نبيًّا فلن يخـ ... ـفى علينا الدليل والبرهان
ومن الحق أن يكون مُطاعا ... فعلينا الولاء والإيمان
قال : يا عمرو هل أصابك مسٌّ ... فتمادَى الهراء والهذيان ؟
ما أنا بالذى يلين عنانى ... لابن أنثى إن لان منك العنان
إن تكن مُذعنا لمن فتن النا ... س فما بى لمثله إذعان
ذهب الفارس الزبيدىُّ فردا ... وتقضى النداء والبهتان
يطلب الساحة التى يُطلب الخيـ ... ـر بأرجائها ، ويُرجَى الأمان
مهبط الوحى ، يرتع الروح فيها ... كل حين ويسطع الفرقان
رضِىَ البرَّ والمروءة دينا ... فصفت نفسه وطاب الجنان

زال عنه الأذى ، فما خطب قيس ؟ إن قيساً لثائر حرّان
قال : ياويحه ، آمره أمـ ـرى ، فمنه الإباء والعصيان ؟
لأذيقنَّه الجزاء أليما فيرى موضعى ، وكيف يُدان

* * *

هكذا تصنع الجهالة بالنا س ، فتعمَى العقول والأذهان
ومن الناس مبصرون يرون الحـ ـق ومنهمُ عميان

* * *

وَفد كندة

كانوا ثمانين أو ستين رجلا ، فيهم الأشعث بن قيس ، جاؤوا وعليهم جبب الحرير من صنع اليمن ، وقد سرحوا شعورهم فلما دخلوا على النبى ﷺ حيوه تحية الجاهلية « أبيت اللعن » فقال : « **لست بملك ، وإنما أنا محمد بن عبد الله** » ، قالوا: لا نخاطبك باسمك ، قال :« **أنا أبو القاسم** » ، فقالوا : يا أبا القاسم إنا خبأنا لك شيئا فما هو ؟ وكانوا خبأوا عين جرادة فى ظرف سمن ليختبروه ، فقال: «**سبحان الله إنما يفعل ذلك بالكاهن** » ، قالوا : كيف نعلم أنك رسول الله ، فأخذ كفا من حصباء وقال : « **هذا يشهد أنى رسول الله** » فسبح الحصى فى يده، فأسلموا وتلا عليهم ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ [الصافات:١] حتى بلغ قوله تعالى: ﴿رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴾ [الصافات:٥] فسكت ودموعه تجرى، فقالوا : أمن مخافة من أرسلك تبكى ؟ قال : «**إن خشيتى منه أبكتنى، بعثنى على صراط مستقيم مثل حد السيف، إن زغت عنه هلكت**» ، ثم تلا : ﴿ولَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ الآية [الإسراء:٨٦] ، ثم نهاهم عن لبس الحرير ، فشقوه من أعناقهم وألقوه .

ألا إن هذا وفد كندة قد أتى ... عليه من النعماء أردية الحِبَرْ
رواء من العيش الرخىِّ وبهجة ... من الكحل فى الأجفان أو مرسل الشعَرْ
دنا ثمَّ حيَّا سيد الرسل بالتى ... تحيَّا بها أهل الصوالج والسُرُرْ
يقول : أبيت اللعن قول الألى خلوا ... من المعشر الضلاَّل فى سالف العصُرْ
أباها رسول الله منهم تحية ... رآها من اللغو المذَمَّم والهذر
وقال : دعوها عادة جاهلية ... فلا أنا ذو ملك ، ولا بىَ من أشَر
خذوا هذه عنّى فإنى محمد ... وإنى ابن عبد الله من ذلك النفر
فقالوا له : ندعوك باسمك ؟؟ إنه ... لعمرك أمر ما يلائمنا عَسِر
فماذا به تُكنَى ؟ فقال لهم : أنا ... أبو القاسم ادعونى بها كنية تَسُر
دعَوْه ، فقالوا يا أبا القاسم استجب ... أأنت رسول الله يهدى بك البشر ؟

فإن يك حقا ما تقول ، فما الذى ... خبأنا من الأشياء ، نبلو ونختبر ؟
فقال : رويدا ، إننى لست كاهنا ... ومهلا ، فهذا شاهد صادق الخبر
ومدَّ يمين الخير يملؤها حصى ... فلم يك فيها بالعيىِّ ولا الحصِر
قضوا عجبًا ممَّا يسبِّح ربه ... وقالوا : شهدنا ، ما بك الآن من نكر
هداهم إلى دين الحياة وزادهم ... هدى من كتاب محكم الآى والسور
تلا ما تلا ، فالقلب لله خاشع ... من البر والإيمان ، والدمع منهمر
فقالوا : أمن خوف الذى أنت مرسَل ... إلى الناس منه دمع عينيك يبتدر ؟
فقال : أجل ، إنى أخاف عذابه ... وأيّة نفس تأمن الله إن مكر
بُعثتُ بدين إن أمِلْ عن صراطه ... فمالى من واق يقينى ولا وزر
صراط كحدّ السيف لا يبرح الفتى ... وإن جدّ كل الجد منه على خطر
فلا تغترِرْ نفسى بشاهد حالها ... فلله علم الغيب ، والغيب منتظر
من الخير فاستكثر لنفسك واستزد ... وما تستطعْ من صالح الأمر فادّخِر
لكلِّ امرئ من شأنه ما أعده ... كذلك يجزى الله من برّ أو فجر
نهى القوم عن لبس الحرير نبيُّهم ... ولا شىء لا ما نهى عنه أو أمر
أطاعوه لا يبغون غير سبيله ... إذا اتبعوه - من سبيل ولا أثر
وإن الذى ينهى النفوس عن الهوى ... هو الدين لا دين المخيلة والبطر
أدأب الألى فى الحرب يصلون نارها ... كدأب اللواتى فى المقاصير والسُّتُر ؟
إذا ترك القوم الجهاد رأيتهم ... وإن أشبهوا الأحياء موتى من الخوَر
وإن لم تكن أظفارهم جُنَّةً لهم ... تقلَّب فى أحشائهم كل ذى ظُفُر

* * *

وفد أزدشَنُوءَة

قدم على الرسول الكريم ﷺ جمع من الأزد ، وفيهم صرد بن عبد الله الأزدى وكان أفضلهم ، فجعله أميرا على من أسلم من قومه ، وأمره أن يجاهد بهم من يليه من المشركين من قبائل اليمن ، فخرج حتى أتى مدينة جرش من مدائنهم حاصرها بمن معه من المسلمين قريبا من شهر ، ثم رجعوا عنها ، فظن أهلها أنهم ارتدوا منهزمين ، فانطلقوا وراءهم ، فأدركوهم عند جبل يقال له : شكر فقتل المسلمون منهم خلقا كثيرا .

هنا يا سَراة الأزد ، حطُّوا رحالكم ... فما أطيب المثوى ، وما أشرف الحمى

هنا البرُّ والتقوى ، هنا الخير كله ... لمن كان يرجو أن يفوز ويغنما

هنا المنزل الميمون ، ما من مُوَفق ... يريد سواه منزلا أو مخيّما

أجِلْ يا ابن عبد الله عينيك واقتبس ... من النور ما يجلو الغياهب عنهما

تبيَّنْ هداك الله ، إنك ناظر ... أجلّ بنى الدنيا جميعًا وأعظما

هداكم به ربٌّ تدارك خلقه ... فجاد به نورا مبينا وأنعما

وولاّك أمر القوم تمضى مجاهدا ... بهم من يليهم من رجال ذوى عمى

شكتْ جرش طول الحصار وما اشتكت ... لكم همم يرمى بها الله من رمى

رجعتم تريدون المكيدة ، فاعترى ... أذى الوهم من عمَّارها من توهّما

رأى شكر من خطبهم وبلائكم ... مشاهد هزَّته ، فحيَّا وسلما

أكنتم كما ظنوا تخافون بأسهم ؟ ... ألم يكفهم أن يُضحكوا السيف والدما ؟

هُم البدن بدن الله ضلّت فما لها ... سوى النحر تلقاء قضاء محتَّما [(١)]

(١) بعث أهل جرش رجلين إلى النبى ﷺ يتحسسان أخباره ، فسألهما بأى بلاد الله شكر؟ فقالا : إن ببلادنا جبلا يقال له كشر ، قال : « **ليس بكشر وإنما هو شكر** » ، قالا : فما شأنه ؟ قال : « **إن بدن الله لتنحر عنده الآن** » وأخبرهما الخبر ، فرجعا إلى قومهما، فوجداهم ، قد أصيبوا فى اليوم والساعة اللذين تلقيا فيها الخبر ، وذكرالهم ذلك ، فجاؤوا فأسلموا .

كــذلــك قـــال الــصـــادق الـبَــرُّ إنــه ... ليُـلقى الــذى يُلقــى من القــول ملــهمــا
أكــان حـــديـثـا لــلـرسـولـين ســاقــه ... لقــومهــمـا ، أم كان جـيشـا عرمـرما ؟
همــا نبّـآهم ، فــارعووا عــن ضلالــهم ... وقــالــوا رســول جــاء بالــديــن قــيِّـمــا
وأصـــــبـح نـــور الله مــلء ديـــارهــم ... يضــىء لهم مــا كــان من قــبل مـظلمــا

* * *

رسول ملوك حمير وحامل كتابهم

جاء رسول ملوك حمير وحامل كتابهم إلى النبى ﷺ بعد غزوة تبوك ، وفى الكتاب إخبار بإسلام الحارث بن عبد كلال والنعمان ومعافر وهمدان قبيلة وأنهم قتلوا المشركين ، فكتب إليهم يوصيهم بالصلاة والزكاة وجمع الكلمة على الحق ، وأنه قد أرسل إلى زرعة ذى يزن يوصيه خيرا برسله ، معاذ بن جبل وعبد الله بن زيد ومالك بن عبادة ، وعقبة بن نمر ومالك بن مرارة وأصحابهم ، وأنه قد جعل أمرهم إلى معاذ فلا يرجعن الأراضيا .

جاء الرسول كتابه بيمينه ... واليمن فى فمه وفوق جبينه

وافى إمام المرسلين مبشّرا ... بالمؤمنين من الملوك بدينه

بعثوا إليهم رسولهم وكتابهم ... أن ليس مُتَّبَع لهم من دونه

قالوا اعتصمنا باليقين فزادنا ... دين الهدى ، والمرء عند يقينه

ولقد قتلنا المشركين نريده ... فتحا يشجُّ الشرك فى عرنينه

أقيال حمير لان جانب عزهم ... لمسلَّط لين الظبى من لينه

سنَّ السبيل بسيفه ولسنه ... فتهافت الأقوام فى مسنونه

لا شىء كالحق المسلّح للفتى ... يشفيه من كَلب الهوى وجنونه

الليث فى محرابه وكتابه ... والليث فى أشباله وعرينه

رجع الرسول على هدى برسالة ... فيها الهدى يمحو الظلام لحينه

فيها قوى الإسلام محكمة العرى ... لمن ابتغى الخيرات فى تمكينه

فيها شعائره ومظهر مجده ... ونظام دولته وأُسُّ شؤونه

أخذ الملوك بواضح من هديه ... متبلِّج لم يأل فى تبيينه

ورمى إليهم بالوصيَّة سمحة ... يقضى الأمين بها زمام أمينه

إن أكرموا رسلى الذين ترونهم ... يرجون فضل الله عند ديونه

أوصيتُ زرعة أن يكون لهم يدا ... كيد القرين يشدُّ أزر قرينه

ولـقـد جـعـلـت إلى مـعـاذٍ أمـرهـم　　فـجـعـلـتـه لـزعـيـمـه وضـمـيـنـه

* * *

لا يـرجـعـنَّ إلـىَّ إلا راضـيـا　　والله عـون نـصـيـره ومـعـيـنـه

يـاحـارث اشـكـر فـضـل ربـك إنـه　　أعـطـاك حظًـا زاد فـى تحـسـيـنـه [1]

أوَ لـستَ أول مـسـلـم مـن حـمـيـر　　وردَ الهـدى ، ومضى بـصفـو مَعـينه ؟

وأقـام لـلـشـرك المـذمَّـم مـأتمـا　　يـسـتـعـذب الإسـلام رجـع أنـيـنـه ؟

أبـشـر بخـيـر غـيـر مـقـطـوع الجنـى　　مـن ربـك الأعـلـى ، ولا ممـنـونـه

* * *

(١) كان الحارث أول من أسلم وقاتل المشركين من حميـر فأثنى عليه النبى ﷺ فى كتابه وقال له: « أبشر بخير » .

رسول فروة بن عمرو الجذامى

وفد رسول فروة على النبى ﷺ يخبره بإسلامه ، وحمل إليه هديته ، وهى بغلة بيضاء يقال لها : فضة ، وحمار يقال له : يعفور ، وفرس يقال لها : الظرب ، وثياب معها قباء مرصع بالذهب . وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، فلما أسلم أخذوه وحبسوه ، ثم ضربوا عنقه وصلبوه بعد أن قال له الملك : ارجع عن دين محمد ، ونحن نعيدك إلى ملكك ، قال : لا أفارق دينه فإنك تعلم أن عيسى عليه السلام بشر به ، ولكنك تضن بملكك .

هذا السبيل ، فأين يذهب من أبى ؟ ... أوَ ليس نور الله قد كشف الدجى ؟
ليس الذى ركب الغواية فالتوى ... كمن استقام ، ولا الضلالة كالهدى
أحسنت فروة إن دين محمد ... لهو الذى يشفى القلوب من العمى
هذا رسولك جاءه بهدية ... فيها لنفسك كل ما تهب المنى
أنت السعيد بها ، ولو أتبعتها ... كل الذى لك لم تزدْ إلاّ غنى
ماذا يغيظ الروم من مستبصر ... صرف العنان عن الغواية وارعوى ؟
سجنوه حين رأوه يطلق نفسه ... فى المعشر الطلقاء من سجن الهوى
وتكنَّفوه ليفتنوه فزاد فى ... إيمانه ما جرّعوه من الأذى
لو يعقل الملك الغبىُّ لما رأى ... رأى الألى ضلوا السبيل ، ولا غوى
قال : اعتزل دين الذين همُ العدى ... إن كنت تؤثر أن تُردَّ على رضى
لك عند قومك ما تحب وتشتهى ... فى ذلك الحرم الممنَّع الحمى
المجد والشرف الرفيع ، وما ترى ... من نعمة خضراء دانية الجنى
قال : اقتصد ما أنت أنت ولا أنا ... أنا ، قد مضى من أمرنا ما قد مضى
إنى اصطفيت محمدا وهو الذى ... أوصى به عيسى فنعم المصطفى
وأراك تعلم غير أنك مولع ... بالملك تكره أن يكون له المدى
قال : اقتلوه ، فراح يلقى ربه ... فرحا ، بما حفظ الأمانة واتقى

صلبوه من حنق عليه ، فويحهم أفلَمْ يكن فى قتل فروة ما كفى
نعم الشهيد ، وبئس ما صنعوا به وسيعلمون لمن يكون المنتهى
تلك العقيدة حكمها وسبيلها إما سبيل المؤمنين أو الردى

* * *

وفد بنى الحارث بن كعب

بعث النبى ﷺ خالد بن الوليد إلى بنى الحارث بن كعب بنجران ، وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم فخرج حتى قدم عليهم ، وبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويقولون: أيها الناس أسلموا تسلموا ، فأسلموا ، وقام فيهم يعلمهم شرائع الإسلام ،وكتب بذلك إلى النبى ﷺ ، فكتب إليه أن يوافيه ومعه وفدهم فجاؤوا وفيهم قيس بن الحصين . . ذو الغصة . . وحين اجتمعوا به قال : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم ، قال : « **صدقتم** » وأقر عليهم زيد بن الحصين . ومات ﷺ بعد رجوعهم إلى قومهم بأربعة أشهر .

يا بنى الحارث بن كعب سلام ... أذهب الرجسَ عنكم الإسلامُ
جاءكم خالد بدعوة حق ... فاستجبتم ، معابكم إحجام
عظمت نعمة النبى عليكم ... فاعرفوا دينه كيف يقام
كل ما تكره النفوس من البغـ ... ـى وسوءِ الصنيع فيه حرام
لا يحلُّ القتال إلا بحق ... وهو حق مؤكد وذمام
أنتم القوم ما عليكم ملام ... قُضِىَ الأمر واستراح الحسام
وعجيب إذا بدا الحق طلقًا ... أن تضلَّ العقول والأحلام
يا بنى الحارث بن كعب نزلتم ... فى حمى الله منزلا لا يرام
ها هنا ، ها هنا يطيب المقام ... هذه يثربٌ وهذا الإمام
أرأيتم عزَّ النبوة فيما ... عرف الناس أو رأى الأقوام
لا النبيُّون أول الدهر نالوا ... بعض هذا ولا الملوك العظام
قال وهو العليم إذ كلَّم القو ... م ، ومن مثله يطيب الكلام
بم كنتم فى الجاهلية تستعلون ... بالنصر حين يحمى الضرام
فأجابوه : ذلكم أننا كنا ... جميعا تضمُّنا الأرحام

صادقِي البأس ، للقلوب اتحاد حين تمضى وللصفوف التئام

صخرة ما تطير أو تتفرَّى إن تفرَّى الحصى وطار الرغام

ثم كنَّا لا نبدأ الناس بالظلم ، نعاف الذى يعاف الكرام

نكره الشر قادرين ونأبا ه للشر فى النفوس اضطرام

قال : حقا صدقتم ، وما كا ن ليرجَى للظالمين دوام

إن زيداً أميركم فاعرفوه واستقيموا ، لكل أمر نظام

سنَّة الله ليس للقوم بدٌّ من رئيس يُلقى إليه الزمام

عُدْ بخير يا ابن الحصين ونُعمَى إنك اليوم للرئيس الهمام

* * *

رفاعة بن زيد الخزاعى

وفد على الرسول ﷺ ، وأهدى إليه غلاما كان معه ، وأسلم وحسن إسلامه، فأرسل معه كتابا إلى قومه بأنه موكل بدعوتهم إلى الإسلام لمن يجيب الدعوة مهلة شهرين فأسلموا .

أقبل رفاعة لا مُعرَّج لامرئ ... يبغى الذى تبتغى ولا متلَوَّم
جئت الرسول المجتبى من ربه ... وقدمت تتبعه فنعم المقَدم
أكرمت نفسك فانطلقت تريده ... دينًا هو الشرف الأجلُّ الأعظم
يبنى الحياة على أساس ثابت ... من قوة الله التى لا تهدم
إن شئت أن ترقى بنفسك صاعدًا ... فعليك بالإيمان فهو السلَّم
وهو الجناح فإن ظفرت به فطر ... واطو الجواء فأنت أنت القشعم
لا تنهض الهمم الكبار بغيره ... سببًا ولا تسمو النفوس الحوّم
سَعد الغلام كما سعدت وربما ... خدم السعيد فكان ممن يخدم
عزَّت بسيده العوالم أرضها ... وسماؤها وهو الأعزُّ الأكرم
أمضى إليك بأمر قومك ، فاضطلع ... واعزم رفاعة إن مثلك يعزم
وخذ الكتاب مباركا ما مثله ... كتبتْ يد فيما يخط ويرقم
اقرأه متئدًا عليهم ، وادعُهم ... أن يتبعوك إلى التى هى أقوم
ولمن عصاك مدى ، فإن بلغوا المدى ... فالله يقضى ما يشاء ويحكم
أو ما كفى شهر يجر وراءه ... شهرًا لمن يبغى المحجّة منهم ؟

* * *

لله قومك يا ابن زيد أنهم ... سمعوا الكتاب فشايعوك وأسلموا
نور على نور ونعمى زادها ... من فضله الأوفى الكريم المنعم
علمتْ خزاعة بعد جهل فاهتدت ... وإلى الحقائق يهتدى من يعلم
إن تذكروا فضل الرجال وأيَّهم ... أربى فأنت السابق المتقدم

وفد همدان

وفد منهم على النبى ﷺ جمع فيهم مالك بن نمط ، وكان شاعرا مجيدا ، فلقوه عند مرجعه من تبوك عليهم مقطعات من الحبرات . . ثياب قصار من برود اليمن . وعمائم عدنية ، على الرواحل المهوية والأرحبية ، وجعل مالك يرتجز بين يديه .

إليك جاوزنا سواد الريف   فى هبوات الصيف والخريف

مخطمات بجبال الليف

وقد أمره الرسول الكريم ﷺ على من أسلم من قومه ، وفى رواية مرجحة أنه أرسل إليهم خالد بن الوليد يدعوهم إلى الإسلام ، فأقام ستة أشهر وهم لا يجيبون فبعث إليهم عليا كرم الله وجهه ، وأمر خالدا بالرجوع إليه ، فصف على أصحابه وقرأ عليهم كتاب النبى ﷺ فأسلموا جميعا ، وكتب بذلك إليه فخر ساجدا ثم رفع رأسه وقال : السلام على همدان مرتين :

هو وفدهم ، وهم الفريق الطيّب   ما فاتهم من كل خير مطلب
طابت منابتهم ، فطاب صنيعهم   إن الرجال إلى المنابت تنسب
إلا يطيعوا خالدًا إذ جاءهم   فلكل أمر موعد يترقب
سدُّوا السبيل عليه ستة أشهر   وأتى علىٌّ بالكتاب فرحبوا
همدان أهل للجميل وعندهم   غوث الصريخ ، ونجدة ما تكذب [1]
نصرُ الحماة الصادقين وصبرهم   والحرب حرَّى والفوارس هُيَّب
شهد النبى لهم فتلك صفاتهم   تملى محاسنها على وأكتب
يرضون ملَّته فيسجد شاكرًا   لله جل جلاله يتقرب
ويذيقهم برد السلام مُردّدًا   عذبا كماء المزن أو أعذب

---

(١) جاء فى السيرة أنه ﷺ قال : « **نعم الحى همدان ، ما أسرعها إلى النصرة وأصبرها على الجهد ، وفيهم أبدال وفيهم أوتاد** » .

أوتــاد هـذى الأرض أو أبـدالـهـا ... منهم ، فمشرقها لهم والمغرب
يمضى الزمان وهم ولاة أمورها ... فى دولة أبديَّة ما تذهب
تلك الولاية ، لا ولاية معشر ... يبقَوْن ما غفل الزمان القُلَّب
جاؤوا عليهم رونق ونضارة ... يصف النعيم لباسُهم والمركب
صنَع البرود لهم فأحسن صنعها ... وأجادها صنعُ اليدين مُدرَّب (١)
تهفو يمانيةً على أجسادهم ... فتكاد حسنًا بالنواظر تنهب
من كل وضّاح الجبين معمّم ... وكأنه مما يهاب معصب
زانوا الرحال بما أفاءت مَهْرَةَ ... من نسلها الغالى وأنجب وأرحب (٢)
جاؤوا بشاعرهم فمن أنفاسه ... أرَجٌ كنفح الطيب أو هو أطيب (٣)
حيًّا رسول الله يظهر حبه ... إن الكريم إلى الكريم محبَّب
حيا الشمائل كالخمائل ، فالربى ... تبدى البشاشة ، والخمائل تطرب
حياه مرتجزًا ، وإن لمالك ... لأعزَّ ما ملك البيان المعجب
قل يا أخا همدان واشهد أنه ... للحق مالك دونه متنكب
هو ذلكم ما من رسول غيره ... فيميل عنه أخو الرشاد ويرغب
ما فيه من شك ، وليس كمثله ... للعالمين معلِّم ومهذِّب
أنت الأمير على الألى اتبعوا الهدى ... والحق من همدان أو أنت الأب
خذْهم بآداب الكتاب وكن لهم ... مثلا من الشيم الرضيّة يضرب
واعمل لربك جاهدا ، لاتأله ... دأبًا ، فليس يفوز من لا يدأب

---

(١) يقال رجل صنع اليدين وصناع اليدين إذا كان حاذقا فى الصنعة .

(٢) الرواحل المهرية تنسب إلى قبيلة أو بلدة يمنية يقال لها مهرة وهى نجائب تسبق الخيل وأرحب قبيلة أو مكان تنسب إليه النجائب الأرحبيات .

(٣) هو مالك بن النمط ومن شعره .

حلفت برب الراقصات إلى منى ... صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق ... رسول أتى من عند ذى العرش مهتد
فما حملت من ناقة فوق رحلها ... أشد على أعدائه من محمد

وَفد تجَيب

تجيب ويجوز بفتح تائها قبيلة من كندة ، جاء وفدها إلى النبى ﷺ وكانوا ثلاثة عشر رجلا يسوقون صدقات أموالهم . فسر بهم وأكرم مثواهم ،قالوا : إنا جئنا بحق الله فى أموالنا ، فقال : « **ردوها فاقسموها على فقرائكم** » ، فقالوا: ما جئنا إلا بما فضل عنهم ، فقال أبو بكر : ما قدم علينا مثلهم . فقال الرسول الكريم ﷺ : « **إن الهدى بيد الله عز وجل فمن أراد به خيرا شرح صدره للإيمان** » ، وسألوه عن القرآن والسنن فزاد سرورا بهم ، واستأذنوه فى الرجوع ، ودعوه ، فأرسل إليهم بلالا بأسنى الجوائز ، وقال : « **هل بقى منكم أحد ؟** » ، قالوا : غلام خلفناه على رحالنا ، قال : « **أرسلوه** » ، فأقبل يقول: قد قضيت للناس حوائجهم فاقض لى حاجتى ، وهى أن تسأل الله أن يغفر لى ويرحمنى ، ويجعل غناى فى قلبى ، ففعل وأمر له بجائزة .

تجيب بعثت الوفد ، أما سبيله ... فسمح ، وأما منتواه فصالح

أتى فى ذمام الله يؤتيه حقه ... من المال يهديه سنًا منه واضح

فأكرم مثواهم ، وأعلى مكانهم ... رسول لمن يبغى المحجَّة ناصح

وقال لهم : ما بى إلى المال حاجة ... وحسبى من الخيرات وما الله مانح

خذوه فروده إلى فقرائكم ... فينعم مكروب ، وينهض رازح

فقالوا : كفيناهم ، فما منهم امرؤ ... له حاجة تُطوَى عليها الجوانح

وقال أبو بكر : هم القوم ما رأت ... كمقدمهم منا العيون اللوامح

وسَرَّ رسول الله حسن صنيعهم ... فما مثله إذ يمدح القوم مادح

فلما استزادوه من الحق زادهم ... ولن تسأم الحق العقول الرواجح

رأوا موردًا عذبًا فألقوا بأنفس ... ظماء بها من وقدة اللوح لافح (١)

فما مثلهم فيمن هدى الله وارد ... ولا مثله فيمن شفى الداء ناصح

هم استأذنوه فى الإياب وودَّعوا ... تُشيِّعهم منه العطايا الدوالح

(١) اللوح : العطش .

بلال انطلق خلف الرجال فأعطهم جوائزهم ، إن التقىّ لرابح
وسلهم : أفيهم من تأخر رفده ؟ فيعطى ، ويلقى قومه ، وهو فارح
فقالوا : غلام فى الرحال مخلَّف على وجهه وسم من الخير لائح
وجاء يقول القول براً وحكمة فواعجبى ، أين النهى والقرائح ؟
قضيت رسول الله حاجة قومنا ولى حاجة بالباب ، والله فاتح
سل الله أن يرضى ، فيغفر حوبتى ويرحمنى ، إنى إلى ذاك طامح
بهذين فادع الله لى ، ثم بالغنى غِنى القلب ، إن المعدم القلب طائح
دعا بالذى ودّ الفتى وأجازه فلم يبقى من حاجاته ما يطارح
صفا قلبه من كل شىء يشوبه وطابت بتقوى الله منه الجوارح
وإن له بعد النبىِّ لمشهدا يهون به عاد من الخطب فادح (١)
سيكفى أبا بكر تقلُّب قومه إذا جهل الأقوام والجهل فاضح
همُ النفر الأخيار ما فى رحالهم شقىٌّ ولا ناء عن الرشد جامح
أقاموا كراما ثم عادوا أعزة لهم شرف عال ، مقيم وبارح
فما فاتهم خير ولا نال سعيهم من الناس غاد فى البلاد ورائح
ألا إنه هو الإسلام لا مجد مثله وإن صاح بالبهتان والإفك صائح
أغنِّى به فليطرب الدهر ولتدع تطاريبها هذى الطيور الصوادح
وإنى لأقضى للعروبة حقها وإن لجَّ مفتون ، وأرجف كاشح
وماذا على الأعداء إن قام ماجد يناضل عن أحسابها وينافح ؟
نصبت لها نفسى فما لان جانبى وجُلْتُ فما ضاقت علىّ المنادح
لك الحمد ربى إنها لك نعمة وإنى لما يرضيك منّى لكادح
فيارب هل للشعر بعدى خليفة يقوم به إن غيَّبتنى الصفائح ؟
أرى الجد أودى إذا أبى الجدّ أهله فلم يبق إلا ما تعوَّد مازح
ألحوا على الأخلاق فانقضّ ركنها وحاقت بأبناء البلاد الجوائح

---

(١) لما ارتد من ارتد بعد وفاة النبى قام فى قومه يذكرهم الله والإسلام فلم يرتد منهم أحد .

بقيّة الوفود

تــوالـت وفــود الله تــخــتــار ديـنـه ... وتـرضــاه ربًا مــا لـهــا غـيــره رب

دعــاها فـلبـت تبـتـغـى الحق مـذهـبًـا ... وجـاءت يظَـلُّ الركب يـتـبعـه الـركب

هـداهـا إلـى الإســلام رأى مــســدّد ... فـلا شـغب يؤذى الـنفـوس ولا حـرب

إذا المـرء لم يـزجُـرْ عن الـغىّ نـفسـه ... فلا الـطعن يهـديه السبيلَ ولا الـضرب

وشـرُّ سجـايـا النفـس أن تؤثر الـعـمى ... وتـكـره أن يـســتـلّ أدواءهـا الـطـبُّ

تـرامـت بـهـم آمــالهـم ومـطـيّـهـم ... إلـى واسـع الأكـنـاف مـنـزلـه رحـب

جـلـيل الأيـادى ، مــا يـعـب نزيـلـه ... قـرى فاضلٌ مـن جوده ، وندى سـكب

إذا جــاءه المـكـروه والــهـم جــاثـم ... كفـى ما به ، حتـى كأن لم يكـن كرب

وإن راح يـسـتـسقـى به الـغـيـثَ مُـسـنت ... تقَشَّـع عنه الجدب ، واطَّرَد الخـصب (١)

لـكم جــاحـدٍ لمّـاّ رأى نـور وجـهــه ... تجلّـى العمـى عن عيـنه وصـحا القـلب

به عـرف الـقـوم السـبيل إلـى الهـدى ... فـلا مسلـك وعرٌ ، ولا مـركب صـعب

وفـى ظلـه المـمـدود حـطُّـوا ذنـوبهـم ... فــعــادوا ولا وزر عــلـيــهـم ولا ذنـب

طهـارى علـيهـم من سـنا الحق بـهجـة ... لهــا وهـج باق عـلى الدهـر لا يخـبـو

بنـى الدهر نـاموا آخـر الـدهر أو هبُّـوا ... تكشـفت الظـلماء ، وانجـابت الحـجب

أبــــى الله إلاّ أن يــــؤيــد ديــــنـــه ... فـلـيـس لمـن يـأبـاه عــقـل ولا لُـبُّ

إذا أخـــذ الـســيـل الأتىُّ ســبـيـلـه ... فلا الـشرق مسـدود الفجاج ولا الـغرب

ومـا الديـن إلا ما مـحـا الشـرُّ والأذى ... فـلا أمـة تـشكـو الشـقـاء ولا شـعـب

ومـا يسـتـوى البـحـران : هذا مـذاقـه ... أجـاج ، وهـذا طعـمـه سـائـغ عـذب

قـضـاهـا لـنا ربُّ الـســمــاء شـريـعـة ... مطَّـهرة ، لا الظـلم منهـا ولا الغـصب

---

(١) أسنت القوم أصابهم الجـدب ، وهكذا كان بنو فزارة عند مجىء وفدهم فـدعا لهم النبى ﷺ فأمطروا.

لـنا ديـنـنـا نسـمـو بـه ، وكـتـابنـا إلى حـيث لا الأديان تسـمو ولا الـكتب

رعى الله قـومًا مـا رعَـوْا غيـر حقـه ولا راعـهـم فـيـه مـلام ولا عـتـب

يُـحـبّـونه حـبًّـا تـلـين قـلوبـهـم به وهـو فـيهـا مـتـل إيمانهـا صـلـب

فـمن يـك عن حـال المحبّـين سـائلا فـتلك سـجايـاهم ، وهذا هـو الحب

تعلـمْ سجايـا القوم واسلـك سبيـلهم أولئك حـزب الله ، ما مـثله حـزب

❊ ❊ ❊

كتب النبى ﷺ إلى الملوك

أرسل النبى ﷺ ثمانية كتب إلى تسعة من الملوك يدعوهم إلى الإسلام ، فمنهم من أسلم ومنهم من أخذته العزة بالإثم ، وهم هرقل ملك الروم على يد دحية الكلبى ، وكسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة ، والنجاشى على يد عمرو بن أمية الضمرى ، والمقوقس ملك القبط بمصر على يد حاطب بن أبى بلتعة ، والمنذر بن مساور العبدى بالبحرين على يد العلاء بن الحضرمى ، وجيفر وعبد ابنا الجلندى ملكا عمان على يد عمرو بن العاص ، وهوذة بن على صاحب اليمامة على يد سليط بن عمرو العامرى ، والحارث بن أبى شمر الغسانى بدمشق على يد شجاع بن وهب .

الكتب تترى ، والكتائب تدلف ... والبأس بينهما يثور ويعصف
الله وكّلَ بالملوك رسوله ... فإذا العروش بهم تميد وترجف
أهى القلوب تلج فى خفقاتها ... أم تلك أجنحة تظل ترفرف ؟
رسل النبى بكل أرض جوّل ... ترمى بهم همم نواهض قُذَّف
حملوا القلوب الصمّ يعصمهم بها ... دين لهم صلب ورأى محصف [1]
ترمى الجلامد والحديد بقوة ... تمضى فتصدع ما تشاء وتقصف
يخشى العتيُّ المستبدُّ نكالها ... ويهابها المستكبر المتغطرف [2]
سِرْ فى ذمام الله دحية إنها ... لك حاجة ما دونها متخلف
أيقظ هرقل فقد تطاول نومه ... وأبت عمايته فما تتكشف
أيقظه إن الله ليس كدينه ... دين ، وليس له شريك يعرف

(١) المحصف : المحكم.
(٢) المتغطرف : المتكبر.

أخذ الكتاب وراح يسأل كلما وضح اليقين له يلحّ ويلحف [١]
ماذا أراد الله ، ما شأن الذى بعث الكتاب ، بأى شىء يوصف
قل يا أبا سفيان لا تطع الهوى ودع الملام لمن يجور ويجنف [٢]
أبدى هرقل لقومه ان قد صغا منه إلى الإسلام قلب منصف [٣]
غضبوا فقال : رويدكم ما بى سوى أن أستبين ، وأين منّا المصرف ؟
بعث الكتاب فقال : إنى مسلم لكنهم قومى الألى أتخوف
واختارها مما يحب هدية ألقى بها من مكره يتزلف [٤]
قال النبى : رسالة من كاشح يبدى الرضى ، ومنافق يتكلف [٥]
وهدية ساءت وساء حديثها فالزور من أسمائها والزخرف

* * *

كسرى لك الويلات ، ماذل تبتغى ؟ ماذا تظن ؟ بمن تُغاثُ وتسعف ؟

---

(١) كان هرقل يومئذ ببيت المقدس وعنده أبو سفيان . . قبل إسلامه » وبعض أصحابه . فسألهم عن أقربهم نسبا إلى النبى ﷺ ، فقال أبو سفيان : أنا أقربهم إليه فإنه ابن عمى قال له: إنه منى ، وصف أصحابه وراءه ليردوه عما يخالف الحق من مقالته ،وأقام ترجمانا يسأله عن نسب النبى ﷺ وأخلاقه وأعماله وعن الذين يتبعونه ، فقال الحق ونطق بالصواب .

(٢) يجور ويجنف بمعنى يميل عن الطريق .

(٣) روى أن هرقل لما عاد إلى حمص . وكانت دار ملكه أمر مناديا ينادى : ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فخف الجنود فى سلاحهم وطافوا بقصره يريدون قتله ، فأرسل إليهم إنى أردت اختبار صلابتكم فى دينكم ، وقد رضيت فرضوا عنه ، وثمت رواية أخرى تتفق وهذه الرواية فى معناها وإن خالفتها فى بعض ألفاظها.

(٤) قبل النبى ﷺ هديته وقسمها بين المسلمين

(٥) كتب إلى النبى ﷺ يقول : إنى مسلم ولكنى مغلوب على أمرى ، فقال : « **كذب عدو الله ليس بمسلم** » وقد حارب المسلمين فى غزوة مؤته .

مزقت من كتب النبى تميمة فيها منابع رحمة لا تنزف [١]

وذخيرة يجد الذخائر كلها بيديه حين يصيبها المتلقف

أطلبت من باذان رأس محمد ؟ إن لم يتب ؟ بل أنت غاو مسرف

سترى اليقين على يد ابنك فانتبه لك موعد عما قليل يأزف

صدق النبى وذاق كسرى حتفه من شيرويه فما له من يعطف

ورأى الهدى باذان بعد ضلالة فمضى على البيضاء لا يتعسف

نبذ الهوى فصحا ، وأصبح مسلما ودعا الألى معه فلم يتخلفوا

لا خاب جدُّ القوم إن إلههم جمع القلوب على الهدى فتألفوا

وأتى النجاشى الكتاب فلم يكن ممن يصدّ عن الصواب ويصدف [٢]

شرف أتيح له وعزٌّ زانه إن التقىّ هو الأعزّ الأشرف

وأبى المقوقس أن يفارق دينه يخشى الذى يخشى الغبىُّ المترف [٣]

بعث الهدايا يتقى بحسانها ما يتقى ذو البغضة المتلطف

---

(١) مزق كسرى كتاب النبى ﷺ وكتب إلى باذان أحد أمرائه باليمن أن سر فاستتب الرجل الذى يزعم أنه نبى ويكتب إلى فإن أبى فابعث برأسه . فبعث باذان كتاب كسرى إلى النبى مع قهرمانه ومعه رجل آخر طالبا أن يذهب معهما إلى كسرى فأخبرهما بأن ابنه شيرويه سيقتله ورجعا بالخبر إلى باذان فلما قتل أسلم هو ومن معه [هنا ما يفيد أن هذا التعليق من عمل « نعيم » .

(٢) بعث النبى ﷺ بكتابه إلى النجاشى يدعوه إلى الإسلام ، وقد سأله فى كتاب آخر أن يزوجه من أم حبيبة رضي الله عنها ففعل .

(٣) أرسل النبى ﷺ كتابه إلى المقوقس عند منصرفه من الحديبية فلما قرأه قال لحاطب بن أبى بلتعة : إن كان نبيا فما له لا يدعو على من خالفه فيهلكوا ؟ قال له حاطب :وما بال عيسى لم يدع على الذين أخذوه ليقتلوه ؟ قال : أحسنت ، حكيم جاء من عند حكيم ثم بعث إليه هدايا ومنها مارية أم ولده إبراهيم وكتابه الذى قال النبى ﷺ حين قرأه : «ضن من الخبيث بملكه ولا ملك له » ، والمترف : الذى أطغته النعمة وأفسدته .

ضن الخبيث بملكه وغدا يرى ... يد عزه في ملكه تتصرف
هذا الذي قال النبي وهكذا ... صنع الذي يبني العروش وينسف
والمنذر اتخذ السبيل مسدَّدا ... قبل الكتاب يخفُّ فيه ويوجف [١]
سأل النبيَّ فقال ما أنا فاعل ... بالقوم إذ ضلوا السبيل وزيفوا ؟
فقضى إليه الأمر يأخذهم به ... ويقيمه بالحق لا يتحرف
للمسلمين أمورهم ، وله على ... من ضلّ جزية عادل لا يُجحف
وطحا بجيفر جهله وعناده ... فأبى على عمرو وأعرض يأنف [٢]
ورآه يهدر بالوعيد ، فراعه ... وأتى غد فانقاد لا يتوقف
وانساق يتبعه أخوه وإنه ... لَمهذَّب سمح الخلال مثقف
وأتى اليمامة بالكتاب رسولها ... فكذاك يهذى الطامح المتعجرف [٣]
طغيان شاعرها وجهل خطيبها ... وغرور صاحبها المبيد المتلف [٤]
طلب المحال من النبي ولم يزل ... ذو الجهل يولع بالمحال ويشغف

---

(١) أسلم المنذر قبل مجيء كتاب الرسول الكريم ﷺ إليه ، وكتب يخبره بذلك ويقول : إن عنده قوما من المجوس واليهود ، فماذا يفعل فجاءه كتابه : أن اترك للمسلمين ما أسلموا عليه ومن أقام على مجوسيته أو يهوديته فعليه الجزية ، وأخب الرجل فرسه وأوجفه : جمله العدو والسرعة .

(٢) لقي عمرو عبدا أخا جيفر وكان أسهل الرجلين فجرى بينهما حديث لأن له قلب عبد ولكنه قال: الأمر لأخي جيفر فهو أكبر مني سنا ، فوصل إليه وقرأ الكتاب فأغلظ في القول فهدده عمرو فاستمهله إلى الغد فلما كان الغد أسلم هو وأخوه .

(٣) المتعجرف المتكبر والذي يركب الناس بما يكرهون من الأمور .

(٤) لما قرأ الكتاب قال : إني خطيب قومي وشاعرهم والعرب تهابني ، فليجعل لي بعض الأمر فلما عاد سليط وخبر النبي ﷺ ، قال : «**لو سألني سيابة ـ قطعة من الأرض ـ ما فعلت بار وبار ما في يديه** » ، مات بعد ذلك بمدة قصيرة .

يهذى ببعض الأمر يقطعه له ... والأمر ما قطع الحسام المرهف
والحارث المأفون طاح بلبه ... خبل يصاب به العقول فتضعف
ألقى الكتاب وقال : ملكى ليس لى ... كفء فينزع من يدىَّ ويخطف (١)
انظر شجاع الخيل والجند الألى ... تلقى العدو بهم تكر وتزحف
واذكر لصاحبك الحديث فربما ... كف المناجز ، وارعوى المستهدف
ثم استعدَّ وجاء قيصر وافد ... بصحيفة منه تصرُّ وتصرف (٢)
حمقاء يطغى الغيظ بين سطورها ... وتشب بالشنآن منها الأحرف
ركب الغرور وقال : إنى قاذف ... بالجيش يثرب فهى قاع صفصف
قال ازدجر ، ما أنت من أكفائها ... واسكن فإنك للَغوىُّ المرجف
فأفاق واتخذ الخداع سجية ... لا يستحى منها ولا يتعفف
بعث السلام مع ابن وهب وادعى ... دعوى الذى يرخى القناع ويغدف (٣)
قال : ادَّخرنى يا شجاع فإن لى ... قلبا إلى دين الهدى يتشوف
إنى لَمتبع سبيل محمد ... وإليك ردفك بالكرامة يردف
سمع النبى حديثه فتكشفت ... نفس مقنعة ، وقلب أغلف

---

(١) لما قرأ الكتاب رمى به وقال : من ينزع عنى ملكى ؟ إنى سائر إليه ولو كان باليمن لجئته ثم أمر بالناس وبالخيل ، فلم تزل تعرض عليهم حتى الليل ثم قال لشجاع : أخبر صاحبك بما ترى ،وكتب بذلك إلى قيصر وكان عنده دحية الكلبى بكتاب رسول الله ﷺ فنهاه قيصر عن المسير .

(٢) تصر وتصرف: تصوت كناية عن الحدة والغيظ .

(٣) أمر الحارث لشجاع بمائة مثقال ذهب وقال له : سلم على النبى ﷺ ، وقل له : إنى متبع دينه ، فلما سمع النبى ﷺ قوله قال : « **بار ملكه** » ، وأغدقت المرأة قناعها على وجهها : أرسلته كناية عن المداجاة والمغالطة .

ملك يبيد ومالك يرجى إلى ... أجل يحين وموعد ما يخلف [1]

يأبى الغويُّ الرشد يرفع شأنه ... فإذا هوى ألفيته يتأسف

للحق مئذنة وداع مسمع ... فى كل شىء بالخلائق يهتف

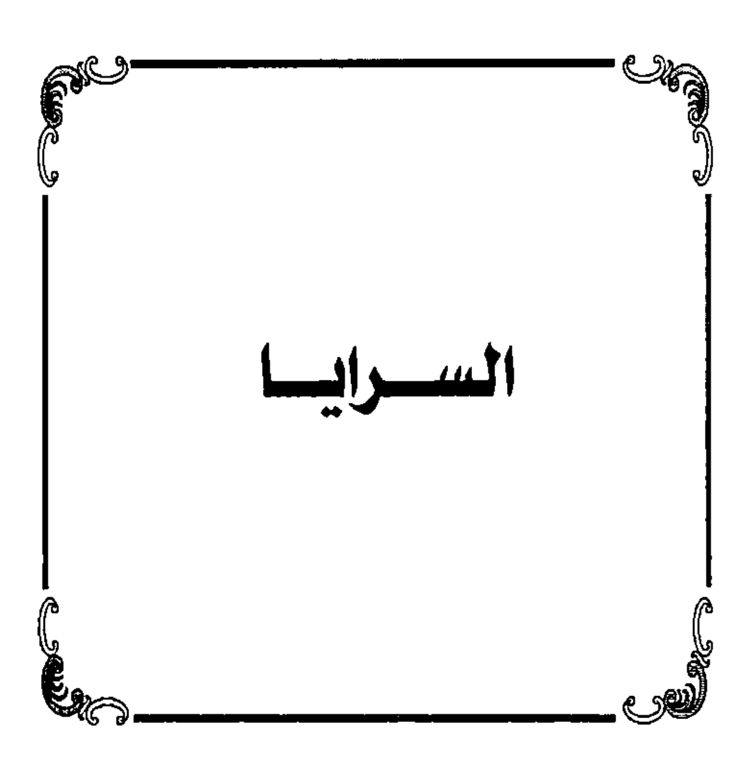
عجب الملوك لكابرين سمت بهم ... همم تميل عن العروش وتعزف

المتقون هم الملوك وإن أبوا ... رغد الحياة ولينها فتقشفوا

عكفوا على آى الكتاب فأفلحوا ... والجاهلون على المآثم عكف

* * *

(١) يرجى : يرجأ وحذف الهمزة لغة .



السرايا

سرايا زيد بن حارثة

السرية الأولى

كانت عقب وقعة بدر على عير لقريش فيها أبو سفيان ، وصفوان بن أمية وعبد الله بن أبى ربيعة ، وحويطب بن عبد العزى ، وكانت العير ذاهبة إلى الشام عن طريق غير التى تسلكها من قبل فخرج إليها زيد بن حارثة فى مائة راكب فأصابها وهرب القوم وبلغ الخمس ما قيمته عشرون ألف درهم ، وكان دليلهم رجلا من أسارى بدر ثم هرب ، جىء به إلى النبى ﷺ فعرض عليه الإسلام فأسلم :

نهض الغزاة فأين تمضى العير ؟ أعلَى الغمام إلى الشآم تسير ؟
زيد بن حارثة يطير وراءها ما ظنها بالنسر حين يطير ؟
مهلا أبا سفيان إن طلابكم عسر وإن مصابكم لكبير
صفوان يرعد خيفة وحويطب مما عراه مروَّع مذعور
زولوا بأنفسكم فتلك حتوفها غضبى إليها بالسيوف تشير
هى غارة البطل المظفر ما لكم منه إذا خاض الغمار مجير
ظنوا الظنون به فلما استيقنوا زالوا عن الأموال ، وهى كثير
أمست تساق إلى النبى غنيمة لله فيها فضله المشكور
هذا دليل العير غودر وحده خلف الألى خذلوه ، فهو أسير
الله أطلقه على يد منقذ هو للأسارى المرهقين بشير
عقدت من الإسلام فوق جبينه تاجًا عليه من الجلالة نور
من علم القوم العكوف على الهوى أن الحياة جهالة وغرور

تلك المغانم ، ما لها كمحمد ... فى الناس من أحد إليه تصير

هى قوة للمسلمين ومظهر ... للقائمين على الجهاد خطير

بوركت يازيد بن حارثة فما ... لك فى الموالى الصالحين نظير

إيه أمير الجند ليس كمثله ... جند ولا مثل الأمير أمير

* * *

السّرية الثانيَة

كانت إلى بنى سليم بالجموم اسم لناحية من بطن نخل سار فى جنده إلى ذلك المحل ، فأصابوا فيه امرأة من مزينة دلتهم على محلة من محال القوم ، فأصابوا فيها إبلا وشاء وأسروا منها جماعة منهم زوج المرأة ، ثم عادوا إلى المدينة، فوهب النبى ﷺ لها نفسها وزوجها :

بنى سليم أعدوا الخيل واحترسوا ... إن كان ينفعكم كرٌّ وإقدام
زيد بن حارثة ، زيد بن حارثة ... خطب جليل ، وجرح ليس يلتام
هل عندكم إن تغشّتكم سريته ... للسيف سيف ، وللضرغام ضرغام ؟
مشى إليكم فهل قرَّتْ منازلكم ؟ ... واستمسكت منكم الأعناق والهام
لولا التى انطلقت تهديه ما عُرِفَتْ ... منكم ومنهن آيات وأعلام
فما الجموم وما ضمت منازله ... إلا ظنون خفيَّات وأوهام
أين الأناسىّ جل الله ، هل مسخوا ... لما رأوك فهم ـ يا زيد ـ أنعام ؟
ما ثم إلا الألى أدركتهم قنصًا ... لم يغنه إذ هوى خوف وإحجام
عد بالأسارى وبالغنم التى قسمت ... لك القواضب ، إن الغنم أقسام
يا زيد ما حق من دلتك إذ صدقت[1] ... أسر تضيق به ذرعًا وإرغام
منٌ النبى عليها ثم أكرمها ... فى مشهد كله منٌّ وإكرام
نالت بنعمته من بعلها هبة ... زالت لها كرب شتى وآلام

* * *

بنى سليم ، أفى دين الفسوق لكم ... إلا ذنوب تغَشّاكم وآثام ؟
ما أخيب النفس فى الدنيا وأخسرها ... إن أخطأ النفس إيمان وإسلام
يا للبلاء ، أيعصى الله ليس له ... كفو وتعبد أوثان وأصنام ؟

---

(١) بياض بالمصورة .

السّرية الثالثة

كانت إلى العيص وهو محل بينه وبين المدينة أربع ليالى ، أقبلت عير لقريش من الشام فيها أبو العاص بن الربيع زوج زينب بنت النبى ﷺ ، فخرج إليها زيد فى سبعين ومائة راكب ، فقدموا به وبالعير إلى المدينة ، واستجار بزينب فأجارته، وسألت النبى ﷺ أن يرد عليه ماله ،ففعل ، وعرض عليه بعضهم الإسلام ليغنم أموال أهل مكة فأبى ، وذهب إليهم ، فأعطى كل ذى حق حقه ،ثم أعلن إسلامه هناك ، وقدم على النبى ﷺ فرد عليه زينب .

يا أبا العاص ، أىَّ أرض تريد ؟ ... إن ما تبتغى لصعب شديدُ

سُدّت السبل يا أبا العاص فانظر ... أين تمضى إذا وأين تحيد ؟

أرأيت الحديد يزجيه زيد ... مستطير السنا ، عليه الحديد ؟

إيه يا ابن الربيع تلك جنود ... تتهاوى عن جانبيها الجنود

ليس للعير غيرها فدع العير ... وعد سالما وأنت حميد

بعدتْ مكةٌ . فلا تردَنْها ... وإلى يثربٍ فثَمَّ الورود

جاء صهر النبى فى ناب مولا ... ه وللّيث حكمه إذ يصيد

رام من زينبَ الجوار فقالت ... إن فى ذا الحمى يجار الطريد

ومشت تخبر الرسول وترجو ... عنده الخير والفؤاد كميد

قال : إنى أجرته فله ما ... شئت عندى ، وماله مردود

أكرميه فما عليك جناح ... وامنحيه الجميل وهو بعيد

إنه مشرك ، فأنت حرام ... شرعة الله ، فليكن ما يريد

* * *

قال قوم : أسلِمْ يا أبا العاص تغنم ... مال قوم هم العدوُّ اللدود

قال : كلا ، فلست أبدأ ديني ... بالتي يأنف الشريف الرشيد
وتولَّى فجاء مكة ما يُجحد ... فيها مقامه المشهود
قال : يا قوم ليس بي من جحود ... إنه مالكم إليكم يعود
فخذوه ، فقد وفيت ، ورب البـ ... ـيت سبحانه عليَّ شهيد
أشهد الآن موقنا مطمئنًا ... أنه الله ربنا المعبود
بعث الصادق الأمين رسولا ... يهدم الشرك دينه فيبيد
بكتاب فيه الشرائع تهدي النا ... س أعلامها ، وفيها الحدود
ما حياة الشعوب في الشرك فوضى ؟ ... الحياة الإيمان والتوحيد

* * *

يا أبا العاص عدت برًّا تقيًّا ... فهنيئًا لك الميعاد السعيد
اعتزل ما مضى لنفسك في دنـ ... ـيا الخطايا ، فأنت خلق جديد
أنت صهر النبي لا الودُّ ممـ ... ـنوع ، ولا الباب موصد مسدود
زال ما كان من حجاب فـ ... ـلا الإسلام ينهى، ولا الكتاب يذود
ليس من حاجة لم تُتح لك بعـ ... ـد ولا ثَمَّ مطلب منشود
ساعفَتْك المنى ، وطاب لك العـ ... ـيش ، ألا هكذا تواتى الجدود

* * *

السّرية الرابَعة

كانت إلى بنى ثعلبة بالطرف .. مكان.. بعثه النبى ﷺ فى خمسة عشر رجلا فلم يجد أحدا ، لأنهم ظنوا أن الغازى لهم هو الرسول الكريم ﷺ ، فهربوا ، وأصابت هذه السرية نعما وشاء عادت بها إلى المدينة ، وقد خرج القوم فى طلب زيد بن حارثة فلم يدركوه .

بنى ثعلبةٍ هبوا ... فإن الليث قد عزما
رماكم بابن حارثة ... رسول الله حين رمى
زعمتم أنه هو زعم من يهـ ... ـذى وما علما
فطارت قبل مقدمه ... نفوس أشعرت لمما
ونِعْم أخو الوغى زيد ... إذا ما جدَّ فاقتحما
يخوض النقع مرتكما ... ويحمى السيف والعلما
تولى جمعهم فرقًا ... ولو لاقاه ما سلما
لبئس الجمع ما صدقت ... قواه وبئس ما زعما
تلمَّسه ابن حارثة ... فلا صددا ولا أمما
تسرب فى مخابئه ... فكان وجوده عدما
هلم هلم يا زيد ... هلم الشاء والنعما
رويد القوم هل طلبوا ... سوى ما يعجز الهمما ؟
مضوا فى إثره ، ومضى ... يجرُّ حسامه قُدُما
فما بلغوه إذ جهدوا ... ولا رزأوه ما غنما
رويدًا عابدى الأصنا ... م ، إن الله قد حكما
رضيتم ظلم أنفسكم ... فأرادكم وما ظلما

السّريّة الخامِسَة

كانت إلى جذام بمحل يقال له : « حسمى » وراء وادى القرى ، سببها أن دحية الكلبى ﷺ أقبل من عند قيصر ملك الروم . ومعه من عنده مال وكساء، فلما كان بهذا المحل لقيه النهيد وابنه فى ناس من جذام فقطعوا عليه الطزيق وسلبوه ما معه ، فسمع بذلك نفر من مسلميهم من بنى الضبيب فنفروا إليهم واستنقذوا منهم ما أخذوه من دحية فأخبر النبى ﷺ فبعث زيدا فى خمسمائة رجل ، ورد دحية معهم فأقبل حتى هجم على الهنيد وابنه ورجاله فقتلوهم جميعا، وأخذوا من النعم ألف بعير ، ومن الشاء خمسة آلاف ، ومائة امرأة وصبى، وجاء بنو الضبيب فقال رجل منهم لزيد : إنا مسلمون، فقال له : اقرأ أم الكتاب إن كنت صادقا فقرأها ، وذهب منهم جماعة إلى النبى ﷺ يقولون مثل ذلك ، فأرسل علي بن أبى طالب بسيفه إلى زيد ليطلق سباياهم، ويرد عليهم الإبل والشاء ففعل .

أما ومضارب البيض الرقاق ... تضىء النقع للجرد العتاق
لقد غرَّ الهنيدُ بنى جذام ... فما للقوم مما جرَّ واق
دعا سفهاءهم فمشوا إليه ... وما التفّتْ لهم ساق بساق
لصوص ما يبالون الدنايا ... إذا عقدوا العزائم لانطلاق
أحاط بدحية منهم أناس ... تعدُّهم الذئاب من الرفاق
مضوا بحباء قيْصَر وهو جمٌّ ... فما منه لدى الكلبىِّ باق
أتى مستصرخا فأصاب مولى ... يغيث صريخه مما يلاقى
وما لمحمد كفء إذا ما ... سقى الأبطال كأس الموت ساق
دعا زيدا فأقبل فى جنود ... تبينت إلى الملاحم فى اشتياق
إلى حِسْمَى فما للداء حسم ... إذا لم تِرقِه بدم مراق

إليه يابن حارثة إليه ... فثمَّ البغى ممتدَّ الرواق
لدحية حقه والسيف ماض ... وما لبنى جذام من إباق
عبيد الشرك أوثقهم فقرُّوا ... بدار الهُون ، يالك من وَثاق
ألا إن الهنيد 'ذيل منه ... فهل وجد الردى عذب المذاق ؟
وهل نظر ابنه لمّا تردّى ... وعاين روعة الموت الذُّعاق (١)
توالى القوم فى الهيجاء صرعى ... كأن صراعهم خيل السباق
فأهلا بالشوىّ تساق نهبا ... وأهلا بالجمال وبالنياق
وياويح الحلائب والذرارى ... تعانى البرح من ألم الفراق

* * *

أتى النفر الأماجد من ضبيب ... وقد شد البلاء عُرى الخناق
فقال إمامهم إنا جميعا ... من الدين القويم على وفاق
هو الإسلام يجمعنا فلسنا ... بحمد الله من أهل الشقاق
ألا اكشف ما بنا يا زيد عنَّا ... فليس بمستطاع أو مطاق
وجاء الكتاب ببيِّنات ... فما يُرمى بكفر أو نفاق
وسار إلى رسول الله منهم ... بغاة الخير والكرم الدُّفاق (٢)
فقال : إلى السرية يـ ابن عمى ... فإن تلحق ، فنعم أخو اللحاق
وذا سيفى فخذ دليل صدق ... فيالك من دليل ذى ائتلاق
مضى أمر النبىِّ فياخَطب ... تكشف ليله بعد اطّراق (٣)
أيُنصر كل لص من جذام ... ويقهر رافع السبع الطباق ؟
تعالى الله لا يرقى إليه ... من العالين فوق الأرض راق

---

(١) الذعاق: الكريه الذى لا يطاق .

(٢) يقال : سيل دفاف إذا ملأ الوادى .

(٣) أطرق الليل ركب بعضه بعضا .

السّريّة السَّادسَة

كانت إلى مدين قرية سيدنا شعيب صلاة الله وسلامه عليه ، وهى تجاه تبوك وقد أصابت هذه السرية سبيا عادت به إلى المدينة ، وفرق المسلمون فى بيعه بين الأمهات والأولاد وسمعهم النبى ﷺ يبكون فأمر ألا يفرقوا بينهم :

يمينا ما لمدين من قرار ... فبعدا للقطين وللديار
شعيب كيف أنت ، وأين قوم ... عصوك ؟ وما الذى فعل الذرارى ؟
هم اتخذوا الهوى ربًّا وساروا ... من العهد القديم على غرار
أتى الإسلام ، فاجتنبوه حرصا ... على دين المهانة والصغار
وصدُّوا عن سبيل الله بغيا ... وكان البغى مجلبة الدمار
سما زيد إليهم بالمنايا ... تريك مصارع الأسد الضوارى
تأمل يا شعيب أما تراه ... شديد البأس ، ملتهب المغار ؟
توقى القوم صولته فضنوا ... بأنفسهم ، وجادوا بالفرار
لبئس الجود تلبسه سوادا ... وجوهُ القوم من خزى وعار
تلفتت النساء ولا رجال ... سوى السُّرج الزواهر كالدرارى
وضجَّتْ تستغيث ، ولا غياث ... سوى العبرات والمهج الحرار

* * *

تولى الجند بالسبى المخلّى ... وبالنصر المحجّل والفخار
فيا للبضاعة للكفر تُزجّى ... ويا للشوق يجمع كل شار
ويالك من بكاء كان حقًّا ... لدين الله داعية افترار
تمسى الأم تعزل عن بنيها ... لمولى غير مولاهم وجار

أبى البَرُّ الرحيم فقال : رفقا وتلك إهابة الهمم الكبار
فأمسك كلَّ دمع مستهلٍّ وسكّن كل قلب مستطار
تتابعت المواهب والعطايا على قدَرٍ من الرحمن جار
فغنم بعد غنم ، وانتصار ينير المشرقين على انتصار
أصاب الدهر بغيته ، وأمست تجلَّتْ حكمة الفلك المدار

* * *

السَّريّة السَّابعَة

كانت فى رمضان من السنة السادسة ، وسببها أن زيد بن حارثة ﷺ خرج فى تجارة إلى الشام ، ومعه بضائع لأصحاب النبى ﷺ ، فلما كان بوادى القرى لقيه ناس من فزارة فضربوه هو وأصحابه ، وأخذوا ما كان معهم ، ثم قدم إلى النبى ﷺ فبعثه إليهم فى جيش داهمهم ، وأعمل فيهم القتل .

أمنكِ فزارةُ انبعث الغزاة ؟ ... فما تغنى السيوف ولا الحماة ؟

لعمركِ ما ابن حارثة بحلٍّ ... وإن زعم القراصنة الجفاة (١)

أثاروا الشر لا هو يبتغيه ... ولا أصحابه الغر الهداة

أصابوهم على ثقة وأمن ... فلا سيف يُسلُّ ولا قناة

وجاؤوا يشتكون إلى أبىٍّ ... على الأعداء تحرجه الشكاة

رسول الله ليس له كفاء ... إذا التقت الفوارس والكماة

دعا زيدا هلمّ إلى قتال ... تُنال به من القوم الترات (٢)

قُدِ الأبطال للهيجاء واصبر ... فنعم الصبر فيها والثبات

إليها يا ابن حارثة إليها ... ولا يَحزنك ما صنع الطغاة

مشى البطل المقذّف لا اتئاد ... تضيق به السيوف ولا أناة

يخفّ بها إلى الأعداء بيضا ... عليها من مناقبها سمات

أقامت حائط الإسلام ضخما ... تدين له الجبال الراسيات

وجاءت بالفتوح محجَّلات ... له فى ظلها الضافى حياة

---

(١) القراصنة : اللصوص ، والجفاة : الغلاظ القلوب والطباع .

(٢) الترات : جمع ترة وهى الذحل أو الظلم فيه .

توقَّتها فزارة وهى حتم ... فما عصمت مقاتلها التقاة [(١)]
رأوها بعد ما هجعوا بليل ... لها فيهم وللقدر انصلات [(٢)]
هداها فى الدجى منهم دليل ... تسدِّده الأواصر والصلات [(٣)]
لواه عن السبيل قضاة ربٍّ ... له الحِكَم الصوادع والعظات
يسوق الأمر ظاهره عناء ... وباطنه كما اقترح العُناة
كمثل الورِد ، أوله أجاج ... وآخر مائه عذب فرات
ظُبًى طرقت جماجمهم بَياتا ... وما خيف الطروق ولا البيات [(٤)]
توثبت الحتوف ، فلا فرار ... وأبرقت السيوف ، فلا نجاة
نقيع شقاوة يسقاه قوم ... هم الشرب المدمَّم والسقاة
تردَّوا فى مصارعهم فأمسوا ... كسرب الوحش صرّعه الرُّماة
وحاق بأم قرفة ما أرادت ... بأكرم من تُفدّى الأمهات[(٥)]
أرادت قتله فجرى عليها ... قضاء القتل ، واتصف القضاة

---

(١) التقاة : اسم من الاتقاء .

(٢) المنصلت : الماضى فى شأنه لا يلوى على شيء ، ومن السيوف القاطع الصقيل .

(٣) كان دليل السرية رجل من بنى فزارة ،وكانوا قد جعلوا لهم ناظورا يقعد على جبل عال فيقول لهم حين يصبحون :اسرحوا اسرحوا لا بأس عليكم ، فإذا أمسوا قال لهم : ناموا لا بأس عليكم ، وكان ينظر مسيرة يوم . فلما كانت السرية على مسير ليلة من القوم أخطأ دليلها الطريق وسارت فى طريق آخر فإذا هى بمقربة منهم فأخذتهم بالسيوف .

(٤) البيات أخذ العدو ليلا .

(٥) كانت أم قرفة هذه سيدة فى قومها وهى بنت ربيعة بن بدر الفزارى ضرب بها المثل فى المنعة فقيل : أمنع من أم قرفة ، كان يعلق فى بيتها خمسون سيفا لخمسين رجلا كلهم لها محرم، ومن أخبارها أنها جهزت ثلاثين راكبا من ولدها وولد ولدها وقالت لهم : اغزوا المدينة واقتلوا محمدا ، أخذت وربطت رجلاها بحبلين شدا إلى بعيرين فشقاها وسبيت ابنتها .

فيالك منظرا عجبا تناهت ... به الصور الروائع والصفات
أحيط بها وبابنتها جميعا ... فما نجت العجوز ولا الفتاة
لتلك جزاؤها المُردِى وهذى ... لها الأسر المبرِّح والشتات
تساق ذليلة من بعد عزٍّ ... كما سيقت غداة النحر شاة
هو ابن الأكوع البطل المرجَّى ... سباها حين أسلمها الرعاة (١)
قنيصة نافذ الأظفار ضارٍ ... له فى كل ذى ظفر شباة
هى الهبة الكريمة صادفتها ... يمين ما تفارقها الهبات
يمين محمد لا خير إلا ... له فيها معالم بيِّنات
حباها خاله فى غير ضنٍّ ... وأين من الضنين المكرمات ؟
رسول الله أكرم من أناخت ... به الآمال وانتجع العفاة
بنى دين السلام بكل ماض ... به وبمثله ارتفع البُناة
لإنقاذ النفوس من البلايا ... تلحُّ على مباضعها الأساة
تأملتْ الحياة وكيف تبقى ... حقائقها وتمضى التُّرَّهات
فأدَّبنى اليقين وهذبتنى ... وصاة الله بوركت الوصاة
هنيئًا يا ابن حارثة وأنَّى ؟ ... وما ترقى إليك التهنئات (٢)
سموت فما تطاولك الأمانى ... ولا ترجو مداك النيِّرات
ظفرت من النبى بخير نعمى ... تطيب بها النفوس الصالحات
بلَثْمٍ زان وجهك واعتناق ... شفاك فما بجارحة أذاة
على النور الذى انجلت الدياجى ... به وعليك يا زيد الصلاة

---

(١) سلمة بن الأكوع هو الذى أسره الفتاة بنت أم قرفة . سألها رسول الله ﷺ ، فوهبها له، ووهبها هو لخاله حزن بن أبى وهب فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

(٢) جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه فقرع باب الرسول الكريم ﷺ فقام إليه يجر ثوبه حتى اعتنقه وقبله وسأله فأخبره بما وهب الله من النصر والغلبة .

سرايا خالد بن الوليد رضي الله عنه

وهى ثلاث ، أولاها لهدم العزى ، والثانية إلى بنى جذيمة ، والثالثة إلى أكيدر بدومة الجندل ، وقد ذكرت الأولى فى الفتح العظيم ، والأخيرة فى غزوة تبوك بعث خالد فى خمسين وثلاثمائة رجل إلى بنى جذيمة بناحية « يلملم » ليدعوهم إلى الإسلام ، وكان النبى ﷺ يومئذ بمكة ، وكانوا قد قتلوا الفاكه عم خالد فى الجاهلية وأخاه ، وقتلوا والد عبد الرحمن بن عوف ، وكانوا شرارا يسمون لعقة الدم ، وكان فى هذه السرية جمع من بنى سليم قوم مالك بن الشريد الذى قتله بنو جذيمة قبل ذلك هو وأخواه فى موطن واحد ، فنشأت عن ذلك حالة كان لها أثرها فى أنفسهم ، فلبسوا السلاح وخرجوا إلى خالد ومن معه ، يظنون شرا ويظن بهم كذلك ، وكانوا قد أسلموا فلم يعلم النبى ﷺ وأصحابه بإسلامهم ، فلما دعاهم خالد إلى الإسلام ، قالوا : صبأنا ، يريدون أنهم رجعوا عن جهالتهم إلى الإسلام ، ولكن هذا المعنى لم يقع فى نفس خالد على الوجه الذى أرادوه ، فأعمل فيهم القتل والأسر . وذهب جماعة منهم إلى النبى ﷺ يذكرون خبرهم ، وما صنع خالد بقومهم ، فغضب وبعث علي ن أبى طالب ، ومعه مال يدى بهم قتلاهم ورسالة إلى خالد أن يكف عنهم ، ويطلق أساراهم :

بنى جذيمة ما فى الأمر من عجب … جرى القضاء على ما كان من سبب
أظلَّكم خالد لا شيء يبعثه … إلا الجهاد يراه أعظم القرب
لمَّا دعاكم إلى الإسلام حين دعا … قلتم : صبأنا ،فلم يأثم ، ولم يحب
إن كان للمرء من أعمامه نسب … فالدين عند ذويه أقرب النسب
بنو سليم وإن خفتم فليس بهم … ويابن عوف سوى الأوهام والريب
فيالها غمرةً ما أسودَّ جانبها … حتى تجلت سراعا عن دم سرِب
سيء النبى بها فالنفس آسفة … والقلب مما أصاب القوم فى تعب

المسلمون دم لله أو عصب ... ما مثله من دم جار ولا عصب
هم فى الحوادث إن قلُّوا وإن كثروا ... بأسٌ جميعٌ ، ورأى غير منشعب
كلٌّ حرام على كل فإنْ فئة ... بغت على فئة ، فالله فى الطلب
أثارها خالدٌ شعواء عاصفة ... ما كان فيها لدين الله من أرب
رمى بها وغواشى الظنِّ تأخذه ... من كل صوب ، فلم يرشد ولم يُصب
إليك أبرأ ربِّى من جنايته ... وأنت فيما عنانى منه أعلم بى
قم يا علىُّ فواف القوم معتذرا ... وانشر عليهم جناح العاطف الحدب
وخذ من المال ما يقضى الديات وما ... يُرضى النفوس ويشفيها من الغضب
حقٌّ علينا دم القتلى ونحن على ... عهد وثيق وحبل غير مضطرب
القوم إخوتنا فى الله ، يجمعنا ... دين الإخاء على الأيام والحقب

* * *

ردَّ الإمام نفوس القوم فائتلفت ... واستحكم الودُّ وانحلَّتْ عرى الشغب
بالجاهلية مما هيض جانبها ... ما ليس ينفذ من همٍّ ومن وصب
سلها وقد رجعتْ حسرى مذمَّمة ... هل زادها الله إلا سوء منقلب

* * *

سَرايا محمّد بن مسلمة رضي الله عنه

السّرية الأولى

كانت إلى القرطاء ،وهم بطن من بكر بن كلاب،خرج إليهم محمد بن مسلمة فى المحرم من السنة السادسة ومعه ثلاثون راكبا فيهم عابد بن بشير فأغار عليهم ، وأخذ منهم نعما وشاء وسبيا ، ولم يتعرض للنساء ، ثم عادت السرية ومعها ثمامة بن آثال الحنفى نسبة إلى حنيفة سيد أهل اليمامة أسيرا ، فربط بسارية من سوارى المسجد وأمر النبى ﷺ أهله بإطعامه ، وجعل له لبن ناقة يأتيه صباحا، ومازال يتعهده ببره وفضله ، ويقول :« **ما عندك ياثمامة ؟** » ، فيقول : إن تقتل تقتل ذا كرم ،أو ذا دم ، وإن تعف تعف عن شاكر ، فإنه قد جاءه قبل ذلك رسولا من مسيلمة يغتاله . فعصمه الله منه ،وقد أمر بإطلاقه فاغتسل وأسلم وذهب إلى مكة معتمرا ، فأخذته قريش ، وقالت :لقد صبأت عن ديننا ، فقال : إنما أسلمت وتبعت خير دين ، ولن تصل إليكم بعد اليوم حبة من اليمامة حتى يأذن رسول الله ﷺ ، فهموا بقتله ثم رأوا أن يخلوا سبيله ، فحبس عنهم ما كان يأتيهم من اليمامة حتى أضرهم الجوع ، وأكلوا العلهز وهو الدم يخلط بأوبار الإبل فيشوى ، فكتبوا إلى النبى ﷺ يناشدونه الرحم ، فبعث إليه يأمره أن يخلى بينهم وبين ما يريدون ففعل ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ **ولَقدْ أخذْناهُم بالعذاب** ﴾ [المؤمنون: ٧٦] :

محمد يا ابن مَسلمة سلام ... ءحمد من شعائره الدوام

إلى القُرَطاء لا كانوا رجالا ... هم البرحاء والداء العقام

رجال السوء لا حقٌّ يؤدَّى ... لخالقهم ولا دين يقام

تنبَّهتِ القواضب والعوالى ... بأيدى الفاتحين : وهم نيام

بنى بكر ألّما تبصروها ... يشبّ ضرامها البطل الهمام

ألا إنّ السرية فاحذروها ... ليرهب بأسَها الجيشُ اللهام
هم الأبطال عِدتّهم قليل ... ومشهدهم كثير لا يرام
تقدَّم عابد ومشى إليهم ... عبادُ الله ، واستعر الصدام [1]
فتلك جماجم القتلى وهذى ... فلول القوم ليس بها نظام
وخُلِّيت النساء فلا ذمار ... لبكرىٍّ يصان ولا ذمام
وليس لعرض مغلوب وقاء ... ولكنّ الألى غلبوا كرام
أعفّاء النفوس ذوى حفاظ ... عليهم كل فاحشة حرام
هو الإسلام إحسان وبرٌّ ... وأخذ بالمروءة واعتصام
تخلَّوا عن حلائلهم فرُدَّت ... عليهم ، تلكم المنن الجسام
بنى بكر غدا الوادى خلاء ... فأين الشاء والكوم العظام ؟
وأين ثمامة بن أثال هلاّ ... حمته حنيفة مما يسام ؟
يسام الهون ما جزعتْ عليه ... ولا بكت اليمامة إذ يضام
أما بَصُرتْ بسيدها ذليلا ... عَبوسَ الوجه يعلوه القتام
أصاب من الرسول حمى منيعا ... وكهفا فيه للهمم ازدحام
أصاب قرىً يحدّث عن جواد ... يصيب الرىَّ من يده الغمام
أصاب كرامة وأصاب خيراً ... فلا مثوى يذم ولا مُقام
تعهده كريم أريحىٌّ ... له فى كل آونة لمام
ثمامة كيف أنت وأىُّ نعمى ... ظفرت بها فأعوزها التمام ؟ [2]
أما مكّنتُ ، منك وكنت خصما ... تفاقم شره ، وطغى العرام ؟

---

(١) عابد بن بشير ﷺ بعثه محمد بن مسلمة فى طليعة السرية ثم كر بها وراءه .
(٢) البيت وما بعده مسوق على لسان النبى الكريم ﷺ .

طحابك من مسيلمة خبال فلا رسن يردّ ولا زمام

يقول : لو أردت اليوم قتلى فلا شكوى لدىّ ولا ملام

وإن يكن منك مغفرة وعفو شكرتك والقوىّ له احتكام

هداه إلى سبيل الله هاد له بمخائل الخير اتّسام

ثمامة لا تخف ما عشت شراً تجلّى النور وانقشع الظلام

إلى البيت العتيق فسِرْ رشيدا ولا يحزُنْك عتب أو خصام

تأجج فى صدور القوم غيظ له فى كل جانحة ضرام

أتسلم يا ثمامة إن هذا وإن كذّبتنا لهو الأثام

ثمامة خنتنا وصبأت عنا فليس لصدع أنفسنا التئام

لأنت لنا عدوٌّ نتّقيه فلا صلح يكون ولا سلام

ألا فدعوا الجهالة واستفيقوا فما يُغنى عن الغيث الجهام

حذارِ فما ثمامة غير عضب لكم فى حَدّهِ الموت الزؤام

يقول لكم : لئن لم تتبعونى لسوف يُبيدكم منى انتقام

أسُدُّ عليكم الأسواق حتى يصيح جياعكم : أين الطعام ؟

أبوا فأذاقهم منه عذابا غراما ما لدائبه انصرام

أذاب الجوعُ أنفسَهم فضجُّوا وضجت فى جلودهم العظام

أهابوا بالنبى ، ألا أغثنا فما يرضيك إن يشقى الأنام

أغثنا إنها يا خير مولى عرى الأرحام ليس لها انفصام

رمينا من ثمامة بالدواهى وفى يدك الكنانة والسهام

نهاه فلا دمٌ فى الحى يُشوى ولا شيخ يجوع ولا غلام

تدارك فضله منهم نفوسًا تمنّتْ لو تداركها الحمام

فأمسى الأمر فيهم مستقيما ولو عرفوا المحجة لاستقاموا

السّرية الثانِيَة

وتسمى سرية ذى القصة .. موضع قريب من المدينة .. كانت إلى بنى ثعلبة وبنى عوال لما بلغهم محمد بن مسلمة وأصحابه كمنوا لهم ، ثم انقضوا عليهم وهم نيام فأعملوا فيهم الرماح . وجرحوا محمدا ثم جردوه من ثيابه ، وهم يظنون أنه قد مات ، ومر به بعض المسلمين فاسترجع ، فلما سمعه تحرك فحمله إلى المدينة . وبعث النبى ﷺ أبا عبيدة بن الجراح ، فلم يجد أحدا من القتلى ، ووجد نعما وشاء فرجع بها .

ويح ذى القصة ماذا يشهد ... ويحه من وقعة لا تحمدُ
يابنى ثعلبة ما خطبكم ؟ ... أكذى تقرى الليوث الهجَّد ؟
إنه الجبن وأخلاق الألى ... يحسبون الختل حربا توقد
فقدوا البأس فدبُّوا خفية ... وانتضوها أنفسا لا تفقد

* * *

ياجريح الحق ، هل متَّ وهل ... قُضِىَ الأمر ، وحم الموعد
فرح القوم ، فقالوا : مغنما ... ساقه الجد ورأى محصد
جرَّدوا الفارس من أثوابه ... ليت شعرى أى سيف جردوا
عرف السيف فتى من قومه ... ضجَّ يسترجع مما يشهد
أيها الميْت تحرك لا تخف ... حضر الفادى ، وجاء المنجد
بورك الحامل ، ما أحسنها ... من يد معروفها لا يجحد

* * *

يارسول الله بشرى إنها ... نعمة تزجى ، وخير يوفد
وبريد من بنى ثعلبة ... وعوال بالغوالى يبرد

جعلوا للسيف فيهم حكمه فله من هامهم ما يحصد
ليتهم كانوا رجالا فأبَوْا إذ دنا موعدهم أن يبعدوا

* * *

ذهب الحشد فلم ينظر سوى نعم تُزجَى ، وشاء تُحشد
ساقها ، ما جعلت من همِّه همُّه تلك النفوس الشُّرَّد
اللواتى تبعث الشرَّ فإن عصف الشر تولَّت تركد
بئسما توردها أهواؤها من حياض مُرَّة ، ما تورد
فتنة الشرك ، وما من فتنة مثلها بين البرايا توجد
ليس غير الله فى سلطانه من إلٰه يُتقى أو يعبد
مالك الملك ، تعالى ما له فى علاه من شريك يعهد

* * *

السّرية الثالثِة لِقتل كعب بن الأشرف

كانت فى ربيع الأول من السنة الثالثة ، وكان كعب من أشد الناس عداوة للرسول الكريم ﷺ وللمسلمين ، وكان يهجوه ويحرض المشركين على قتاله ، عاهده على ألا يعين عليه أحدا فنقض العهد، وخرج بعد وقعة بدر إلى قريش يبكى قتلاهم ، ويستفزهم للحرب ، ومن سيئاته أنه صنع طعاما ، ودعا إليه النبى ﷺ على نية الفتك به ، فنبأه الله فلم يأكل منه ، وكان لعنه الله كثير المال ، يعطى الأحبار ويصلهم ، فلما قدموا إليه بعد هجرة النبى ﷺ سألهم : ما يظنون به ؟ قالوا : هو الذى كنا ننتظره ، فغضب ولم يعطهم ثم رجعوا إليه وخدعوه بما يرضيه من القول، فرضى عنهم ووصلهم ، قال النبى ﷺ : « **من ينتدب لقتل كعب بن الأشرف ؟** » فقال محمد بن مسلمة : أنا يا رسول الله ، فقال له : «**إن كنت فاعلا فشاور سعد بن معاذ** » ، فأشار عليه سعد أن يذهب إليه يشكو حاجته ، ويطلب أن يسلفه طعاما ، فمكث ثلاثة أيام لا يأكل ولا يشرب ، وأتى أبا نائلة ، وعباد بن بشر ، والحارث بن أوس ، وأبا عبس بن جبر أن يصحبوه ، ثم جاؤوا إلى النبى ﷺ يستأذنوه فى أن يقولوا لكعب ما يرضيه ، فأذن لهم ، وذهبوا إليه فقتلوه وحملوا رأسه إلى النبى ﷺ ، وجاءه اليهود مذعورين ، يقولون : قتل سيدنا ، وعقدوا صلحًا:

يا ناقضَ العهد لا شكوى ولا أسف	الله منتقم والسيف منتصف
تهجو النبى وتغرى المشركين به	مهلا ،لك الويل، ماذا أنت مقترف ؟
كم جيفةٍ خرجتْ من فيك منكرة	لمّا تردَّتْ ببدر تلكم الجيف
إن الوليمة أخزى الله صانعها	كانت ضرارا ، فلا ودٌّ ولا لطف
أتحسبون رسول الله يجهلها	مكيدة فضحت أسرارها السجف ؟
بل أظهر الله ما تُخفون فانكشفت	يا ويلكم ، أىُّ خاف ليس ينكشف ؟

لقد هممتم بمن لا حيَّ يعدله ... إن نُوزع المجد بين الناس والشرف
ياويل من ظنّ أن الله يخذله ... وأنه من يمين الله يُختطف
ياكعب ما لك تؤذيه وتنكره ... وما الولوع بقول الزور ، والشغف ؟
جعلت مالك للأحبار مفسدة ... يُمتاح فيها الأذى حينا ويُغترف (١)
رمَوْك بالحق لما رحت تسألهم ... وأعلنوا من يقين الأمر ما عرفوا
فقلت: عودوا، فما عندى لكم من صلة ... جفَّ المعين ، فلا قصد ولا سرف
حسبى الحقوق ، فمالى لا يجاوزها ... إلى الفضول ، وما عن ذاك منصرف
عادوا يقولون : ما أشقاه من رجل ... لا يرتضى القول إلا حين ينحرف
ثم انثنَوْا ينطقون الزور ، فانقلبوا ... بالمال يصدف عنه المعشر الأنف (٢)
بئس العطاء وبئس القوم، أمرهم ... وأمر سيدهم فى الغىِّ مؤتلف
هم اليهود ، لو أن المال لاح لهم ... فى عين موسى كليم الله ما صدفوا
هبَّ ابن مسلمة للحق ينصره ... وللرسول يريه كيف يزدهف (٣)
فقال : دونك سعدا إن هممت بها ... شاوره فيها ، فنعم الحاذق الثقف
قضى ثلاثة أيام على سغب ... وللمجرب ذى التدبير ما يصف
وجاء فى صحبه يستأذنون على ... تقوى من الله ، ما مالوا ولا جنفوا

---

(١) جاءه أحبار اليهود ليأخذوا صلتهم على عادتهم ،فقال لهم: ما عندكم من أمر هذا الرجل «النبى» قالوا :هو الذى كنا ننتظره ، ما أنكرنا من نعوته شيئًا . قال : قد حرمتم كثيرا من الخير ارجعوا إلى أهليكم فإن الحقوق فى مالى كثير ، فرجعوا عنه خائبين ، ثم رجعوا إليه ، وقالوا : إنا عجلنا فيما أخبرناك به ، وليس هو المنتظر فرضى عنهم ووصلهم . وجعل لكل من تابعهم من الأحبار شيئًا من ماله .

(٢) الأنف :جمع أنوف وهو الشديد الأنفة .

(٣) ازدهف : تقحم فى الأمر والحمل احتمله، والشيء ذهب به وأهلكه ، وللكلمة معان أخرى.

قال الرسول لكم فى القول مأربكم ... ماذا على الدُّرِّ مما يُوهم الصدف ؟
هى القلوب فإن طابت سرائرها ... فما بأفواهكم عيب ولا نطف [١]

* * *

مضَوْا فقالوا لكعب : أنت موئلنا ... أنت الحمى المرتجَى فى الأزل والكنف[٢]
أما ترانا جياعا ، لا طعام لنا ... حتى لقد كاد يغشى أهلنا التلف [٣]
لم يُبقى صاحبنا شيئًا نعيش به ... فالزاد منتَهب ، والمال مُجتَرف
إن أنت أسلفتنا ما نستعيد به ... روح الحياة ، فغيث وَدْقه يكِف
قال : الحلائل رهن ، لا طعام لكم ... إلا بهن ، فقالوا : مطلب قذف [٤]
تأبى علينا سجايانا ، ويمنعنا ... هذا الجمال الذى أوتيت والترف
قال : البنون ، فقالوا : لا تكن عسراً ... البؤس أهون مما رمت والشظف
خذ السلاح وإن كلفتنا شططا ... إن الشدائد فيها تسهل الكلف
لم يدر مأربهم ، إذ يسخرون به ... وإذ يريدونها دهماء تلتحف
قال : ارتضيت ، فقالوا : غمة ذهبت ... عنا غياهبها ، وانجابت السدف [٥]

---

(١) النطف : العيب والشر والفساد .

(٢) الأزل : الشدة والضيق .

(٣) قال له أبو نائلة : كان قدوم هذا الرجل علينا بلاء من البلاء ، عادتنا العرب ، ورمتنا عن قوس واحدة فقطعت عنا السبيل حتى جاعت العيال وجهدت الأنفس ، وسألنا الصدقة، ونحن لا نجد ما نأكل ، وسائر ما عندنا أنفقنا على هذا الرجل وعلى أصحابه، إنى أريد أن تبيعنى وأصحابى طعاما ونرهنك ونوثق لك ، قال :ارهنونى نساءكم ، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب ولا نأمنك عليهن ، قال : فأبناءكم ، قالوا :هذا عار علينا ، نرهنك السلاح فرضى .

(٤) القذف من الأمكنة والمواضع ما يزل عنه ويهوى والشىء يبعد ويتقاذف . .

(٥) السدف الظلم جمع سدفة .

وأرجأوه إلى إبَّان مورده ... يعبُّ من سمه المردى ويرتشف
جاؤوه بالليل مسرورا بغرفته ... وليس ينجى الفتى من حتفه الغرف (١)
ورنَّ صوت أخيه عند مضجعه ... اخرجْ إلينا ، أما تنفكُّ تعتكف ؟
فهبَّ يركض ، وارتاعت حليلته ... مهلا، فإن فؤادى خائف يجف
أنت امرؤ ذو حروب لا يلائمه ... أن يستجيب ذوى الأضغان إن دلفوا
إنى لأسمع صوتًا لست آمنة ... كأنه الدم يجرى أو هو الجدف (٢)
قال : اسكتى، ودعينى ،إنه لأخى ... يخشى علىَّ فيرعانى وينعطف
وراح يلقاه ، والإسلام مبتسم ... والشرك متَّسم بالحزن مرتجف
وافاه فى صحبه يدنى الخطى عبقا ... كأنه ذات دلٍّ زانها هيف
قالوا : أتمشى إلى شعب العجوز ففى ... هذا الخلاء جنى للنفس يخترف ؟
وانظر إلى القمر الزاهى وبهجته ... واعجب له بعد هذا كيف ينكسف
ساروا إلى الشعب ، والأقدار تتبعهم ... على هدى الله ، ما زاغت ، ولا اعتسفوا
حتى إذا قعدوا ظلت بموقفها ... وأقبل الموت عن أيمانها يقف

---

(١) انتهوا إلى حصن كعب ، وكان قريب عهد بعرس ، فهتف به أبو نائلة ـ وهو أخوه من الرضاع فوثب فى ملحفته ، فأخذت امرأته بطرفها . وقالت : إنك رجل محارب ، وإن أصحاب الحرب لا ينزلون فى هذه الساعة ، إنى أسمع صوتا كأنه يقطر منه الدم ، قال : إنه أبو نائلة ولو وجدنى نائما ما أيقظنى ، ونزل ينفح منه ريح الطيب فتحدث معهم ساعة ، ثم قالوا هل لك يا ابن الأشرف أن نمشى إلى شعب العجوز ـ اسم موضع كان قريبا منهم ـ نتحدث به بقية ليلتنا . وكانت ليلة مقمرة ، فقال : إن شئتم ، ثم مشى ساعة ، وأدخل أبو نائلة يده فى باطن رأسه ، ثم شم يده ، وقال : ما رأيت كالليلة طيبا أعطر ، ثم عد لمثلها فاطمأن ، ثم أخذ فى الثالثة بشعره وقال : اضربوا عدو الله ، فضربوه ، وصاح صيحة منكرة ، وصاحت امرأته يا آل قريظة والنضير مرتين فلم يبق حصن إلا أوقدت فيه النار .

(٢) الجدف : القبر .

وتلك كفٌّ أخيه فوق مفرقه ... كأنها من جنى الزهر تقتطف

يشمُّها ، ويقول القول يخدعه ... فى الطيب ، وهو له من خلفه هدف

ظلَّتْ سيوف رسول الله تأخذه ... تشق ما ضربت منه وتنتقف (١)

يا حسنها صيحة من فيه يرسلها ... كادت تخر لها من داره السقف

لم تستطع عرسه صبرًا فجاوبها ... صوت يجلجل : أودى السيف اللقف

بنى قريظة هبوا من مضاجعكم ... بنى النضير انفروا للثأر وازدلفوا

عدا الرجال على كعب ، فوالهفا ... أين الحماة ؟ وماذا يصنع اللهف ؟

تبكى عليه ، وماذا بعد مصرعه ... إلا البكاء ، وإلا الأدمع الذُّرُف ؟

إن الذى كان يثنى عطفه صلفًا ... أمسى صريعا ، فلا كبر ولا صلف

عادوا بهامته ، تُلقَى مذمَّة ... عند الرسول ومنه الصدُّ والنكف (٢)

كان اليهود على آثارهم ، فأبت ... أن يُدَركوا همم ترمى بهم عُصُف

الله أكبر والحمد الجزيل له ... نصر جديد ، وفضل منه مؤتنف (٣)

ريعتْ يهود ، فجاءت تبتغى حلفا ... عودى يهود ، فنعم العهد والحلف

هيهات ، ما لك من عهد ولو حملت ... ملء البسيطة من أيمانك الصحف

---

(١) نقف الشىء أو انتقفه بمعنى شقه ، وكان محمد بن مسلمة ابن أخيه من هذه الناحية .

(٢) جزوا رأسه واحتملوه فى مخلاة كانت معهم ، واجتمعت اليهود من كل ناحية فأخذوا على غير الطريق ففاتوهم ، فلما بلغوا بقيع الفرقد كبروا ،وقد قام النبى ﷺ تلك الليلة يصلى ، فلما سمع تكبيرهم كبر وعرف أنهم قتلوه ، ثم انتهوا إليه ، فأخبروه بقتله ، فقال : « **أفلحت الوجوه** »، قالوا : ووجهك يا رسول الله ، ورموا برأسه بين يديه . فحمد الله على قتله . ونكف عنه : أنف منه .

(٣) المؤتنف بمعنى المستأنف أى الجديد المبتدأ .

عبّاد ، قل إن في الأشعار تذكرة   وإنْ أحسنها ما أورث السلف (١)
غنٍّ الرفاق بوحي الحق تنشده   مضى النعيب وأودى الشاعر الخرف(٢)

* * *

(١) عباد بن بشر ، قال في هذه الواقعة :

صرخت به ، فلم يعرض لصوتي   ووافى طالعا من رأس خدر
بعثت له . فقال من المنادى؟   فقلت : أخوك عباد بن بشر
وهذي درعنا رهنا فخذها   لشهر إن وفى أو نصف شهر
فقال معاشر سغبوا وجاعوا   وما عدموا الغنى من غير فقر
فأقبل نحونا يهوى سريعا   وقال لنا : لقد جئتم لأمر
وفى أيماننا بيض حداد   مجربة بها الكافر نفرى
فعانقه ابن مسلمة المردى   به الكفار كالليث الهزبر
وشد بسيفه صلتا عليه   فقطره أبو عبس بن جبر
وكان الله سادسنا فأبنا   بأنعم نعمة وأعز نصر
وجاء برأسه نفر كرام   همو ناهيك من صدق وبر

(٢) النعيب : صوت الغراب .

سَرَايا أمير المؤمنين على بن أبى طالِب كَرم اللّه وجْهَه

السّريّة الأولى

كانت إلى بنى سعد بن بكر بفدك « قـرية بينها وبين المدينة ست ليال » ، بلغ النبى ﷺ أنـهم يريدون أن يمدوا يهـود خيبـر على أن يجعـلوا لهم تمرها ، فـلما اقترب الإمام والذين معه وكانوا مائة رجل من هذه القرية وجدوا رجلا فسألوه عن بنى سعـد ، فقال : لا علم لى بهم فـشددوا عليه ، فأقـر أنه عين لهم ، ثم دل المسلـمين عليـهم ، ولكنهم خـافوهم فـلم يظهـروا للقائهـم ، وغنمت السـرية خمسمائة بعير وألفى شاة .

يـا بنـى سـعـد بـن بـكر مـرحـبًا ... بـادروا الـقـوم فـراى وثـبـى (١)

غـشـيـتـكم مـن يـهـود فـتـنـة ... كـالحـبىِّ الجـون يُرخِـى الهـيـدبا (٢)

إن فـى خـيـبـر مـن سـحـر الـقنـا ... عـدد الـتـمـر ومـن بيـض الـظبـى

هـى لـلأبـطـال أزكـى مـطـعـمـا ... يـا بنـى سـعـد وأشـهـى مـشـربـا

هـل تـرون الـيـوم إلا مِـقـنـبـا ... من حـمـاة الحق ، يـتلـو مقـنبـا (٣)

إنـه يـوم « عـلـىٍّ » فـاصـبـروا ... أو فـحـيدوا عـنه يـومـا أشهـبـا (٤)

يـا « بـنى سـعـد بـن بكـر » إنـه ... مـارج الهـيـجـاء يزجـى اللهـبـا (٥)

احـذروهـا واحـمـوا أنـفـسـكـم ... لا تـكـونـوا فـى لـظاهـا حـطـبـا

---

(١) الثبى الجماعات .

(٢) الحبى: السـحاب المتراكب يـشرف من الأفق على الأرض والجـون الأسود أو الأبيض ، وكلاهما من صفـات السحاب ، والهيدب : ما يرى كأنه فـويق الأرض من السحاب إذا تدلى.

(٣) المقنب : جماعة الخيل .

(٤) يوم أشهب وأمر أشهب : أى : صعب.

(٥) المارج : النار لا دخان فيها.

دلَّه منكم عليكم رجل خشى القتل ، وخاف العطبا
« عينكم » صيرها عينا لكم فاعجبوا للأمر كيف انقلبا
زحف الجيش فذبتم فرقا وارتمى البأس ، فطرتم هربا
ليس غير النهب ، ما يمنعه منكم اليوم امرؤ أن ينهبا
« نكبة التمر » فلولا شؤمه لم يذق آلامها من نكبا
أفما جربتم القوم الألى خلقوا للشرِّ فيمن جرّبا ؟
هم وباء الأرض ، أو طاعونها شرعوا السحت ودانوا بالربا [1]
غضب الله عليهم ، فرضوا ربّى زدهم كل يوم غضبا
هالك من ظن ممن يعتدى ويعادى الله إن لن يغلبا
وأضلُّ الناس فى دنياه من وضح الحق ، فولَّى وأبى

* * *

(١) السحت : المال الحرام ، والكسب الدنىء بجلب العار ، سمى بذلك لأنه مسحوت البركة أو لأنه يسحت ، أى يستأهل صاحبه بشؤم .

السّرية الثانيَة

كانت لهدم « القلس » صنم طيئ والإغارة عليها ، بعث إليهم فى خمسين ومائة رجل من الأنصار فهدوا الصنم وأحرقوه واستاقوا الشاء والنعم والسبى ، وكان فى السبى أخت عدى بن حاتم الطائى واسمها « سفانة » ومعناها الدرة مر عليها النبى ﷺ فقامت إليه وذكرت له أباها وما كان له من أعمال مشكورة ، ثم سألته أن يمن عليها ففعل ، وأسلمت فكساها ثم حملها وأعطاها مالا فذهبت إلى أخيها وأشارت إليه بالقدوم على النبى ليدخل فى دين الله فجاء وأسلم [1] ،وقد وجدوا فى خزانة الصنم ثلاثة أسياف معروفة عند العرب وهى الرسوب واليمانى والخذم وثلاثة أدراع آلت إلى النبى ﷺ :

إلى طيئ يا ابن عم النبى ... إلى معشر يعبدون الصنم

إلى الفلس ، فى جندك الغالبين ... فلن يلبث الشرك أن يصطلم [2]

أضل العقول ، وأعمى القلوب ... وأشقى النفوس وهدّ الهمم

أرى طيئا خذلت ربها ... فما من ملاذ ، ولا معتصم

فيالك ربّا يذوق الهوان ... فيغضى عليه ولا ينتقم

مضى عزُّه ، وانطوى مجده ... فزال الجلال وبار العظم

وأصبح تذروه هوج الرياح ... فتلك تفاريقه ما تُلمّ

وهاتيك أسلابه أُطلقت ... وكانت حبائس منذ القدم

سيوف بقين طوال العصور ... ودائع للوارثين الأمم

(١) هذه القصة مذكورة فى باب الوفود .

(٢) اصطلم الشيء استأصله .

مللن لدى الفلس عهد الظلام ... فأصبحن ميراث ماحى الظلم
أضاء الرسوب به واليمانى ... وأشرق فى راحتيه الخذم
وما نظرت أعين الدارعين ... كأدراعه الغاليات القيم
رجعْت بها يا ابن عم النبى ... وبالشاء محلوبة والنعم
وبالسبى مغتنما ، ما رأى ... حماة المحارم إذ يغتنم
ومرّ النبىّ بسفّانة ... فقامت إليه تبث الألم
وقالت : نشدتك فامنن علىّ ... فما حق مثلىَ أن يُهْتَضَم
أنا ابنة من كان فى قومه ... عقيد السخاء حليف الكرم
وما بك فى حاتم من ريبة ... بلى إنه للجواد العلم
يفك العناة ويعطى العفاة ... ويكسو العراة ويحمى الحرم
ويُفشى السلام ويرعى الذمام ... ويقرى الضيوف ويشفى القرم (١)
فقال لها : صفة المؤمنين ... فلو أنهم كان فيهم رُحِم
كريم يحب حسان الخلال ... ويكره من حبها أن يُذم
مننت عليك فإن تفرحى ... فغيرك أولى بحزن وهم
فقالت شهدت مع الشاهدين ... فذلك دين الهدى ، لا جرم
رأيت السبيل فآثرته ... وفارقت دين العمى والصمم
كساها وأركبها واستهل ... عليها بغمر من المال جم (٢)
فراحت بخير وراح الثناء ... يجول السهول ويطوى الأكم (٣)
وجاءت أخاها فقالت عدىُّ ... أرى الحق أخلق أن يُلتزم

---

(١) القرم : شهوة اللحم .
(٢) الغمر : الكثير .
(٣) الأكم : جمع أكمة وهو التل يكون دون الجبل، أو الموضع يكون أكثر ارتفاعا مما حوله .

وإنى استقمت على واضح من الأمر يا ابن أبى فاستقم
دع الشرك واذهب إلى يثرب فثَمَّ هُدَى الله بارى النسم
هناك هناك جلاء العمى ورِيُّ الصدى وشفاء السقم
هناك النبى العظيم الجلال هناك الرسول الكريم الشيم
هناك النجاة لهلكى النفوس فطوبى لمن رامها فاعتزم

* * *

السّريّة الثالثة

كانت إلى بلاد مذحج . . أبو قبيلة من اليمن .وهى من بلاد اليمن بعث إليها فى ثلاثمائة فارس عقد النبى ﷺ له لواء وعممه بيده ، فلما بلغها فرق أصحابه فأتوا بنهب وغنائم وأطفال ونساء ونعم وشاء وغير ذلك ، ثم لقيهم قدعاهم إلى الإسلام فأبوا ورموا المسلمين بالنبل والحجارة ، فصف أصحابه ، ودفع لواءه إلى مسعود بن سنان ، ثم حمل عليهم فقتل منهم عشرين رجلا فانهزموا وتفرقوا ، فكف عنهم ، ثم دعاهم إلى الإسلام فأسرع إلى إجابته ومتابعته نفر من رؤسائهم ، وقالوا : هذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى ونحن على من وراءنا من قومنا . فعاد فوافى النبى ﷺ بمكة فى حجة الوداع .

بنى مذحج ما ثمّ من مُتردّد ... هو الدين أو حدُّ الحسام المهنّد

ألا فانظروا سيف الإمام وبأسه ... تروا عجبا من مشهد ليس بالدَّد (١)

بليتم بمعقود اللواء على يد ... يشدُّ عليها مالك الملك باليد

بنى مذحج ما ظنكم بمدجّج ... تعممه للحرب كف محمد ؟

غزاكم بما لا تعرف الحرب غيرهم ... إذا انتسب الأبطال فى كل مشهد

أصابوا من الأسلاب والسبى ما ابتغوا ... وأنتم بمنأى بين صرعى وهجّد

فلما لقوكم قال صاحب أمرهم ... هو الحق من يؤثره يرشد ويهتد

فإن تُسلموا فالله بينى وبينكم ... وإن تُعرضوا فالسيف عضب المجرد

صددتم صدود الجاهلية وردكم ... عن الحق رأى طائش لم يُسدّد

جرى النبل يهوى واستطارت حجارة ... تتابع شتى بين مَثنًى وموحد

رميتم بها جند النبىّ وإنما ... رميتم بأحلام عوازب شُرَّد

---

(١) الددر: اللعب .

مضى السيف يجزيكم على الشرّ مثله فلا دمكم بَسْلٌ ولا هو معتد
فوليتم الأدبارَ ، وارتدّ جمعكم شرازم شتى كالشعاع المُبدَّد
وآمن منكم معشر عاد جَدُّهم سعيدا ومن يرغبْ إلى الله يسعد
وجاؤوا ، فقالوا : هذه صدقاتنا فخذها بإحسان ، وإن شئت فازدد
ندين بأن البرّ لا شيء مثله ونبذل حق الله غير منكّد (١)
وأنا لكم عون على ما وراءنا نناجز منهم كل غاوٍ ومُفسد
وندعو إلى الإسلام ننشر نوره ونورد منهم قومنا خير مورد
لك الشكر ، فارجع يا عليُّ مظفَّرا وبشِّرْ رسول الله يشكر ويحمد

* * *

---

(١) المنكد : القليل العسر .

سَرية أبى سَلمَة إلى قطن

هو عبد الله بن عبد الأسد القرشى المخزومى ، بعثه النبى ﷺ إلى قطن ، «جبل بناحية فيد ـ اسم ماء لبنى أسد » فى المحرم من السنة الرابعة ، ومعه مائة وخمسون رجلا من المهاجرين والأنصار ، منهم أبو عبيدة ، وسعد ، وأسيد بن حضير وأبو نائلة لطلب طليحة وسلمة ابنى خويلد الأسديين ! لأنهما كانا يدعوان قومهما ومن أطاعهما لحربه ، وكان قيس بن الحارث ينهاهما عن ذلك فلا ينتهيان، فلما بلغت السرية أرض بنى أسد خاف القوم فهربوا ،وأصاب المسلمون إبلا وغنما فأخذوها .

يا ابنى خويلد أىّ شرٍّ هجتما ... إن كان من يبغى المحال فأنتما
أفتدعوا إلى قتال محمد ؟ ... هلا إلى غير القتال دعوتما ؟
ما كان قيس فى النصيحة جاهلا ... بل كان أعلم بالصواب وأحزما
ينهاكما أن تفعلا ، ويخافها ... مشبوبة تجرى جوانبها دما
بعث النبى الجيش تحت لوائه ... بطل إذا نكص الفوارس أقدما
هو ذاك عبد الله فى أصحابه ... يمشى إلى قطن قضاء مبرما
فتأهّبا يا ابنى خويلد واجمعا ... للحرب جمعكما . ولا تتندما

* * *

سر يا دليل الجيش فى بركاته ... واسلك إلى فيد الطريق الأقوما [1]
هى منتواه فليس يبغى غيرها ... لشبا القواضب منتوى وميمّما
يا دائبا يصل الدياجر بالضحى ... سر فى سبيلك إن أردت المغنما [2]
إن الألى جعلوك رائدهم أبوا ... إلا السخاء ، فما أبرّ وأكرما
درجوا على دين الفداء فما بهم ... عند الحفيظة ما يعاب ويُحتمى

---

(١) هو الوليد بن زبيد الطائى .

(٢) أعطى من الغنيمة ما أرضاه .

أين الرجال ، ألا فتى ذو نجدة ... يرمى بمهجته العجاج الأقتما ؟

أين الرجال ؟ أفارقوا أوطانهم ... أم أصبحوا ملء المضاجع نُوَّما ؟

يا ابنى خويلدَ جرِّدا سيفيكما ... حذر العدى وتقدما لا تحجما

يابنى خويلد أين ما أعددتما ... للحرب ، تستلب الكمى المُعلما ؟

أعددتما الجبن المذلَّ لتسلما ... فهلكتما ، وكذلك يهلك ذو العمى

أسلمتما النهب السليب ، وإنه ... لأجل منزلة ، وأعظم منكما

رجع الغزاة به كراما ، ما لقوا ... كيدا يرد ، ولا أصابوا مجرما

الله طهرهم وصان سيوفهم ... سبحانه ، أسدى الجميل وأنعما

هم حزبه ، لا حزبَ إلا دونهم ... ولو أنه اتخذ الكواكب سلّما

* * *

عبد الله بن أنيس الأنصارى رضي الله عنه

بعثه النبى ﷺ وحده فى المحرم من السنة الرابعة لقتل أبى سفيان بن خالد الهذلى الذى جمع الجموع لحربه ، ولم يكن عبد الله يعرفه ، فقال . صفه لى يا رسول الله فقال : « **إذ رأيته هبته وفرقت منه ، ووجدت له قشعريرة وذكرت الشيطان** » ، ثم استأذنه إن يقول له ما يرضيه فأذن له ، وأمره أن ينتسب إلى خزاعة ، وكان بموضع قريب من عرفة يقال له : عرنة ، فأخذ سيفه وخرج إليه فوجده كما وصف ، وقال له ما أرضاه حتى اطمأن إليه فقتله ، وجاء برأسه إلى النبى ﷺ :

سرية أنت وحدك فاجعل سجاياك جندك
لا تخش يا ابن أنيس فليس سفيان ندك
احشد قواك وخذه فليس يستطيع ردك
إن غره حد عزه فسوف يعرف حدك
يهول فى الوصف جدا حتى ليعظم عندك
لكنه الله أعلى عليه فى البأس جدك
أقبل فتى البأس أقبل واعمل لربك جهدك

* * *

أخذْته بخلاب كذبْته فيه ودك
أوردته القول حلوا ولو درى عاف وِردك
ويلمّه من غبىّ لو كان يعرف قصدك
أحبب به من رسول لقتله قد أعدك
يظن أنك ضد له ، فدونك ضدك
بوركت ياابن أنيس من فارس ما أشدك
ضربته فتردّى وكان ذلك وكدك

وعدت لام جد إلا ... أراه يحسد مجدك

* * *

سفيان هل كنت طودا ... فمن رماك فهدّك ؟

أم كنت للشرِّ ذخرا ... تخشى الطواغيت فقدك ؟

أودى بك ابن أنيس ... فأقفر الحىُّ بعدك

وردَّ عزك ذلا ... فما تُصعِّر خدك

ملأت صدرك حقدا ... فهل شفى السيف حقدك ؟

ومت من قبل وجدا ... فهل محا الموت وجدك ؟

أين الجموع ؟ أتدرى ... من خط فى الترب لحدك ؟

وأين رأسك ؟ هلاّ ... صدقتَ نفسك وعدك ؟

أغواك جهلك حتى ... لقيت فى النار رشدك

أنضجت نفسك غيظا ... فاليوم تُنضج جلدك

يغيظك الدين حقا ... فأنت تقدح زندك

هَيَّجت للشرّ وقدا ... فأين غادرت وقدك ؟

* * *

يا صاحب الغار من ذا ... بنصره قد أمدك[1]

أليس ربَّك ؟ فاجعل ... له على الدهر حمدك

ردّ العدى ، لم يفوزوا ... وأنت بالفوز ردك

ألق الهديّة واسحب ... فى ساحة الفخر بردك

دعا الرسول وأثنى ... فاحمد - لك الخير - رفدك

وقل :تباركت ربِّى ... يسّرت للخير عبدك

---

(١) أسرع القوم خلف عبد الله بن أنيس رضي الله عنه بعد أن قتل سفيان فاختبأ فى غار كان فى طريقه، ونجاه الله منهم .

سريّة عكاشة بن محصن

بعثه النبى ﷺ إلى الغمر .. « غمر مرزوق » ،وهو ماء لبنى أسد على ليلتين من « فيد » ومعه أربعون رجلا ،فى ربيع الأول من السنة السادسة، فخافهم القوم وتركوا مساكنهم وأصاب المسلمون غنما وإبلا فعادوا بها إلى المدينة :

عكاشة ما فى الغمر من متخلف ... خلا الغمر من عُمّارة فهو مقفر
تناذر أهلوه سيوفك ، فانجلوا ... وغودر وحشا خاليا ليس يُعمر [1]
خذ الشاه والإبل السمان ، فإنهم ... إلى أجل ، ما دونه متأخر
فإما حمى الإسلام ، أو حدُّ قاضب ... على متنه منهم دم يتفجر
عكاشة عد بالجند غير مخيّب ... كفى القوم خزيا أن يفرُّوا ويدبروا
لكل امرئ من نفسه ما تودُّه ... وما يك من شىء ، فربك أكبر
له الدين والدنيا ، وما بعد هذه ... فلا شىء إلا ما يشاء ويقدر

* * *

(١) تناذر القوم : أنذر بعضهم بعضا .

سَريّة عبد الرحمن بْن عوف إلى دومة الجندل

وهى حصن وقرى من طرف الشام بينها وبين دمشق خمس ليال ، وبينها وبين المدينة خمس عشرة ليلة ، كانت هذه السرية فى شعبان من السنة السادسة، سيرها النبى ﷺ بعد أن عمم أميرها عبد الرحمن بن عوف ﷺ بيده الشريفة ، ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ، وقال له ولمن معه : « **اغزوا جميعا فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم** » ، فمكث عبد الرحمن ثلاثة أيام يدعو القوم إلى الإسلام فيأبون إلا السيف ، ثم أسلم رئيسهم الأصبغ بن عمرو الكلبى، وكان مسيحيا ، وأسلم معه كثيرون ، وتزوج ابنته وقدم بها إلى المدينة فولدت له بعد عشرين سنة وبضع من الهجرة أبا سلمة الحافظ الثقة والعالم الكبير.

يابن عوف سر حثيثًا باللواء ... واقدم الجيش بعزم ومضاء
سر حثيثا يا ابن عوف إنها ... دومة الجندل والقوم البطاء
سُبقوا للحق ما يأخذهم ... ذلك النور ، ولا هذا الرُّواء
ويحهم ماذا عليهم لو رضوا ... شرعة الله، ودين الحنفاء ؟
اتَّق الله ، ولا تبغ الأذى ... واتّبع ما قال خير الرحماء
إن للحرب لديه أدبا ... يزَغُ السيف ويحمى الضعفاء
من يدَعْه لا ينل مجدا وإن ... فتح الأرضَ ، وأقطار السماء

* * *

أعرض القوم ، وقالوا :ديننا ... يابن عوف ، ديننا ، لا ما تشاء
ليس غير السيف يقضى بيننا ... وهو أولى يا ابن عوف بالقضاء
ورأى سيدهم ما هاله ... من أمور لا يراها الجهلاء
إنه الأصبغ لا يخدعه ... باطل الوهم ومكروه الهراء

قال :أسلمت ، فياقوم أشهدوا واهتدوا ، فالله حقٌّ لا مراء
شرع الدين الذى وصّى به عمدة الرسل وشيخ الأنبياء
هو دين الله حقًّا ، ما به إن رضينا أو أبينا من خفاء

* * *

أسلمتْ من قومه طائفة وأبت طائفة كل الإباء
ما على ذى همَّة من حرج إن تراخى الجدُّ أو زاغ الرجاء
كل أمر ، فله ميقاته طابت الأنفس ، أم طال العناء

* * *

يا ابنة الأصبغ هذا ما قضى ربُّك الأعلى ، ففوزى بالرفاء
ملَّة فضلى ، وبعل صالح حبذا القَسْم . وما أسنى العطاء
إنه أمر النبىِّ المجتبىَ معدن التقوى ، ومولى الأتقياء [1]
يابن عوف ، لو رأى الغيبَ امرؤ لرأت عيناك ما تحت الغطاء
لك من زوجك كنز جلل من كنوز الله أغنى الأغنياء
يُستمَدُّ العلم منه والهدى ويقام الدين قدسى البناء
نعمة لله ، ما أعظمها فله الحمد جميعا والثناء

* * *

(١) قال الرسول الكريم ﷺ لعبد الرحمن بن عوف « **إن استجابوا لك فتزوج ابنة ملكهم** » .

سَرِيّة عَبد الله بْن عتيك الخزرجى الأنصارى

كانت لقتل أبى رافع عبد الله ، أو سـلام بن أبى الحقيق اليهودى ، وهو من الذين حزبوا الأحزاب يوم الخـندق وأعان المشركين بالمال الكثير ، بـعثه النبى ﷺ إليه فى شـهر رمضان سنـة ست ، وقيل : فى ذى الحجـة سنة خمس بعـد وقعة الأحزاب ، ومـعه عبـد الله بن أنيس ، وأبـو قتادة واسـمه الحارث بـن ربعى ، والأسود بن خزاعى ، ومسعود بن سنان الأسلمى من الخزرج ، فذهبوا إلى خيبر فلمـا أمسوا جاؤوه فى حـصن له ، فقـال ابن عتيك لأصـحابه : دعونى أحـتال للدخول عليه ، ثم تقنع بثوبه ، فظنه البواب من أهل الحصن الذين خرجوا لطلب حمـار فقد منـه فأدخله ، ثم أخـذ المفاتيح الـتى علقهـا البواب وراء البـاب بعد إغلاقه، فلـما ذهب عن أبى رافع أهل سمره صـعد إليه ابن عتيـك يفتح الأبواب ويغلـقهـا وراءه ، ثم انتهـى إليه فـإذا هو وسط عـياله فى بـيت مظلـم ، وقال لامرأته: إنى جـئته بهدية ، ثم ضربـه فلم يقتله ، وصاح أبو رافـع ، فخرج ابن عتيك ثم عاد ، وقد غير صوته يسأله عن سبب صياحه ، ثم قتله ، وخرج فسقط وانكسرت ساقه فاختبأ ، وخرج اليهود باحثين ، ثم عادوا وهو كامن ، وبقى إلى أن يسمع النـاعى، فلما نعى انطلـق إلى أصحابه ، ثم عادوا ، ومـسح النبى ﷺ على رجله ، فكأنما لم تصب .

أبـا رافـع لا يـرفـع الله طـاغـيـا ... ولا يـدع الخـصـم المشـاغـب ناجـيـا
جمعـت من الأحزاب ما شئت ، تبـتغى ... لنـفـسك من تـلك العـقـابيـل شافـيـا
ورحـت تصـبُّ المال فـى غـيـر هينـة ... تـريـد بـديـن المسلـمين الـدواهـيـا
هو ابـن عـتيـك إن جـهلـت وصحبـه ... فـلسـت بـلاق من حـمـامك واقـيـا
يـدبُّ وقـد جـنَّ الـظلام مـقـنعـا ... يـريدك مـغـتـالا ، ويـلـقـاك غـازيـا
كـأن حـمـار الحـصـن أوتى رشـده ... فـأجـمـع ألا يصـحب الـدهر غـاويـا
أعـان عـليـك السـيف يـكره أن يـرى ... دمـا فاجـرا فـى مسبح الـكفـر جـاريا

يقول له البواب: مالك جالسا ؟ ... وقد دخل الرهط الذى كنت رائيا ؟[١]

إلى الحصن فادخل ، لست تارك بابه ... لأجلك مفتوحا ودعنى وما بيا

فقام ولو يدرى خبيثة نفسه ... أعض وريديه الحسام اليمانيا [٢]

ولاحت لعينيه الأقاليد فانتحى ... يضمُّ عليها مخلب الليث ضاريا [٣]

فلماً غفا السمار أقبل صاعدا ... إلى الأخرق المغرور ، يعلو المراقيا

سقاه بحدّ الهندوانىِّ حتفه ... فبوركت من سيف ، وبورك ساقيا

* * *

هوت رجله من زلة قذفتْ به ... إلى الأرض فى ظلماء تُخفى الدراريا [٤]

فما برحت حتى أصيب صميمها ... بصدع فأمسى واهن العظم واهيا

وبات يُوارى نفسه فى مكانه ... ويزور فى برديه يخشى الأعاديا

تنادوا : فقالوا فاتك من عدونّا ... رمى السند الأعلى ، فلا كان راميا

متى جاء ؟ كيف انسل فى غسق الدجى؟ ... وماذا جرى ؟ من كان للحصن حاميا ؟

من الجنِّ هذا أم من الإنس ، ياله ... مصابا ينسّينا الخطوب الخواليا ؟

وراحوا سراعا مهطعين يهيجهم ... طِلاب الذى ما زال فى الحصن ثاويا

فما تركوا فى أرض خيبَر بقعة ... ولا غادروا مما هنالك واديا

وعادوا يعضّون البنان ولو رأوا ... مكان الردى المجتاح ألفوه جاثيا

---

(١) ظنه البواب من أهل الحصن . فقال له : إن كنت تريد أن تدخل فادخل فإنى أريد أن أغلق الحصن فدخل فاختبأ يتربص لحاجته .

(٢) يريد بواب الحصن .

(٣) الأقاليد المفاتيح .

(٤) قال ابن عتيك ﷺ يذكر ما حدث له بعد قتل أبى رافع : فجعلت أفتح الأبواب بابا بابا حتى انتهيت إلى الأرض فوقعت فانكسرت ساقى ، فعصبتها بعمامة ثم خرجت فكمنت فى موضع وأوقدت اليهود النيران وذهبوا فى كل وجه يطلبون حتى إذا أيسوا رجعوا فلما صاح الديك صعد الناعى على السور ينعى أبا رافع ، قال: فأتيت أصحابى أحجل . . إلخ .

فما زال حتى أذّن الديك ، وانبرى　　من القوم داع يرفع الصوت ناعيا
هنالك وافى صحبه ، فتحدبوا　　عليه ، وكان الظن أن لا تلاقيا
فتى يركب الأهوال لا يّتقى الردى　　ولا يتوقى الحتف يلقاه عاديا
قصاراه أن يرعى أمانة ربه　　ويلقى رسول الله جذلان راضيا
شفى رجله مما بها ، فكأنها　　بخيبر لم تكسر ولم يك شاكيا
أبا رافع ، ماذا لقيت بحفرة　　طوت منك جبارا قضى العمر عاتيا ؟
عكفت على البغى المذمّم والأذى　　فذُبْ أسفا ، واعكف على النار صاليا

* * *

سَرِيّة عبد الله بن رواحة الأنصارى
إلى أسير بن رزام اليهودى بخيبر

لما قتل أبو رافع أمرت اليهود عليها أسير بن رزام فغضب لقومه وسار فى غطفان وغيرهم يجمعهم للحرب ، وبلغ النبى ﷺ ذلك فوجه عبد الله بن رواحة وبعض أصحابه فى رمضان من السنة السادسة يستطلعون الخبر ، وعادوا بعد ثلاثة أيام يذكرون ما رأوه وسمعوا ، فبعثه إلى أسير فى ثلاثين رجلا ، فعرضوا عليه أن يسير معهم إلى النبى ﷺ ليحسن إليه ويستعمله على خيبر فشاور قومه فرضى بعض وأبى بعض ، وسار ومعه جمع منهم ، فلما كان فى الطريق ندم على سيره ، وأراد الفتك بابن رواحة فقتله ، وقتل المسلمون من كن معه إلا رجلا اشتد فى الهرب ، وكان ذلك فى شوال من السنة السادسة .

أأنت يا ابن رزام تغلب القدرا ؟ جرب لك الويل من غرٍّ وسوف ترى
جرب أُسَيرُ ولا تجزع إذا عثرت بك التجاريب ، إن الحرّ من صبرا
كذبت قومك ، إن الحق ليس له من غالب ، فاعتبر إذ كنت معتبرا [1]
هيهات مالك إلا الغىُّ تتبعه والغى يتبعه فى الناس من فجرا
بئس الأمير وبئس القود إذ جعلوا لك الإمارة كيما يدركوا الظفرا
الظافرون بنو الإسلام ، لا فزعا يرى العدى فى الوغى منهم ولا خورا
هم الألى يلبسون الحرب زينتها إذا تعرّتْ وولّى الذادة الدُّبُرا
ماذا تحاول بالأشياع تندبهم ؟ حاولت يا ابن رزامٍ مطلبا عسرا

---

(١) قال لهم : ما سار محمد إلى أحد من يهود ولا بعث أحدا من أصحابه إلا أصاب منهم ما أراد ولكنى أصنع ما لم يصنع أصحابى ، قالوا : وما عسيت أن تصنع ؟ قال : أسير فى غطفان فأجمعهم ونسير بهم إلى محمد فى عقر داره ، فإنه لم يغز أحد فى عقر داره إلا أدرك منه عدوه ما يريد .

ظننتها غزوة تخفى مكائدها ... فما احتيالك فى السرّ الذى ظهرا ؟
لو لم يوافى رسول الله مُخبرُه ... وافاه من ربه من يحمل الخبرا
كم فضّ جبريل من صمّاء مغلقة ... أنحى على سترها المكنون فاشتهرا (١)

* * *

على أُبى رافع ، فلتبك من أسف ... واستبق نفسك إن كنت امرأ حذرا
ذلّت يهود فما يُرجَى لها خطر ... على يدىْ من نهى فيها ومن أمر
دعها أُسَيْر لك الويلات من رجل ... ضلّ السبيل ، فأمسى يركب الغَرَرا (٢)
ألست تبصر عبد الله فى نفر ... أعظمْ به وبهم من حوله نفرا ؟
جاؤوك يا ابن رزام لو تطاوعهم ... لأذهب الله عنك الرجس والوَضَرا
لكنك المرء لو ترميه صاعقة ... تنهاه عن نزعات الغىّ ما ازدجرا
ردّوا لك الخير تسديه إليك يد ... ما مثلها من يد نفعا ولا ضررا
قالوا : انطلق معنا إن كنت منطلقا ... فأتِ الرسول وسله تبلغ الوطرا
ما شئت من سؤدد عال ومن شرف ... على اليهود ويجزى الله من شكرا
أبى وراجعه من نفسه أمل ... أغراه بالسير حتى جدّ مبتدرا
ثم انثنى ينمادى فى وساوسه ... يظن ذلك رأيا منه مُبتسرا (٣)
واختارها خطة شنعاء ماكرة ... فحاق بالجاهل المأفون ما مكرا
أراد شرا بعبد الله ، فانبعثت ... منه صريمة عاد ينقض المررا (٤)
رآه أخون من ذئب فعاجله ... بالسيف يورده منه دما هدرا

---

(١) أنحى على الشىء أقبل .

(٢) الغرر التعرض للهلكة .

(٣) خرج أسير ومعه ثلاثون رجلا من اليهود مع رجل رديف من المسلمين وكان هو رديف عبد الله بن رواحة ، حتى إذا كانوا بقرقرة . موضع على ستة أميال من خيبر ندم أسير على مسيره ، وأراد الفتك بابن رواحة ففطن له وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ثم ضربه فسقط . ومال أصحاب النبى ﷺ على أصحابه، ورأى مبتسر: أى غير ناضج.

(٤) الصريمة : العزيمة .

وانقضّ أصحابه يلقون من معه   من قومه فاستحر القتل واستعرا
لم يترك السيف منهم وهو يأخذهم   إلا حشاشة هاف يسبق البصرا [1]
مضى مع الريح لا يأسى لملكهم   ولا يبالى قضاء الله كيف جرى
كذلك الغدرُ يلقى الويل صاحبهُ   وكيف يأمن عقبى السوء من غدرا ؟

* * *

(١) هو الرجل الذى هرب ، أفلت على رجليه وأعجز المسلمين شدا .

عمرو بن أميّة الضمرى يُوفد إلى مكة لِقتل أبى سفيان

اختار أبو سفيان رجلا من أجرأ الناس وأقدرهم على الشر ، ثم أعطاه نفقة وبعيرا ، وبعثه لقتل النبى ﷺ ، فخرج يحمل خنجرا حتى جاءه فانحنى عليه يريد أن يفعل فأخذته الرهبة وكان أسيد بن حضير مع النبى ﷺ فشد على خناقه حتى ظهر الخنجر ، إذ كان يخفيه فى ثيابه ، وقد استجار بالنبى ﷺ فعفا عنه وأسلم ثم ذهب فلم يعرف اسمه ولم ير بعد ذلك .

أرسل النبى ﷺ عمرو بن أمية الضمرى لقتل أبى سفيان ؛ وكان فاتكا فى جاهليته شجاعا فى إسلامه ، فأخذ خنجرا ، وخرج معه رجل آخر اختلف فى اسمه ، فقيل : هو سلمة بن أسلم ، وقيل : جبار بن صخر ، فجعل عمرو يتنكر بمكة حتى لا يعرفه أحد لشهرته فعرفه معاوية بن أبى سفيان وأشاع خبره، فخف الناس يطاردونه ، فاختبأ فى غار وخرج فقتل رجلا من الكفار ، ورأى رجلين منهم فى طريقه إلى المدينة كانا يتجسسان على المسلمين، فقتل أحدهما برمية سهم، وأسر الآخر .

أبا سفيان أىُّ دم تريد ؟ ... هى العنقاء مطلبها بعيد
بل العنقاء أقرب من مرام ... هو الأمل المحبّب أو يزيد
أغرّك خِنْجرُ بيدى شقِىٍّ ؟ ... وما يدريك ، أيكما السعيد ؟
رأى رجلا ترى الشم الرواسى ... جلالته ، فترجف أو تميد
فلم تنفعه من فزع قواه ... ولم ينهض به البأس الشديد
وشدّ خناقه بيدى أسيد ... فلولا الرفق لانقطع الوريد
تلقّاه بمخلب مكفهر ... يثور فتقشعر له الجلود
وأظهر ما يوارى من سلاح ... يدب بمثله الشنف الحقود [1]

(١) الشنف : المبغض .

وأيقن أن دين الله حقٌّ ... فما يجدى الضلال ، وما يفيد
أصاب الخير من بركات ربٍّ ... هداه رسوله الهادى الرشيد
وجاءك يا أبى سفيان عمرو ... فأين تزيغ ويحك ، أو تحيد
هو البطل الذى عرفت قريش ... فلا نكر بذاك ولا جحود
يخادعهم ، وما تخفى عليهم ... مكيدة من يخادع أو يكيد [(١)]
بدا لهم المغيَّب فاستزابوا ... ولجَّ الذعر واضطرم الوعيد
وأبصره معاوية فجلّى ... سريرة نفسه النظر الحديد
وشدُّوا خلفه فإذا سُلَيْك ... أعير جناحه البطل النجيد
وغيّبه ببطن الأرض غار ... فما يدرون أين مضى الطريد ؟
أعين بصاحب لا عيب فيه ... فنعم الصاحب الثبت الجليد [(٢)]
وجاء لحينه منهم غوىٌّ ... له فى الشعر شيطان مريد [(٣)]
يدير الكفر فى فمه نشيدا ... يردده ، فيعجبه النشيد
أصاخ له ، فأوقد منه نارا ... لها من كل جارحة وقود
تلهّب واستطار ، فيالنفس ... طغت حينا فأدركها الخمود
رماها فى لهيب اليأس ربٌّ ... لها فى ناره الكبرى خلود

* * *

كلا الرجلين يا عمرو عدوٌّ ... فدونك إنه صيد جديد
هما عين الخيانة من قريش ... وأنت يد النبىّ بها يذود
رميت عن النبى فمن صريع ... أراق حياته السهم السديد

---

(١) دخل مكة ليلا هو وصاحبه سلمة بن أسم أو جبار بن صخر، ومضى عمرو يطوف بالبيت فرآه معاوية بن أبى سفيان فعرفه وشاع خبره ، فقال أبو سفيان ورجال قريش: والله ما قدم عمرو إلا لشروطا ردوه .

(٢) سلمة بن أسلم أو جبار بن صخر .

(٣) رجل قتله أمية لقوله :

ولست بمسلم مادمت حيا ... ولست أدين دين المسلمينا

ومن فزع مضيت به أسيرا | على جزع ، يذلُّ ويستقيد
جلبت على أبى سفيان شرًّا | فأصبح وهو محزون كميد
تجرَّع ثكل من فُقِدا ذعافا | وأهلكه الأسى فهو الفقيد
ستدركه الحياة ولا حياة | لغير المؤمنين ولا وجود
رجال لا تُبيدهم المنايا | وكل من بنى الدنيا يبيد
هو الإيمان ، لا دنيا حلوبٌ | يعاش بها ، ولا ملك عتيد

* * *

سَريّة أبى بكر رضي الله عنه إلىٰ بنى كلاب

ويقال إلى : بنى فزارة بناحية « هرية » بنجد ، خرج إليهم فى شعبان من السنة السابعة فى رجال منهم سلمة بن الأكوع ، فبعد أن صلو الصبح شنوا الغارة عليهم فقتلوا وسبوا ، وكان من السبايا مرأة استوهبها سلمة بن أبى بكر فجعلها له ثم استوهبها النبى ﷺ من سلمة ، فوهبها له ، فأرسلها صلوات الله وسلامه عليه إلى مكة ففدى بها أسرى من المسلمين كانوا عند المشركين .

جرِّد السيف أبا بكر فما ... طُبع السيف ليبقى مُغمدا
تلك نجد خيَّم الكفر بها ... فاستعن بالله واذهب منجدا
جاهد القوم وزلزل دينهم ... أين دين الكفر من دين الهدى ؟
سرت فى بأس بعيد المرتمى ... ما له فى الله جدٌّ أو مدى
إنها الحرب ، فسر لا تتئد ... ودع السيف وأعناق العدى
فارم يا ابن الأكوع القوم فما ... خُلق المخلب لليث سدى
هدَّهم أسرا وسبيا ، وسقى ... من سقى منهم أفاويق الردى
جال فيهم جولة عاصفة ... فهوَوا صرعى وأمسوا همَّدا
صدفوا عن ربهم سبحانه ... وأبوا أن يُتَّقى أو يُعبدا
فجزاهم من نكال ما لقوا ... وى كأن الله يجزى المفسدا

* * *

يا أبا بكر وأنت المُرتجَى ... أعطه المرأة يشكرْها يدا (١)
إن تكن سيدة فى قومها ... فكفاها أن أصابت سيِّدا
عاد منصورا وسارت معه ... فرقدا ، يتبع منه فرقدا
نظر الله إليها فبدا ... لرسول الله فيها ما بدا

(١) زعم بعض الرواة أن هذه المرأة أم قرفة التى يرد ذكرها فى سرية زيد بن حارثة رضي الله عنه ، وهو من أوهامهم .

قال : هبها لى ، فلم يبخل بها ومضى من أمرها ما سدّدا
هبطتْ مكة فى حاجته فهى للصحب من الأسر فدى
سرَّه أن أطلق الشرك بها من نفوس حرة ما قيّدا

* * *

اذهبى ما أنت من شأن الألى أوردوا قومك ذاك الموردا
كذب الجهال فيما زعموا ما المباتير المواضى كالمدى

* * *

سَرايا غالب بن عبد الله الليثى

السّريّة الأولى

كانت فى شهر رمضان سنة سبع إلى أهل الميفعة بناحية نجد ، وهى على ثمانية برد من المدينة ، خرج إليها فى مائة وثلاثين رجلا ، فهجموا على أهلها فى مساكنهم ، وقتلوا من تصدى لهم ، واستاقوا النعم والشاء ، وفى هذه السرية قتل أسامة بن زيد ﷺ نهيك بن مرداس الأسلمى وقيل : الغطفانى ،بعد أن قال لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلامه النبى ﷺ فقال : إنما قالها تعوذا من القتل ، قال : « **هلا شققت عن قلبه فتعلم أصادق هو أم كاذب ؟** » قال أسامة : لن أقتل بعده من قالها ، وفى ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا** ﴾ الآية [النساء:٩٤] وورد بأن النبى ﷺ دفع الدية إلى أهله ، وأمر أسامة أن يعتق رقبة :

اسألى يا نجد أهل الميفعه ... كيف أمسَوا بعد أمن ودعه

وانظرى ما صنع الكفر بهم ... من أذى يعجبه أن يصنعه

هو صنو الشرِّ أو توأمه ... ما ثوى فى موطن إلا معه

ما الذى يعصمهم من غالب ... جذوة الحرب وليث المعمعه ؟

جاءهم يقدم من أبطاله ... كلُّ ماض لا يبالى مصرعه

يمنع الإسلامَ من أعدائه ... ـدم يأبى له أن يمنعه

لو تمشّى الموت فى بردته ... حين يمشى للوغى ما روّعه

أخذوهم أخذة رابية ... صادفت منهم نفوسا فزعه

ثم آبوا كالنجوم الزهر فى ... نعمة مما أصابوا وسعه

* * *

يا ابن زيد ، قدِّم العذر ، وقل ... يارسول الله ، هل من تبعه ؟
رجل أجمع أن يخدعني ... فجعلت السيف يعلو أخدعه
أعلن الإسلام يحمي دمه ... وله بالكفر نفس مولعه
قال :هل شق الفتى عن قلبه ... فيرى السر ، ويدرى موضعه ؟
يا ابن زيد ، يا له من خلق ... لست بالمؤمن حتى تدَعَه
ساءه اللوم ، فقلب آسف ... يتقى الله ، ونفس موجعه
تاب ممّا سوَّل الظن له ... وأباها سنة مبتدعه
ليس للمرء من الأمر سوى ... ما رآه ظاهراً ، أو سمعه
وخفايا الغيب لله الذى ... يعلم السر ويدرى موقعه
احترس ما الظن إلا شبهة ... تتَّقيها كل نفس ورِعه
واتبع الحق فهذا حكمه ... جاء فى القرآن كيما تتبعه

* * *

ما سبيل المرء يرتاد الهدى ... كسبيل المرء يبغى المنفعه
ما نأى المؤمن عن عادته ... حين ينأى عن هوان وضعه

* * *

السّرية الثانِيَة

كانت إلى بنى الملوح بالكديد . . اسم ماء بين عسفان وقديد . . خرج إليها فى صفر من السنة الثامنة ، وكان من رجال هذه السرية جندب بن مكيث الجهنى ﷺ قال : لما بلغوا قديد وجدوا الحارث بن مالك الليثى المعروف بابن البرصاء فأخذوه ، فقال : إنى جئت أريد الإسلام وما خرجت إلا لرسول الله ﷺ فقالوا: إن تكن مسلما فلن يضرك رباط يوم وليلة ، ثم وضعوا عليه حارسا . وأمروه أن يقتله إذا ظهر منه سوء ، وساروا حتى أتوا الكديد ، فجعله أصحاب جندب بن مكيث ربيئة لهم ، فأشرف على رأس تل فرآه رجل من بنى الملوح فرماه بسهمين، وقع الأول بين عينيه فنزعه ، والثانى فى منكبه فكذلك ، ثم نام القوم فحمل المسلمون عليهم سحرا ، فقتلوا منهم من قتلوا واستاقوا النعم ، واستصرخ القوم، فاجتمع عدد كثير وحملوا على المسلمين فأرسل الله السيل فى الوادى ، وادى قديد من غير سحابة ولا مطر فحال بينهم ، وأسلم ابن البرصاء وهو صحابى توفى آخر خلافة معاوية .

بنى المُلَوح لا حامٍ ولا واقِ ... طاف الردى وتلاقى الشرْبُ والساقى
أتتكم المرهفات البيض زائرة ... فاستقبلوها بهامات وأعناق
مشى بها غالب فى غير ما وهن ... يلفُّ للحرب آفاقا بآفاق
رمت به همم الإيمان ممعنة ... فالشرك يرجف من خوف وإشفاق
ما خطب هذا الذى لاقت فوارسه ... عند القديد ، أيمضى غير معتاق ؟
كلاً فإن يك حقا ما يقول فما ... فيما يريدون من ظلم وإرهاق
يقيم حتى يعودوا ثم يصحبهم ... إلى الرسول على عهد وميثاق
وإن يكن كاذبا فالسيف صاحبه ... والسيف صاحب صدق غير مَذَّاق

* * *

جاؤوا « الكَدِيد » فما يعفىَ ربيئتهم ... والنوم يلهو بأجفان وأحداق

ولاح بالليل فوق التلّ منظره ... لساهر قام من ذعر على ساق
رمى بسهمين لم يُخطئ له نظر ... ولم يُجاوزه فى نزع وإغراق
انزعهما ابنَ مكيث لا تكن جزعا ... ولاتُرعْ لدم فى الله مهراق
ويا سيوف رسول الله لا تدعى ... للعاكفين على الأصنام من باق
النازلين وراء الحق منزلة ... ما اختارها غير فُجّار وفساق
ما ينكرون من الدين الذى كرهوا ؟ ... هل جاء إلا بآداب وأخلاق ؟
دين السجايا العُلَى تمضى بهم صعدا ... ما تستطيع مداها همة الراقى
دين هو الغلّ ينهى كل مبتدع ... يرمي النفوس بأغلال وأطواق
لا يحبس النفس إلا حين يطلقها ... وليس يظلم فى حبس وإطلاق

* * *

بنى الملوح ردُّوا من غوايتكم ... فالحق ذو وضَح باد وإشراق
هو الشقاء لأدواء النفوس إذا ... حار الطبيب ، وأمسى رهن إخفاق
أتصدِقون عن المثلى وقد هتفت ... بها الدعاة ، فلبّى كل سباق ؟
لولا العمى ما اقتديتم فى ضلالتكم ... بمعشر من قريش غير حُذّاق
والناس من زعماء السوء فى خبَل ... يؤذى الطبيب ويُعيى حكمة الراقى
يا ويلكم إن رضيتم جوف مظلمة ... مسجُورة ذات أطواء وأعماق (١)
ماذا صنعتم بخيل الله حين دعا ... يستصرخ الحىَّ منكم كل نعّاق ؟
طارت بكم غارة حرًى فأطفأها ... وادى قديد بسيل منه دفّاق
لا تنكروا وقضاء الله يرسله ... ما كان من دهش جم وإطراق
أعظِم بها آية لولا جهالتكم ... كانت لخير البرايا خير مصداق
سيقت لنصرته الأقدار تمنعكم ... أن تدركوا جنده كل منساق
وأنت يا أيها المُزجى مطيّته ... إلى الرسول يوالى سير مشتاق (٢)

---

(١) المسجورة الموقدة والأطواء الآبار.

(٢) هو الحارث بن مالك الليثى .

أصبت من نعمة الإسلام كنز هدى أغناك ربك منه بعد إملاق
فاسعد برزقك ، واشكر مَن حباك به سبحانه من عظيم الفضل رزاق

* * *

السّريّة الثالثة

لما عاد غالب بن عبد الله الليثى ﷺ من الكديد أرسله النبى ﷺ إلى موضع مصاب أصحاب بشير بن سعد « بفدك » فى صفر سنة ثمان ومعه مائة رجل فأغاروا على بنى مرة فقتلوا وغنموا ، وكان بشير ﷺ قد سار إليهم فى شعبان سنة تسع ، ومعه ثلاثون رجلا فما رأوا منهم أحدا وعادوا بالنعم والشاء فأدركوهم وجعلوا يرمونهم بالنبل ، فقتل من قتل وولى الباقون إلا بشيرا ، فقد ثبت لقتالهم حتى جرح وسقط وبه رمق ، وعمد القوم إلى اختباره بضربة فى كعبه فلم يتحرك، فظنوا أنه قد مات ، وانصرفوا عنه لنعمهم وشائهم، فتحامل هو فذهب فى الليلة التالية إلى فدك فأقام فيها عند بعض اليهود حتى قوى ثم عاد إلى المدينة بعد أيام :

بنى مرة اقضوا أمركم قبل غالب ... وذوقوا منايا القوم من كل ذاهب

بشير بن سعد والذين أصابهم ... أذاكم رمَوكم بالقروم المصاعب

جهلتم جزاء البغى والبغى مركب ... لذى الجهل يؤذى شؤمه كل راكب

خذوا جزاء من يد الله عادلا ... يدمر منكم كل راض وغاضب

بليتم بخصم لا تنام سيوفه ... عن الوتر إن نامت شفار القواضب

أبىٍّ على الكفار يسقيهم الردى ... ويأخذهم بالخسف من كل جانب

حفىٍّ بدين الله يمنع حوضه ... ويكفيه أضغان العدوِّ المشاغب

هو الدم لا يشفى من الجهل غيره ... إذا لم يُفِدْ فيه ضروب التجارب

أجل يا ابن عبد الله إن الوغى لها ... رجال يرون الحزم ضربة لازب

شددت قوى الأبطال بالموثق الذى ... عقدتَ على تلك القوى والجواذب [١]

---

(١) عن حويصة ﷺ قال : بعثنى ﷺ فى سرية مع غالب إلى بنى مرة فأغرنا عليهم مع الصبح وقد أخذ علينا أميرنا أن لا نتفرق وآخى بيننا ، وقال : لا تعصونى ، فإنه ﷺ قال : « **من أطاع أميرى فقد أطاعنى ومن عصاه فقد عصانى** » .

فعهد على عهد من الله ثابت ... وإلف على إلف من الدين راتب
أخ لأخ جمّ الوفاء وصاحب ... أمين الهوى يرعى الذمام لصاحب
ويالك إذ تُلقِى بما أنت قائل ... عل الجند آداب الكمىّ المحارب
أخذت رماة النبل بالسيف ما رمى ... بغير المنايا عن يدى كل ضارب
سقاهم نقيع الحتف من كل ماجد ... جرى الحتف صرفا فى دم منه ذائب
لذى الحلم من حسن المثوبة ما ابتغى ... وللجاهل المغرور سوء العواقب
دعاك رسول الله أصدق من دعا ... إلى الحق ترمى دونه غير هائب
فكنت أمام الجيش أكرم قادم ... وكنت وراء النهب أكرم آيب
مقام تمنَّاه الزبير ومطلب ... يراه الفتى المقدام أسنى المطالب (١)
ظفرت به يا توأم النصر توأما ... لما نلت من مجد على الدهر دائب
مضى لك يوم فى الكديد مشهَّر ... يحدّث عن جد امرئ غير لاعب
فياحسنها من وقعة غالبية ... ويالك من يوم جليل المناقب

* * *

(١) روى أنه ﷺ هيأ الزبير بن العوام رضي الله عنه ، وقال له : « **سر حتى تنتهى إلى مصاب أصحاب بشير** » ، وهيأ معه مائتى رجل ، فلما رجع غالب بن عبد الله من الكديد مؤيدا بالنصر استبقى الزبير وبعثه هو .

سَرِيّة بشير بن سَعْد رضي الله عنه

وهى السرية الثانية له بعد التى ورد ذكرها فى السرية السابقة ، كانت إلى عين وجبار وهى أرض لغطفان وقيل : لفزارة ، خرج إليها فى شوال سنة سبع ومعه ثلاثمائة رجل ، وسبب خروج هذه السرية أن عيينة بن حصن أعد جمعا بأرض غطفان للإغارة على المدينة ، فلما بلغهم مسير بشير إليهم هربوا ، وأصاب هو وأصحابه نعما كثيرة لهم فغنموها ، ثم لقوا الجمع وهو لا يشعر بهم فانهزم بغير قتال وتبعوهم ، فأسروا منهم رجلين أسلما وخلى سبيلهما .

عيينة ماذا أنت ـ ويحك ـ صانع ؟ ... وما ذلك الجمع الذى أنت جامع
رويدك هل يغزو المدينة حانق ... ويطمع فيها يا عيينة طامع ؟
هى الصخرة العظمى فلا البأس نافع ... إذا جئت تبغيها ولا السيف قاطع
لها من جلال الله حصن ممنَّع ... يردُّ الأذى عنها وجيش مدافع
وفيها رسول الله والنفر الألى ... يهون عليهم أن تهول الوقائع
إذا وردوا الهيجاء فالنقع قاتم ... وإن صدروا بالخيل ، فالنصر لامع
بشير بن سعد يا عيينة قادم ... فهل أنت بالجمع المضلل راجع ؟
أتاكم على بعد المزار حديثه ... فلا قلبَ إلا واجف منه جازع
فررتم تريدون النجاة وقد بدا ... لكم منه يومٌ هائل البأس رائع
وغادرتم الأنعام تعوى رعاتها ... وتندبها آثارها والمراتع
فيالك من نهب تولَّى حماته ... وأقبل يُزجَى سربه المتتابع
وياللأسيرين اللذين نهاهما ... عن الشرك ناه من هدى الله رادع
هما أسلما ، لما بدا الحق واضحًا ... وللحق نور للعماية صادع
أطاعا رسول الله فاهتديا به ... وما يستوى فى الناس عاص وطائع
عيينة من ينزع إلى الرشد لا يزل ... على لاحب منه ، فهل أنت نازع [1]

(١) اللاحب : الطريق البين .

سَرية عَمرو بن العاص رضي الله عنه إلى بلاد بلى وعذرة

تقع هذه البلاد وراء هذه القرى ، بينها وبين المدينة عشرة أيام ، وبلى قبيلة كبيرة تنسب إلى بلى بن عمرو بن إكاف بن قضاعة ، وتنسب عذرة إلى عذرة بن سعد بن قضاعة ، وتسمى هذه السرية ذات السلاسل ! لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض مخافة أن يفروا ، والمراد أنهم تجمعوا وانضم بعضهم إلى بعض، وقيل : لأن بهذه البلاد ماء يسمى . . السلسل . . كانت فى جمادى الآخرة سنة ثمان ، وسببها أن جمعا من قضاعة أرادوا الإغارة على المدينة . فبعثها النبى ﷺ تحت إمرة عمرو بن العاص وعددها ثلاثمائة رجل من سراة المهاجرين والأنصار ، فلما اقترب من القوم بعث رافع بن مكيث الجهنى إلى النبى ﷺ يستمده ، فبعث إليه أبا عبيدة بن الجراح فى مائتين من أكابر المهاجرين والأنصار ، فيهم أبو بكر وعمر وأوصاه بطاعة عمرو ، فأراد أن يؤم الناس فى الصلاة ، فأبى عمرو ، وقال : أنا الأمير ، فأطاع أبو عبيدة ، ومازال عمرو يصلى بالناس ، وحمل المسلمون على العدو ، فهربوا بعد أن اقتتلوا ساعة ، فقتلوا وغنموا ، وأمر عمرو أن لا يوقدوا نارا ، فأنكر عمر ذلك ، فقال أبو بكر: دعه ، فما بعثه النبى ﷺ إلا لعلمه بالحرب وأرادوا أن يتبعوا العدو ، وهو مدبر فمنعهم ، فلما عاد سأله النبى ﷺ فقال :كرهت أن يوقدوا نارا فيرى العدو قلتهم، وأن يتبعوهم فيكون لهم المدد .

إلى ذات السلاسل من بلىّ ... وعذرة فامض ، بورك من مضىّ
تدفقْ بالألى جاشت قواهم ... إليك تدفّق السيل الأتىّ
إلى قوم من الأعداء تُطوَى ... جوانحهم على الداء الدوىّ
تألّب جمعهم من كل أوب ... يحاول بالسيوف حمى النبىّ
أهزلٌ من قضاعة أم خيال ... غوىٌّ جال فى جوٍّ غوىٍّ ؟
تولّى الكفر أمر القوم فيه ... فسوف يرون عاقبة الولِىّ
جمعت لحربهم يا عمرو بأسًا ... بزلزل كل جبار عتىّ

رأيت جموعهم شتى فهذا رسولك جاء بالمدد القوى
عليه أبو عبيدة فى سلاح يمجُّ عصارة الموت الوحِىِّ (١)
نهاه محمد عن كل أمر تضيق به ، وما هو بالعصى
ينازعك الإمامة ثم يرضى وتلك سماحة الخلق الرضى
رميت الكافرين بكل ماض من الأبطال يعصف بالرمى
فزالوا عن حظائرهم سراعًا ولم تُغن الرباق عن الشوى (٢)
تواصوا بالثبات فزلزلتهم صواعق ما تكف عن الهُوىِّ
هو البأس استطار فلا ثبات لغير السيف والبطل الكمى
قضيت السؤل من قتل وغنم ونلت ذؤابة الشرف العلى
وكنت القائد الفطن الملَّقى فنون المكر والكيد الخفى
منعت النار خيفة أن تعرِّى جنودك ، شيمة الحذِر الذكى
تدافع دون عدتهم عدوا تخادعه عن الأمر الجلى
ولم تتبع قضاعة إذ تولَّت وإذ ذهل الصفىُّ عن الصفى
تقاتلها بسيف من دهاء يمزقها بحدٍّ لوذعى
رمى الفاروق من عجب بقول يثير حمية الرجل الأبى
فقال له أبو بكر : رويدًا ولا تعدل عن السنن السوى
رسول الله أكثر منك علمًا بصاحبه ، ولست له بسىّ
وما للحرب إلا كل طَبّ يصرِّفها برأى عبقرى

* * *

أميرَ الجند يالك من سرىٍّ أصاب أمارة الجند السرى
مشى الصِّديق والفاروق فيه على أدب من الخلق السنىّ
وهل يقضى على اسم الله أمر فينكره التقىُّ على التقى ؟

---

(١) الوحى السريع .

(٢) الرباق حبال بها عرى والشوى الشاء .

إذا استوت المراتب وهى شتَّى فما فضل اللبيب على الغبى ؟
أجَلْ يا عمرو ما بك من خفاء إذا فزع الرجال إلى الكفىِّ
شأوت السابقين إلى محلٍّ يجاوز غاية الأمد القصىِّ
وذلك فضل ربك ، زيد فيه على يده ، لذى الجدّ الحظىِّ

* * *

سَريّة أبى عُبَيْدة بن الجرّاح

وتسمى سرية الخبط ، وذلك لما أصابها من الجوع فألجأها إلى أكل الخبط ، وهو ورق السلم فإنها خرجت للجهاد ، ولم يكن معها من الزاد سوى جراب تمر زودها النبى ﷺ إياه ، وسماها البخارى سرية « سيف البحر » أى ساحله ، بعث أبو عبيدة فى رجب من السنة الثامنة بعد أن نقضت قريش عهد الرسول الكريم ﷺ ، وقبل فتح مكة ومعه ثلاثمائة وبضعة عشر رجلا من المسلمين فيهم عمر بن الخطاب إلى أرض جهينة ليلقى عيرا لقريش ، ويحارب حيا من هذه القبيلة فلما اشتد بهم الجهد ابتاع قيس بن سعد بن عبادة من أحد رجال جهينة خمس جزائر بخمسة أوسق من التمر يؤديها أبوه عنه بالمدينة ، فنحر لهم ثلاثا ، وبقى اثنان عاد بهما إلى المدينة يتعاقب المسلمون عليهما :

هم سادة الحرب من شيب وشبان ... ساروا سراعا فما فى القوم من وان

حيدى جهينة أو بيدى مذممة ... حُمَّ القضاء ، وخفت أسد خفان

سرية الله ترمى عن يد بطل ... عالى اللواء ، رفيع القدر والشان

أبا عبيدة أوردها مظفرة ... موارد النصر ، تشفى كل حران

ما للحفيظة إن جاشت مراجلها ... إلا القواضب تُسقَى بالدم القانى

خانت قريش وأمسى عهدها كذبا ... فبادر العير واضرب كل خوان

لا يعجبن جناة الشر إن حصدوا ... ما يزرع الشؤم من بغى وعدوان

لا تبتئس بجراب التمر يحمله ... أولو الحمية من صحب وإخوان

أعجوبة ما لها فى الدهر من مثل ... لكن ربك ذو فضل وإحسان

إن ينفد الزاد أغناكم وزودكم ... ما ليس ينفد من تقوى وإيمان

كلوا من الخبط ، نعم الخبط من أكل ... لكل ذى سغب فى الله طيّان

حيّاكم الله من صيد غطارفة ... يلقون فى البؤس عيش الناعم الهانى

هى النفوس بناها الله من شمم ... نعم البناء ، وجلت قدرة البانى

وأنت ياقيس فانحرها مباركة ... تجنى بها الحمد يستعلى به الجانى
أسديتها يا ابن سعد خير عارفة ... جاءت على قدر فى خير إبان
ما فى صنيعك من بدع ولا عجب ... قيس ووالده فى الجود سيان
كلاكما وسيوف الله شاهدة ... غوث اللهيف ، وروح البائس العانى
ما أقرب الحق مما يبتغى عمر ... لو لم تكن لأب للحق صوان
يقيضيه عنك ، وإن أربيت تجعله ... ما تحمل الأرض من إبل ومن ضان
ما مثل ما قدمتْ لله منك يدٌ ... ما قدم الناس من هدْيٍ وقربان

* * *

أبا عبيدة لولا أن عزمت على ... قيس لأمعن قيس أىَّ إمعان
يقول إذ رحت تنهاه وتمنعه ... أبا عبيدة مهلا ، كيف تنهانى ؟
أنا ابن سعد ، وسعد أنت تعرفه ... مولى العشيرة من قاص ومن دان
يكفى المهمَّ إذا ضاق الكفاة به ... ويطعم الناس من عثنى ووحدان
أأصنع الصنع محمودا فيخذلنى ... أب أراه لغيرى خير معوان ؟
لا يُبعد الله منه والدا حدبا ... سمح الخلائق أراعاه ويرعانى
يا قيس إن رسول الله شاهده ... فعَدِّ نفسك عن وصف وتبيان

* * *

رمت جهينة بالأبصار من فزع ... فلم تجد غير أبطال وفرسان
لاذت بأكنانها القصوى ولو قدرت ... لاذت من الزاخر الطامى بأكنان
وولت العير يخشى أن يحاط بها ... من الألى هم ذووها كل شيطان
ماذا على القوم يرضى البأس إن غضبوا ... أن لا يفوزا بأكفاء وأقران ؟
آبوا بخير ، وآبت كل طائفة ... من الألى كرهوا الحسنى بخسران

* * *

للحق سلطانه ، فليأت منكره ... ٍن استطاع له ردًّا بسلطان
ما حجة الشرك ، والأكوان شاهدة ... بواحد سرمدىّ الملك ديّان ؟

سبحانه ، لن يصيب الجاهلون على طول التوهم من ربٍّ لهم ثان
طاحت بهم غمرة ما تنجلى ، وطغت على عقول لهم مرضى وأذهان
تلك البراهين تترى كل آونة لو كان ينتفع الأعمى ببرهان

* * *

أخا جهينة ، عُدْ فى منظر بهج عود امرئ مرح الأعطاف جذلان
تمرٌ وكسوة معطاء ، وراحلة بشرى الصديق ، وبؤس [1] الجاسد الشانى
عرفت قيسا فتى مجدٍ ومكرمة صدقت ، إنك ذو علم وعرفان
نبئ جهينة واذكرها يدا عظمت فليس في الحق أن يجزى بنسيان

* * *

إذا تدفق دين المرء فى دمه سرت معانيه فى روح وجثمان
ما للدين يشرع من صدق ومن ورع كالدين يشرع من زور وبهتان

* * *

(١) بياض بالمصورة .

سَرِيّة بشير بن أبى سفيان رضي الله عنه إلى بنى تميم

أرسله النبى ﷺ إلى بنى كعب لأخذ صدقاتهم ، وكانوا من بنى تميم على ماء فمنعه هؤلاء من أخذها ، فعاد إليه بخبرهم ، فأرسل معه عيينة بن حصن بعد إسلامه ـ فى خمسين فارسا فأغار على بنى تميم ، وأخذوا منهم رجالا ونساء وصبيانا ، وعادوا إلى المدينة فجاء فى أثرهم من رؤسائهم عطاء بن حاجب ، والزبرقان بن بدر والأقرع بن حابس ، وأخذوا ينادون النبى ﷺ ، وهو فى داره: أن اخرج إلينا نفاخرك ونشاعرك [1] ، وكان يستعد لصلاة الظهر ، فلما خرج للصلاة تعلقوا به ، وبعد أن قضاها عاد إليهم ، فتكلم خطباؤهم وشعراؤهم ، وأذن لثابت بن قيس وحسان بن ثابت ، فخطب الأول ، وقال الثانى شعرا ،ثم إنهم أسلموا فرد الأسارى إليهم ، وأعطوا الجوائز السنية ، وأقاموا مدة بالمدينة يتعلمون القرآن .

سبيلك فى مرضاة ربك يابشر ... وفى حقه فاد أب وإن فدح الأمر

عليك بنى كعب فخذ صدقاتهم ... ولا تألهم نصحا ، لهم ولك الأجر

أطاعوك فى ذات الإله ، وأقبلوا ... كراما ، يرون الدين أن يُبذَل البر [2]

فما لتميم ساء ما صنعت بنو ... تميم أما للقوم رأى ولا حجر [3]

أبوا أن يؤدُّوا الحق واهتاج جمعهم ... فعبَّ عباب البغى واحتدم الشر

يقول بنو كعب ، دعونا ودِيننا ... وهيهات لج الشرك واستكبر الكفر

---

(١) نزل فى هذه الواقعة قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ (٤) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحجرات : ٥] .

(٢) أخذ بشير صدقات بنى كعب ، فقال لهم بنو تميم ـ وكانوا معهم على ماء ـ : لم تعطوهم أموالكم ؟ فقالوا لهم : إنا قد أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة ، فأخذوا سلاحهم ومنعوا من أخذ الصدقة ، وقالوا والله لن ندع بعيرا واحدا يخرج .

(٣) الحجر العقل .

لك الله يا بشر ، فعد غير آسف ... لربك فيهم حكمه ، ولك العذر
أتيت رسول الله تروى حديثهم ... فهيجت بأسا مثلما يقد الجمر
أعد ابن حصن للوغى وأمده ... بكل شديد البأس ، مطعمه مر
إذا ذاقه فى غمرة الحرب قرنه ... تنكب يلوى أخدعيه ويزور
أغار عليهم فاستباح نفوسهم ... وأموالهم ، فلينظروا : لمن الخسر ؟
تساق سباياهم وأنعامهم معا ... بأعينهم من كل أوب وهم كثر
تود لو أن القوم يستنقذونها ... وهيهات لجَّ الرعب واستفحل الذعر
أقاموا على غيظ ، وعاد عيينة ... مغانمه شتى ، وآثاره غر
عليه من النصر المحجل بهجة ... إذا ائتلفت أوضاحها ، ضحك النصر
يظل أسارى القوم فى دار «رملة» ... مجازيع مما يصنع الحبس والأسر[1]
رأوا سوء عقباهم ، فأقبل وفدهم ... وضجَّ الأسارى : إننا مسنا الضر
تصيح ذراريهم وتبكى نساؤهم ... وجهد الأسى أن تهطل الأدمع الغزر
أتوا دار أمضى الناس رأيا وهمة ... لنائبة تعتاد ، أو حادث يعرو
ينادونه فى ضجة من ورائها ... ولو ملكوا صبرا لأغناهم الصبر
ألا اخرج إلينا ، وانظر اليوم أيُّنا ... له الشرف العالى الذرى وله الفخر ؟
فلما رأوه خارجا علقوا به ... ولم يثنهم صوت الأذين ولا الزجر[2]
قضاها صلاة يحمل الروح نشرها ... فلا أرج يحكى شذاها ولا نشر
وعاد حميدا ينظر القوم حوله ... لهم صلف ما ينقضى ، وبهم كبر
يقولون قول الجاهلين ، وقلما ... يفيد الهراء القوم أو ينفع الهجر
عطارد مهلا ، وإنه صحبك ، إنما ... أردتم مقاما دونه الشعر والنثر[3]

---

(١) هى رملة بنت الحارث .

(٢) كان بلال يؤذن لصلاة الظهر .

(٣) قال عطارد ، وقيل غيره من خطبائهم :الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله ، والذى جعلنا ملوكا :ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل =

إلا إن قول الصدق ما قال ثابت وحسان فاشهد إنما يشهد الحر
خطيب رسول الله ما فيه مرية وشاعره ما مثله شاعر بَرُّ
غُلبتم فأسلمتم فبشرى بنعمة حباكم بها رب له الحمد والشكر
خذوا السبى والأسرى وهذا عطاؤكم عطاء كريم ما لآلائه حصر
أحِبُّوا رسول الله ياقوم إنه محبته غنم ، ومرضاته ذخر
عطوف على ذى الضعف ، يؤتيه فضله عفوٌّ حليم ، ما يضيق له صدر
أقيموا على الفرقان تتلون آيه فذلك نور الله ما دونه ستر
كتاب يضيء السبل ، فى كل مطلع لكل ابن ليل من مطالعه فجر
خذوا زادكم منه ، وعودوا لقومكم فما ثَمَّ زاد مثله أيها السفر

* * *

= المشرق عددا ، فمن مثلنا فى الناس . . إلخ ومما قاله ثابت بن قيس بن شماس خطيب رسول الله ﷺ : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض مضى فيهن أمره ووسع كرسيه علمه ، جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمهم نسبا وأصدقهم قلبا وأفضلهم حسبا ، فأنزل عليه كتابه وائتمنه على خلقه ، وقال الزبرقان :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع

وقال الأقرع بن حابس :

وأنا رؤوس الناس من كل معشر وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم

وقال حسان :

نصرنا رسول الله والدين عنوة على رغم عات من بعيد وحاضر

سَريّة أبى سفيان والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما لِهدم اللات

أرسلهما النبى ﷺ بعد رجوعه من تبوك ، لهدم اللات صنم ثقيف فى بضعة عشر رجلا فهدموها ، وأراد المغيرة أن يسخر بثقيف ، فلما علاها ليهدمها بالمعول ألقى بنفسه ، فقالوا : قتلته ، وخرج النساء حسرا يبكون عليها .

هدموها وأخذوا حليتها وكسوتها ، وما كان فيها من ذهب وفضة وطيب ، وأقبلوا على النبى ﷺ فحمد الله : ـ

ثقيف اجمعى للات ما شئت من عزم ... ولا تسلميها للمعاول والهدم
أتاها أبو سفيان يرمى كيانها ... بخطب يزيد الكفر رغما على رغم
وإن لها عند المغيرة همة ... تبيت لها الكفار صرعى من الهم
علاها بنعليه ، وألقى بنفسه ... يخادع من لا يستفيق من الوهم
ظننتم به شرا ، وقلتم أصابه ... من اللات ما ينهى الغوىَّ عن الإثم
ألا فانظروها ، كيف أضحت صخورها ... تطير فضاضا من صلاب ومن صم
تهدُّ وتبكيها العقائل حُسَّرا ... فهل عندها بالمأتم الضخم من علم ؟
وهل منعت أسلابها إذ أصابها ... رسول هدى يزداد غنما على غنم ؟
له من دم الكفار ما شاء ربه ... ومن مالهم ، فى غير بغْىٍ ولا ظلم
هم البغى والظلم المذمم والأذى ... وما ثمّ من عيب شنيع ومن ذم
علت قبة الإسلام ، واعتز جنده ... فمن شرف واف ، ومن سؤدد جم
هو الدين ، لا دين الجهالة والعمى ... وهل يستحبُّ الجهل من كان ذا حلم ؟
قضى الله ألا يعبد الناس غيره ... فما لسواه من قضاء ولا حكم
وليس له غير الذى عاب دينه ... وأعرض عنه من عدو ولا خصم
سيصليه نارا يُنضج الجلدَ حرها ... ويذهب يوم الدين باللحم والعظم

* * *

سَريّة أسَامة بْن زيد بْن حارثة رضي الله عنهما

كانت هذه السرية إلى « أبنى » ناحية بالبلقاء من أهل الشام ، وهى آخر السرايا ، أمره النبى ﷺ يوم الإثنين السادس والعشرين من صفر من السنة الإحدى عشرة بالتهيؤ لغزو الروم . فلما كان من الغد دعاه ، وقال له :« **سر إلى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، وقد وليتك أمر هذا الجيش** » ، فلما كان يوم الأربعاء حم وصدع صلوات الله وسلامه عليه ، فلما أصبح يوم الخميس عقد له لواء وقال له : «**اغز باسم الله وفى سبيل الله** »، وخرج أسامة فدفع اللواء إلى بريدة بن الحصيب ، وتهيأ المهاجرون والأنصار للخروج ، وفيهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح ، وسعد بن أبى وقاص ، واستنكف قوم من تأمير أسامة ، وقالوا : غلام ، وكان سنه ١٧ أو ١٩ أو ٢٠ سنة وبلغت النبى ﷺ مقالتهم ، فغضب كثيرا وخرج ، وقد عصب رأسه وصعد المنبر ، وقال :

« **أما بعد ، أيها الناس ، فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ؟ ولئن طعنتم فى إمارته فقد طعنتم فى إمارة أبيه من قبله ، وايم الله إن كان لخليقا بالإمارة وإن ابنه من بعده لخليق بالإمارة ، وإن كان من أحب الناس إلى ، وإنه لمظنة كل خير ، فاستوصوا به خيرا فإنه من خياركم** » .

وكان هذا يوم السبت عاشر ربيع الأول ، وأمر النبى ﷺ أبا بكر بالتخلف ليصلى بالناس ، فلما كان يوم الأحد اشتد وجعه ، فجاء أسامة وطأطأ فقبله ، ثم رجع إلى معسكره « بالجرف » ثم عاوده يوم الإثنين فقال له : « **اغد على بركة الله** » ، فودعه وخرج ، وأمر الجيش بالرحيل ، فأرسلت إليه امرأته فاطمة بنت قيس تقول: لا تعجل ، فإن المرض قد اشتد على الرسول ﷺ ، فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب ، وأبو عبيدة ،وانتهوا إليه ﷺ ـ وقد توفى ـ وعاد الجيش إلى المدينة ، وعاد بريدة باللواء ، فغرزه عند النبى ﷺ ، فلما بويع لأبى بكر أمر بريدة أن يذهب باللواء إلى بيت أسامة ، وأن يمضى أسامة لما أمر به ، فخرج

وسار أبو بكر ﷺ يودعه ماشيا ؛ وقد نصره الله وأيده :ـ

سر ياأسامة ما لجيشك هازم ... أنت الأمير وإن تعتَّب واهم
قالوا : غلام للكتائب قائد ... وفتى على الصِّيد الخضارم حاكم
غضب النبى وقال : إنى بالذى ... جهل الغضاب الساخطون لعالم
إن يجهلوه فقد عرفت مكانه ... والعدل عندى ، لا محالة قائم
ولئن رموه بما يسوء فقد رموا ... من قبل والده ولجَّ الناقم
نقموا الإمارة فيهما ، وهما لها ... أهل ، فكلٌّ أحوذىٌّ حازم
الخير فيه وفى أبيه فآمنوا ... ياقوم ، وانطلقوا لما أنا عازم

* * *

ساروا وظلّ مع النبى خليله ... والخطب بينهما مقيم جاثم
ينتاب مضجعه وينظر ما الذى ... صنع القضاء فهمُّه متراكم
مرض النبى طغى عليه ، فقلبه ... يغشاه موج للأسى متلاطم
ودرى أسامة فانثنى فى جيشه ... والحزن طامٍ والدموع سواجم

* * *

مات الرسول المجتبى ، مات الذى ... أحيا نفوس الناس وهى رمائم
مات الرسول فكل أفق عابس ... أسفا عليه ، وكل جوٍّ قاتم
مات الذى شرع الحياة كريمة ... والناس شر والحياة مآثم
مات الذى كانت عجائب طبه ... تشفى العقول ودواؤها متفاقم
طاشت لمصرعه عقول رجَّح ... ووهت قوى مشدودة وعزائم
دنيا الممالك بعد عصر محمد ... حزن يجدد ، والعصور مآتم
صلى عليك الله إن قضاءه ... حتم ، وإنْ زعم المزاعم حالم

* * *

عاد ابن زيد بالكتائب ما لوى ... من عزمه الحدث الجليل العارم
يمشى الخليفة لائذا بركابه ... وكأنما هو سائق أو خادم

وأبى الأمير ، فقال : دونك مركبى ... لا تمش إنى إن فعلت لغانم
ولئن أبيت لأنزلنَّ كرامة ... لك ، فاقض أمرك ، لا نبا لك صارم
قال الخليفة : ما أراك بمنصفى ... دعنى فللإسلام حق لازم
أنا من جنودك ، لو ملكت رأيتنى ... تحت اللواء ، فهالك أو سالم

* * *

قُضِىَ الوداع ، وعاد مشكور الخطى ... يرعاه للإسلام ربٌّ راحم
سر يا أسامة فالقواضب لم تمت ... هى ما ترى وهو الجهاد الدائم
وإذا البواتر واللهاذم أعوزت ... فالمسلمون بواتر ولهاذم
يا لاثم القمر المنير مودعا ... هل كان قبلك للكواكب لاثم ؟
هى يا أخا الشوق المبرِّح قبلة ... ما ذاق لذتها مشوق هائم
ولقد تكون وفى حلاوتها أسى ... مُرٌّ مذاقته ، ووجد جاحم

* * *

زلْزِل جنود الروم ، واهدم ملكهم ... فى عزه العالى ، فنعم الهادم
قتلوا أباك ، فلا تدعهم : واعتصم ... منهم بربك ، إنه لك عاصم
ولقد هزمت جموعهم ، فتفرقوا ... رشفاك منهم جيشك المتلاحم
وأجلت خيلك فى عِراص ديارهم ... وفعلت فعلك ، والأنوف رواغم
قتْلٌ وأسر ، هدَّ من عزماتهم ... وأذلهم ، وكذلك يُجزَى الظالم
ولئن أزلت ديارهم ونخيلهم ... من بعد ما ظلموا ، فما لك لائم

* * *

عد يا ابن زيد باللواء مظفَّرا ... وانعم ، فبال محمد بك ناعم
هذا أبو بكر مشى فى صحبه ... يلقاك مبتهجا ، وركبك قادم
هم هنأوك ، وأنت أهل للذى ... صنعوا ، وحسبك أن يُفيق النائم
اشكر صنيع الله يا شيخ الوغى ... إن الذى عاب الغلام لنادم
حِبَّ الرسول لك البشارة ، إنه ... شرف له فوق النجوم دعائم

ماذا يقول ذوو الحفيظة بعد ما شكرت أمية ما صنعْتَ وهاشم
عفوا فتلك حميةٌ عربية أعيا الأوائلَ عهدها المتقادم
للمرء من نور الحقائق ما يرى لا ما تريه وساوس ومزاعم
والناس عند فعالهم إن يفعلوا خيرا ، فأحرار النفوس أعاظم
لا حكم للأنساب أو للسن فى ما قال فيهم مادح أو واهم

* * *



فهرس الديوان



فهرس الديوان

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة

تم الصف والإخراج الفني
بمركز الصفا للكمبيوتر
مصر - منية سمنود - دقهلية
ت : ٠٥٠٦٤٩٢١٧٨ محمول : ٠١٢٧٥١١٠٠٣

